معجم

المصطلحات البلاغية وتطورها

تأليف

الدكتور أحمد مطلوب

الجزء الأول

الدار العربية للموسوعات

معجم
المصطلحات البلاغية وتطورها

معجم
المصطلحات البلاغية وتطورها

تأليف
د. أحمد مطلوب

الجزء الأول

أ - ب

الدار العربية للموسوعات

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م

الدار العربية للموسوعات

الحازمية ـ ص.ب: ٥١١ ـ هاتف: ٩٥٢٥٩٤/ ٠٠٩٦١٥ ـ فاكس: ٤٥٩٩٨٢/ ٠٠٩٦١٥
هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣/ ٠٠٩٦١٣ ـ ٥٢٥٠٦٦/ ٠٠٩٦١٣ ـ بيروت ـ لبنان
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com
البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

مؤسسها ومديرها العام: خالد العاني

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

نشأت البلاغة كغيرها من علوم اللغة العربية لخدمة القرآن الكريم واتقان اللغة وتعليمها والوقوف على أساليبها ، ومرّت بأطوار مختلفة ، وشهدت تجارب متعددة وكان المصطلح البلاغي يأخذ معناه العلمي الدقيق كلما ظهر عالم ألمعي له قدرة على وضع الحدود وصياغة التعريفات . ولعل عبدالقاهر الجرجاني (ـــ ٤٧١ هـ او ٤٧٤ هـ) كان من أكثر البلاغيين دقةً في المصطلح وضبطاً للقاعدة ورسماً للاصول ، فقد استطاع بعبقريته الفذة أن يؤلف كتابيه « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » اللذين كانا عمدة البلاغيين . وظلت البلاغة تشهد نمواً حتى القرن الثاني عشر للهجرة ولكنها توقفت عند رسوم المتأخرين ولم يُضف اليها في هذا العصر إلا ما يهدف اليه المنهج الحديث في تصنيف الموضوعات ، وهو منهج اتضح في « فن القول » للمرحوم أمين الخولي ، ولم يَسُد الدرس البلاغي الجديد .

والمجدّد إن لم يصدر عن التراث يظل بعيداً عن الأصالة ؛ لان التجديد تَمَثُّلُ القديم درساً ، والبلاغة العربية ذات التأريخ العريق أحوج ما تكون الى الدراسة العميقة وسبر اتجاهاتها لتصل الى مرحلة تستشرف فيها مستقبلا زاهراً ينير معالم الطريق . وأول خطوة الى التراث البلاغي دراسة مصطلحاتها وتطورها وابرازها بثوبها العربي الاصيل ، ولن يتم ذلك إلا بوضع معجم يجمع جزئياتها وينسقها فـــي عَرْض تأريخي يظهر تطورها ويحدد معالمها . وقد ظهرت هذه الفكرة منذ سنوات طويلة ، ولكن الوصول الى وضع معجم كان حلماً بعيداً لان تأريخ البلاغة العربية

طويل ؛ ولان القدماء لم يلمحوا التطور إلاّ بما يخدم أهداف الكتب التي ألفوها ؛ لانهم لم يقصدوا الى التأريخ قصْداً ، ولم يسعوا إلى وضع معجم البلاغة التأريخي سعياً . ولكن الدعوة الى وضع معجم تأريخي للغة العربية ظلت تتردد ، وعقدت من أجل ذلك الندوات فما استطاعت أن تبدأ به ؛ لان تأريخ الالفاظ العربية ممتد طويل ، ولان الكثير من النصوص ضاع في غمرة الأحداث .

ولعل البلاغة أسهل مورداً وأقرب منالاً لتأخر ظهورها في كتب ترصد أصولها ، فكان لها أن يُقصد الى وضع كتاب يؤرخ لمصطلحاتها الكبرى : الفصاحة ، والبلاغة ، والمعاني ، والبيان ، والبديع . وصدر ذلك الكتاب عام ١٩٧٢ للميلاد ليـــكون تجربة تأخذ أبعادها من دعوة المعجم التأريخي وتقتبس ملامحها من التراث الأصيل . وقام منهج ذلك الكتاب وهو « مصطلحات بلاغية » على رصد كل مصطلح في مظانه واستقاء الرأي من منابعه ، والربط بين الآراء ربطاً يظهر تطورها التأريخي ويحدد معنى المصطلح الذي استقر عليه المتأخرون .

ومرّت الأعوام وصورة ذلك الكتاب تتسع ، ولم يظهر في الأفق ما يُسدّد الخطى ويعبّد الطريق ، فكان « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » هدية تُقدّم على استحياء ؛ لانها قد تكون فجّة ، او انها لا تحقق الهدف الذي من أجله يبذل الدارسون جهودهم في هذه السبيل . .

إنّ وضع المعجم البلاغي لم يكن هيناً فهناك مئات المصادر التي تحمل بين سطورها بذوراً أو ثماراً ، وكان على الباحث أن يقف عليها ويعيد النظر فيها ليأخذ منها ما ينفع ويضمه الى ما اقتبسه من كتب البلاغة والنقد ، حتى إذا ما استوت المادة على سُوقها بدأ التصنيف ، وبدأت حروف الهجاء تأخذ سبيلها في الترتيب من غير التفات الى أصل مادة المصطلح او ارتباط بالمعجم القديم لان في ذلك شيئاً من العسر لا يخدم الهدف ولا يحقق الغاية عند المراجعة السريعة ، ولذلك وضع « الاستفهام » قبل « الإسجال » و « الارتقاء » قبل « الإرداف » و « الاعتراض » قبل « الإعجاز » . فالأساس هو ترتيب الحروف في المصطلح كما يفعل المعاصرون حينما ينسقون الالفاظ والمصطلحات .

وبعد أن تمّ هذا التصنيف كانت العودة الى المعجمات للوقوف على معنى المصطلح في اللغة ليبدأ بعد ذلك ذكر أسماء المصطلح المختلفة إن كانت لـه عدة تسميات ، ثم تعريف البلاغيين والنقاد وغيرهم للفن البلاغي ، وهو تعريف أخذ من التطور التأريخي نسقه ، وقد يكون ذلك التأريخ بعيداً يمتد الى آخـر ما وقفت عنده البلاغة في القرن الثاني عشر للهجرة على يد ابن معصوم المدني (ـ ١١١٧ هـ) صاحب « أنوار الربيع في أنواع البديع » . وتأتي أقسام الفن بعد ذلك مُوَضَّحةً بالامثلة المقتبسة من الكتاب العزيز وكلام العرب البليغ .

تلك خطة المعجم ، بدأت من الهمزة وانتهت بالواو ، ولم يكن العمل سهلاً لان تأريخ البلاغة عريق ، ولان القدماء لم يضعوا معالم لمثل هذا العمل . وقد يجد الباحث عنتاً وضيقاً حينما يجد للنوع الواحد من فنون البلاغة اسمين أو أكثر ، فالغانمي ـ مثلاً ـ سمّى باباً من أبواب البلاغة «التبليغ» وسمى باباً آخر «الاشباع» ، وسماهما أبو هلال العسكري وابن الأثير « الايغال » . وأطلق بعضهم أسماء مختلفة على فن واحد كتسميتهم « التجنيس » جناسا ومجانسا ومماثلا وتماثلا ، و « التورية » إيهاماً وتوجيهاً وتخييلا ، و « التشبيه المقلوب » غلبة الفروع على الاصول ، والطرد والعكس ، و « التوجيه » محتمل الضدين ، و « الارصاد » تسهيماً وتوشيحاً و « لزوم ما لا يلزم » الزاماً والتزاماً واعناتاً وتشديداً وتضييقاً ، و « التشريع » توشيحاً وذا القافيتين ، و « التكميل » احتراساً ، و « رد العجز على الصدر » تصديراً ، و « والمطابقة » طباقاً وتضاداً وتكافؤاً وتطبيقاً ، و « تجاهل العارف » سوق المعلوم مساق غيره ، و « مراعاة النظير » تناسباً وتوفيقاً وائتلافا ، و « المذهب الكلامي » الاحتجاج النظري . وقد يريد بعضهم بالتوشيح فناً غير الذي يريده آخر ، وقد يختلف التعريف والمثال . فالتوشيح عند معظم البلاغيين هو الارصاد والتسهيم ، وعند أسامة بن منقذ « هو أن تريد الشئ فتعبّر عنه عبارة حسنة وإن كانت أطول منه » . وعند ضياء الدين بن الأثير « هو أن يبني الشاعر أبيات قصيدته على بحرين ، فاذا وقف من البيت على القافية الاولى كان شعراً مستقيماً من بحر على عروض ، وصار ما يضاف الى القافية الاولى للبيت كالوشاح

وكذلك يجري في الفقرتين من الكلام المنثور » . والى ذلك ذهب ابن قيّم الجوزية فقال : « التوشيح أن تكون ذيول الأبيات ذات قافيتين على بحرين أو ضربين من بحر واحد، فعلى أيّ القافيتين وقفت كان شعراً مستقيماً » . وهذا هو « التشريع » عند الآخرين ، وقد يسمى « ذا القافيتين » و « التوأم » ، قال المدني عنه : « التشريع هو أن تبني القصيدة على وزنين من أوزان العروض وقافيتين ، فاذا اسقط من أجزاء البيت جزءٌ أو جزءان صار ذلك البيت من وزن آخر ، كأنّ الشاعر شرع في بيته باباً الى وزن آخر . ولما خفي على ابن ابي الاصبع وجهُ مناسبة التشبيه بين اللغوي والاصطلاحي أو استبعده ، سمّى هذا النوع « التوأم » ليطابق بين الاسم والمسمى » .

ولم يكن بدّ من الاشارة الى ذلك كله عندما يتقدم المصطلح ، أما حينما يأتي باسم آخر فيذكر انه النوع السابق أو الانواع المتقدمة ، لئلا يطول الكلام ويعاد ما ثبت في موادّ أخرى . وبهذه الطريقة وبالاقتصار على الاسم المشهور لكل متقدم من البلاغيين خفّ المعجم ولم يتكرر فيه إلا ما كان تكراره مهما . فالسجع يسمى تسجيعا ، ولما كانت التاء قبل السين ، بُحث هذا الفن وأقسامه في مصطلح « التسجيع » وكانت الاشارة في « السجع » اليه ، فقيل : « السجع : هو التسجيع وقد تقدم » ، و « السجع الحالي » هو « التسجيع الحالي وقد تقدم » . وهكذا كان الأمر في كل مصطلح مع الاشارة الى المصادر التي ذكرته بالاسم الجديد لئلا يُظن أن القدماء اتفقوا في التسمية ، أو ان بعضهم ذكر الفن بعدة مصطلحات .

إنّ « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » الذي ضم ألف مصطلح ومائة ، محاولة أريدبها وضع معجم تأريخي لهذا الفن الذي لم ينضج ولم يحترق ، وهو معجم يقوم على ترتيب الانواع ترتيباً هجائيا لتسهل مراجعة النوع وجمع أجزائه في مادة واحدة ، والاشارة اليها إذا جاءت منفردة ، وجمع الآراء المختلفة في الفن الواحد ، لتسهل معرفة أول من بحث فيه ؛ وينتفع مؤرخ البلاغة ومن تعنيه المقارنة بين الفنون عند العرب وغيرهم من الاقوام كالفرس واليونان والهنود الذين قيل إنّ لهم أثراً كبيراً في نشأة البلاغة العربية وتطورها ، وما هو بالأثر الكبير حينما يرجع الباحث

الى هذا المعجم ويرى نشأة الفن وتطوره خلال القرون ، وارتباط مصطلحات البلاغة ، بالمتقدمين منذ عهد الصحابة — رضوان الله عليهم — واللغويين والنحاة الأوائل كالخليل بن احمد وسيبويه والاصمعي وأبي عبيدة والفراء وغيرهم ممن لم يدرسوا بلاغة أرسطو ، أو يقرأوا صحف الفرس والهنود .

ويذهب « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » الى أبعد من ذلك ، فهو يقدّم للدارسين معرفة الجديد عند البلاغيين ويذكر مدى تأثر اللاحقين بالسابقين ، وتقريب فنون البلاغة وربطها بالنصوص لتكون نافعة لمن يريد أن يكتشف بنفسه هذا الفن قبل أن يرجع الى المظان ويسبر غورها ويقف على الأساليب . ولن يكون نفعه للمحققين بأقل من ذلك ، لانه يقدّم الفن البلاغي خلال العصور المختلفة ويرصد التطور التأريخي ، وبذلك تسهل المراجعة وتكثر الفائدة من المصادر التي استقى المعجم منها مادته ، وهي مصادر كثيرة يتصل بعضها بالبلاغة والنقد ، ويرتبط بعضها بكتب الأدب والنوادر . وليس ذلك بقليل لمن يريد أن يكسب من الوقت ساعات يقضيها في النظر والتأمل والتدقيق والحكم .

تلك خطة التنسيق وذلك منهج التأليف ، فان أصاب « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » هدفه الذي من أجله وضع فذلك خير من الله ، وان لم يحقق من الهدف شيئاً فعسى أن يحرك الهمم ويدفع الباحثين الى رَصْد فنون البلاغة وتقديمها في معجم تأريخي يكون واحداً مما يطمح اليه المخلصون لامتهم ولغة كتابهم العزيز . وحسب «معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » انه كان أول خطوة في هذا المضمار وانه اتسع لالف مصطلح ومائة استنفدت عشرة أعوام لجمعها من المظان ، وانه أول نواة بلاغية تقدّم للدارسين ولمن سيضع معجم اللغة العربية ، ذلك المعجم الذي لن يتم تنفيذه قبل ان توضع معجمات الفنون والعلوم ، وتحدد المصطلحات والتعريفات . ولعل « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » بعد أن يُوَجّه ويضاف اليه ، يكون نواة لذلك المعجم الكبير . ومن الله العون والتوفيق .

الجمعة في
الخامس عشر من آيار ١٩٨١ م
الحادي عشر من رجب ١٤٠١ هـ

الدكتور احمد مطلوب
كلية الآداب — جامعة بغداد

الهمزة

الائتلاف

الائتلاف : الاجتماع والاتفاق ، يقال : ائتلف الشيءُ : ألِفَ بعضه بعضاً . قال العلوي : « وهو افتعال من قولهم : ألّف الخرز بعضها الى بعض إذا جمعها »(١) وفي اللسان : « وقد ائتلف القوم ائتلافا وألّف الله بينهم تأليفا »(٢)

وكان قدامة بن جعفر قد بنى على الائتلاف منهج كتابه « نقد الشعر » حينما عرّف الشعر بقوله : « انه قول موزون مقفّى يدلّ على معنى »(٣) ، أي انه يتألف من أربعة أركان : الوزن والقافية واللفظ والمعنى . وقد تولد من ذلك ستة أضرب من التأليف ، غير ان قدامة ذكر ائتلاف اللفظ مع المعنى ، وائتلاف اللفظ مع الوزن ، وائتلاف المعنى مع الوزن ، وائتلاف المعنى مع القافية . وذكر بدر الدين بن مالك والعلوي والسبكي ائتلاف اللفظ مع اللفظ ، وائتلاف المعنى مع المعنى (٤) . وسمّى ابن حجة الحموي مراعاة النظير ائتلافاً وتناسباً وتوفيقاً ومؤاخاة ، وعرفه بقوله : « وهو في الاصطلاح أن يجمع الناظم أو الناثر أمراً وما يناسبه مع الغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة سواء كانت المناسبة لفظاً لمعنى أو لفظاً للفظ أو معنى لمعنى إذ القصد جمع شيءٌ الى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من أحد الوجوه » (٥) . وقال المدني عن مراعاة النظير : « هذا النوع أعني مراعاة النظير ، سمّاه قوم بالتوفيق وآخرون بالتناسب وجماعة بالائتلاف وبعضهم

---

(١) الطراز ج ٣ص ١٤٤ .
(٢) اللسان (ألف)
(٣) نقد الشعر ص ١٥ .
(٤) المصباح ص ١١٤ ، والطراز ج٣ ص ١٤٤ ، وعروس الأفراح ج ٤ ص ٤٧٢ .
(٥) خزانة الأدب ص ١٣١ .

بالمؤاخاة . قالوا : هو عبارة عن أن يجمع المتكلم بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد سواء كانت المناسبة لفظاً لمعنى أو لفظاً للفظ او معنى لمعنى ، إذ القصد جمع شيْ وما يناسبه من نوعه أو ملائمه من احـــد الوجوه » (١) . ثم قال : « ولا يخفى ان هذا التفسير يدخل فيه ائتلاف اللفظ مع المعنى وائتلاف اللفظ مع اللفظ ، وائتلاف المعنى مع المعنى . وكل من هذه الأقسام عدّه أرباب البديعيات نوعا برأسه ونظموا له شاهداً مستقلاً وجعلوه مغايراً لهذا النوع ، مع انهم مثلوا لائتلاف اللفظ بما مثلوا به لمراعاة النظير بعينه ولا وجه لذلك ، بل كان الصواب تنويع هذا النوع الى هذه الانواع الثلاثة كما فعل صاحب التبيان حيث قال : مراعاة النظير هو أن يجمع بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد ، وهو أصناف :

الأول : ائتلاف اللفظ والمعنى .

والثاني : ائتلاف اللفظ مع اللفظ .

والثالث : ائتلاف المعنى مع المعنى .

وهذا كتنويعهم اللف والنشر الى أنواعه المذكورة والالتفات الى انواعه الستة ، وغير ذلك من أنواع البديع التي تتنوع الى أنواع . وإذ قد اصطلح أرباب البديعيات على جعل مراعاة النظير نوعاً برأسه ، وكل من ائتلاف اللفظ والمعنى ، وائتلاف اللفظ مع اللفظ ، وائتلاف المعنى مع المعنى ، نوعاً برأسه ، فينبغي أن يحدّ كل منها بحد لا يشمل الآخر » . وعلى هذا الاساس بحث كل نوع في عنوان مستقل.

ائتلاف الفاصلة :

الفواصل هي مقاطع القرآن ، ولا تسمى سجعاً ولا قوافي لان هذين المصطلحين مختصان بكلام العرب نثره وشعره . وقد أفرد المصري هذا البحث بباب وقال انه من مخترعات قدامة وسماه مَنْ بعده التمكين ، ولكنه عرفه تعريفاً أدخل فيه الأسجاع والقوافي فقال : « هو أن يمهد الناثر لسجعة فقرته والشاعر لقافية بيته

---

(١) أنوار الربيع ج ٣ ص ١١٩.

تمهيداً تأتي به القافية متمكنة في مكانها ، مستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضوعها ، غير نافرة ولا قلقة ، متعلقاً معناها بمعنى البيت كله تعلقاً تاماً بحيث لو طرحت من البيت لاختل معناه واضطرب مفهومه . ولا يكون تمكنها بحيث يتقدم لفظها بعينه في أول صدر البيت أو في أثناء الصدر أو معنى يدل عليها ، ولا أن تفيد معنى زائداً على معنى البيت ، فان الاول تصدير ، والثاني توشيح ، والثالث إيغال ، ولا يسمى شيْ من ذلك تمكيناً . وكل مقاطع آي الكتاب العزيز لا تخلو من أن تكون أحد هذه الأقسام الأربعة ، ولهذا تسمى مقاطعه فواصل لا سجعا ولا قوافي ، لاختصاص القوافي بالشعر ، والسجع بالمنافرة عن معنى الكلام مأخوذ من سجع الطائر » (١) .

ومما جاء منه على هذا الباب وهو باب التمكين قوله تعالى : « قالوا يا شُعيبُ أصلاتُكَ تأمرك أن نترُكَ ما يعبُدُ آباؤنا أو أن نفعلَ في أموالنا ما نشاء ، إنّكَ لأنتَ الحليمُ الرشيد » (٢) ، فانه لما تقدم في الآية ذكر العبادة وتلاه ذكر التصرّف في الاموال اقتضى ذلك ذكر الحلم والرشد على الترتيب ؛ لان الحلم العقل الذي يصحّ به تكليف العبادات ويحضّ عليها ، والرشد حسن التصرف في الأموال .

وقوله : « قالوا ربُّنا يعلمُ إنّا اليكم لمرسلونَ . وما علينا إلاّ البلاغُ المبينُ »(٣) فان ذكر الرسالة مهّد لذكر البلاغ والبيان فيه .

وقوله : « قيلَ ادخلِ الجنةَ ، قال : يا ليتَ قومي يعلمون بما غَفَرَ لي ربّي وَجَعَلني من المُكْرَمين » (٤) ، لان ذكر دخول الجنة مَهّد لفاصلتها .

---

(١) بديع القرآن ص ٨٩ ، وتحرير التحبير ص ٢٢٤ .
(٢) هود ٨٧ .
(٣) يس ١٦ — ١٧ .
(٤) يس ٢٦ — ٢٧ .

ائتلاف القافية :

تحدث قدامة عن ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت وقال : هو « أن تكون القافية متعلقة بما تقدم من معنى البيت تعلق نظم له وملاءمة لما مرّ فيه » (١) وتحدث عن أنواع ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت وهي التوشيح والايغال . وذكر ان من عيوب ائتلاف المعنى والقافية التكلف في طلبها والاتيان بها لتكون نظيرة لاخواتها في السجع . ومثال ان تكون القافية مستدعاة قد تكلف في طلبها فاشتغل معنى سائر البيت بها قول أبي تمام :

كالظبية الأدماءِ صافَتْ فارْتَعَتْ

زَهَرَ العَرارِ الغضّ والجثجاثا (٢)

فجميع البيت مبنيّ لطَلب هذه القافية ، وإلاّ فليس في وصف الظبية بانها ترعى الجثجاث كبير فائدة ؛ لانه إنما توصف الظبية — إذا قُصد لنعتها بأحسن أحوالها — بان يقال : إنها تعطو الشجر ؛ لانها حينئذ رافعة رأسها ، وتوصف بان ذعراً يسيراً قد لحقها كما قال الطرماح :

مثلَ ما عاينْتَ مخروفةً نَصَّها ذاعِرُ رَوْع مُؤام (٣)

فأما أن ترعى الجثجاث فلا معنى له في زيادة الظبية من الحسن ، لان هذا النبت ليس من المراعي التي توصف بالطيب .

ومثال الاتيان بالقافية لتكون نظيرة لأخواتها في السجع قول علي بن محمد البصري :

وسابغةُ الأذيال زَغْفٌ مُفاضَةٌ تكنَّفها مِنّي نجادٌ مخططُ (٤)

في وصف الدرع وتجويد نعتها ، ولا يزيد في جودتها ان يكون نجادها مخططا أو غير ذلك (٥) .

---

(١) نقد الشعر ص ١٩٠ .
(٢) العرار ؛ النرجس البري واحده عرارة . الجثجاث ؛ نوع من النبات .
(٣) المخروفة ؛ الظبية التي قد رعت العشب الذي نبت في الخريف . نصها ؛ رفعت رأسها . مؤام ؛ مقارب .
(٤) الزغف ؛ الدرع المحكمة .
(٥) نقد الشعر ص ٢٥٤ — ٢٥٦ .

وتحدث المصري عن « ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت » فقال :

« وهو الذي سماه مَنْ بعد قدامة التمكين ، وهو أن يمهّد الناثر لسجعة فقرته أو الناظم لقافية بيته تمهيداً تأتي القافية به متمكنة في مكانها مستقرة في قرارها مطمئنة في موضعها غير نافرة ولا قلقة ، متعلقاً معناها بمعنى البيت كله تعلقاً تاماً بحيث لو طرحت من البيت اختلّ معناه واضطرب مفهومه ، ولا يكون تمكنها بحيث يقدّم لفظها بعينه في أول صدر البيت أو معنى يدل عليها في أول الصدر أو في أثناء الصدر ولا أن يفيد معنى زائداً بعد تمام معنى البيت ، فان الأول يُسمى تصديراً ، والثاني توشيحاً ، والثالث إيغالاً ، ولا يقال لشيْ من ذلك تمكين البتة »(١) .

وسماه في « بديع القرآن » ائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام (٢) ، لان نهايات الآيات لا تسمى أسجاعاً بل فواصل لان السجع مأخوذ من سجع الطائر ، ولا يليق ذلك بكتاب الله العزيز . ولكن البلاغيين الآخرين كابن مالك وابن الأثير الحلبي والحموي والسيوطي والمدني (٣) سموه « تمكيناً » . ومعظم شعر الفحول من هذا اللون ، ومن ذلك قول أبي تمام :

ومن يأذَنْ الى الواشين تُسْلَقْ مسامعه بألسنةٍ حِدادِ

وقوله :

مذاكي حَلْبة وشُروب دَجْنٍ وسامرِ قينة وقدور صادِ
وأعين رَبْرَبٍ كحلت بسحرٍ وأجساد تَضَمّخُ بالجِسادِ (٤)

وقول البحتري :

فلم أرَ ضرغامين أصدقَ منهما عِراكاً إذا الهيّابة النِكْسُ أكذبا (٥)
حملتَ عليه السيفَ لا عزمكَ انثنى ولا يدك ارتدّت ولا حدّه نبا

---

(١) تحرير التحبير ص ٢٢٤ .

(٢) بديع القرآن ص ٨٩ .

(٣) المصباح ١١٧ ، جوهر الكنز ص ٢٠٠ ، خزانة الأدب ٤٣٩ ، معترك الأقران ج١ ص ٣٩ ، شرح عقود الجمان ١٥٥ ، أنوار الربيع ج ٦ ص ١٥١ .

(٤) المذاكي ؛ الخيل التي تم سنها وكملت قواها . الدجن ؛ المطر الغزير . سامر قينة ؛ احتفال بالقيان . الصاد ؛ الصفر والنحاس . الربرب ؛ بقر الوحش . تضمخ ؛ تلطخ . الجساد ؛ الزعفران .

(٥) الهيابة ؛ الهيوب . النكس ؛ الجبان .

وقول المتنبي :

يا من يعزّ علينا أن نفارقهم وجدانُنا كلّ شيءٍ بعدكم عدَمُ
إنْ كان سرّكُمُ ما قال حاسِدُنا فما لجرحٍ إذا أرضاكم ألَمُ

ائتلاف اللفظ مع اللفظ :

وهو الصنف الثاني من الائتلاف عند ابن مالك ، وقد عرّفه بقوله : « هو أن يكون في الكلام معنى يصحّ معه واحد من عدة معانٍ فيختار منها ما بينه وبين بعض الكلام ائتلاف الاشتراك في الحقيقة أو ملاءمة المزاج أو نحو ذلك » (١) .

وعرّفه العلوي بقوله : « هو ان تريد معنى من المعاني تصحّ تأديته بألفاظ كثيرة ولكنك تختار واحداً منها لما يحصل فيه من مناسبة ما بعده وملاءمته » (٢) .

وقال الحموي : « هو أن يكون في الكلام معنى يصح معه هذا النوع ، ويأخذ عدة معانٍ فيختار منها لفظة بينها وبين الكلام ائتلاف »(٣) .

وقال السيوطي : « أن تكون الألفاظ تلائم بعضها بعضاً بان يقرن الغريب بمثله والمتداول بمثله رعاية لحسن الجوار والمناسبة » (٤) .

وذكر المدني ان لهذا النوع تعريفين عند البديعيين :

الأول : ما ذكره صفي الدين الحلي وعليه أصحاب البديعيات وهو : « أن يكون في الكلام معنى يصح معه واحد من عدة معانٍ فيختار منها ما بين لفظه وبين بعض الكلام ائتلاف وملاءمة وان كان غيره يسدّ مسده » . كقول البحتري :

كالقِسيّ المعطّفات بل الأسْـ ـهم مبريّة بل الأوتار (٥)

فان تشبيه الابل بالقسيّ من حيث هو كناية عن هزالها يصحّ معه تشبيهها بالعراجين والأهلة والأطناب ونحوها ، فاختار من ذلك تشبيهها بالاسهم والاوتار لما بينهما وبين القسيّ من الملاءمة والائتلاف .

---

(١) المصباح ص ١١٤ .
(٢) الطراز ج ٣ ص ١٤٦ .
(٣) خزانة الادب ص ٤٣٨ .
(٤) الاتقان ج ٢ ص ٨٨ .
(٥) القسي : جمع قوس . وهي آلة رمي السهام . المعطفات : المحنية الاسهم مبرية : النبال منحوتة : الأوتار : جمع وتر ، وهو ما يشد بين طرفي القوس لينبض عند الرمي .

الثاني : ما ذكره السيوطي ، وهو التعريف السابق كقوله تعالى : « تالّله تفتأُ تذكرُ يوسُفُ حتى تكونَ حرَضا » (١) . أتى بأغرب ألفاظ القسم وهي التاء ، فانها أقلّ استعمالاً وأبعد من أفهام العامة بالنسبة الى الباء والواو ، وبأغرب صيغ الافعال التي ترفع الاسماء وتنصب الأخبار وهو « تفتأُ » فان « تزال » أقرب الى الافهام واكثر استعمالاً من « تفتأ » ، وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو « الحرَض » فاقتضى حسن الوضع أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة توخيا لحسن الجوار ورغبة في ائتلاف الألفاظ لتتعادل في الوضع ، وتتناسب في النظم . ولما أراد غير ذلك قال : « وأقسموا بالله جَهْدَ أيمانهم » (٢) فأتى بجميع الألفاظ متداولة لا غرابة فيها .

وهذا التعريف والتمثيل له هو الذي ينبغي المصير اليه والتعويل عليه ليكون نوعا مستقلاً مغايراً لمراعاة النظير ، أما التعريف الأول والتمثيل له فهما شاملان لمراعاة النظير (٣) .

ومن أمثلة هذا الفن قول المتنبي :

على سابحٍ موجَ المنايا بنحـــره غداة كأنَّ النبْلَ في صَدْرِه وَبْلُ

فالسابح : الحصان ، فلما وصفه بالسباحة عقبه بذكر الموج ، وذكر النبل وعقبه بذكر الوبل لما كان يشبه النبل في شدة وقعه وسرعة حركته ، ثم واصل بين الوبل والموج لما بينهما من الملاءمة .

ومن ذلك قول ابن رشيق القيرواني :

أصحّ وأقوى ما رويناه في النّدى
من الخَبَرِ المأثورِ مُنْذُ قديمِ
أحاديثُ ترويها السيولُ عن الحَيـــا
عن البحر عن جود الأمير تميمِ

(١) يوسف ٨٥ . (٢) النور ٥٣ .
(٣) انوار الربيع ج ٦ ص ٢٣٤ – ٢٣٥ .

فلاءم بين الصحة والقوة ، وبين الرواية والخبر ؛ لانها كلها متقاربة في ألفاظها ، ثم قوله أحاديث تقارب الأخيار ، ثم أردفها بقوله السيول ، ثم عقبه بالحيا ؛ لان السيول منه ، ثم عن البحر ؛ لانه يقرب من السيل ، ثم تابع بعد ذلك بقوله : « عن جود الأمير تميم » فهذه الأمور كلها متقاربة ، فلأجل هذا لاءم بينها في تأليف الألفاظ فصار الكلام بها مؤتلف النسج محكم السّدى (١) .

ائتلاف اللفظ مع المعنى :

أشار بشر بن المعتمر في صحيفته الى هذا الفن ، وقال : « ومن أراغ معنى شريفاً فليلتمس له لفظاً كريماً ، فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف » (٢) . وقال الجاحظ : « إلا اني أزعم ان سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني » (٣) ، وقال : « ومتى شاكل – أبقاك الله – ذلك اللفظ معناه وأعرب عن فحواه ، وكان لتلك الحال وفقاً ولذلك القدر لفقاً ، وخرج من سماجة الاستكراه ، وسلم من فساد التكلف ، كان قمينا بحسن الموقع وبانتفاع المستمع ، وأجدر بان يمنع جانبه من تناول الطاعنين ، ويحمي عرضه من اعتراض العائبين ، وألاّ تزال القلوب به معمورة والصدور مأهولة » (٤) . وقال : « ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ، ولكل نوع من المعاني نوع من الاسماء ، فالسخيف للسخيف ، والخفيف للخفيف ، والجزل للجزل » (٥) . وهذا هو التناسب بين اللفظ والمعنى ، وقد سماه قدامة « ائتلاف اللفظ مع المعنى » (٦) وتحدث فيه عن المساواة والاشارة والارداف والتمثيل . ولم يبين معناه غير أن الآمدي شرحه ولم « توف عبارته بايضاحه » (٧) ، وتحدث عنه القاضي الجرجاني فقال : « لا آمرك باجراء أنواع

(١) الطراز ج ٣ ص ١٤٦ – ١٤٧ .
(٢) البيان ج ١ ص ١٣٦ .
(٣) البيان ج ١ ص ١٤٥ .
(٤) البيان ج ٢ ص ٧ – ٨ .
(٥) الحيوان ج ٣ ص ٣٩ .
(٦) نقد الشعر ص ١٧١ وما بعدها .
(٧) تحرير التحبير ص ١٩٤ ، وخزانة الأدب ص ٤٣٧ .

الشعر كله مجرى واحداً ، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه ، بل أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجاؤك كاستبطائك ، ولا هزلك بمنزلة جدك ، ولا تعريضك مثل تصريحك ، بل ترتب كلاً مرتبته وتوفّيه حقه ، فتلطّف إذا تغزلت ، وتفخّم اذا افتخرت ، وتتصرف للمديح تصرّف مواقعه ، فان المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف ، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام ، فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به ، وطريق لا يشاركه الآخر فيه » (١) .

وعدّ المرزوقي « مشاكلة اللفظ للمعنى » أحد أبواب عمود الشعر وقال : « وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية طول الدربة ودوام المدارسة فاذا حكما بحسن التباس بعضها ببعض لاجفاء في خلالها ولا نبوّ ولا زيادة فيها ولا قصور ، وكان اللفظ مقسوماً على رتب المعاني قد جعل الأخص للأخص ، والأخس للأخس فهو البريء من العيب »(٢) .

وقال المصري في تعريفه : « وتلخيص معنى هذه التسمية أن تكون ألفاظ المعنى المطلوب ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى » (٣) .

وقال العلوي : « هو أن تكون الألفاظ لائقة بالمعنى المقصود ومناسبة له ، فاذا كان المعنى فخما كان اللفظ الموضوع له جزلاً ، واذا كان المعنى رقيقاً كان اللفظ رقيقاً فيطابقه في كل أحواله ، وهما اذا خرجا على هذا المخرج وتلاءما هذه الملاءمة وقعا من البلاغة أحسن موقع ، وتألفا على أحسن شكل ، وانتظما في أوفق نظام . وهذا باب عظيم في علم البديع وجاء القرآن الكريم على هذا الاسلوب »(٤)

---

(١) الوساطة ص ٢٤ .

(٢) شرح ديوان الحماسة ج ١ ص ١١ .

(٣) تحرير التحبير ص ١٩٤ ، بديع القرآن ص ٧٧ .

(٤) الطراز ج ٣ ص ١٤٤ .

وقد أجمع البلاغيون الآخرون (١) على هذا المعنى ، وعلى أن تكون الألفاظ لائقة بالمعنى المقصود ومناسبة له . فاذا كان المعنى فخماً كان اللفظ الموضوع له جزلا ، واذا كان المعنى رشيقاً كان اللفظ رقيقاً ، واذا كان غريباً كان اللفظ غريباً ، واذا كان متداولاً كان اللفظ مألوفاً .

ومثاله قوله تعالى : « إنَّ مَثَلَ عيسى عند الله كَمَثَلِ آدمَ خَلَقَهُ من تُرابٍ (٢) » فعدل سبحانه عن الطين الذي أخبر في كثير من مواضع الكتاب العزيز أنه خلق آدم منه ، منها قوله : « إني خالقٌ بَشَراً من طين » (٣) وقوله حكاية عن ابليس : « خلقتني من نارٍ وخلقته من طين » (٤) فعدل عز وجل عن ذكر الطين الذي هو مجموع التراب والماء الى ذكر مجرد التراب ؛ لانه أدنى العنصرين وأكثفهما لما كان المقصود مقابلة من ادعى في المسيح الالهية بما يصغر أمر خلقه عند من ادعى ذلك ، فلهذا كان الاتيان بلفظة التراب أمتن بالمعنى من غيرها من العناصر ، ولو كان موضعه غيره لكان اللفظ غير مؤتلف بالمعنى المقصود . ولما أراد — سبحانه — الامتنان على بني اسرائيل بعيسى — عليه السلام — أخبرهم عنه أنه يخلق لهم من الطين كهيئة الطير تعظيماً لأمر ما يخلقه باذنه ، إذ كان المعنى المطلوب الاعتداد عليهم بخلقه ليعظموا قدر النعمة به .

ومن طريف ما يتصل بهذا الفن ما جاء عن بشار فقد قيل له : انك لتجيءُ بالشيءُ المتفاوت ، قال : : وما ذاك ؟ قيل : بينما تقول شعراً تثير به النقع وتخلع به القلوب مثل قولك :

إذا ما غضبنا غضبةً مضريةً
هتكنا حجابَ الشمس أو قطرت دما
إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة
ذرى منبرٍ صلّى علينا وسلما

---

(١) ينظر المصباح ص ١١٣ ، وخزانة الأدب ص ٤٣٧ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٨ ، انوار الربيع ج٦ ص ٢١٧ .

(٢) آل عمران ٥٩ .
(٣) ص ٧١ .
(٤) ص ٧٦ .

تقول :

رِبابةُ ربّةُ البيتِ ... تصبُّ الخَلَّ في الزيتِ
لها عشرُ دَجاجاتٍ ... وديكٌ حَسَنُ الصَّوْتِ

فقال : لكل شيءٌ وجه وموضع ، فالقول الأول جد ، وهذا قلته في جاريتي ربابة .(١)

ومن ذلك قول زهير :

أثافيَّ سُفْعاً في معرَّسِ مِرْجَلٍ
ونؤياً كجِذْمِ الحوْضِ لم يَتَثَلَّمِ (٢)
فلما عَرَفْتُ الدارَ قلتُ لربعها
ألا انْعِمْ صباحاً أيُّها الرَّبْعُ واسْلَمِ

فانه لما قصد إلى تركيب البيت الأول من ألفاظ تدل على معنى عربي لكن المعنى غريب ، ركّبه من ألفاظ متوسطة بين الغرابة والاستعمال ، ولما قصد في البيت الثاني الى معنى أبين من الأول وأعرف وإن كان غريباً ركبه من ألفاظ مستعملة معروفة .

ومن هذا الباب ملاءمة الألفاظ في نظم الكلام على مقتضى المعنى لا من مجرد جملة اللفظ ، فان الائتلاف من جهة ما تقدم من ملاءمة الغريب للغريب والمستعمل للمستعمل لا من جهة المعنى ، بل ذلك من جهة اللفظ . وأما الذي من جهة المعنى فقوله تعالى : « ولا تَرْكَنُوا الى الذين ظَلَموا فَتَمَسَّكُم النارُ » (٣) ، فانه ـ سبحانه ـ لما نهى عن الركون للظالمين ، وهو الميل اليهم والاعتماد عليهم كان ذلك دون مشاركتهم في الظلم ، أخبر ان العقاب على ذلك دون العقاب على الظلم وهو مسّ النار دون الاحراق والاصطلاء ، وان كان المسّ قد يطلق ويراد به الاستئصال بالعذاب وشمول الثواب أكبر مجازا ، ولما كان المسّ أول ألم أو لذة

---

(١) الأغاني ج ٣ ص ١٦٢ ، أنوار الربيع ج ٦ ص ٢١٨ .

(٢) الأثافي : ماتوضع عليه القدر وهي أحجار . السفع : السود . المرجل : القدر . النؤي : مايحفر حول الخيمة ليمنع السيل . جذم الحوض : أصله . يتثلم : يتكسر .

(٣) هود ١١٣ .

يباشرها المسوس جاز أن يطلق على ما يدل عليه استصحاب تلك الحال مجازاً ، والحقيقة ما ذكر ، وهو في هذه الآية الكريمة على حقيقته (١) .

فائتلاف اللفظ مع المعنى أساس الكلام البليغ ، ويتضح ذلك في شعر الفحول من شعراء العرب ، أما صغارهم فانهم يقعون بعيداً عن هذا الفن البديع .

ائتلاف اللفظ مع الوزن :

هو أحد أقسام الائتلاف عند قدامة الذي عرّفه بقوله : « هو أن تكون الاسماء والافعال في الشعر تامة مستقيمة كما بنيت ، لم يضطر الأمر في الوزن الى نقضها عن البنية بالزيادة عليها والنقصان منها ، وأن تكون أوضاع الاسماء والافعال والمؤلفة منها وهي الأقوال على ترتيب ونظام لم يضطر الوزن الى تأخير ما يجب تقديمه ولا الى تقديم ما يجب تأخيره منها ولا اضطر أيضاً الى اضافة لفظه أخرى يلتبس المعنى بها بل يكون الموصوف مقدما والصفة مقولة عليها » (٢) . ومن هذا الباب أيضاً : « ألاّ يكون الوزن قد اضطر الى ادخال معنى ليس الغرض في الشعر محتاجاً اليه حتى انه اذا حذف لم تنتقص الدلالة لحذفه او اسقاط معنى لا يتم الغرض المقصود إلاّ به ، حتى أنّ فقده قد أثر في الشعر تأثيراً بان موقعه » (٣) . وعيوب هذا الفن : الحشو والتثليم والتذنيب والتغيير والتفصيل . ومثال الحشو قول أبي عدي القرشي :

نحن الرؤوس وما الرؤوس إذا سمت
في المجد للأقوام كالأذنابِ

فقوله : « للاقوام » حشو .

ومثال التثليم قول علقمة بن عبدة :

كأنّ ابريقهم ظبيٌ على شَرَفٍ … مُفدّمٌ بسَبا الكتّان ملثومُ (٤)

---

(١) تحرير التحبير ص ١٩٦ ، بديع القرآن ص ٧٨ .
(٢) نقد الشعر ص ١٨٩ .
(٣) نقد الشعر ص . ١٩٠ .
(٤) يروى ؛ مفدوم ، وفدم الابريق وعلى الابريق ؛ وضع الفدام عليه ، والفدام مصفاة صغيرة أو خرقة توضع على فم الابريق ليصفى بها مافيه .

أراد : بسباثب ، فحذف للوزن .

ومثال التذنيب قول الكميت :

لا كعبد المليك أو كيزيدٍ ... أو سليمانَ بَعْدُ أو كهِشامِ

وأراد : عبدالملك .

ومثال التغيير قول الأسود بن يعفر :

ودعا بمحكمة أميــن سكّهــا ... من نسج داودٍ أبي سَلاّمِ

أي : أبي سليمان

ومثال التفصيل قول دريد بن الصمة :

وبلّغ نُميراً إن عرضْتَ ابنَ عامرٍ ... فأيّ أخٍ في النائبات وطالبِ

ففرّق بين نمير بن عامر بقوله : « إن عرضت » (١) .

ولم يخرج البلاغيون الآخرون كالمصري وابن مالك والحموي والسيوطي والمدني (٢) عمّا قاله قدامة بن جعفر ، ولم يخرجوا على أمثلته التي هي من باب الضرائر ، ولعل حجتهم في ذلك ان كل شعر سليم ليس فيه خروج على اللغة والوزن يدخل في هذا الباب .

الائتلاف مع الاختلاف :

هو الصنف السابع من الائتلاف عند ابن مالك ، والصنف الرابع عند العلوي (٣) وهو ضربان :

الأول : ما كانت المؤتلفة فيه بمعزل عن المختلفة وأحدهما منتهى عن الآخر ، ومثاله قول الشاعر :

أبى القلب أن يأتي السديرَ وأهلَه ... وإن قيل عيشٌ بالسدير غَريرُ

بلك البقّ والحمى وأسْدٌ تحفّه ... وعمرو بن هند يعتدي ويجورُ

(١) نقد الشعر ص ٢٤٨ ، الموشح ص ١٢٧ .

(٢) تحرير التحبير ص ٢٢١ ، المصباح ص ١١٦ ، خزانة الأدب ص ٢٣٧ ، شرح عقود الجمان ص ١٥٦ ، أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٢٣ .

(٣) المصباح ١١٨ ، الطراز ج ٣ ص ١٥٠ .

الثاني : ما كانت المؤتلفة فيه مداخلة للمختلفة كقول العباس بن الأحنف يهجو قوماً :

وصالُكُمُ هَجْرٌ وحبّكُمُ قِلًى ... وعطفكُم صَدٌّ وسِلمكُم حَرْبُ

فكل واحد من هذه مقرون مع ضدّه ، مؤلف معه .

ولم يذكر الحموي هذا النوع وانما تحدث عن ائتلاف اللفظ مع المعنى وائتلاف اللفظ مع الوزن وائتلاف المعنى مع الوزن وائتلاف اللفظ مع اللفظ ، وتحدث المدني عن هذه الأربعة الى جانب ائتلاف المعنى مع المعنى ، وبذلك يكون ابن مالك والعلوي قد انفردا بهذا الفن كما تذكر المصادر التي بين أيدي الباحثين .

ائتلاف المعنى مع المعنى :

وهذا الفن قسم من المناسبة المعنوية ، وهو قسمان :

الأول : أن يشتمل الكلام على معنى معه أمران ، أحدهما ملائم والآخر بخلافه فيقرن بالملائم ، كما قال المتنبي :

فالعُرْبُ منه مع الكدريّ طائرةٌ ... والرومُ طائرةٌ منه مع الحجلِ

فان « الكدريّ » — وهو ضرب من القطا — من طير السهل ، والعرب بلادها المفاوز ، فقارن بينهما لمكان هذه الملاءمة الدقيقة . والحجل من طير الجبل ، والروم بلادها الجبال ، فقارن بينهما لهذا التناسب الدقيق .

الثاني : أن يشتمل الكلام على معنى وملائمين له فيقرن به منهما ما لاقترانه به مزيّة كما في قول المتنبي :

وقفتَ وما في الموتِ شكٌّ لواقف
كأنّك في جَفْنِ الرَّدَى وهو نائمُ
تمرّ بك الابطالُ كَلمى هزيمةً
ووجهُك وضّاحٌ وثغرُكَ باسِمُ

فان عجز كل من البيتين يلائم كلا الصدرين وصالح لان يؤلف معه ، ولكن

الشاعر اختار ما أورده لأمرين :

أحدهما : ان قوله « كأنك في جفن الردى وهو نائم » مسوق لتمثيل السلامة في مقام العطب فجعله مقرراً للوقوف والبقاء في موضع يقطع على صاحبه بالهلاك ، أنسب من جعله مقرراً لثباته في حال مرور الابطال به مهزومة .

وثانيهما : ان في تأخير قوله : « ووجهك وضّاح وثغرك باسم » تتميماً للوصف وتفريعا على الأصل اللذين يفوتان بالتقديم . فالوصف هو ثباته في الحرب ،والتتميم هو ان ثباته في الحرب لاحتقاره كل خطب عظيم كما يفيده وضاحة الوجه وتبسم الثغر في ذلك الموقف ، لا لضرورة فقدان المهرب . والتفريع على الاصل هو ان وضاحة وجهه وابتسام ثغره عند مرور الابطال مكاومين مهزومين فرع ثباته في الحرب حين لاشك لواقف في الموت ، والردى محيط به من جميع الجوانب ثم انه يسلم منه .

واستنشد سيف الدولة المتنبي يوماً قصيدته التي أولها :

على قَدْرِ أهل العزم تأتي العزائمُ
وتأتي على قدر الكرامِ المكارمُ

فلما بلغ قوله : « وقفت وما في الموت شك لواقف » قال له سيف الدولة : قد انتقدنا عليك هذين البيتين كما انتقد على امرئ القيس بيتاه وهما :

كأني لَم أركبْ جواداً للـذة
ولم أتبطنْ كاعباً ذاتَ خلخالِ
ولم أسبأ الزق الرويَّ ولم أقـل
لخيلي كرّي كرّةً بعد إجفالِ

وبيتاك لا يلتئم شطراهما كما لا يلتئم شطرا هذين البيتين ، كان ينبغي لامرئ القيس أن يقول :

كأني لم أركب جواداً ولم أقلْ
لخيلي كرّي كرّةً بعد إجفالِ

ولم أسبأ الزقّ الرويّ للذةٍ
ولم اتبطن كاعباً ذاتَ خلخــالِ

ولك أن تقول :

وقفت وما في الموت شكٌّ لواقفٍ
ووجهُكَ وضّاحٌ وثغرُكَ باسمُ

تمرّ بك الأبطال كَلْمى هزيمةً
كأنكَ في جفنِ الرّدَى وهو نائم

فقال : أيّد الله مولانا ، إن صحّ ان الذي استدرك على امرئ القيس هذا كان أعلم بالشعر منه فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا . ومولانا يعلم ان الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك ؛ لان البزاز يعرف جملته والحائك يعرف جملته وتفاريقه ؛ لانه هو الذي أخرجه من الغزلية الى الثوبية ، وانما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السماحة في شراء الخمر للاضياف بالشجاعة في منازلة الاعــداء . وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعتــه بذكر الردى وهو الموت ليجانسه ، ولما كان وجه الجريح المهزوم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعينه من أن تكون باكية قلت : « ووجهك وضاح وثغرك باسم » لأجمع بين الأضداد في المعنى وان لم يتسع اللفظ لجميعها (١) .

وكان ابن طباطبا قد ذكر بيتي امرئ القيس حينما تكلم على تأليف الشعر وقال : « هكذا الرواية وهما بيتان حسنان ولو وضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر كان أشكل وأدخل في استواء النسج » (٢) . وذكر قول ابن هرمة :

وإني وتركي نــدى الاكــرميــــ
ـنَ وقَدْحي بكفي زناداً شحاحاً

كتاركةٍ بيضَهــا في العــرا
ء وملبسةٍ بيضَ أخرى جنــاحــا

(١) يتيمة الدهر ج١ ص ٣٣ ، المصباح ص ١١٥ ، الطراز ج ٣ ص ١٤٧ ، خزانة الأدب ص٢٣١ أنوار الربيع ج ٤ ص ١٩٨ .
(٢) عيار الشعر ص ١٢٤ .

وقول الفرزدق :

وإنك إذ تهجو تميماً وترتشي
سرابيلَ قيس أو سحوقَ العمائمِ

كهريقِ ماءٍ بالفلاة وغرّه
سراب أذاعته رياح السمائم

وقال : « وكان يجب أن يكون بيت لابن هرمة مع بيت للفرزدق ، وبيت للفرزدق مع بيت لابن هرمة فيقال :

واني وتركي ندى الأكرمين
وقدحي بكفي زناداً شحاحا

كهريق ماءٍ بالفلاة وغرّه
سرابٌ أذاعته رياحُ السمائم

ويقال :

وإنك إذْ تهجو تميماً وترتشي
سرابيلَ قيس أو سحوقَ العمائم

كتاركةٍ بيضَها في العرا
ء وملبسة بيض أخرى جناحا

حتى يصحّ التشبيه للشاعرين جميعاً وإلاّ كان تشبيهاً بعيداً غير واقع موقعه الذي أريد له . وإذا تأملت أشعار القدماء لم تعدم فيها أبياتاً مختلفة المصاريع ، كقول طرفة :

ولستُ بحلاّلِ التلاع مخافةً ولكن متى يَسْتَرْفِدِ الناسُ أَرْفِدِ

فالمصراع الثاني غير مشاكل للأول . وكقول الأعشى :

وإنّ امرءًا أهواه بيني وبينه فيافٍ تنوفاةٌ وبهماءُ خيفقُ
لمحقوقة أن تستجيبي لصوته وأن تَعلمي أن المعان موفّقُ (١)

فقوله : « وان تعلمي ان المعان موفق » غير مشاكل لما قبله . وكقوله :

---

(١) التنوفة : القفر . الخيفق : الصحراء الواسعة يخفق فيها السراب .

أغرّ أبيض يُستَسقى الغمامُ به   لو قارع الناس عن أحسابهم قَرعا

فالمصراع الثاني غير مشاكل للاول وان كان كل واحد منهما قائماً بنفسه » .

ومن هذا الفن قوله تعالى : « إنّ لك ألاّ تجوعَ فيها ولا تَعرْى . وأنّك لا تظمأُ فيها ولا تَضْحَى » (١) ، فانه لم يراعِ فيه مناسبة الريّ للشبع ، والاستظلال للبس ، بل روعيت المناسبة بين اللبس والشبع في عدم الاستغناء عنهما وانهما من أصول النعمة ، وبين الاستظلال والريّ في كونهما تابعين لهما ومكملين لمنافعهما ، وهذا أدخل في الامتنان لما في تقديم أصول النعم وإرداف التوابع من الاستيعاب .

ائتلاف المعنى مع الوزن :

قال قدامة : « هو أن تكون المعاني تامة مستوفاة لم يضطر الوزن الى نقصها عن الواجب ولا الى الزيادة فيها عليه ، وأن تكون المعاني أيضاً مواجهة للغرض لم تمتنع من ذلك ، ولم تعدل عنه من أجل إقامة الوزن والطلب لصحته » (٢) . وذكر ان عيوب ائتلاف المعنى والوزن المقلوب والمبتور ، مثال المقلوب قول عروة بن الورد :

فلو اني شهدتُ أبا سُعادٍ   غداةَ غدا بمهجته يفوقُ (٣)
فديت بنفسه نفسي ومالي   وما آلوك إلاّ ما أطيقُ

أراد أن يقول : « فديت نفسه بنفسي » فقلب المعنى .

ومثال المبتور قول عروة بن الورد :

فلو كاليوم كان عليّ أمري   ومَنْ لك بالتدبّر في الأمورِ

فهذا البيت ليس قائماً بنفسه في المعنى ، ولكنه أتى بالبيت الثاني بتمامه فقال :

إذَنْ لملكتُ عصمةَ أمّ وَهْبٍ   على ما كانمن حَسَكِ الصدورِ(٤)

---

(١) طـه ١١٨ .   (٢) نقد الشعر ص ١٩٠ ، ٢٥٢ ، الموشح ص ١٢٨ .

(٣) فاق الرجل ؛ أشرفت نفسه على الخروج أو مات .

(٤) الحسكة ؛ العداوة والحقد .

وتبعه البلاغيون الآخرون في هذا الفن ومنهم : المصري، وابن مالك ، والحموي، والسيوطي ، والمدني (١) .

ائتلاف الوزن مع المعنى :

وهو « ائتلاف المعنى مع الوزن » ، وقد سماه كذلك المدني ، وقال في تعريفه : « هذا النوع عبارة عن أن يكون البيت صحيح المعنى مستقيم الوزن ، لا يضطر الشاعر فيه لاقامة الوزن الى اخراج المعنى عن وجه الصحة أو تقديم أو تأخير أو حذف (٢) » ، وذكر أمثلة الفن السابق . ولكن حازماً القرطاجني تحدث عن صلة الوزن بالمعنى ، أي ان للاعاريض اعتباراً من جهة ما تليق به من الأغراض فمنها أعاريض فخمة تصلح للفخر ، ومنها أعاريض رقيقة تصلح لاظهار الحزن ، وعلى هذا الأساس قسم أوزان الشعر الى السبط ، والجعد ، واللين الشديد ، والذي بين بين . ويقوم هذا التقسيم على اعتبار الحركات والسكنات ، فالسبطات هي التي تتوالى فيها ثلاثة متحركات ، والجعدة هي التي تتوالى فيها أربعة سواكن من جزءين أو ثلاثة من جزء – أي لا يكون بين ساكن منها وآخر إلاّ حركة – والمعتدلة هي التي تتلاقى فيها ثلاثة سواكن من جزءين أو ساكنان في جزء ، والقوية هي التي يكون الوقوف في نهاية أجزائها على وتد أو سببين . والضعيفة هي التي يكون الوقوف في نهاية أجزائها على سبب واحد ويكون طرفاه قابلين للتغيير (٣) . وهذه الحركات والسكنات لها ميزة في السمع وصفة أو صفات تخصه من جهة ما يوجد له رصانة في السمع أو طيش ، ومن جهة ما يوجد له سباطة وسهولة أو جعودة وتوعر . ولما كانت أغراض الشعر مختلفة وجب أن تحاكي تلك الأغراض والمقاصد بما يناسبها من الاوزان ، وأعلى البحور درجة الطويل والبسيط ويتلوهما الوافر والكامل ، ومجال الشاعر في الكامل أفسح منه في غيره ،

---

(١) تحرير التحبير ص ٢٢٣ ، المصباح ص ١١٦ ، خزانة الأدب ص ٤٣٨ ، شرح عقود الجمان ص ١٥٥ ، أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٢٧ .
(٢) أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٢٧ .
(٣) منهاج البلغاء ص ٢٦٠ .

ويتلو ذلك الخفيف . أما المديد والرمل ففيهما ضعف ولين ، وأما المنسرح ففيه اضطراب وتقلقل ، وفي السريع والرجز كزازة ، وفي المتقارب سذاجة لتكرار أجزائه وان كان الكلام فيه حسن الاطراد ، وفي الهزج سذاجة وحدّة ، وفي المجتث والمقتضب حلاوة قليلة على طيش فيهما ، وفي المضارع قبح ، ولذلك ينبغي أن يصاغ الشعر في الوزن الذي يلائم معناه .

ولم يتحدث البلاغيون الآخرون مثل هذا الحديث وانما تابعوا قدامة مع ان الفلاسفة المسلمين أشاروا الى هذه المسألة فقال الفارابي وهو يتحدث عن اليونان : « جعلوا لكل نوع من أنواع الشعر نوعاً من أنواع الوزن مثل أن أوزان المدائح غير أوزان الأهاجي ، وأوزان الأهاجي غير أوزان المضحكات وكذلك سائرها »(١) وقال ابن سينا : « واليونانيون كانت لهم أغراض محدودة فيما يقولون الشعر وكانوا — يخصون كل غرض بوزن على حدة ، وكانوا يسمون كل وزن باسم على حدة »(٢) . ولعل حازما أراد أن يثبت غير ما قاله هذان الفيلسوفان حينما نسبا هذه المزية الى اليونان وحدهم فتحدث عن صلة الوزن بأغراض الشعر العربي ، أو « ائتلاف الوزن مع المعنى » ، ولكنه لم يفصّل القول في ذلك وظل بعيداً عن كشف أسرار هذا الائتلاف ، وظل البلاغيون الآخرون مرتبطين بما قاله قدامة في هذا الفن .

الابتداء :

ذكر البلاغيون ان الأديب ينبغي أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه حتى يكون أعذب لفظاً ، وأحسن سبكا ، وأصح معنى . وهذه المواضع هي : الابتداء ، والتخلص ، والانتهاء .

والابتداء ان يكون مطلع الكلام شعراً أو نثراً ، أنيقاً بديعاً ، لأنه أول ما يقرع السمع فيقبل السامع على الكلام ويعيه ، وان كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه

(١) رسالة في قوانين صناعة الشعراء (فن الشعر) ص ١٥٢ .
(٢) كتاب المجموع ص ٣٠ .

وان كان في غاية الحسن . وقد استحسن القدماء مطلع النابغة الذبياني :

كليني لهمٍّ يا أميمةُ ناصبِ ... وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكبِ

ومطلع أشجع السلمي :

قصرٌ عليه تحيةٌ وسلامُ ... خلعتْ عليه جمالها الأيامُ

وقالوا إن الابتداءات البارعة التي تقدم أصحابها فيها معروفة ، ومنها :

أولاً : قول النابغة المتقدم .

ثانياً : قول علقمة بن عبدة :

طحابك قلبٌ في الحسانِ طروبُ ... بُعيدَ الشباب عصْرَ حان مشيبُ

ثالثاً : قول امريءُ القيس :

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ ... بسقْطِ اللّوى بين الدخول فحوملِ

رابعاً : قول القطامي :

إنّا محيوكَ فاسلَمْ أيُّها الطّللُ

وإنْ بليتَ وإنْ أعيا بك الطيَلُ

خامساً : قول أوس بن حجر :

أيّتُها النَفْسُ أجملي جزَعا ... إنّ الذي تحذرينَ قد وقعا

إن الذي جمع الشجاعة والنجْ ... دَةَ والحزْمَ والندى جُمعا

الألمعي الذي يظن بك الظنْ ... نَ كأن قدْ رأى وقد سَمِعا

وقالوا : « لم يبتديْ أحد من الشعراء بأحسن مما ابتدأ به أوس بن حجر ، لانه افتتح المرثية بلفظ نطق به على المذهب الذي ذهب اليه منها في القصيدة فأشعرك بمراده في أول بيت » (١) .

سادساً : قول أبي ذؤيب .

أمن المنون وريبها تتوجعُ ... والدهرُ ليس بمعتبٍ من يجزعُ

وقد ابتدأ كلامه في أوله بما دل على آخر غرضه . ومثل هذه الابتداءات كثير في شعر القدماء والمحدثين .

---

(١) حلية المحاضرة ج ١ ص ٢٠٦ .

واستقبحوا مطلع اسحاق الموصلي :

يا دارُ غيّرك البلى ومحاك يا ليتَ شِعْري ما الذي أبْلاكِ

لان القصيدة في تهنئة المعتصم بالله لما بنى قَصره بالميدان وجلس فيه ، وقيل : إن المعتصم تطيّر بهذا الابتداء وأمر بهدم القصر .

وليس ما وقع فيه اسحاق من قبح الابتداء فريداً بل قد وقع فيه شعراء كبار كالمتنبي قال الثعالبي : « ولابي الطيب ابتداءات ليست لعمري من أحرار الكلام وغرره بل هي — كما نعاها عايه العائبون — مستشنعة لا يرفع السمع لها حجابه ولا يفتح القلب لها بابه » (١) من ذلك قوله :

هَذي برزْتِ لنا فهجتِ رسيسا ثم انصرفْتِ وما شَفيت نَسيسا

فانه لم يَرْضَ بحذف علامة النداء من « هذي » حتى ذكر الرسيس والنسيس ، فأخذ بطرفي الثقل والبرد .

وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود ويسمى « براعة الاستهلال » كقول أبي تمام يهنئُ المعتصم بفتح عمورية وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت :

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتب في حَدّه الحدُّ بين الجد واللّعِبِ

بيضُ الصفائح لاسودُ الصحائف في متونهنّ جلاءُ الشكّ والرِّيَبِ

وقول المتنبي يرثي أم سيف الدولة الحمداني :

نعدّ المشرفيةَ والعوالي وتقتلنا المنونُ بلا قتالِ

ونرتبط السوابق مقربات وما ينجين من خبَبِ الليالي

وهذا ما ذهب اليه البلاغيون وأكّدوه (٣) . ومنهم من يسمي هذا الفن « حسن

---

(١) يتيمة الدهر ج ١ ص ١٦١.

(٢) التلخيص ص ٤٢٩ ، الايضاح ٤٢٨ ، عروس الأفراح ج ٤ ص ٥٣١ ، المختصر ج ٤ ص ٥٣١ ، المطول ٤٧٧ ، مواهب الفتاح ج ٤ ص ٥٣١ .

المطالع والمبادي » كالثعالبي الذي عقد فصلاً للكلام على ابتداءات المتنبي الحسنة، وابن قيم الجوزية الذي قال عنه : « وذلك دليل على جودة البيان وبلوغ المعاني الى الاذهان ، فانه أول شيءٍ يدخل الأذن ، وأول معنى يصل الى القلب ، وأول ميدان يجول فيه تدبر العقل » (١) . وقسمه الى قسمين :

الأول : جليّ كقوله تعالى : « الحمدُ لله ربِ العالمين » (٢) ، وأكثر مطالع سور القرآن الكريم على هذا النمط .

الثاني : خفـيّ كقوله تعالى : « ألم . ذلك الكتابُ » (٣) ، وما يجري مجرى ذلك من السور التي افتتحت بالحروف المفردة والمركبة .

الابداع :

الابداع من « أبدع » وهو أن يأتي الشاعر بالبديع ، والبديع : الشيْ الذي يكون أولا (٤) .

والابداع سمة الشاعر المبتكر والكاتب المقتدر ، وقد وضعه البلاغيون والنقاد في قمة الانتاج وان كان قليلاً إذا قيس بغيره . قال ابن رشيق : « الابداع : هو اتيان الشاعر بالمعنى المستظرف الذي لم تجرِ العادة بمثله . ثم لزمته هذه التسمية حتى قيـل له بديـع وان كثر وتكرر فصـار الاختراع للمعنى والابداع للفظ فاذا تمّ للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الأمد وحاز قصب السبق » (٥) .

وقال الوطواط : « قال أرباب البيان إن هذه الصنعة عبارة عن نظم المعاني البديعة في ألفاظ حسنة بعيدة عن التكلف . وفي رأيي أن ذلك لا يدخل في جملة الصناعات لان كلام العقلاء والفضلاء سواء المنظوم منه أو المنثور يجب أن يكون

---

(١) الفوائـد ١٣٧ .
(٢) الفاتحة ٢ .
(٣) البقرة ٢ .
(٤) لسان العرب (بدع) .
(٥) العمدة ج١ ص ٢٦٥ .

على هذا النسق فان لم يكن كذلك اعتبر من أحاديث العوام » (١) .

وقسم ابن الأثير المعاني الى ضربين :

أحدهما : يبتدعه مؤلف الكلام من غير ان يقتدي فيه بمن سبقه وهذا الضرب ربما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ويتنبه له عند الامور الطارئة.. ومن ذلك ما ورد في شعر أبي تمام في وصف مصلّبين :

بكروا وأسْرَوا في متون ضوامـرٍ
قيدت لهم من مَرْبَطِ النّجارِ
لا يبرحون ومن رآهـم خالهم
أبَداً على سَفَرٍ مـن الاسفارِ

وهذا المعنى مما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ، والخاطر في مثل هذا المقام ينساق الى المعنى المخترع من غير كلفة كبيرة لشاهد الحال الحاضرة .

ومن هذا الضرب ما جاء في شعر المتنبي في وصفه الحمى ، وهو قوله :

وزائرتي كأنّ بهـا حيـاءً   فليس تزورُ إلاّ في الظـلامِ
بذلت لها المطارفَ والحشـايا   فعافتهـا وباتتْ فـي عظامي
كأنّ الصّبحَ يطردهـا فتجري   مدامعُهـا بأربعـة سجامِ
أراقب وقتهـا من غير شـوقٍ   مراقبةَ المشـوقِ المستهـامِ

وأما الضرب الثاني وهو الذي يُحتذى فيه على مثال سابق ومنهج مطروق فذلك جل ما يستعمله مؤلفو الكلام ، ولذلك قال عنترة :

هل غادر الشعراءُ من متردمِ   أم هل عـرَفْتَ الدارَ بعد تَوَهـُّمِ (٢)

ولكن قول من قال : « لم يترك المتقدم للمتأخر شيئاً » لا يؤخذ به ؛ لان في كل زمان جديداً وفي كل عصر بديعاً .

وقال المصري : « هو أن تكون مفردات كلمات البيت من الشعر أو الفصل من النثر أو الجملة المفيدة متضمنة بديعاً بحيث تأتي في البيت الواحد والقرينة

(١) حدائق السحر ص ١٨٨ .

(٢) المثل السائر ج ١ ص ٣١٢ .

الواحدة عدة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جمـــاته ، وربما كان في الكلمة الواحـــدة المفردة ضربان فصاعـــداً من البديـــع ومتى لم تكن كل كلمـــة بهذه المثابة فليس بابداع »(١) . واستخرج أحـــداً وعشرين ضرباً من المحاسن في قوله تعالى : « وقيلَ يا ارْضُ ابلَعي ماءَكِ ، ويا سماءُ اقْلِعي وغيضَ الماءُ وقُضي الأمرُ ، واستوتْ على الجوديّ ، وقيل بُعْداً للقومِ الظالمين » (٢) . ومن هذه الفنون : المناسبة والمطابقة والاستعارة والتمثيل والارداف والتعليل وصحة التقسيم (٣) .

وقال السبكي : « هو ما يبتدع عند الحوادث المتجددة كالامثال التي تخترع وتضرب عند الوقائع » (٤) ، وهذا ما أفاض في الحديث عنه ابن الأثير عندما تكلم على المعاني .

وذكر السيوطي ان الطيبي سَمّى هذا الفن إبداعاً ، وسماه أهل البديعيات « سلامة الاختراع » (٥) ، ولكن تعريفهم للأخير يخرجه من الأول الذي عرفه المصري ومن سار على نهجه تعريفاً يختلف عن تعريف سلامة الاختراع ، قال المدني : « هذا النوع عبارة عن أن يخترع الشاعر معنى لم يسبق اليه ، وسماه بعضهم الابداع وهو إسم مطابق للمسمى غير أن أصحاب البديعيات وكثيراً من علماء البديع اصطلحوا على جعل الابداع اسماً للاتيان في البيت الواحد والفقرة الواحدة بعدة أنواع من البديع ، وسموا هذا النوع بسلامة الاختراع ، ولكل ما اصطلح » (٦) .

---

(١) تحرير التحبير ص ٦١١ ، بديع القرآن ٣٤٠ .
(٢) هود ٤٤ .
(٣) السابقان وحسن التوسل ص ٣١٣ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٧٥ ، جوهر الكنز ص ٢٣١ ، خزانة الادب ص ٣٧٠ ، الاتقان ج ٢ ص ٩٦ ، معترك الاقران ج ١ ص ٤١٩ ، أنوار الربيع ج ٥ ص ٣٢٨ .
(٤) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٣ .
(٥) شرح عقود الجمان ص ١٦٣ .
(٦) أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٠٤ .

فالابداع عند بعضهم هو سلامة الاختراع ، والابداع عند آخرين هو أن يكون البيت من الشعر أو الفصل من النثر مشتملاً على عدة ضروب من البديع وهو ما ذهب اليه المصري وتبعه فيه أصحاب البديعيات ، ولذلك كان للابداع وسلامة الاختراع تعريفان مختلفان عندهم وان ذهب المدني الى ان « الابداع » اسم مطابق للمسمى ، غير انه خصّ بضروب البديع ، وخص سلامة الاختراع بالمعنى الجديد .

الابدال :

الابدال من « أبدل » وأبدل الشيْ من الشيْ وبدّله : تخذه منه بدلاً ، وأبدلت الشيْ بغيره وبدّله الله من الخوف أمنا ، وتبديل الشيْ : تغييره ، وان لم تأت ببدل (١) .

وقد أدخله المتأخرون في فنون البديع وقالوا في تعريفه انه « إقامة بعض الحروف مقام بعض » ، وجعل منه ابن فارس « فانفلق » أي : فانفرق ، ولذلك قال تعالى : « فانْفَلَقَ فكان كلُّ فِرْقٍ كالطّودِ العظيم » (٢) . وعن الخليل بن احمد في قوله تعالى : « فجاسُوا خِلالَ الديار » (٣) انه أريد فحاسوا ، فقامت الجيم مقام الحاء . وحكي عن أبي رياش في قول امريْ القيس :

وان تك قد ساءتك مني خليقةٌ ... فَسلّي ثيابي من ثيابك تَنْسلي

معناه « تنسلل » فأخرج اللام الثانية ياءً لكسرة اللام الأولى . ومثله قول الآخر :

واني لاستنعى وما بي نعسة ... لعلّ خيالاً منك يلقى خياليا

أراد : استنعس ، فاخرج السين ياءا (٤) .

وليس هذا من فنون البديع بل هو من الدراسات اللغوية ، ولذلك بحثه ابن

---

(١) اللسان (بدل) .

(٢) الشعراء ٦٣ .

(٣) .لاسراء ٥ .

(٤) الصاحبي ص ٢٠٣ ، البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٣٨٨ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٩ ، معترك الأقران ج ١ ص ٣٩٢ .

فارس في كتابه « الصاحبي » وتحدث عنه اللغويون في مباحثهم ، ولكن الباحثين في علوم القرآن كالزركشي والسيوطي عدوه من البديع وبحثوه مع التفويف وتأكيد المدح بما يشبه الذم والتقسيم والتدبيج .

ابراز الكلام في صورة المستحيل :

قد يبرز الكلام في صورة المستحيل وذلك على طريق المبالغة ليدل على بقية جمله ، كقوله تعالى : « ولا يَدْخلونَ الجنةَ حتى يلجَ الجملُ في سَمّ الخياط » (١) وغالى بعض الشعراء في وصف النحول فقال :

ولو أنّ ما بي من جوى وصبابة على جَمَلٍ لم يَبْقَ في النار خالِدُ

وهذا الفن من صور المبالغة المتناهية ، ولكن الزركشي تحدث عنه في فنون البديع (٢)

الابهام :

الابهام بالباء الموحدة وهو الكلام الموهم لان له أكثر من وجه ، وابهام الامر أن يشتبه فلا يعرف وجهه وقد أبهمه ، واستبهم عليهم الأمر : لم يدروا كيف يأتون له ، واستبهم عليه الأمر أي : استغلق (٣) .

والابهام عند البلاغيين « إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين » (٤) ، وسماه السكاكي التوجيه ، وسماه السيوطي كذلك . ولعله يريد السكاكي حينما قال عن التوجيه : « وعرفه قوم بان يحتمل الكلام وجهين متباينين من المعنى احتمالاً مطلقاً من غير تقييد بمدح أو ذم أو غيره » . وذكر تعريفاً آخر ينطبق على الابهام فقال : « وقوم بان يحتمل معنيين أحدهما مدح والآخر ذم » ، وهذا رأي لا نرضاه . والذي عليه حذّاق الصنعة وأصحاب البديعيات وأولهم الصفي الحلي ان هذا التفسير للنوع المسمى بالابهام — بالباء الموحدة — كما اخترعه ابن أبي

---

(١) الأعراف ٤٠ .
(٢) البرهان ج ٣ ص ٤٧ .
(٣) اللسان (بهم) .
(٤) مفتاح العلوم ص ٢٠٢ ، وينظر الكشاف ج ١ ص ٤٠٠ .

الاصبع وسماه وعرّفه بذلك » (١) . وقد فرّقَ المصري بين الابهام والاشتراك فقال : « الاشتراك لا يقع إلاّ في لفظة مفردة لها مفهومان لا يعلم أيهما أراد المتكلم ، والابهام لا يكون إلاّ في الجمل المؤتلفة المفيدة ويختص بالفنون كالمدح والهجاء والعتاب والاعتذار والفخر والرثاء والنسب وغير ذلك ، ولا كذلك الاشتراك »(٢) ، أي : ان الابهام عنده « أن يقول المتكلم كلاما يحتمل معنيين متضادين لا يتميز أحدهما على الآخر ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد ذلك بل يقصد ابهام الأمر فيهما قصدا » (٣) .

وسار البلاغيون على خطا المصري في التسمية والتعريف (٤) ، وقال المدني : « وزاد بعضهم : وينبغي أن يكون المراد انه إذا جرد عن القرائن ولم ينظر الى القائل والمقول فيه كان احتماله للمعنيين على السوية » (٥) . وعقد العلوي فصلاً للابهام والتفسير وقال : « ان المعنى المقصود إذا ورد في الكلام مبهماً فانه يفيده بلاغة ويكسبه إعجاباً وفخامةً ، وذلك لانه إذا قرع السمع على جهة الابهام فان السامع له يذهب في إبهامه كل مذهب . ومصداق هذه المقالة قوله تعالى : « وقضينا اليه ذلك الأمْرَ » (٦) ثم فسّره بقوله : « أنَّ دابِرَ هؤلاء مقطوعٌ مُصْبِحين » (٧) .

ولكن الابهام عند البلاغيين المتأخرين ولاسيما أصحاب البديعيات هو ماذهب اليه المصري الذي ذكر له قول الشاعر مثالاً :

جاء من زيد قباء ليت عينيه سواء

---

(١) شرح عقود الجمان ص ١٢٧ .
(٢) بديع القرآن ص ٣٠٦ ، تحرير التحبير ص ٥٩٦ .
(٣) السابقان .
(٤) حسن التوسل ص ٣١١ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٧٤ ، خزانة الأدب ص ٧٩ .
(٥) أنوار الربيع ج ٢ ص ٥ .
(٦) الحجر ٦٦ .
(٧) الطراز ج ٢ ص ٧٨ .

فما علم أحد هل أراد أن الصحيحة تساوي السقيمة أو العكس .

ومن إبهام العرب قول رجل من بني عبد شمس بن سعد بن تميم :

تضيفني وَهْناً فقلت أسـابقي
الى الزاد شلّت من يديّ الأصابعُ
ولم تلقَ للسعديّ ضيفاً بقفرة
من الأرض إلاّ وهو صديانُ جائعُ

فان ظاهر الشعر مبهم معناه فيظن سامعه أنه أراد ضيفاً من البشر فيكون قد هجا به نفسه ، وانما هو يصف ذئبا غشي رحله في الليل وهو بالقفر ، وهذا فخرمحض .

وكان ابن الأثير قد ذكر مثل هذا الفن في الفصل الذي عقده للحكم على المعاني وقال إنّ المتنبي كثيراً ما يقصد الابهام في كافورياته ، ومن ذلك قوله في كافور :

فما لك تُعْنَى بالأسِنّةِ والقنا وَجَدُّكَ طَعّانٌ بغير سِنانِ

فان هذا بالذم أشبه منه بالمدح لا نه يقول : « لم تبلغ ما بلغته بسعيك واهتمامك بل بجد وسعادة ، وهذا لافضل فيه ؛ لان السعادة تنال الخامل والجاهد (١) ومن لا يستحقها » (٢) .

ومن أمثلة الابهام التي ذكرها المدني قوله تعالى حكاية عن اليهود : « من الذين هادوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عن مواضِعِه ، ويقولونَ سَمِعْنا وعَصَينا واسْمَعْ غير مُسْمَعٍ وراعِنا ليّاً بألسنتهم وطَعْناً في الدين »(٣) . قال الزمخشري : « قولهم: « غيرمسمع » حال من المخاطب ، أي اسمع وأنت غير مسمع ، وهو قول ذو وجهين ، يحتمل الذم أي : اسمع منا مدعواً عليك — بلا سمعت — لانه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مسمع . قالوا ذلك

(١) كذا في طبعات المثل السائر ، وفي أنوار الربيع ج ٢ ص ١٦ : الجاهل .
(٢) المثل السائر ج ١ ص ٣٥ .
(٣) النساء ٤٦ .

اتكالاً على أنّ قولهم — لاسمعت — دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه . ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئاً ، أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب . ويجوز على هذا أن يكون « غيــر مسمع » مفعول « اسمع » أي : اسمع كلاما غير مسمع اياك لان أذنك لا تعيه نبوّاً عنه . ويحتمل المدح أي : اسمع غير مسمع مكروها ، من قولك اسمع فلان فلانا إذا سبّه . وكذلك قولهم « راعنا » يحتمل راعنا نكلمك أي ارقبنا وانتظرنا ، ويحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابّون بها ، وهي راعينا، فكانوا سخرية بالدين وهزؤاً برسول الله — صلى الله عليه وسلم — يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام . لياً بألسنتهم : فتلاً بها وتحريفاً ، أي يفتلون بألسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون « راعنا » موضع « انظرنا » و « غير مسمع » موضع : لا أسمعت مكروها . أو يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا .

فان قلت : كيف جاءوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعدما صرّحوا وقالوا : سمعنا وعصينا ؟ قلت : جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسبّ ودعاء السوء . ويجوز أن يقولوه فيما بينهم ، ويجوز أن لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا جعلوا كأنهم نطقوا به » (١) .

ومنه قول النبي — صلى الله عليه وسلم — وقد ذكر عنده سريح بن الحضرمي وهو من الصحابة : « ذاك رجل لا يتوسد القرآن » فيحتمل وجهين ذكرهما ثعلب عن ابن الأعرابي : أحدهما : المدح وهو انه لا ينام الليل حتى يتوسد القرآن معه فيكون مدحا .

والثاني : الذم وهو انه ينام ولا يتوسده معه أي لا يحفظه فيكون ذما .

ومن أمثلة الابهام قول محمد بن حازم الباهلي في الحسن بن سهل حين تزوج المأمون بابنته بوران :

---

(٤) الكشاف ج ١ ص ٤٠٠ .

بـــارِكَ اللهُ لِـلحَسَنْ ولبورانَ في الخَتَنْ
يا ابْنَ هرونَ قد ظفِرْ تَ ولكن ببنتِ مَنْ

فلا يعلم ما أراد بـ « بنت مَنْ » في الرفعـــة أو في الحقارة ، ولما نمي هـــذا الشعر الى المأمون قال : « والله ما ندري أخيراً أراد أم شرا ؟ » .

ومن ذلك قول الشاعر :

ويرغبُ أنْ يبني المعاليَ خالدٌ ويرغبُ أنْ يرضى صَنيعَ الألائمِ

فان هذا يحتمل المدح والذم لانه ان قدر « في » أولا و « عن » ثانيا فمدح وان عكس فذم إذ يقال : رغب فيه ورغب عنه .

ومنه قول المتنبي في مدح كافور :

ويغنيك عما ينسب الناسُ أنــه اليك تناهى المكرماتُ وتُنْسَبُ

فقد يريد به المدح ، أو السخرية أي : انه لا نسب لكافور .

وقـــوله :

وما طربي لما رأيتك بِدْعَةً لقد كنْتُ أرجو أنْ أراك فَأطْرَبُ

فقد يحتمل السخرية والاستهزاء ، أو المدح .

وقوله :

وغير كثيرٍ أن يزورَكَ راجلٌ فيرجــع مَلْكــاً للعراقيين واليـــا

فظاهر البيت أنّ من رأى كافوراً أفاد منه كسب المعالي ، وباطنه أنّ من رآه على ما به من النقص وقد صار الى الملك ضاق صدره أن يقصر عما بلغه وان لا يتجاوز ذلك الى كسب المكارم ، وكذلك إذا رآه راجل لا يستكثر لنفسه أن يرجع واليا على العراقين .

والابهام فن بديع متسع الباب ، والأديب البارع يقدر أن ينزع فيه مذاهب مختلفة ، ويفتح أبواباً موصدة .

الاتساع :

قال ابن رشيق : « هو أن يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل فيأتي كل واحد

بمعنى وانما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته واتساع المعنى » (١) .

وقال المصري : « هو أن يأتي الشاعر ببيت يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظر فيه وبحسب ما تحتمل ألفاظه » (٢) .

وقال السبكي : « هو كل كلام تتسع تأويلاته فتتفاوت العقول فيها لكثرة احتمالاته لنكتة ما كفواتح السور » (٣) .

وقال الحموي : « هذا النوع أي الاتساع يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظر فيه وبحسب ما تحتمل ألفاظه من المعاني » (٤) .

وقال السيوطي : « هو أن يأتي بلفظ يتسع فيه التأويل بحسب قوى الناظر فيه وبحسب ما يحتمل اللفظ من المعاني كما وقع في فواتح السور » (٥) .

وقال المدني : « هذا النوع عبارة عن أن يأتي المتكلم في كلامه نثراً كان أو نظماً بلفظ فأكثر يتسع فيه التأويل بحسب ما يحتمله من المعاني » (٦) .

وهذه التعريفات ترجع الى ما بدأه ابن رشيق وقرره المصري ، وهي تشير الى أن الاتساع يشمل الشعر والنثر ، فمن ذلك قوله تعالى : « والشَّفْعِ والوَتْرِ » (٧) فقد اتسع التأويل في هاتين اللفظتين على ثلاثة وعشرين قولاً ذكرها المدني وهي :

١ــ هما الزوج والفرد من العدد ، وهذا تذكير بالحساب لعظم نفعه .

٢ــ هما كل ما خلقه الله ، لان الأشياء إمّا زوج أو فرد .

٣ــ الشفع هو الخلق لكونه أزواجاً ، والوَتْر هو الله تعالى وحده .

٤ــ إنّ الشَّفْعَ صفات الخلق لتبديلها بأضدادها كالقدرة والعجز ، والوَتْر صفات الله تعالى .

٥ــ إنهما الصلاة ؛ لأنّ فيها شَفْعاً وَوَتْرا .

---

(١) العمدة ج ٢ ص ٩٣ ، وينظر المنزع البديع ص ٤٢٩ .

(٢) تحرير التحبير ص ٤٥٤ ، بديع القرآن ص ١٧٣ .

(٣) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٦٩ .

(٤) خزانة الأدب ص ٤٢٠ .

(٥) شرح عقود الجمان ص ١٣٩ .

(٦) أنوار الربيع ج ٦ ص ٥٣ .

(٧) الفجر ٣ .

٦ــ إن الشّفْع النحر ، والوتر يوم عرفة .

٧ــ إن الشفع يوم التروية والوتر يوم عرفة .

٨ــ إن الشفع شفع العشر الآخر من شهر رمضان ، والوتر وترها .

٩ــ إن الشفع الليالي والايام ، والوتر يوم القيامة .

١٠ــ إن الشفع شفع العشر التي أتمّ الله بها ليالي موسى ، والوتر وترها .

١١ــ إن الشفع الصفا والمروة ، والوتر البيت الحرام .

١٢ــ إن الشفع قوله تعالى : « فمن تعجل في يومين »(١) والوترمن تأخر الى اليوم الثالث.

١٣ــ إن الشفع آدم وحواء ، والوتر هو الله تعالى .

١٤ــ إن الوتر آدم ، ، والشفع شفع بحواء .

١٥ــ إن الشفع الركعتان من صلاة المغرب ، والوتر الركعة الثالثة .

١٦ــ إنّ الشفع درجات الجنان ، لانها كلها شفع ، والوتر دركات النار لانها وتر .

١٧ــ إن الشفع هو الله وهو الوتر أيضاً .

١٨ــ إنّ الشفع مسجدا مكة والمدينة ، والوتر مسجد بيت المقدس .

١٩ــ إن الشفع القِران في الحج والتمتعِ فيه ، والوتر الافراد فيه .

٢٠ــ إن الشفع الفرائض ، والوتر السُّنَن .

٢١ــ إن الشفع الاعمال ، والوتر النية وهو الاخلاص .

٢٢ــ ان الشفع العبادة التي تتكرر كالصوم والصلاة والزكاة ، والوتر العبادة التي لا تتكرر كالحج .

٢٣ــ إن الشفع الروح والجسد إذا كانا معاً ، والوتر الروح بلا جسد ، فكأنه ــ تعالى ــ أقسم بها في حالتي الاجتماع والافتراق .

---

(١) البقرة ٢٠٣ .

ومن الاتساع فواتح السور المشتملة على حروف التهجي ، فان التأويل فيها متسع أيضاً .

ومن أمثلته الشعرية قول امرئ القيس :

مكرٍ مفرٍ مقبلٍ مدبرٍ معــاً ··· كجلمودِ صخرٍ حطّه السيل من علِ

فانه أراد انه يصلح للكر والفر ويحسن مقبلاً مدبرا ، ثم قال « معاً » أي جميع ذلك فيه وشبهه في سرعته وشدة جريه بجلمود صخر حطه السيل من أعلى الجبل ، فاذا انحط من عالٍ كان شديد السرعة فكيف اذا أعانته قوة السيل من ورائه . وذهب قوم الى ان معنى قوله : « كجلمود صخر حطه السيل من علِ » انما هو الصلابة ؛ لان الصخر عندهم كلما كان أظهر للشمس والريح كان أصلب . وقال بعضهم : انما أراد الافراط فزعم انه يرى مقبلاً ومدبراً في حال واحدة عند الكر والفر لشدة سرعته واعترض على نفسه واحتج بما يوجد عيانا فمثلــه بالجلمود المنحدر من قنة الجبل ، فانك ترى ظهره في النصبة على الحال التي ترى فيها بطنه وهو مقبل اليك . وقال ابن رشيق بعد هذه التفسيرات : « ولعل هذا ما مرّ ببال امرئ القيس ، ولا خطر في وهمه ، ولا وقع في خلده ولا روعه »(١). وقال المصري أيضاً : « ولم تخطر هذه المعاني بخاطر الشاعر في وقت العمل ، وانما الكلام إذا كان قوياً من مثل هذا الفحل احتمل لقوته وجوها من التأويل بحسب ما تحتمل ألفاظه وعلى مقدار قوى المتكلمين فيه ولذلك قال الاصمعي : « خير الشعر ما أعطاك معناه بعد مطاولة » (٢) .

ومنه قول الحماسي :

بيض مفارقنا تغلي مراجلُنا ··· نأسو بأموالِنا آثارَ أيدينــا

فان التأويل اتسع في قوله : « بيض مفارقنا » فقيل : أراد بذلك الطهارة والعفاف ، كقولهم : أبيض العرض والشيم والحسب . وقيل : أراد أنهم كهول ومشايخ قد

---

(١) العمدة ج ٢ ص ٩٣ .
(٢) تحرير التحبير ص ٤٥٥

حنكتهم التجارب وليسوا بالاغمار ، وقيل : أراد انهم ليسوا بعبيد لان فرق الانسان اذا كان أبيض كان جميع جسده أبيض . وقيل : انحسار الشعر عن مقدم رؤوسهم لمداومتهم لبس البيض والمغافر . وقيل : معناه نحن كرام نكثر استعمال الطيب فابيضت مفارقنا لذلك . وقيل : نحن مكشوفو الرؤوس لا عيب فينا فعبّر عن النقاء بالبياض .

ومن ذلك قول المتنبي يذكر الروم :

وقد بَرَدَتْ فوق اللقان دماؤهم ونحن أناسٌ نتبعُ الباردَ السُّخْنا (١)

أراد : أنا نُتبع البارد من الدماء سخنا ، كأنه يتوعدهم بقتل آخر ، فيكون قد أخذه من قول سُويد بن كُراع يصف كلابا وثوراً :

فهزَّ عليه الموت والموتُ دونــه على رَوْقه منه مُذابٌ وجامدُ (٢)

ويعني بالمذاب الحار ، وبالجامد البارد، ويجوز أن يكون المتنبي أراد : ونحن أناس نتبع البارد من الطعام سخنا ، وكذلك أيضاً عادتنا في الدماء .

اتساق البناء :

يقال : وسق الليل واتّسق أي انضم ، والطريق يأتسق ويتسق : ينضم ، واتسق القمر : استوى ، واتساق القمر : امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة ، وقال الفراء : الى ست عشرة فيهن امتلاؤه واتساقه (٣) .

وذكر قدامة « اتساق البناء » (٤) وقرنه بالسجع ولم يعرفه وانما قال انه كقول النبي — صلى الله عليه وسلم — لجرير بن عبدالله البجلي : « خير الماء الشبم » ، وخير المال الغنم ، وخير المرعى : الأراك والسلم ، إذا سقط كان لجينا ، واذا يبس كان درينا ، واذا أكل كان لبينا » (٥) .

---

(١) اللقان موضع ببلاد الروم . (٢) روقه : قرنه .
(٣) اللسان (وسق) . (٤) جواهر الالفاظ ص ٣ .
(٥) الشبم : البارد . الاراك والسلم : من أنواع النبات الطيب . اللجين — بفتح اللام — الخبط وذلك ان ورق الاراك والسلم يخبط حتى يسقط ويجف ثم يدق حتى يتلجن أي يتلزج . الدرين : حطام المرعى إذا تناثر وسقط على الارض . اللبين : المدر للبن . يعني ان النعم اذا رعت الاراك والسلم غزرت ألبانها (النهاية في غريب الحديث ج ٤ ص ٢٢٩) .

اتساق النظم :

هذا الفن من صفات الشعر الجيد ، وقد ذكره ثعلب وقال انه « ما طاب قريضه ، وسلم من السناد والاقواء والاكفاء والاجازة والايطاء وغير ذلك من عيوب الشعر ، وما قد سهّل العلماء إجازته من قصر ممدود ، ومدّ مقصور ، وضروب أخر كثيرة وان كان ذلك قد فعله القدماء وجاء عن فحولة الشعراء » (١) .

ومعظم الشعر يتصف باتساق النظم ، ولا يخرج منه إلا ما وقع فيه عيب أو ضرورة .

الاتفاق :

الاتفاق : التوافق والتظاهر ، والوفاق الموافقة ، ووفّق الشيْ مالاءمه ، وقد وافقه موافقة ووفاقا واتفق معه وتوافقا (٢) .

والاتفاق : « هو أن يتفق للشاعر شيْ لا يتفق عاجلاً كثيراً » (٣) ، وقد سماه ابن منقذ وابن الجوزية « الاتفاق والاطراد » ، وقد عرفه الأول بما تقدم وعرّفه الثاني بمثل ذلك التعريف (٤) .

وسماه المصري والسيوطي والمدني « الاتفاق » وعرفوه بما يشبه التعريف السابق فقال المصري : « هو أن تتفق للشاعر واقعة تعلمه العمل في نفسها فان للسبق الى معاني الوقائع التي يشترك الناس في مشاهدتها أو سماعها فضلاً لا يجحد كما اتفق لبعض شعراء مصر ، ويقال انه الرضي بن أبي حصينة وقد أغزى الملك الناصر صلاح الدين حاجبه حسام الدين لؤلؤ الافرنج الذين قصدوا الحجاز من بحر القلزم ، فظفر الحاجب بهم فقال ابن أبي حصينة في تهنئته مخاطباً للافرنج :

عدوكم لؤلؤٌ والبحرُ مَسْكَنُهُ ... والدرُّ في البحر لا يخشى من الغِيَرِ

ثم قال بعد أبيات مخاطباً الملك الناصر — رحمه الله — .

فامر حسامك أنْ يحظى بنحرهم ... فالدرُّ مذ كان منسوبٌ الى البَحَرِ (٥)

---

(١) قواعد الشعر ص ٥٩ .
(٢) اللسان (وفق) .
(٣) البديع في نقد الشعر ص ٨٧ .
(٤) الفوائد ص ٢٤٣ .
(٥) تحرير التحبير ص ٥٠٣ .

ثم قال : « ومن الاتفاق ان يتفق للشاعر أسماء لممدوحه ولآبائه يمكنه أن يستخرج منها مدحاً لذلك الممدوح ولو لم تتفق تلك الاسماء على ما هي عليه لما اتفق استخراج ذلك المدح كقول أبي نواس :

عبّاسُ عبّاسٌ إذا احتَدَمَ الوغى والفَضْلُ فَضْلٌ والربيعُ ربيعُ

وقد وقع في هذا البيت مع لطيف الاتفاق مليح الازدواج في قوله : « عباس عباس » و « الفضل فضل » و « الربيع ربيع » . ولابي نواس من القسم الاول من الاتفاق ما لم يتفق مثله في مرثية يرثي بها خافاً الاحمر :

وكان مما مضى لنا خلفاً وليس إذ بان منه من خلفِ

فانه اتفق له من اسم المرثي تورية حسّنَتْ موقع هذا البيت الى أن أتى في الطبقة العليا والغاية القصوى » . ونقل الحموي هذا التعريف . (١)

وقال السيوطي : « وهو عزيز الوقوع جداً، وهو أن يتفق للشاعر واقعة واسم مطابق لتالك الواقعة » (٢) .

وقال المدني : « هذا النوع وان سمي بالاتفاق إلا انه قليل الاتفاق لعزة وقوعه ، وهو عبارة عن أن يتفق للمتكلم واقعة وأسماء يطابقها اما مشاهدة او سماعا » (٣). ومن أمثلة ذلك قول أبي تمام :

لسلمى سُلامان وعمرةَ عامرٌ وهندبني هِنْدٍ وسُعْدَى بني سَعْدِ (٤)

ومن ذلك ما اتفق للشيخ شمس الدين الكوفي الواعظ في الوزير مؤيد الدين العلقمي حيث قال :

يا عصبة الاسلام نوحي والطمي حزناً على ما حلّ بالمستعصمِ
دَسْتُ الوزارة كان قبل زمانه لابن الفرات فصار لابن العلقمي

فاتفق ان المذكورين كانا وزيرين وان المورّى بهما نهران ، وقد طابق الناظم بينهما بالفرات الحلو والعلقم المر .

(١) خزانة الأدب ص ٣٦٩ . (٢) شرح عقود الجمان ص ١٣٦ .
(٣) أنوار الربيع ج ٥ ص ١٦٤ . (٤) السلامان ؛ شجر وماء لبني شيبان ، واسم .

الاتكاء :

الاتكاء : الاحتمال على الشيْ والاعتماد عليه ، يقال : توكأ على الشيْ واتكأ : تحمل واعتمد فهو متكيْ ، واتكأت الرجلَ اتكاءً إذا وسّدته حتى يتكئ (١) .

والاتكاء الحشو الذي يحتمل عليه ويعتمد ، قال ابن رشيق هو : « أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى وانما أدخله الشاعر لاقامة الوزن ، فان كان ذاك في القافية فهو استدعاء . وقد يأتي في حشو البيت ما هو زيادة في حسنه وتقوية لمعناه » (٢) .

ومن ذلك قول ابن المعتز :

صَبَبْنا عليها ظالمينَ سياطَنا ... فطارَتْ بها أيْدٍ سراعٌ وأرْجُلُ

فقوله « ظالمين » حشو أقام به الوزن وبالغ في المعنى أشدّ مبالغة من جهته .

اثبات الشيْ للشيْ :

سماه المصري « اثبات الشيْ للشيْ بنفيه عن غير ذلك الشيْ » ، وقد عرّفه بقوله : « هو أن يقصد المتكلم ان يفرد انسانا بصفة مدح لا يشركه فيها غيره فينفي تلك الصفة في أول كلامه عن جميع الناس ويثبتها له خاصة » (٣) .

وذكر السبكي هذا الفن ولم يعرفه ، واكتفى بذكر مثال له (٤) .

ومثاله قول الخنساء في أخيها صخر :

وما بَلَغَتْ كفّ امرئٍ متناولاً ... من المجد إلاّ والذي نِلْتَ أطْوَلُ

وما بلغ المهدونَ للناس مدْحَةً ... وإنْ أطنبوا إلاّ الذي فيك أفْضَلُ

فتناوله أبو نواس فقال في الأمين :

إذا نحن أثنينا عليك بصالحٍ ... فأنت كما نُثْني وفوق الذي نُثْني

وإنْ جرَتِ الألفاظُ منا بمدحة ... لغيرك انساناً فأنت الذي نَعْني

قال المصري : « ومن هذا الباب قسم يقع في التشبيه والاخبار ، وهو أن يكون

---

(١) اللسان (وكأ) .

(٢) العمدة ج ٢ ص ٦٩ .

(٣) بديع القرآن ص ٣٠٣ .

(٤) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٠ .

للمشبه أو المخبر عنه صفات فيعمد المتكلم الى نفي بعضها نفياً يلزم منـــه اثبات ما في تلك الصفات له ، كقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لعلي ــ عليه السلام ــ « اما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى إلاّ انه لا نبيّ بعدي » فسلبه النبوة مستثنياً لها من جميـع ما كان لها من موسى ــ عليهما السلام ــ

ومن القسم الأول من هـــذا الباب جميـع معجزات الرســل ــ صلوات الله عليهم وسلامه ــ هي ، فان صورة المعجزة تنسب للنبي الذي جاءت على يده وتعدّ من فعله مجازاً ، وهو في الحقيقة فعل الله تعالى ، ومن ذلك في الكتاب العزيز قوله تعالى : « وما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ ولكنَّ اللهَ رَمَى » (١) ، فاثبت الرمي للنبي صلى الله عليه وسلم ــ إذ جاءت صورته على يده ونفى معناه عنه إذ كان لا يتأتى مثل ذلك الرمي إلاّ من الله سبحانه ، فان كل حصاة أصابت عين كل انسان من القوم ، وهذا لا يكون إلاّ من فعل الله تعالى » (٢) .

وذكر المصري ان هذا الفن من مبتدعاته وسماه في « تحرير التحبير » : باب السلب والايجاب وعرفه مثل تعريف الأول فقال : « هو ان يقصد المادح أن يفرد ممدوحه بصفة مدح لا يشركه فيها غيره فينفيها في أول كلامه عن جميع الناس ويثبتها لممدوحه بعد ذلك » (٣) . وذكر الأمثلة السابقة وأكملها بقول الشاعر :

فصرت كأني يوسف بين اخوتي ولكنْ تعدّتني النبوّةُ والحُسْنُ

فسلب نفسه هاتين الصفتين من صفات يوسف ــ عليه السلام ــ ليثبت ما عداهما مما امتحن به يوسف من اخوته ، وهذا البيت وان كان من شواهد الاستدراك فهو مما يليق أن يستشهد به ههنا .

ومن ذلك قول ابن الرومي :

كأنّا مع الجدران في جَنَبَـــاته دُمًى في انقطاعِ الرزْق لافي المحاسِنِ

لما كانت الدمى موصوفة بهاتين الصفتين وكانت احداهما لائقة بالمعنى الذي قصده أثبتها ونفى ما عداها من الصفة التي لا تليق بغرضه .

(١) الانفال ١٧ .
(٢) بديع القرآن ص ٣٠٤ ، وينظر تحرير التحبير ص ٥٩٤ .
(٣) تحرير التحبير ص ٥٩٣ .

ولكن هذين الفنين فن واحد وقد استدرك المصري على نفسه في الحاشية فقال : « قد عثرت على ان هذا الباب لمن تقدمني من جهة تسميته لا من جهة شواهده فسميته « اثبات الشيء للشيء بنفيه عن غير ذلك الشيء وتنزل باب السلب والايجاب بعد باب الاستثناء في ابواب من تقدمني » . ولكن الأمثلة التي ذكرها للفنين واحدة ، وبذلك لم يكن هذا الفن من مبتدعاته أو مختلفاً عن السلب والايجاب .

الاجازة :

الاجازة مشتقة المعنى من الاجازة في السقي ، يقال : أجاز فلان فلاناً إذا سقى له أو سقاه . ويقال للذي يرد على أهل الماء فيستقي : مُستجيز ، قال القطامي :

وقالوا فُقَيمٌ قيّمُ الماء فاستجزْ عبادةَ إن المستجيزَ على قُتُرِ (١)

ويجوز أن يكون من « أجزت عن فلان الكأس » إذا تركته وسقيت غيره ، فجازت عنه دون أن يشربها .

والاجازة في الشعر أن تتم مصراع غيرك ، وقيل : الاجازة في الشعر أن يكون الحرف الذي يلي حرف الروي مضموماً ثم يكسر أو يفتح ويكون حرف الرويّ مقيداً . والاجازة في قول الخليل : أن تكون القافية طاءً والأخرى دالاً ونحو ذلك ، وهو الاكفاء في قول أبي زيد ، ورواه الفارسي : الاجازة بالراء غير معجمة (٢).

فالاجازة « بناء الشاعر بيتاً أو قسيماً يزيده على ما قبله ، وربما أجاز بيتاً أو قسيماً بأبيات كثيرة » (٣) . فأما ما أجيز فيه قسيم بقسيم فقول بعضهم لأبي العتاهية : أجز : « برد الماء وطابا » ، فقال : « حبّذا الماء شرابا » . وأما ما أجيز فيه بيت ببيت فقول حسان بن ثابت وقد أرق ذات ليلة :

متاريك أذناب الامور إذا اعترتْ أخذنا الفروعَ واجتنبنا أصولَها

وأجبل فقالت ابنته : يا أبت ألا أجيزك عنه ؟ فقال : أو عندك ذاك ؟ قالت :

---

(١) استجز : اطلب ان تسقى ابلك . على قتر : على خوف ، ويقال على خطر وحذر من أن لا يسقى .

(٢) العمدة ج ٢ ص ٥٠ ، اللسان (جوز) .

(٣) العمدة ج ٢ ص ٨٩ ، وينظر نضرة الأغر يض ص ١٩٤ وما بعدها .

بلى . قال : فافعلي ، فقالت :

مقاويل للمعروف خُرْسٌ عن الخنا كِرامٌ يعاطون العشيرةَ سُؤلَها

قال : فحمي الشيخ عند ذاك فقال :

وقافية مثل السنان ردفتها تناولْتُ من جَوٍّ السماء نزولَها

فقالت ابنته :

براها الذي لا ينطق الشعْر عنده ويعجز عن أمثالها أن يقولَها

وذكر ان العباس بن الأحنف دخل على الذلفاء فقال : أجيزي عني هذا البيت :

أهدى له أحبابُه أترجّةً فبكى وأشفق من عيافة زاجرِ

فقالت غير مفكرة :

خاف التلونَ إذ أتته لانها لونانِ باطنها خلاف الظاهرِ

وأما ما أجيز فيه قسيم بيت ببيت ونصفٌ فقول الرشيد للشعراء : أجيزوا : « المُلْكُ لله وحده » فقال الجماز :

وللخليفة بعده

وللمحب إذا ما حبيبه بات عنده

واستجاز سيف الدولة أبا الطيب قول العباس بن الأحنف :

أمنّي تخاف انتشار الحديـ ث ، وحظي في ستره أوْفَرُ

فصنع القصيدة المشهورة :

هواك هوايَ الذي أضمرُ وسرك سرّي فما أظهرُ

إلا انه خرج فيها عن المقصد .

والاجازة ليست فناً بديعياً كالجناس أو التورية وانما يدخل في الكلام على الشعر ، ولم يدخل في المعجم إلا لا نه قرن الى التضمين كما فعل ابن رشيق حينما عقد باباً واحداً للاجازة والتضمين .

الاجتلاب :

اجتلاب الشعر سوقه واستمداده من الغير، وهو من اجتلب أي ساق واستمد(١)

وقرن الحاتمي والصنعاني الاجتلاب بالاستلحاق ، وقال الثاني عن الأخذ والاستعانة : « فمنها المحمود ومنها المذموم ، فأحد رتبه أن يأخذ اللفظ جميعاً والمعنى كالبيت والبيتين والسجع التام والسجعتين وذلك على وجهين : اما أن يكون اجتلاباً واستلحاقاً فلا يدعي انه له ، بل يستعين به ويكون مقراً به ، مثل ما فعل عمرو بن كلثوم ببيتي عمرو ذي الطوق وهما :

صددت الكأس عنا أمّ عمــــرو   وكان الكأسُ مجراهــا اليمينا
وما شرّ الثلاثة أمّ عمــــرو   بصاحبك الذي لا تصبحينــا

فانه استلحقه بكلمته « ألا هبي بصحنك فاصبحينا » (٢) . وكان ابن رشيق قد ذكر البيتين وقال : « وربما اجتلب الشاعر البيتين فلا يكون في ذلك بأس كما قال عمرو ذو الطوق : صددت . . . فاستلحقهما عمرو بن كلثوم فهما في قصيدته ، وكان عمرو بن العلاء وغيره لا يرون ذلك عيبا ، وقد يصنع المحدثون مثل ذلك . قال زياد الاعجم :

أشمّ إذا ما جئت للعُرْفِ طــالباً   حباك بمــا تحوي عليه أناملُه
ولو لم يكن في كــفه غيرُ نفسه   لجاد بهــا فليتق الله ســائلُه

واستلحق البيت الأخير أبو تمام فهو في شعره . وأما قول جرير للفرزدق وكان يرميه بانتحال شعر أخيه الأخطل بن غالب :

ستعلم مــن يكون أبوه قينــاً   ومن كانت قصائدُه اجتبــلابا

فانما وضع الاجتلاب موضــع السرق والانتحال لضرورة القافية ، هكذا ذكر العلماء من هؤلاء المحدثين ، وأما الجمحي فقال : من السرقات ما يأتي على سبيل المثل ليس اجتلابا مثل قول أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي :

---

(١) اللسان (جلب).

(٢) الرسالة المسجدية ص ٥٢ ، وينظر حلية المحاضرة ج ٢ ص ٥٨ .

تلك المكارم لا قَعْبانِ من لبن شِيبا بماء فعادا بَعْدُ أبوالا (١)

ثم قال بعينه النابغة الجعدي لما أتى موضعه ، فبنو عامر ترويه للجعدي ، والرواة مجمعون انه لأبي الصلت ، فقد ذهب الجمحي في الاجتلاب مذهب جرير انه انتحال ، ولم أرَ محدثاً غيره يقول هذا القول » (٢) .

فالاجتلاف والاستلحاق ليسا عيبا ، والى ذلك ذهب الحاتمي وقال : « وبعض العلماء لا يراهما عيباً ، ووجدت يونس بن حبيب وغيره من علماء الشعر يسمي البيت يأخذه الشاعر على طريق التمثيل فيدخله في شعره اجتلابا واستلحاقاً فلا يرى ذلك عيبا . واذا كان الأمر كذلك فلعمري انه لا عيب فيما هذه سبيله » (٣) .

الاحاجي :

يقال : كلمة مُحجية أي مخالفة المعنى للفظ ، وهي الأُحجية والأُحجوة ، والأُحجية والحُجيّا لعبة وأغلوطة يتعاطاها الناس بينهم ، وهي من نحو قولهم : أخرجْ ما في يدي ولك كذا . وفلان يأتينا بالأحاجي أي بالأغاليط (٤) .

والأحاجي هي الأغاليط من الكلام وتسمى الألغاز ، وقد يسمى هذا النوع : « المعمَّى » ، قال ابن الأثير : « واما اللغز والاحجية فانهما شيْ واحد وهو كل معنى يستخرج بالحدس والحزْر لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ولا مجازاً ولا يفهم من عرضه لان قول القائل في الضرس :

وصاحب لا أملَّ الدهر صحبته يشقى لنفعي ويسعى سَعْيَ مجتهدِ
ما إن رأيتُ له شخصاً فمذ وقعت عيني عليـه افترقنا فرقةَ الأبـدِ

لا يدلّ على انه الضرس لا من طريق الحقيقة ولا من طريق المجاز ولا من طريق المفهوم ، وانما هو شيْ يحدس ويحزر » (٥) . ثم قال : « واذا ثبت هذا فاعلم

---

(١) القعب : القدح الضخم .
(٢) العمدة ج ٢ ص ٢٨٣ .
(٣) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٥٨ .
(٤) اللسان (حجا) .
(٥) المثل السائر ج ٢ ص ٢٢٤ .

ان هذا الباب الذي هو اللغز والاحجية والمعمّى يتنوع أنواعاً : فمنه المصحّف ، ومنه المعكوس ، ومنه ما ينقل الى لغة من اللغات غير العربية كقول القائل : اسمي اذا صحفته بالفارسية آخر ، وهذا اسمه اسم تركي وهو « دنكر » — بالدال المهملة والنون — وآخر بالفارسية « ديكر » — بالدال المهملة والياء المعجمة بثنتين من تحت — واذا صحفت هذه الكلمة صارت « دنكر » — بالنون — فانقلبت الياء نوناً بالتصحيف ، وهذا غير مفهوم إلا لبعض الناس دون بعض . وانما وضع واستعمل لانه مما يشحذ القريحة ويحدّ الخاطر ؛ لانه يشتمل على معانٍ دقيقة يحتاج في استخراجها الى توقد الذهن والسلوك في معاريج خفية من الفكر . وقد استعمله العرب في اشعارهم قليلاً ، ثم جاء المحدثون فأكثروا منه ، وربما أتى منه بما يكون حسناً وعليه مسحة من البلاغة ، وذلك عندي بين بين فـر اعدّه من الأحاجي ولا أعدّه من فصيح الكلام » .

ومن الأحاجي قول بعضهم :

سبْعٌ رواحلُ ما ينُخْنَ من الوَنا   شِيَمٌ تُساق بسبعةٍ زُهْرِ
متواصلات لا الدؤوب يملّها   باقٍ تعاقبها على الدهر

هذان البيتان يتضمنان وصف أيام الزمان ولياليه ، وهي الاسبوع ، فان الزمان عبارة عنه .

وعلى هذا الاسلوب ورد قول المتنبي في وصف السفن :

وحشاه عاديةً بغير قوائم   عُقُمَ البطون حوالكَ الألوانِ
تأتي بما سَبَتِ الخيولُ كأنها   تحت الحِسان مرابضُ الغزلان(١)

وقد ورد من الألغاز شيٌ في كلام العرب المنثور غير انه قليل بالنسبة الى ما ورد في أشعارها ، وليس في كتاب الله شيٌ منها ، لانه لا يستنبط بالحدس والحزر كما تستنبط الالغاز .

---

(١) العقيم : الذي لا يلد . الحوالك : جمع حالكة وهي السوداء . المرابض ؛ جمع مربض ، وهو مأوى الغنم والوحش . يريد انه حشا الماء سفنا عادية بغير قوائم وبطونها عقم لانها لا تلد وهي سود الألوان لانها مقيرة . ويريد بالبيت الثاني ان السفن تحمل الجواري التي سبتها الفوارس.

الاحالة :

قال الدمنهوري : « الاحالة مصدر أحاته على كذا ، وهي قسمان : خفية وجلية ، كقوله تعالى : « وقد نَزَّل عليكم في الكتاب » (١) إحالة على قوله : « واذا رأيتَ الذينَ يخوضُون في آياتنا فأعْرِض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، وإما يُنْسيَنّك الشيطانُ فلا تقعدْ بعد الذكرى مع القوم الظالمين »(٢) ، وكقوله : « وآتينا داودَ زبورا » (٣) . والاحالة في الآية الأولى ظاهرة وفي الثانية خفية لما قيل انها إحالة على قوله : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنَّ الأرضَ يَرِثُها عبادي الصالحون » (٤) ، لتضمنه تفضيل محمد صلّى الله عليه وسلم » (٥) .

الاحتباك :

الاحتباك : شدّ الازار ، وكل شيْ أحكمته وأحسنت عمله فقد احتبكته ، والمحبوك ما أجيد عمله ، والحبك : الشد والاحكام (٦) . وكأن الاحتباك مأخوذ من الشد والاحكام ، وقد أشار الى ذلك السيوطي بقوله : « ومأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشد والاحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب ، فحبك الثوب سدّ ما بين خيوطه من الفرج وشدّه وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق وبيان أخذه منه ان مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه فوضع المحذوف مواضعه كان حابكاً له مانعاً من خلل يطرقه فسدّ بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما أكسبه من الحسن والرونق » (٧) .

والاحتباك أحد أقسام الحذف وقد سماه الزركشي « الحذف المقابلي » وعرّفه

---

(١) النساء ١٤٠ . (٢) الانعام ٦٨ . (٣) النساء ١٦٣ .
(٤) الأنبياء ١٠٥ .
(٥) حلية اللب ص ١٦٩ .
(٦) اللسان (حبك) .
(٧) الاتقان ج٢ ص ٦٢ ، شرح عقود الجمان ص ١٣٣ ، معترك الاقران ج ١ ص ٣٢٣ .

بقوله : « هو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه » (١) . وذكره السيوطي باسم « الاحتبــاك » وقال عنه : « وهو من ألطف الأنواع وأبدعها وقلّ من تنبه له أو نبّه عليه من أهل البلاغة ، ولم أره إلاّ في شرح بديعية الاعمى لرفيقه الاندلسي وذكره الزركشي في البرهان ولم يسمه هذا الاسم بل سماه « الحذف المقابلي » ، وأفرده بالتصنيف من أهل العصر العلامة برهان الدين البقاعي . قال الاندلسي في شرح البديعية : من أنواع البديع الاحتباك ، وهو نوع عزيز ، وهو أن يحذف من الأول ما أثبتَ نظيره في الثاني ، وفي الثاني ما أثبت نظيره في الاول » (٢) .

ومنه قوله تعالى : « أم يقولون افتراه ، قل إن افتريتُه فعليَّ إجرامي وأنا بريءٌ مما تُجرمون »(٣) . الأصل : فان افتريته فعليَّ إجرامي وانتم برآء منه ، وعليكم إجرامكم وأنا بريءٌ مما تجرمون . فنسبة قوله تعالى : « إجرامي » وهو الاول إلى قوله : « وعليكم إجرامكم » وهو الثالث كنسبة قوله : « وأنتم برآء منه » وهو الثاني الى قوله تعالى : « وأنا بريءٌ مما تجرمون » وهو الرابع ، واكتفى من كل متناسبين بأحدهما .

ومنه قوله تعالى : « فليأتنا بآية كما أُرسِلَ الأولون » (٤) تقديره : إن أرسل فليأتنا بآية كما أرسل الأولون فاتوا بآية .

ومنه قوله تعالى : « وأدخِلْ يدك في جيبك تَخرُجْ بيضاءَ من غير سُوء »(٥) ، تقديره : أدخل يدك تدخل واخرجها تخرج ، إلاّ انه قد عرض في هذه المادة تناسب بالطباق فلذلك بقي القانون فيه الذي هو نسبة الأول الى الثالث ، ونسبة الثاني الى الرابع على حالة الاكثرية فلم يتغير عن موضعه ولم يجعل بالنسبة التي بين الاول والثاني ، ، وبين الثالث والرابع وهي نسبة النظير ، كقول الشاعر :

---

(١) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ١٢٩ .
(٢) الاتقان ج ٢ ص ٦١ ، شرح عقود الجمان ص ١٣٣ ، معترك ج ١ ص ٣٢١ .
(٣) هود ٣٥ .
(٤) الانبياء ٥ .
(٥) النمل ١٢ .

وإني لتعروني لذكراك هِزّةٌ كما انتفض العصفورُ بلّله القَطْرُ

أي : هزة بعد انتفاضة كما انتفض العصفور بلله القطر ثم اهتز .

وقد يحذف من الأول لدلالة الثاني عليه ، وقد يعكس ، وقد يحتمل اللفظ الأمرين . فالاول : كقوله تعالى : « إن الله وملائكته يصلون على النبي »(١) في قراءة من رفع « ملائكته » أي : أن الله يصلي فحذف من الأول لدلالة الثاني عليه وليس عطفاً عليه .

والثاني : كقوله : « يَمْحو اللهُ ما يشاءُ ويُثبت » (٢) أي : ما يشاء .

والثالث : كقوله : « واللهُ ورسولهُ أحقُّ أن يُرْضوه » (٣) ، فقد قيل : إن « أحق » خبر عن اسم الله تعالى ، وقيل بالعكس .

الاحتجاج النظري :

احتج بالشيءْ اتخذه حجة ، والحجة البرهان والدليل ، وأحج خصمي أي أغلبه بالحجة (٤) .

والاحتجاج النظري لون من ألوان الكلام ، وسماه بهذا الاسم جماعة منهم أبو حيان الاندلسي وابن قيّم الجوزية وابن النقيب (٥) ، وسماه الزركشي « الجام الخصم بالحجة »(٦) ، ولكن البلاغيين يسمونه «المذهب الكلامي» . وحقيقة هذا النوع احتجاج المتكلم على خصمه بحجة تقطع عناده وتوجب له الاعتراف بما ادعاه المتكلم وابطال ما أورده الخصم . وسمي المذهب الكلامي لانه « يسلك فيه مذهب أهل الكلام في استدلالهم على إبطال حجج خصومهم . والمراد بأهل الكلام علماء أصول الدين » (٧) .

---

(١) الاحزاب ٥٦ .

(٢) الرعد . ٣٩ .

(٣) التوبة ٦٢ .

(٤) اللسان (حجج) .

(٥) البحر المحيط ج ٣ ص ٨٩ ، ٣٠٥ ، ج ٥ ص ٣٥٠ ، الفوائد ص ١٣٦ ، شرح عقود الجمان ١٢٣ ، حلية اللب ١٢٤ .

(٦) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٦٨ .

(٧) جوهر الكنز ص ٣٠٢ .

والمذهب الكلامي هو الفن الخامس من بديع ابن المعتز ، قال : « وهو مذهب سماه عمرو الجاحظ المذهب الكلامي ، وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئاً ، وهو ينسب الى التكلف ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً » (١) ولم يحدد هذا الفن ، ولعله يريد به اصطناع أساليب الفلاسفة والمتكلمين في الجدل والاستدلال ، ولذلك نفاه عن القرآن الكريم . ولم نعثر في كتب الجاحظ المعروفة على هذا المصطلح ، ولكنه يسخر أحياناً من الذين يتكلفون أداء الكلام تشبهاً بالمتكلمين (٢) .

والمذهب الكلامي عند المتأخرين هو ايراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام ، وذلك أن يكون بعد تسليم المقدمات مقدمة مستلزمة للمطلوب ، وهذا ما نجده في كتاب الله وكلام العرب الذي استشهد به البلاغيون . وقد ذكره العسكري وأشار الى أن ابن المعتز نسبه الى التكلف (٣) ، وتحدث في اول كتاب الصناعتين عن وضوح الدلالة وقرع الحجة وهو مما يدخل في هذا الباب . قال : « ومن وضوح الدلالة وقرع الحجة قول الله سبحانه : « وضَرَبَ لنا مثلاً ونَسِيَ خَلْقَه ، قال : من يُحيي العظامَ وهي رميمٌ ؟ قل : يحييها الذي أنشأها أوَّلَ مَرَّةٍ وهو بكل خَلْقٍ عليم » (٤) . فهذه دلالة واضحة على أنَّ الله تعالى قادر على إعادة الخلق مستغنية بنفسها عن الزيادة فيها ؛ لان الاعادة ليست بأصعب في العقول من الابتداء ، ثم قال تعالى : « الذي جعل لكم من الشجر الأخضرِ ناراً فاذا أنتم تُوقدون » (٥) ، فزادها شرحاً وقوة ؛ لان من يخرج النار من أجزاء الماء وهما ضدان ليس بمنكر عليه أن يعيد ما أفناه . ثم قال تعالى : « أو ليس الذي خَلَقَ السماوات والارْضَ بقادرٍ على أن يَخْلُقَ مِثْلَهم »(٦) فقوّاها أيضاً وزاد في شرحها وبلغ بها غاية الايضاح والتوكيد لان اعادة الخلق ليست

(١) البديع ص ٥٣ . (٢) الحيوان ج ٥ ص ١٠ وما بعدها .
(٣) كتاب الصناعتين ص ٤١٠ .
(٤) يس ٧٨ – ٧٩ .
(٥) يس ٨٠ .
(٦) يس ٨١ .

بأصعب في العقول من خلق السماوات والارض ابتداءاً » (١) . وهذا هو المذهب الكلامي عند المتأخرين ، أما ما ذكره في فصل المذهب الكلامي فهو متابعة لابن المعتز في معنى هذا الفن وأمثلته (٢) .

وتحدث عنه ابن رشيق في باب التكرار ونقل كلام ابن المعتز وامثلته ، وأقرّ بذلك النقل فقال : « وقد نقلت هذا الباب نقلاً من كتاب عبدالله بن المعتز إلاّ ما لاخفاء به عن أحد من أهل التمييز ، واضطرني الى ذلك قلة الشواهد فيه إلاّ ما ناسب قول أبي نواس :

سَخُنْتَ من شدة البرودة حتى صرتَ عندي كأنك النار
لا يعجب السامعون من صفتي كذلك الثلجُ باردٌ حارُ

فهذا مذهب كلامي فلسفي » (٣) . ولكنه وجد أمثلة هي أولى بهذه التسمية مما ذكره المؤلفون كنحو قول ابراهيم بن المهدي يعتذر الى المأمون من وثوبه على الخلافة :

البرّ منك وطاءُ العذْر عندك لي فيما فعلت فلم تعذلْ ولم تَلُمِ
وقام عاملك بي فاحتجّ عندك لي مقامَ شاهدِ عدلٍ غيرِ متهمِ

وقول أبي عبدالرحمن العطوي :

فوحقِ البيان يعضده البرْ هانُ في مأقطٍ ألدّ الخصامِ
ما رأينا سوى الحبيبة شيئاً جمع الحسن كله في نظامِ
هي تجري مجرى الاصابة في الرأ ي ومجرى الأرواح في الاجسامِ (٤)

وبدأ المذهب الكلامي يأخذ صورته الواضحة في كتب البلاغة ، فالتبريزي علق على أبيات النابغة الذبياني : —

ولكنني كنت امرءاً لي جانب من الأرض فيه مُستَرادٌ ومَذْهَبٌ

---

(١) كتاب الصناعتين ص ١٧ — ١٨ .
(٢) كتاب الصناعتين ص ٤١٠ .
(٣) العمدة ج ٢ ص ٨٠ .
(٤) العمدة ج ٢ ص ٧٩ .

مـــلوكٌ واخوانٌ إذا ما لقيتهم أحــكـّمُ في أموالهم وأقرّبُ
كفعليك في قوم أراك اصطنعتهم فلم ترهم في مثل ذلك أذنبوا

بقوله: « أي لا تلمني في مدحي آل جفنة وقد أحسنوا اليَّ كما لو أحسنت الى قوم ٍ فشكروا لك ولم تر ذلك ذنباً. وهذه طريقة الجدل ، وانما اتفق له بجودة القريحة وفضل التمييز » (١) .

وقال المصري : « المذهب الكلامي عبارة عن احتجاج المتكلم على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه ؛ لانه مأخوذ من علم الكلام الذي هو عبارة عن اثبات أصول الدين بالبراهين العقلية . وهو الذي نسبت تسميته الى الجاحظ وزعم ابن المعتز انه لا يوجد في الكتاب العزيز وهو محشو منه » (٢) .

وبدأ هذا الفن يدخل في المحسنات المعنوية على يد أصحاب بلاغة السكاكي وقد عرفه ابن مالك بقوله : « المذهب الكلامي أن تورد مع الحكم رداً لمنكره حجة على طريق المتكلمين أي صحيحة مسلّمة الاستلزام . وينقسم الى منطقي وجدلي ، فالمنطقي ما كانت حجته برهانا يقيني التأليف قطعي الاستلزام ، والجدلي ما كانت حجته أمارة ظنية لا تفيد إلا الرجحان . وأول من ذكر المذهب الكلامي الجاحظ وزعم انه ليس في القرآن منه شيْ (٣) ، ولعله انما عنى القسم المنطقي فان الجدلي في القرآن منه كثير » (٤)

وقال الحلبي : « هو ايراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام » (٥) .

وقال ابن الأثير الحلبي : « وحقيقة هذا النوع احتجاج المتكلم على خصمه بحجة تقطع عناده وتوجب له الاعتراف بما أدعاه المتكام وإبطال ما أورده الخصم . » (٦) .

---

(١) الوافي ص ٢٨٨ ، قانون البلاغة ص ٤٥٤ .
(٢) تحرير التحبير ص ١١٩ ، بديع القرآن ص ٣٧ .
(٣) هذا زعم ابن المعتز .
(٤) المصباح ص ٩٤ ، وينظر عروس الافراح ج ٤ ص ٣٦٩ .
(٥) حسن التوسل ص ٢٢١ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١١٤ .
(٦) جواهر الكنز ص ٣٠٢ .

وسار القزويني وشراح تلخيصه على مذهب ابن مالك في أدخال هذا الفن في المحسنات المعنوية وقال عنه : « هو ان يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريقة أهل الكلام » (١) . وقال السبكي ان هذا ليس من البديع لانه تطبيق على مقتضى الحال فيكون من علم المعاني (٢) . والمذهب الكلامي نوعان :

الأول : الجدلي ، وهو ما كانت حجته أمارة ظنية لا تفيد إلاّ الرجحان ، وهذا النوع كثير في كتاب الله من ذلك قوله تعالى : « وهو الذي يبدأ الخَلْقَ ثم يُعيده وهـو أهْوَنُ عليه » (٣). تقديره : والأهون أدخل في الامكان وقد أمكن البدء فالاعادة أدخل في الامكان من بدء الخاق . ومثله : « ما اتخذ اللهُ من وَلَدٍ وما كان معه من إلهٍ إذَنْ لَذَهَبَ كلُّ إلهٍ بما خلق ولعلا بَعْضُهم على بعض » (٤) . وقوله : « لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لَفَسَدَتا » (٥) ، وقوله « قل يُحييها الذي أنشأها أوّلَ مرةٍ » (٦) . ومن هذا النوع أبيات النابغة الذبياني : « ولكنني كنت امرءً . . . » .

الثاني : المنطقي : وهو ما كانت حجته برهاناً يقيني التأليف قطعي الاستلزام ، ولعل ابن المعتز عنى هذا النوع حينما نفاه من القرآن ، ولكن المصري قال « ومن هذا الباب نوع منطقي وهو استنتاج النتيجة من مقدمتين فان أهل هذا العلم قد ذكروا أن أول سورة الحج الى قوله : « وأن اللهَ يَبْعَثُ مَنْ في القبور»(٧) منطوٍ على خمس نتائج من عشر مقدمات . فالمقدمات من أول السورة الى قوله تعالى : « وأنبتت من كل زوج بهيج »(٨) والنتائج من قوله تعالى : « ذلك بأنَّ اللهَ هو الحقُّ » (٩) الى قوله : « وأن اللهَ يبعثُ مَنْ في القبور »(١٠) . وتفصيل ترتيب المقدمات والنتائج أن يقال : الله أخبر أن زلزلة الساعة شيءٌ عظيم ، وخبره

---

(١) الايضاح ص ٣٦٦ ، التلخيص ص ٣٧٤ ، شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٦٨ ، المطول ص ٤٣٥ ، الأطول ج ٢ ص ٢٠٩ .

(٢) عروس الافراح ج ٤ ص ٣٧٢ .

(٣) الروم ٢٧ .

(٤) المؤمنون ٩١ .

(٥) الأنبياء ٢٢ .

(٦) يس ٧٩ .

(٧) الحج ٧ .

(٨) الحج ٥ .

(٩) الحج ٦ .

(١٠) الحج ٧ .

هو الحق ، وأخبر عن المغيّب بالحق فهو حقّ ، فالله هو الحق ، والله يأتي بالساعة على تلك الصفات ولا يعلم صدق الخبر إلاّ بأحياء الموتى ليدركوا ذلك . ومن يأتي بالساعة يحيي الموتى فهو يحيي الموتى . وأخبر أن يجعل الناس من هول الساعة سكارى لشدة العذاب ولا يقدر على عموم الناس بشدة العذاب إلاّ من هو على كل شيءٍ قدير ، فالله على كل شيءٍ قدير . وأخبر ان الساعة يجازي فيها من يجادل في الله بغير علم ، ولا بدّ من مجازاته ، ولا يجازي حتى تكون الساعة آتية . ولا تأتي الساعة حتى يبعث من في القبور فهو يبعث من في القبور وان الله ينزّل الماء على الأرض الهامدة فتنبت من كل زوج بهيج والقادر على إحياء الارض بعد موتها يبعث من في القبور ، وان الله يبعث من في القبور » (١) .

وذكر المصري ان من هذا الباب جواب سؤال مقدر كقوله تعالى : « وما كان استغفارُ ابراهيمَ لأبيه » (٢) لان التقدير ان قائلاً قال بعد قوله تعالى : « ما كان للنبيّ والذين آمنوا أن يَسْتَغْفِروا للمشركين » (٣) ، فقد استغفر ابراهيم لأبيه فأخبر بقوله : « وما كان استغفارُ ابراهيمَ » والله أعلم (٤) .

فالمذهب الكلامي من أساليب القرآن الكريم وكلام العرب ، وقد أوضح الحموي هذه المسألة ورفض ما ذكره ابن المعتز فقال : « وقيل : إن ابن المعتز قال : لا أعلم ذلك في القرآن ، أعني المذهب الكلامي ، وليس عدم علمه مانعاً من علم غيره » (٥) .

الاحتراس :

الاحتراس من احترس منه أي تحرز ، وتحرّست من فلان واحترست منه بمعنى : تحفظت منه (٦) .

وقد تحدث الجاحظ عن « إصابة المقادير » وذكر ان طرفة قال في المقدار

---

(١) تحرير التحبير ص ١١٩ – ١٢٠ ، بديع القرآن ص ٣٨ وما بعدها .

(٢) التوبة ١١٤ (٣) التوبة ١١٣ . (٤) تحرير التحبير ص ١٢٢ .

(٥) خزانة الأدب ص ١٦٥ ، الاتقان ج ٢ ص ١٣٥ ، شرح عقود الجمان ص ١٢٣ ، حلية اللب ص ١٤٤ ، أنوار الربيع ج ٤ ص ٣٥٦ .

(٦) اللسان (حرس) .

وإصابته :

فسقى ديارَكِ – غير مفسدها– صَوْبُ الربيع وديمةٌ تَهمـــي

فانه طلب الغيث على قدر الحاجة ؛ لان الفاضل ضار (١) .

ومن محاسن الكلام عند ابن المعتز اعتراض كلام في كلام لم يُتمم معناه ثم يعود اليه فيتممه في بيت واحد كقول كثيّر :

لو انَّ الباخلين – وأنت منهم – رأوكِ تَعَلّموا منك المِطالا (٢)

وعدَّه ابن رشيق من تتميم المعنى ومبالغة في اللفظ شديدة وقال : « وهو الذي فتق للشعراء هذا الفن وتفنّنوا فيه ونوعوه فجاءوا بالاحتراس وغيره فقال طرفة : فسقى . . . »(٣) . وسماه في العمدة التتميم وقال : « وهو التمام أيضاً وبعضهم يسمي ضرباً منه احتراساً واحتياطاً » (٤) ثم عرفه بقولـــه : « ومعنى التتميم ان يحاول الشاعر معنى فلا يدع شيئاً يتم به حسنة إلاّ أورده وأتى به إما مبالغة وإما احتياطاً واحتراسا من التقصير » .

وسماه ابن سنان « التحرز » وقال : « وأما التحرز مما يوجبه الطعن فأن يأتي بكلام لو استمر عليه لكان فيه طعن فيأتي بما يتحرز من ذلك الطعن كقول طرفة : « فسقى . . . » فلو لم يقل – غير مفسدها – لظن به انه يريد توالي المطر عليها وفي ذلك فساد للديار ومحوٌ لرسومها » (٥) .

وسماه معظم البلاغيين الاحتراس ، وعرفوه بمثل ما عرّفهبه ابن سنان ، فقال ابن منقذ : « هو أن يكون على الشاعر طعن فيحترس منه » (٦) . وقال المصري : « هو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه دخل فيفطن له فيأتي بما يخلصه من ذلك»(٧)

وقال ابن مالك : « الاحتراس أن تأتي في المدح أو غيره بكلام فتراه مدخولاً بعيب من جهة دلالة منطوقه أو فحواه فتردفه بكلام آخر لتصونه عن احتمال الخطأ » (٨) .

---

(١) البيان ج ١ ص ٢٢٧ . (٢) البديع ص ٥٩ .
(٣) قراضة الذهب ص ٢٠ . (٤) العمدة ج ٢ ص ٥٠ .
(٥) سر الفصاحة ص ٣٢٢ . (٦) البديع في نقد الشعر ص ٥٥ .
(٧) تحرير التحبير ص ٢٤٥ ، بديع القرآن ص ٩٣ . (٨) المصباح ص ٩٧ .

وقال ابن الجوزية : « وهو أن يذكر لفظاً ظاهره الدعاء بالخير والنفع وذلك بما في ضمنه مما يوهم الشر فيذكر فيه كلمة تزيل ذلك الوهم وتدفع ذلك الوهن»(١)

ولا تخرج تعريفات أبي حيان والزركشي والحموي والمدني عن هذا المعنى (٢) وأدخله ملخصو المفتاح وشرّاحه في الاطناب وسمّوه الاطناب بالتكميل او الاحتراس وعرفه القزويني بقوله : « هو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه » (٣) .

فالاحتراس عند هؤلاء هو التكميل ، ولكن ابن مالك أفرد التكميل بفن آخر وعرّفه بقوله : « التكميل أن تأتي في شيءٍ من الفنون بكلام فتراه ناقصاً لكونه مدخولاً بعيب من جهة دلالة مفهومه فتكمله بجملة ترفع عنه النقص . مثل ان تجيد مدح رب السيف بالكرم دون الشجاعة أو رب القلم بالبلاغة دون سداد الرأي ونفاذ العزم فتراه ناقصاً فتذكر معه كلاماً يكمل المدح ويرفع ايهام الذم » (٤) . وفرّق المصري بين الاحتراس والتكميل والتتميم فقال : « إن المعنى قبل التكميل صحيح تام ثم يأتي التكميل بزيادة يكمل بها حسنه إما بفن زائد أو بمعنى . والتتميم يأتي ليتمم نقص المعنى ونقص الوزن معا ، والاحتراس لاحتمال دخل على المعنى وان كان تاماً كاملاً ووزن الكلام صحيحاً . وقد جعل ابن رشيق الاحتراس نوعاً من التتميم وسوّى بينهما ، وقد ظهر الفرق بينهما فجعلهما في باب واحد غير سائغ » (٥) . وفرّق بينه وبين المواربة فقال : « والفرق بينه وبين المواربة ــ بالراء المهملة ــ ايضاً ، أن الاحتراس يؤتى به وقت العمل عندما يتفطن المتكلم لموضع الدّخَل ، والمواربة يُؤتى بها وقت العمل وبعد صيرورة الكلام . والمواربة ــ بالراء المهملة ــ تكون بالتصحيف والتحريف واهتدام الكلمة والزيادة

---

(١) الفوائد ص ١٥٢ .

(٢) البحر المحيط ج ٦ ص ٢٣٦ ، البرهان ج ٣ ص ٦٤ ، خزانة ص ٤٥٨ ، أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٨٥ .

(٣) الايضاح ص ٢٠٢ ، التلخيص ص ٢٢٩ ، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٣١ ، المطول ص ٢٩٥ ، الاطول ج ٢ ص ٤٦ ، الاتقان ج ٢ ص ٧٤ ، شرح عقود الجمان ص ٧٥ .

(٤) المصباح ٩٨ .

(٥) تحرير التحبير ص ٢٤٥ ، وينظر خزانة الأدب ص ٤٥٨ .

والنقص ، والاحتراس بزيادة الجمل المفيدة المتضمنة معنى الانفصال عمّا يحتمله الكلام من الدخل ، والمواربة تكون في نفس الكلام وتكون منفصلة عنه . والاحتراس لا يكون إلاّ في نفس الكلام » . ثم فرّق بينه وبين المناقضة والانفصال فقال : « إن الاحتراس هـو ما فطن له الشاعر أو الناثر وقت العمـل فاحترس منـه . والانفصال ما لم يفطن له حتى يدخُل عليه ، فيأتي بجملة من الكلام أو بيت من الشعر ينفصل به عنه ذلك الدخَل » (١) .

والامثلة التي ذكرها معظم البلاغيين واحدة ، وقد اتفقوا على تسمية هذا الفن احتراسا – ما عدا بعضهم – وفرقوا بينه وبين التكميل والتتميم . ومن أمثلة هذا الفن في الكتاب العزيز قوله تعالى : « وقيل بُعْداً للقوم الظالمين » (٢) فانه – تعالى – لما أخبر بهلاك من هلك بالطوفان أعقبه بالدعاء على الهالكين ووصفهم بالظلم ليعلم أن جميعهم كان مستحقاً للعذاب احتراساً من ضعيف يتوهم أن الهلاك ربما شمل من لا يستحق العذاب ، فلما دعا على الهالكين ووصفهم بالظلم عُلم استحقاقهم لما نزل بهم وحلّ بساحتهم وظهر من ذلك صدق وعده لنبيه نوح – عليه السلام – وأعلمنا أنه قد أنجزه وعده الذي قال فيه : « ولا تُخاطبني في الذين ظلموا إنّهم مُغْرَقُون » (٣) .

ومن ذلك قول الخنساء :

ولولا كثرةُ الباكينَ حولي ... على إخوانهم لَقَتَلْتُ نَفْسي

ثم تخيّلت ان قائلاً قال لها : لقد ساويت أخاك بالهالكين من إخوان الناس فكيف أفرطت في الجزع عليه دونهم ؟ فاحترست من ذلك بقولها :

وما يبكون مثل أخي ولـكن ... أعـزّي النفْسَ عنه بالتأسي

وقول الفرزدق :

لَعَنَ الالـهُ بني كُليب إنهم ... لا يَغْدُرون ولا يَفون لجارِ

---

(١) تحرير التحبير ص ٢٤٥ .
(٢) هود ٤٤ .
(٣) هود ٣٧ .

فقوله : « لا يفون » احتراس لئلا يتوهم ان عدم غدرهم من الوفاء فقال : « ولا يفون » ليفيد انه للعجز ، وقوله : « لجار » ايغال ؛ لان ترك الوفاء للجار أشد قبحا .

الاحجية :

الاحجية مفرد الأحاجي وقد تقدمت ، والأحجية اللغز والمعمى ، وهذا قريب من التورية (١) .

الاختتام :

الاختتام من اختتم ، وهو نقيض الافتتاح (٢) . وهو في البلاغة أن يختم البليغ كلامه في اي مقصد كان بأحسن الخواتم فانها آخر ما يبقى على الاسماع . وينبغي تضمينها معنى تاما يؤذن السامع بانه الغاية والمقصد والنهاية . وهذه تسمية العلوي (٣) أما غيره فيسميه حسن الختام أو الخاتمة (٤) .

ومن أمثلة ذلك خواتيم القرآن الكريم « فان الله تعالى ختم كل سورة من سوره بأحسن ختام وأتمها باعجب إتمام ، ختاماً يطابق مقصدها ويؤدي معناها من أدعية أو وعد أو وعيد أو موعظة أو تحميد وغير ذلك من الخواتيم الرائقة »(٥) . ومن ذلك ما قاله أبو تمام يذكر فتح عمورية ويهنئ المعتصم بها :

إن كان بين صروف الدهر من رَحِمٍ
موصولةٍ أو ذمامٍ غير مقتضبِ
فبين أيامك اللاتي نُصِرْتَ بها
وبين أيام بَدْرٍ أقربُ النسبِ

(١) عروس الأفراح ج ٤ ص ٤٧٣ . وينظر المثل السائر ج ٢ ص ٢٢٤ .
(٢) اللسان (ختم) .
(٣) الطراز ج ٣ ص ١٨٣ .
(٤) تحرير التحبير ص ٦١٦ ، بديع القرآن ص ٣٤٣ ، خزانة الأدب ص ٤٦٠ ، أنوار الربيع ج ٦ ص ٣٢٤ .
(٥) الطراز ج ٣ ص ١٨٣ — ١٨٤ .

وما قاله المتنبي :

قد شرَّفَ اللهُ أرْضاً أنت ساكنُها وَشرَّفَ الناس إذ سوّاك إنسانا

وما قاله أبو نواس في المأمون :

فبقيت للعـــلم الذي تَـهدي لــه وتقاعَسَتْ عن يومك الأيامُ

الاختراع :

الاختراع من اخترع الشيْ أي ارتجله ، والخَرَع – بالتحريك – والخراعة : الرخاوة في الشيْ ، ومنه قيل لهذه الشجرة الخِرْوَع لرخاوته ، وقيل : الخِروَع : كل نبات قصيف ريّانمن شجر أو عشب ، وكل ضعيف رِخو خَرِعٌ وخَرِيع(١)

والاختراع عند ابن وهب « ما اخترعت له العرب اسماً مما لم تكن تعرفه »(٢) وليس هذا ما قصد اليه البلاغيون والنقاد ، فالاختراع عند ابن رشيق : « خلق المعاني التي لم يسبق اليها والاتيان بما لم يكن منها قط ، والابداع إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف والذي لم تجرِ العادة بمثله ، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وان كثر وتكرر ، فصار الاختراع للمعنى والابداع للفظ » (٣) . ثم قال : واشتقاق الاختراع هو من التليين ، يقال « بيت خرع » إذا كان لينا ، والخروع « فِعْوَل » منه ، فكأن الشاعر سهّل طريقة هذا المعنى ولينه حتى أبرزه » . وهذا ما أشارت اليه المعاجم في « خرع » .

وعدّ القرطاجني الاختراع الغاية في الاستحسان ، قال : « فمراتب الشعراء فيما يلمّون به من المعاني إذن أربعة : اختراع واستحقاق وشركة وسرقة . فالاختراع هو الغاية في الاستحسان ، والاستحقاق تالٍ له ، والشركة منها ما يساوي الآخِر فيه الأول فهذا لا عيب فيه ، ومنها ما ينحطّ فيه الآخر عن الأول فهذا معيب ، والسرقة كلها معيبة وان كان بعضها أشد قبحاً من بعض » (٤) .

---

(١) اللسان (خرع) .
(٢) البرهان في وجوه البيان ص ١٥٨ .
(٣) العمدة ج ١ ص ٢٦٥ .
(٤) منهاج البلغاء ص ١٩٦ .

وقال ابن قيّم الجوزية : « الاختراع هو أن يذكر المؤلف معنى لم يسبق اليه، واشتقاقه من التليين والتسهيل ، يقال : نبت خَرِع إذا كان لينا فكأن المتكلم سهل طريقه حتى أخرجه من العدم الى الوجود . ومنه في القرآن كثير ، من ذلك قوله تعالى : « إنّ الذين تَدْعُون من دُونِ الله لن يَخْلُقُوا ذُبابا ولو اجتمعوا له ، وإن يَسْلُبْهُمُ الذبابُ شيئاً لا يَسْتَنقِذوه منه ، ضَعُفَ الطالبُ والمطلوبُ »(١).

ولم يسمع بمثل هذا التمثيل البديع لأحد قبل نزول القرآن ولو سمع لكان القرآن سابقا ولا يكون مثله ولا قريباً منه وكذلك جميع أمثال القرآن ليس لها أمثال . .

ومثال ذلك من السنة النبوية قوله — صلى الله عليه وسلم — : « حمي الوطيس» فان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أول من تكلم بهذا حين قدّم المسلمون خالد بن الوليد في غزوة مؤتة حين حمل خالد في العدو ، والوطيس هو التنور ، فعبّر بشدة حميه ووقوده عن شدة الحرب واتقادها واتقاد نارها حين حمل خالد ابن الوليد رضي الله عنه . ومن ذلك قوله — صلى الله عليه وسلم — : « السعيد من وعظ بغيره » . ومن ذلك قوله — صلى الله عليه وسلم — : « أما بعد » (٢) .

وقد تكلم البلاغيون على هذا الفن في باب « سلامة الاختراع » ولم ينفرد بمثل هذا البحث غير ابن قيم الجوزية كما تشير الى ذلك المصادر المعروفة .

الاختزال :

الاختزال : الاقتطاع ، يقال : اختزله عن القوم مثل اختزعه ، واختزل فلان المالَ : اذا اقتطعه ، والاختزال : الحذف استعمله سيبويه كثيراً وقال ابن سيده : « لا أعلم ذلك عن غيره » ، وانخزل في كلامه : انقطع (٣) .

والاختزال من أنواع الحذف ، وقد قسّم بعضهم هذا الاسلوب عدة أقسام، والاختزال أحد تلك الأقسام ، وهو ما ليس اقتطاعاً أي حذف بعض حروف الكلمة ، أو اكتفاءً أي حذف أحد الشيئين المتلازمين ، أو احتباكاً أي الحذف

---

(١) الحج ٧٣ .
(٢) الفوائد ص ١٥٦ .
(٣) اللسان (خزل) .

من الأول ما اثبت نظيره في الثاني ، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول .

والاختزال أقسام ، لان المحذوف اما كلمة : اسم ، أو فعل ، أو حرف ، أو أكثر (١) .

ومن حذف الاسم ، حذف المضاف ، وهو كثير جداً في القرآن الكريم ومنه « الحجُ أشْهُرٌ » (٢) أي: حج أشهر ، و « حُرِمَتْ عليكم أمهاتكم »(٣) أي : نكاح امهاتكم .

وحذف المضاف اليه مثل قوله تعالى: « ربّ اغْفِرْلي » (٤) ، أي : يا ربي.

وحذف المبتدأ كقوله : « وما أدراك ماهيه . نارٌ حامية » (٥) أي : هي نار ، وقوله : « ومن عَمِلَ صالحاً فلنفْسِهِ » (٦) أي : فعمله لنفسه ، وقوله : « صُمٌ بُكْمٌ عُمْيٌ » (٧) ، أي : هم ، وقوله : « أُكُلُها دائم وظلُّها »(٨) أي : دائم . وحذف الموصوف كقوله تعالى : « وعندهم قاصِراتُ الطرْفِ »(٩) أي : حور قاصرات .

وحذف الصفة كقوله : « يأخذ كُلَّ سَفينة » (١٠) أي : صالحة .

وحذف المعطوف عليه كقوله: « أنِ اضْرِبْ بعصاكَ البَحْرَ فانْفَلَقَ »(١١) أي : فضرب فانفلق .

وحذف المعطوف مع العاطف كقوله تعالى : « لا يَسْتوي منكم مَنْ أنْفَقَ مِن قَبْلِ الفتح وقاتَل » (١٢) أي : : ومن أنفق بعده .

وحذف المُبدل منه كقوله : « ولا تقولوا لما تَصِفُ ألْسِنَتُكُمْ الكَذِبَ »(١٣) أي : لما تصفه ، والكذب بدل من الهاء .

وحذف الفاعل معنى كقوله : « لا يَسْأَمُ الانسانُ من دعاءِ الخير» (١٤) أي :

---

(١) معترك ج ١ ص ٣٢٣ ، الاتقان ج٢ ص ٦٢ .
(٢) البقرة ١٩٧ .
(٣) النساء ٢٣ .
(٤) الاعراف ١٥١ .
(٥) القارعة ٩- ١٠ .
(٦) الجاثية ١٥ .
(٧) البقرة ١٨ .
(٨) الرعد ٣٥ .
(٩) الصافات ٤٨ .
(١٠) الكهف ٧٩ .
(١١) الشعراء ٦٣ .
(١٢) الحديد ١٠ .
(١٣) النحل ١١٦ .
(١٤) فصلت ٤٩ .

دعائه الخير . وحذف المفعول مثل قوله : « إن الذين اتخذوا العِجْل » (١) أي : إلها .

وحذف الحال كقوله : « والملائكةُ يدخُلونَ عليهم من كلِ بابٍ سلامٌ »(٢) أي : قائلين . وحذف المنادى كقوله تعالى: « ألا يا اسْجُدوا »(٣) أي: يا هؤلاء .

وحذف العائد ، ويقع في أربعة أبواب :

الاول : الصلة كقوله تعال : « أهذا الذي بَعَثَ اللهُ رسولا ؟ » (٤) .

الثاني : الصفة ، كقوله : « واتقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفس(٥) » أي : فيه .

الثالث : الخبر ، كقوله : « وكلاً وَعَدَ اللهُ الحسنى »(٦) أي : وعده .

الرابع : الحال ، كقولهتعالى « والملائكةُ يَدْخُلونَ عليهم من كل باب سلام (٧) » أي : : قائلين . وحذف مخصوص نعم كقوله : « إنا وجدناه صابراً نعم العَبْدُ » (٨) أي : أيوب .

وحذف الموصول كقوله : « آمنا بالذي أُنزل الينا وأُنْزِلَ اليكم » (٩) اي : والذي أنزل اليكم ؛ لان الذي أنزل الينا ليس هو الذي أنزل الى من قبلنا ، ولهذا أعيدت « ما » في قوله : « قولوا آمنا بالله وما أُنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم »(١٠)

ويطرد حذف الفعل اذا كان مفسراً كقوله تعالى : « وإنْ أحَدٌ من المشركين استجارك » (١١) أي : وإن استجارك أحد .

ويكثر في جواب الاستفهام كقوله : « قيل للذين اتقوا ماذا أنزَل ربكم ؟ قالوا : خيرا » (١٢) .

---

(١) الاعراف ١٥٢ . (٢) الرعد ٢٣-٢٤ .

(٣) في المصحف سورة النحل الآية ٢٥ ؛ «ألا يسجدوا » . وماذكره السيوطي في معترك ج ١ص ٣٢٦ احدى القراءات في الآية . التفصيل في هذه المسألة ينظر البحر المحيط ج ٧ ص ٦٨ – ٦٩.

(٤) الفرقان ٤١ . (٥) البقرة ٤٨ . (٦) النساء ٩٥.

(٧) الرعد ٢٣ -٢٤ . (٨) ص ٤٤ .

(٩) العنكبوت ٤٦ . (١٠) التوبة ٦ .

(١١) الانشقاق ١ . (١٢) النحل ٣٠ .

أي : أنزل .

وأكثر منه حذف القول كقوله : « وإذ يرفع ابراهيمُ القواعدَ من البيت واسماعيل ربنا » (١) أي : يقولان ربنا .

ويأتي في غير ذلك كقوله : » انتهوا خيراً لكم » (٢) أي : واتوا ، وقوله : « والذين تبوؤا الدارَ والايمان » (٣) أي : والفوا الايمان واعتقدوه .

ومن حذف الحروف حذف همزة الاستفهام كقوله تعالى : « سواءٌ عليهم أنْذَرْتَهُمْ »(٤) أي : أ أنذرتهم ؟

وحذف الموصول الحرفي كقوله : « ومن آياته يُريكم البَرْق » (٥) ، أي : أن يريكم .

وحذف الجار يطرد مع أنْ وأنّ كقوله : « يمنّون عليك أن أسْلَموا ، قل لا تمنّوا عليّ اسلامَكم ، بل الله يَمُنّ عليكم أنْ هداكم »(٦) أي : بأنْ . وقوله : « أيعدكم أنكم » (٧) أي : بانكم . وجاء مع غيرهما كقوله : « قدّرناه منازِلَ » (٨) أي : قدرنا له .

وحذف العاطف كقوله : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم، قلتَ : لا أجِدُ ما أحملكم عليه تولوا » (٩) أي : وقلت .

وحذف فاء الجواب كقوله : « إنْ تَرَكَ خيراً الوصيةُ للوالدينِ والأقْربين »(١٠) أي : فالوصية .

وحذف حرف النداء وهو كثير كقوله : « يُوسُفُ أعْرِضْ عن هذا »(١١) أي : يا يوسف . وحذف « قد » في الماضي إذا وقع حالاً كقوله : « أوجاءوكم حَصِرَت صدورُهم »(١٢) أي : قد حصرت .

---

(١) البقرة ١٢٧ .
(٢) النساء ١٧١ .
(٣) الحشر ٩ .
(٤) البقرة ٦ .
(٥) الروم ٢٤ .
(٦) الحجرات ١٧ .
(٧) المؤمنون ٣٥ .
(٨) يس ٣٩ .
(٩) التوبة ٩٢ .
(١٠) البقرة ١٨٠ .
(١١) يوسف ٢٩ .
(١٢) النساء ٩٠ .

وحذف « لا » النافية كقوله : « تاللهِ تفتأُ »(١) أي لا تفتأ . وقوله : « وعلى الذين يُطيقونَه » (٢) أي : لا يطيقونه .

وحذف لام التوطئة كقوله : « وإن لم يَنْتَهوا عمّا يقولون ليمَسّنّ »(٣) أي : ولئن لم ينتهوا .

وحذف لام الأمر كقوله : « قل لعبادي الذين آمنوا يُقيموا الصلاةَ »(٤) أي : ليقيموا . وحذف لام « لقد » كقوله : « قد أفْلَح من زَكّاها » (٥) أي : لقــد .

ومن حذف أكثر من كلمة حذف مضافين كقوله : « فانها من تَقْوَى القلوب » (٦) أي : فان تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب .

وحذف ثلاثة متضايفات كقوله : « فكان قابَ قوسينِ » (٧) أي : فــكان مقدار مسافة قربه مثل قاب ، فحذف ثلاثة من اسم كان وواحد من خبرها .

وحــذف مفعــولي باب « ظن » كقــوله : « أينَ شركائي الذين كنتــم تَزْعُمون»(٨) أي : تزعمونهم شركاء .

وحذف الجار مع المجرور كقوله : « خلَطوا عملاً صالحاً » (٩) أي : بسيِّئٍ ، و « آخر سيئاً » أي : بصالح .

وحذف العاطف مع المعطوف كقوله : « بيدك الخير » (١٠) أي : والشر .
وحذف حرف الشرط وفعله ويطرد بعد الطلب كقوله : « فاتبعوني يحببكم الله »(١١) أي : إن اتبعتموني .
وحذف جواب الشرط كقوله : « فان استطَعْتَ ان تبتغي نَفَقاً في الارض أو سُلّماً في السماء »(١٢) أي : فافعل .

---

(١) يوسف ٨٥ .
(٢) البقرة ١٨٤ .
(٣) المائدة ٧٣ .
(٤) ابراهيم ٣١ .
(٥) الشمس ٩ .
(٦) الحج ٣٢ .
(٧) النجم ٩ .
(٨) القصص ٦٢ ، ٧٤ .
(٩) التوبة ١٥٢ .
(١٠) آل عمران ٢٦ .
(١١) آل عمران ٣١ .
(١٢) الانعام ٣٥ .

وحذف جملة القسم كقوله : « لأُعَذِّبَنَّه عَذاباً شَدِيدا » (١) أي : والله .
وحذف جوابه كقوله : « والنازعات غرقا . . . »(٢) الآيات ، أي : لتبعثن .

وحذف جملة مسببة عن المذكور كقوله : « ليُحِقَّ الحقَّ ويبطلَ الباطلَ » (٣) أي : فعل ما فعل .

ومنه حذف جمل كثيرة كقوله تعالى : « فارسلونِ . يوسُفُ أيُّها الصدّيقُ »(٤) أي : فأرسلوني الى يوسف لاستبصره الرؤيا ففعلوا فأتاه فقال له : يا يوسف . وهذا هو ايجاز الحذف الذي تكلم عليه البلاغيون ولكن السيوطي (٥) وضع له مصطلحاً وسماه « الاختزال » وفصّل القول فيه تفصيلا ، وجاء بأمثلة من كتاب الله وحده .

والاختزال عند السجلماسي أحد أنواع المفاضلة وهو « قول مركب من أجزاء فيه مشتملة بجملتها على مضمون تنقص عنه بطرح جزء منها شأنه أن يصرح به » (٦) ، وهو نوعان « الاصطلام » و « الحذف » .

الاختصار :

الاختصار هو الايجاز ، وقد قال عنه عياش بن صحار هو « اللمحة الدالة » حينما سأله معاوية : « ما أقرب الاختصار ؟ » (٧) . وهذا الاسلوب من أبرز أساليب العرب ، فقد اهتموا بالعبارة الموجزة والكلام المختصر ليسهل حفظه ويكون تأثيره في النفوس عظيما . وقد حدّد البلاغيون والنقاد اسلوب التعبير تبعاً للموضوع فقال ابن منقذ وهو يتحدث عن الاسهاب والاطناب والاختصار والاقتصار : « اعلم أنّ كل واحد من هذه الأقسام له موضع يأتي فيه فيحمد فان أتى في غيره لم يحمد . فان كان في الترغيب والترهيب والاصطلاح بين العشائر والاعتذار والانذار الى الأعداء والعساكر وما أشبه ذلك فيستحب فيه التطويل والشرح .

---

(١) النمل ٢١ .
(٢) النازعات ١ .
(٣) الأنفال ٨ .
(٤) يوسف ٤٥ — ٤٦ .
(٥) معترك ج ١ ص ٣٢٣ ، الاتقان ج ٢ ص ٦٢ ، وينظر الحذف في كتاب الاشارة الى الايجاز ص ٦ وما بعدها .
(٦) المنزع البديع ص ٧٦ .
(٧) الكامل ج ٢ ص ٧٠٤ .

وأما غير ذلك فيستحب فيه الاختصار والاقتصار » (١) .

ومدحت العرب التطويل والتقصير فقال الشاعر :

يَرْمُون بالخُطَبِ الطِوال وتارةً ... وَحْيِ المَلاحظِ خِيفةَ الرُقَباءِ(٢)

وقال السيوطي عن الاختصار : « الايجاز والاختصار بمعنى واحد كما يؤخذ من المفتاح وصرّح به الخطيبي . وقال بعضهم : الاختصار خاص بحذف الجمل فقط بخلاف الايجاز . قال الشيخ بهاء الدين : وليس بشيءٍ»(٣) . وذلك لانّ الايجاز عند البلاغيين قد يكون بحذف الكلمة أو الجملة أو الجمل وهو ما سموه « ايجاز الحذف » .

الاختصاص :

الاختصاص من اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد ، ويقال : خصّصه واختصه : أفرده به دون غيره (٤) .

والاختصاص عند الاصوليين التخصيص ، وقد اختلفت فيه عبارات أهل العلم فقال بعضهم : « هو اخراج صورة من حكم كان يقتضيها الخطاب به لولا التخصيص » . وهو شبيه بالنسخ من حيث اشتراكهما في اللبس ومن حيث أن كل واحد منهما يقتضي اختصاص الحكم ببعض ما تناوله اللفظ . وقد فرّق ابن الجوزية بينهما من وجوه خمسة (٥) :

الأول : أن الناسخ لا يكون إلا متأخراً عن المنسوخ .

الثاني : ان النسخ لا يكون إلا بخطاب رفع بحكم الخطاب الاول ، والتخصيص قد يقع بقول وفعل وقياس .

الثالث : ان نسخ الشيءْ لا يكون إلاّ بما هو مثله في القوة أو بما هو أقوى

---

(١) البديع في نقد الشعر ص ١٨٢ .

(٢) البيان ج ١ ص ٤٤ ، كتاب الصناعتين ص ٥٨ ، زهر الآداب ج ١ ص ١١٤ .

(٣) معترك ج ١ ص ٢٩٥ ، الاتقان ج ٢ ص ٥٤ .

(٤) اللسان (خصص) .

(٥) الفوائد ص ١٥٢ .

منه في الرتبة ، والتخصيص جائز بما هو دون المخصوص في الرتبة .

الرابع : ان التخصيص لا يقع في حكم واحد والنسخ جائز في مثله لا سيما على أصل من يبني نسخ الشيء قبل وقته .

الخامس : ان التخصيص ما أخرج من الخطاب ما لم يرد به ، والنسخ رافع ما أريد اثبات حكمه .

ثم قال : «والذي اعتمد عليه المحققون أن التخصيص اخراج بعض ما تناوله اللفظ العام أو ما يقوم مقامه بدليل منفصل في الزمان إن كان المخصص لفظياً أو بالحس إن كان عقلياً قبل تقرير حكمه » .

ثم قال : « والتخصيص يسميه أرباب علم البيان الاختصاص عندهم ولا يحسن إلاّ أن يكون اختصاص الشيء بمعنى ظاهر ، مثل قوله تعالى : « وانه هورب الشِعْرى » (١) اختصاصها دون سائر النجوم لانها عبدت ، وقيل : إن النجوم تقطع السماء طولاً وهي تقطعها عرضاً » .

ومن كلام العرب قول الخنساء في أخيها صخر :

يذكّرني طلوعُ الشمس صَخْراً وأذكره لكل غروبِ شَمْسِ

وانما خصت هذين الوقتين لان طلوع الشمس يذكرها بغارته على أعدائها ، وغروبها يذكرها باقرائه ضيفانه ، فاختصت لهذين الوقتين من بين سائر الاوقات لهذين المعنيين .

وعبارات التخصيص ثلاثة :

الاولى : انما جاءني زيد .

الثانية : جاءني زيد لا عمرو .

الثالثة : ما جاءني إلاّ زيد .

فيفهم من الاولى تخصيص المجيء أو تخصيص مجيء معين ظنه المخاطب مخصوصاً بغيره أو مشاركاً غيره فيه فأفاد اثباته لزيد ونفيه عن غيره دفعة واحدة ومن الثانية في

---

(١) النجم ٤٩ .

دفعتين ، والثالثة بأصل الوضع تفيد نفي التشريك ولهذا لا يصح « ما زيد إلاّ قائم لا قاعد » لانك بقولك : « إلا قائم » نفيت عنه كل صفة تنافي القيام فيندرج فيه نفي القعود فيقع « لا قاعد » تكراراً . ويصح « انما زيد قائم لا قاعد » فان صيغة « انما » موضوعة للتخصيص ويلزمه نفي الشركة فليس له من القوة ما يدل عليه بالوضع ، ولهذا يصح « زيد هو الجائي لا عمرو » . فدلالة الأوليين على التخصيص أقوى ، ودلالة الثالثة على نفي التشريك . وقد تذكر الثالثة في مثل ما أدعى واحد أنك قلت قولاً ثم قلت بخلافه فتقول : « ما قلت إلا ما قلته قبل» وعليه قوله تعالى حكاية عن عيسى — عليه الصلاة والسلام — : « ما قلتُ لهم إلاّ ما أمرتني به »(١) . ليس المعنى : اني لم أزد على ما أمرتني به أن أقوله شيئاً، ولكن المعنى : اني لم أدع مما أمرتني به أن أقوله شيئاً ولم يذكر ما يخالفه .

وحكم « غير » اذا وقع موقع « إلاّ » حكم « إلاّ » ، وأما « انما » فالاختصاص فيها يقع مع المتأخر ، فاذا قلت : « انما ضرب عمراً زيدٌ » فالاختصاص في الضارب كما قال سبحانه وتعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماءُ » (٢) . واذا قلت : « انما ضرب زيدٌ عمراً » فالاختصاص في المضروب. واذا قلت : « انما هذا لك » فالاختصاص في « لك » بدليل انك تقول بعده : « لا لغيرك » . واذا قلت : « إنما لك هذا » فالاختصاص في « هذا » بدليل انك تقول بعده « لا ذاك » قال الله تعالى : « فانما عليك البلاغُ وعلينا الحسابُ »(٣) فاذا وقع بعدها الفعل فالمعنى ان ذلك الفعل لا يصحّ إلاّ من المذكور كقوله تعالى : « إنّما يتذكّرُ أولو الألباب » (٤) .

وقد يجمع معها حرف النفي إمّا متأخراً كقولك : « انما جاءني زيد لا عمرو» واما متقدماً كقولك : « ما جاءني زيد وانما جاءني عمرو » ، فهناك لو لم تدخل « انما » كان الكلام مع من ظن أيهما جاءك ، وان أدخلها كان الكلام مع من

---

(١) المائدة ١١٧ .
(٢) فاطر ٢٨ .
(٣) الرعد ٤٠ .
(٤) الرعد ١٩ .

غلط في الجائي . ولو قلت : « إنّ عمراً جاءني » فان كانت المستغنى عنها فظهرت فائدة دخول « ما » على « إن » في « إنما » (١) .

الاختلاس :

الخَلْس : الأخذ في نهزة ومخاتلة ، والاختلاس كالخلس ، وقيل انه اوحى من الخلس وأخص . وخلست الشيءُ واختلسته وتخلّسْته اذا استلبته (٢) .

والاختلاس من أنواع السرقات التي ذكرها الاوائل كالقاضي الجرجاني الذي قال : « واست تعدّ من جهابذة الكلام ونقاد الشعر حتى تميز بين أصنافه وأقسامه وتحيط علماً برتبه ومنازله فتفصل بين السرق والغصب ، وبين الاغارة والاختلاس »(٣)

ولم يذكر الفرق بين الاغارة والاختلاس . وذكر ابن رشيق الاختلاس ولم يحدده واكتفى بذكر أمثلة له ، ومن ذلك قول أبي نواس :

مَلَكٌ تصوّر في القلوب مثاله ... فكأنه لم يَخْلُ منه مكانُ

اختلسه من قول كثير :

أريد لانسى ذكرها فكأنما ... تَمثّلُ لي ليلى بكل سبيلِ(٤)

وهذا غير الاغارة التي حدّدها بقوله : « الاغارة أن يصنع الشاعر بيتاً ويخترع معنى مليحاً فيتناوله من هو أعظم منه ذكراً وأبعد صوتاً فيروى له دون قائله »(٥) ومعنى ذلك ان الاختلاس هو التأثر ، اما الاغارة فهي السلب والادعاء .

اختلاف صيغ الألفاظ واتفاقها :

عدّ ابن الاثير اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها النوع السادس من الصناعة اللفظية « الالفاظ المركبة » وقال : وهو من هذه الصناعة بمنزلة عليّة ومكانة شريفة ، وجلّ الألفاظ منوطة به . والقد لقيت جماعة من مدعي فن الصناعة

---

(١) الفوائد ص ١٥٢ وما بعدها .

(٢) اللسان (خلس) .

(٣) الوساطة ص ١٨٣ .

(٤) العمدة ج ٢ ص ٢٨٧ .

(٥) العمدة ج ٢ ص ٢٨٤ .

وفاوضتهم وفاوضوني وسألتهم وسألوني فما وجدت أحداً منهم تيقّن معرفة هذا الموضوع كما ينبغي ، وقد استخرجت فيه أشياء لم أسبق اليها » (١) . ومن ذلك ان الالفاظ اذا نقلت من هيئة الى هيئة انتقل قبحها فصار حسنا وحسنها فصار قبحا . مثل لفظة « خَوْد » فانها المرأة الناعمة ، واذا نقلت الى صيغة الفعل قيل « خوَّد » ومعناها أسرع . فهي على صيغة الاسم جميلة رائعة ، وليست حسنة اذا جاءت فعلاً كما في قول أبي تمام :

والى بني عبدالكريم تواهَقَتْ   رَتَكُ النعام رأى الظلام فخوّدا (٢)

ومن ذلك لفظة « وَدَعَ » وهي فعل ماض لا ثقل بها على اللسان ، ولكنها حينما جاءت بهذه الصيغة لم تحسن كقول أبي العتاهية :

أثروا فلم يُدخِلوا قبورَهم   شيئاً من الثروة التي جَمعوا
وكان ما قدَّموا لأنفسهم   أعظمَ نفعاً من الذي وَدَعوا

وكانت حسنة بديعة بصيغة الأمر كقوله تعالى : « وَدَعْ أذاهم وتوكّل على الله »(٣) وبصيغة المستقبل كما في قوله — صلى الله عليه وسلم — وقد واصل في شهر رمضان فواصل معه قوم : « لو مُدّ لنا الشهر لواصلنا وصالاً يدع له المتعمقون تعمقهم ». وقول المتنبي :

تشقكم بقناها كل سَلْهَبَةٍ   والضربُ يأخذ منكم فوق ما يَدَعُ (٤)

ومثل ذلك لفظة « وَذَرَ » فانها لا تأتي بصيغة الماضي وانما بصيغة الأمر كقوله تعالى : « ذَرْهُم يأكلوا ويتمتّعوا » (٥) ، وصيغة المستقبل كقوله : « سأُصْليه سَقَرَ . وما أدراك ما سَقَرُ . لا تُبقي ولا تَذَرُ » (٦)

---

(١) المثل السائر ج ١ ص ٢٨١ ، الجامع الكبير ص ٢٧١ .
(٢) تواهقت الابل : مدت أعناقها وتبارت في السير . رتك البعير : عدا في مقاربة خطو . خود : سار مسرعا .
(٣) الأحزاب ٤٨ .
(٤) السلهب : الطويل .
(٥) الحجر ٣ .
(٦) المدثر ٢٦ — ٢٨ .

وقد تكون اللفظة حسنة وهي مفردة ولكنها تفقد ذلك الحسن حينما تثنى ، ومن ذلك « الأخدع » التي جاءت حسنة رائعة في قول الشاعر :

تلفتُّ نحو الحيّ حتى وجدتني وَجِعْتُ من الاصغاء ليتاً وأخدعا (١)

وجاءت ثقيلة مستكرهة في قول أبي تمام :

يا دهرُ قوّم من أخدعيك فقد أضججْتَ هذا الأنامَ من خُرُقِكْ

وعلة ذلك انها في الاول مفردة وفي الثاني مثناة .

ومن الالفاظ ما لا يحسن إلا بصيغة الجمع ، كلفظة اللب أي العقل، فانها وردت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة وهي مجموعة ولم ترد مفردة ، كقوله تعالى : « وليتذكّرَ أولو الالباب » (٢) ، وقوله : « إنّ في ذلك لذكرى لأولي الألباب » (٣) .

ومنها ما لا يحسن إلاّ في الافراد كلفظة « الطيف » التي تفقد جمالها حينما تجمع فيقال : « طُيوف » .

وللصيغ أثر في الحسن والقبح ، ولكن الذوق والثقافة والممارسة هي التي تضع الحقيقة أمام المتذوقين ، أي انه لا تحدد هذه المسائل بقواعد ثابتة يرجع اليها الدارسون ، وان كان الاستقراء يقود الى اسس عامة كما فعل ابن الأثير الذي قال : « وأما فعل وافعوعل فانا نقول: أعشب المكان، فاذا كثر عشبه قلنا : اعْشَوْشَبَ . فلفظة « افْعَوْعَل » للتكثير ، على اني استقريت هذه اللفظة في كثير من الألفاظ فوجدتها عذبة طيبة على تكرار حروفها كقولنا : اخْشَوْشَنَ المكان، واغرورقت العين ، واحلولى الطعم وأشباهها . وأما « فُعَلَة » نحو : هُمَزَة ولُمَزَة وجُثَمة ونُوَمَة ولُكَنة ولُحَنَة وأشباه ذلك فالغالب على هذه اللفظة أن تكون حسنة ، وهذا أخذته بالاستقراء ، وفي اللغة مواضع كثيرة لا يمكن استقصاؤها . فانظر الى ما يفعله اختلاف الصيغة بالألفاظ ، وعليك أن تتفقد أمثال هذه المواضع

---

(١) الليت : صفحة العنق . الأخدع : عرق في صفحة العنق .
(٢) ص ٢٩ .
(٣) الزمر ٢١ .

لتعلم كيف تضع يدك في استعمالها ، فكثيراً ما يقع فحول الشعراء والخطباء في مثلها ، ومؤلف الكلام من كاتب وشاعر إذا مرّت به ألفاظ عرضها على ذوقه الصحيح فما يجد الحسن منها موحّداً وحّده ، وما يجد الحسن منها مجموعاً جمعه ، وكذلك يجري الحكم فيما سوى ذلك من الألفاظ » (١) .

اختلاف صيغ الكلام :

يعمد الأديب الى صيغ مختلفة من الكلام لئلا يتكرر فيثقل وتمجه الاسماع ، قال التنوخي : « واذا تكرر واختلف المعنى وكان في الكلام دليل على معنى كل واحد من المتكررين فهو التجنيس ، وهو مما يستحسن ولا يتجنب ، فان لم يكن في الكلام ما يفي بتبيين المعنيين والحاق كل واحد منهما بلفظه فذلك مما ينبغي أن يتجنب ولا يؤتى لكونه مخلاً بالبيان . فاجتناب هذا النوع من قواعد علم البيان واجتناب الأول من باب البديع الذي هو من محاسن الألفاظ » (٢) .

مثال الأول قول ابراهيم بن سيّار للفضل بن الربيع :

هبْني أسأتُ وما أسأتُ وما أسأ　　　تُ أقرّ كي يزدادَ طولُك طولا

ومثال الثاني وهو مبين في الكلام قول الشاعر :

لعمري لقد حبّبت كلَّ قصيرة　　　اليَّ وان لم تَدْر ذاك القصائرُ

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد　　　قصار الخطى شرّ النساء البحاترُ(٣)

فلو اقتصر على البيت الأول لكان معيبا لاحتماله القصر والقصر . والقبيح قول كشاجم في المديح :

عمـــرته بفتية صِباحِ　　　سُمْحٍ بأعراضهم شحاحِ

لان الباء في قوله « بأعراضهم » يجوز أن تتعلق بـ « سمح » فيكون هجواً ، ويجوز أن تتعلق بـ « شحاح » فيكون مدحاً ، فهو ملبس بين المدح والهجو ، وليس في البيت ما يعيّن أحدهما .

---

(١) المثل السائر ج ١ ص ٢٩١ – ٢٩٢ .
(٢) الأقصى القريب ص ١١٨ .
(٣) البحتر والبحتري : القصير المجتمع الخلق .

الأخذ :

الأخذ والسرقة من الموضوعات الأولى التي تحدث عنها البلاغيون (١) ، وهما أنواع كثيرةٌ سيرد ذكرها في هذا المعجم .

اخراج الكلام مخرج الشك :

عقد الزركشي بابا في « اخراج الكلام مخرج الشك في اللفظ دون الحقيقة لضرب من المسامحة وحسم العناد »(٢) . وضرب له مثلاً بقوله تعالى : « وإنّا وإياكم لعلى هُدى أو في ضَلال مُبين » (٣) ، وهو يعلم انه على الهدى وانهم على الضلال لكنه أخرج الكلام مخرج الشك تقاضيا ومسامحة ، ولا شك عنده ولا ارتياب .

وقوله : « قل إنْ كان للرحمن وَلَدٌ فأنا أوّلُ العابدين » (٤) ، وقوله : « فهل عسيتم إنْ تَوليتم أن تُفْسِدوا في الأرض وتُقَطّعوا أرحامكم » (٥). أورده على طريق الاستفهام ، والمعنى : هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمّرتم عليهم لما تبين لكم من المشاهد ولاح منكم في المخايل « أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا ارحامكم » تهالكاً على الدنيا .

وإنما أورد الكلام في الآية على طريق سوق غير المعلوم سياق غيره ، ليؤديهم التأمل في التوقع عمن يتصف بذلك الى ما يجب أن يكون مسبباً عنه من أولئك الذين أصمّهم الله وأعمى أبصارهم ، فيلزمهم به على ألطف وجه إبقاءً عليهم من أن يفاجئهم به وتأليفا لقلوبهم ، ولذلك التفت عن الخطاب الى الغيبة تفادياً عن مواجهتهم بذلك .

وقد يخرج الواجب في صورة الممكن كقوله تعالى: « عَسى أن يَبْعَثَكَ ربُّك

(١) ينظر أسرار البلاغة ص ٣١٣ ، الطراز ج ٣ ص ٢٠١ ، شرح عقود الجمان ص ١٦٣ .
(٢) البرهان ج ٣ ص ٤٠٩ .
(٣) سبأ ٢٤ .
(٤) الزخرف ٨١ .
(٥) محمد ٢٢ .

مقاماً محمودا » (١) .

وقد يخرج الاطلاق في صورة التقييد كقوله : « حتى يلجَ الجملُ في سَمّ الخِياط (٢) » .

الاخلال :

الاخلال من أخلّ بالشيءْ أي : أجحف ، وأخلّ بالمكان وبمركزه وغيره : غاب عنه وتركه ، وأخلّ به : لم يفِ به (٣) .

والاخلال من عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى ، وقد عرّفه قدامة بقوله : « هو أن يترك من اللفظ ما يتم به المعنى » (٤). ومن عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى أيضاً: « أن يزيد في اللفظ ما يفسد به المعنى » (٥) .

ومن الأول قول الحارث بن حلزة :

والعيشُ خيــــر فــي ظــلا ... لِ النّوْكِ ممن عاشَ كَــدّا

أراد أن يقول : « والعيش خير في ظلال النوك من العيش بكد في ظلال العقل » فترك شيئاً كثيراً .

ومثال الثاني قول بعضهم :

فما نطفة من ماءِ نحضٍ عذيبة ... تمنــع من أيدي الرقاة ترومُهــا

بأطيب من فيهــا لوانك ذقتــه ... إذا ليلة أسْجَتْ وغارت نجومُها (٦)

وسمّى البغدادي هذا الموضوع « الاخلال بالافادة » .

أداة التشبيه :

أداة التشبيه هي اللفظة التي تدل على المماثلة والمشاركة ، وقد أشار اليها القدماء وعدّوها أساساً في اظهار صور التشبيه فقال سيبويه عن« الكاف» انها « تجيءْ

(١) الاسراء ٧٩ .
(٢) الأعراف ٤٠ .
(٣) اللسان (خلل) .
(٤) نقد الشعر ص ٢٤٥ ، الموشح ص ٣٦٣ ، نضرة الاغريض ص ٤٢٧ ، قانون البلاغة ص ٤١٩ .
(٥) نقد الشعر ص ٢٤٧ ، الموشح ص ٣٦٤ ، نضرة الاغريض ص ٤٢٨ .
(٦) النطفة ؛ الماء الصافي قل أو كثر . أسجت ؛ سكنت .

للتشبيه » (١) ، وقال المبرد مثل ذلك (٢) . وسمّاها السكاكي « كلمة التشبيه »(٣) غير ان القزويني وشرّاح تلخيصه سموها « أداة التشبيه » (٤) وهو ما سار عليه المتأخرون .

وأداة التشبيه ثلاثة أنواع :

الأول – اسماء : ومنها : مثل ، وشبه ، وشبيه ، ومثل .
الثاني – أفعال : ومنها : حسب ، وظن ، وخال ، ويشبه ، وتشابه ، ويضارع .
الثالث – حرفان : وهما : كأنّ ، والكاف .

وقد تحذف الأداة فيسمى التشبيه مؤكداً كقول المتنبي :

بَدَتْ قمراً ومالتْ غُصْنَ بانٍ وفاحتْ عَنبراً ورَنَتْ غزالا

واذا ذُكرت سُمّي التشبيه مُرْسَلاً كقول المتنبي :

كالبدر من حيثُ التفتّ رأيتـه يُهدي الى عينيك نوراً ثاقباً
كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغشى البـلاد مشارقاً ومغاربا
كالبحـر يقذف للقريب جواهراً جُوداً ويبعث للبعيد سحائبـا

والأول عند البلاغيين أبلغ لان الأداة محذوفة .

الادماج :

الادماج : اللف ، يقال : أدمج الحبل أي : : أجاد فتله ، وقيل : أحكم فتله ، ودمج الشيء دموجا إذا دخل في الشيء واستتر فيه ، وأدمجت الشيء إذا لففته في ثوب . فالادماج ادخال الشيء في الشيء (٥) .

وقد بحث الاوائل هذا الفن وعقد العسكري فصلاً باسم « المضاعفة » قال :

---

(١) الكتاب ج ٢ ص ١٧١ .
(٢) المقتضب ج ٤ ص ١٤٠ . (٣) مفتاح العلوم ص ١٦٧ .
(٤) الايضاح ص ٢٣٥ ، التلخيص ص ٢٤٣ ، شروح التلخيص ج ٣ ص ٣٨٦ ، المطول ص ٣١١ ، الاطول ج ٢ ص ٦٥ .
(٥) اللسان (دمج) ، التعريفات ص ١٠ ، أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٧٩ .

« هو أن يتضمن الكلام معنيين : معنى مصرح به ومعنى كالمشار اليه » (١) . ولكن البلاغيين الآخرين عقدوا باباً باسم « الادماج »؛ وعدّه ابن رشيق من الاستطراد ، وقال : « ومن الاستطراد نوع يسمى الادماج » (٢) . وعقد له ابن منقذ بابا سماه « باب التعليق والادماج » وقال عنه : « هو أن تعلق مدحاً بمدح وهجراً بهجو ومعنى بمعنى » (٣) . ولكن المصري فرّق بين هذين الفنين فقال : « والفرق بين التعليق والادماج ان التعليق يصرح فيه بالمعنيين المقصودين على شدة اتحادهما ، والادماج يصرح فيه بمعنى غير مقصود قد أدمج فيه المعنى المقصود»(٤)

وكان قد عرّف التعليق بقوله : « هو أن يأتي المتكلم بمعنى في غرض من أغراض الشعر ثم يعلّق به معنى آخر من ذلك الغرض يقتضي زيادة معنى من معاني ذلك الفن كمن يروم مدحاً لا نسان بالكرم فيعلق بالكرم شيئاً يدلّ على الشجاعة بحيث لو أراد أن يخلص ذكر الشجاعة من الكرم لما قدر » (٥) . كقوله تعالى : « أذِلَّةٍ على المؤمنين أعِزَّةٍ على الكافرين » (٦) ، فانه — سبحانه وتعالى — لو اقتصرَ على وصفهم بالذل على المؤمنين لاحتمل أن يتوهم ضعيف الفهم أن ذلهم عجز وضعف ، فنفى ذلك عنهم وكمّل المدح لهم بذكر عزّهم على الكافرين ليعلم ان ذلهم للمؤمنين عن تواضع لله — سبحانه — لا عن ضعف ولا عجز بلفظ اقتضت البلاغة الاتيان به ليتم بديع اللفظ كما تمّ المدح ، فحصل في هذه الألفاظ الاحتراس مدمجاً في المطابقة وذلك تبع للتعليق الذي هو المطلوب من الكلام .

ومنه قول بعضهم :

أترى القاضيَ أعمى ... أم تراه يتعامى
سرَقَ العيدَ كأنّ العيـ ... ـدَ أموالُ اليتامى

(١) كتاب الصناعتين ص ٤٢٣ .
(٢) العمدة ج ٢ ص ٤١ ، وينظر المنزع البديع ص ٤٦٤ .
(٣) البديع في نقد الشعر ص ٥٨ .
(٤) تحرير التحبير ص ٤٥١ ، بديع القرآن ص ١٧٣ .
(٥) تحرير ص ٤٤٣ ؛ بديع القرآن ص ١٧١ .
(٦) المائدة ٥٤ .

فعلق خيانة القاضي فيأموال اليتامى بما قدمه من خيانتهفيأمر العيد برابطة التشبيه .

وعرّف الادماج بقوله : « هو أن يدمج المتكلم غرضاً له في ضمن معنى قد نحاه من جملة المعاني ليوهم السامع انه لم يقصده ، وانما عرض في كلامه لتتمة معناه الذي قصد اليــه » (١) . كقوله تعالى : « ولــه الحمْدُ في الأولى والآخرة » (٢) ، فان هــذه الجملة أدمج فيها المبالغة في الحمد ضمن المطابقة إذ أفرد نفسه ـــ سبحانه ـــ بالحمد حيث لا يحمد سواه .

ومنه قول بعض الاندلسيين :

أأرضى أنْ تصاحبني بغيضاً   مجامــلةً وتحملني ثقيــلا
وحقـِك لارضيتُ بــذا لأني   جعلتُ وحقـِك القسَم الجليلا

والبيت الثاني المقصود ؛ لانه أدمج فيه الغزل في العتاب من الفنون ، والمبالغة في القسم من البديع .

وقسمه ابن مالك قسمين :

الاول : يتضمن التصريح بمعنى من فن كفاية عن معنى من فن آخر كقول بعضهم :

أبى دهرُنا إسعافَنا في نفوسنا   فأسعَفَنا فيمن نحب ونكرمُ
فقلت له نعماك فيهم أتمهــا   ودَعْ أمرنا إنّ المهمّ المقدّمُ

فأدمج شكوى الزمان في التهنئة .

وقول ابن نباتة السعدي :

ولا بدّ لي من جهلة في وصاله   فمن لي بخلٍّ أودِعُ الحلْمَ عِنْدَهُ

فأدمج الفخر في الغزل .

الثاني : أن يقصد المتكلم الى نوع من البديع فيجيءُ في ضمنه بنوع آخر كقول بعض الاندلسيين السابق : « أأرضى أن تصاحبني . . . » (٣) .

---

(١) تحرير ص ٤٤٩ ، بديع القرآن ص ١٧٢ .
(٢) القصص ٧٠ .   (٣) المصباح ص ١٢٢ — ١٢٣ .

وسار المتأخرون على هذا التحديد والتقسيم (١) ، وقالوا ان الادماج أعم من الاستتباع لانه « تضمين كلام سيق لمعنى معنى آخر » كقول المتنبي :

أقلّبُ فيه أجفاني كأني أعدُّ بها على الدهر الذنوبا

فانه ضمن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر ، والاستتباع هو « المدح بشيْ على وجه يستتبع المدح بشيْ آخر » كقول المتنبي :

نهبت من الاعمار مالو حَويتَهُ لهُنّئت الدنيا بأنك خـالدُ

فانه مدحه ببلوغه النهاية في الشجاعة إذ كثر قتلاه بحيث لو ورث أعمارهم لخلد في الدنيا على وجه استتبع مدحه بكونه سبباً لصلاح الدنيا مهنأة بخاوده .

الارتفاد :

الارتفاد : الكسب ، يقال : ارتفد المال اكتسبه (٢) . وقد ذكره ابن رشيق في باب « الحشو وفضول الكلام » وقال معلقاً على قول الشاعر :

ولو قُبلتْ في حادث الدهر فدية لقلنا على التحقيق نحن فداؤُهُ

« فقوله — على التحقيق — حشو مليح فيه زيادة فائدة ، ومن الناس من يسمي هذا النوع من الكلام ارتفاداً ، وأنشد بعض العلماء قول قيس بن الخطيم :

قضى الله حين صوّرها الخـا لِقُ أنْ لايكنها سَـدَفُ

والاتكاء عنده والارتفاد هو قول الشاعر « صوّرها الخالق » لان اسم الله — تعالى — قد تقدم » (٣) .

الارتقاء :

هو الانتقال من الأدنى الى الأعلى في الوجه المراد مثل : « لا أبالي بالوزير ولا بالسلطان » (٤) .

---

(١) ينظر حسن التوسل ص ٢٩٦ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٦٤ ، جوهر الكنز ص ٣٠٠ ، الايضاح ص ٣٧٥ التلخيص ص ٣٨٣ ، الطراز ج ٣ ص ١٥٧ ، شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٩٨ ، المطول ص ٤٤٢ ، الأطول ج ٢ ص ٢١٨ ، خزانة الأدب ص ٤٥٧ ، معترك ج ١ ص ٣٨٧ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٧ ، شرح عقود الجمان ص ١٢٦ ، حلية اللب ص ١٤٤ ، أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٧٩ .

(٢) اللسان (رفد) . (٣) العمدة ج ٢ ص ٧١ . (٤) حلية اللب ص ١٧١ .

الارداف :

الإرداف من أردف ، يقال : أردفه ، أي ركب خلفه ، أي حمله خلفه على ظهر الدابة ، فهو رديف ورِدْف (١) .

والإرداف مما فرّعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وسماه هذه التسمية ، وقال عنه : « هو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى بل بلفظ يدل على معنى هو رِدْفه وتابع له ، فاذا دلّ على التابع أبان عن المتبوع » (٢) .

وكان المتقدمون كابن قتيبة وابن المعتز قد بحثوا ذلك في باب الكناية والتعريض(٣) ولكن البلاغيين ساروا على مذهب قدامة فعرّفه العسكري بقوله : « الارداف والتوابع : أن يريد المتكلم الدلالة على معنى فيترك اللفظ الدال عليه الخاص به ، ويأتي بلفظ هو رِدْفه وتابع له ، فيجعله عبارة عن المعنى الذي أراده » (٤) . وسماه ابن رشيق التتبيع وقال : « ومن أنواع الاشارة : التتبيع وقوم يسمونه التجاوز ، وهو أن يريد الشاعر ذكر الشيْ فيتجاوزه ويذكر ما يتبعه في الصفة وينوب عنه في الدلالة عليه » (٥) .

وسماه ابن سنان الارداف والتتبيع وقال : « ومن نعوت البلاغة والفصاحة أن تراد الدلالة على المعنى فلا يستعمل اللفظ الخاص الموضوع له في اللغة بل يؤتى بلفظ يتبع ذلك المعنى ضرورة فيكون في ذكر التابع دلالة على المتبوع . وهـــذا يسمى الإرداف والتتبيع ؛ لانه يؤتى فيه بلفظ هو رِدْف اللفظ المخصوص لذلك المعنى وتابعه » (٦) .

---

(١) اللسان (ردف) ، أنوار الربيع ج ٦ ص ٥٠ .
(٢) نقد الشعر ص ١٧٨ ، جواهر الألفاظ ص ٧ .
(٣) تأويل مشكل القرآن ص ١٩٩ ، البديع ص ٦٤ .
(٤) كتاب الصناعتين ص ٣٥٠ .
(٥) العمدة ج ١ ص ٣١٣ .
(٦) سر الفصاحة ص ٢٧٠ .

وسماه التبريزي الارداف وقال : « هو أن يريد الشاعر دلالة على معنى فلا يأتي باللفظ الدال عليه بل بلفظ هو تابع له » (١) . ونقل البغدادي هذا التعريف كما نقل تعريف قدامة (٢) .

وعدّه ابن الأثير القسم الثاني من الكناية وذكر ان هذه تسمية قدامة ثم قال : « هو أن تراد الاشارة الى معنى فيترك اللفظ الدال عليه ويؤتى بما هو دليل عليه ومرادف له » (٣) . وفرعه الى خمسة فروع :

الأول : فعل المبادهة كقوله تعالى : « وَمَنْ أَظْلَمُ ممن افْتَرَى على الله كَذِباً أو كَذَّب بالحق لمّا جاءه(٤) ». فان المراد بقوله تعالى« لما جاءه » أي انه سفيه الرأي ، يعني انه لم يتوقف في تكذيب وقت ما سمعه ولم يفعل كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون في الأشياء ، فان من شأنهم إذا ورد عليهم أمر أو سمعوا خبراً أن يستعملوا فيه الروية والفكر ، ويتأنوا في تدبره الى أن يصح لهم صدقه أو كذبه ، فقوله « لما جاءه » يعني انه ضعيف العقل عازب الرأي ، وقد عدل عن هذه العبارة الصريحة بقوله « لما جاءهُ » وذلك آكد وأبلغ في هذا الباب .

الثاني : باب « مثل » كقول الرجل إذا نفى عن نفسه القبيح : « مثلي لا يفعل هذا » . أي : أنا لا أفعله فنفى ذلك عن مثله وهو يريد نفيه عن نفسه قصداً للمبالغة فسلك به طريق الكناية لانه إذا نفاه عمن يماثله أو يشابهه فقد نفاه عنه لا محالة .

الثالث : هو ما يأتي في جواب الشرط كقوله تعالى : « وقال الذين أُوتوا العلْمَ والايمانَ لقد لبثتم في كتاب اللهِ الى يوم البَعْث فهذا يومُ البَعْث » (٥) ، كأنه قال : « إنْ كنتم منكرين يوم البَعْث فهذا يومُ البعث » فكنّى بقوله : « فهذا يوم البعث » عن بطلان قولهم وكذبهم فيما ادّعوه وذلك رادف له .

الرابع : الاستثناء من غير موجب كقوله تعالى : « ليس لهم طعامٌ إلاّ من ضَريع » (٦) ، والضريع نبت وهو يبيس الشبْرق ، ولا تقربه الابل أو الدواب

(١) الوافي ص ٢٦٥ .
(٢) قانون البلاغة ص ٤١٨ ، ٤٣٩ .
(٣) الجامع الكبير ص ١٦٠ .
(٤) العنكبوت ٦٨ .
(٥) الروم ٥٦ .
(٦) الغاشية ٦ .

لخبثه ، والمعنى ليس لهم طعام أصلاً ، لان الضريع ليس بطعام البهائم فضلاً عن الانس .

ومن ذلك قول بعضهم :

وتفردوا بالمكرمات فلم يكن   لسواهم منها سوى الحرْمانِ

والمراد نفي المكرمات عن سواهم لانه إذا كان لهم الحرمان من المكرمات فمالهم منها شيءٌ البتة .

الخامس : ليس مما تقدم بشيءٍ كقوله تعالى : « عَفا اللهُ عنك لِمَ أذنْتَ لهم »(١) والمعنى المراد من هذا الكلام انك أخطأت وبئسما فعلت ، وقوله : « لم أذنت لهم » بيان لما كنى عنه بالعفو أي مالك أذنت لهم وهل أستأنيت ؟ فذكر العفو دليل على الذنب ورادِف له وان لم يذكره .

ومن ذلك قول كثير :

وَددْتُ وما تُغني الوَدَادَةَ أنني   بما في ضمير الحاجبية عـالمُ

فان كان خيراً سرّني وعلمتـه   وإن كان شراً لم تلمني اللوائمُ

فان المراد من قوله « لم تلمني » أني أهجرها فأضرب عن ذلك جانبا ولم يذكر اللفظ المختص به ولكنه ذكر ما هو دليل عليه ورادف له .

ورجع المصري الى ما بدأه قدامة ونقل تعريفه وبعض أمثلته (٢) ، وفرّق الحموي بين الارداف والكناية وقال : « قالوا : إنه هو والكناية شيءٌ واحد . قلت : إذا كان الأمر كذلك كان الواجب اختصارهما ، وانما أئمة البديع كقدامة والحاتمي والرماني قالوا إن الفرق بينهما ظاهر . والارداف هو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له بل يعبر عنه بلفظ هو رديفه وتابعه كقوله تعالى : « واستَوَتْ على الجُوديّ » (٣) فان حقيقة ذلك : جلست على المكان ، فعدل عن اللفظ

---

(١) التوبة ٤٣ .
(٢) تحرير التحبير ص ٢٠٧ ، بديع القرآن ص ٨٣ .
(٣) هود ٤٤ .

الخاص بالمعنى الى لفظ هو رديفه ، وانما عدل عن لفظ الحقيقة لما في الاستواء الذي هو لفظ الارداف من الاشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل . وهذا لا يحصل من لفظ « جلست » و « قعدت » . ومن الامثلة الشعرية على الارداف قول أبي عبادة البحتري يصف طعنة :

فأوْجَرْته أخرى فأحالتْ نصلها بحيثُ يكون اللبُّ والرعبُ والحِقدُ (١)

ومراده القلب فذكره بلفظ الإرداف .

والفرق بين الارداف وبين الكناية ان الارداف قد تقرر انه عبارة عن تبديل الكلمة برد فها ، والكناية هي العدول عن التصريح بذكر الشيء الى ما يلزم ؛ لان الارداف ليس فيه انتقال من لازم الى ملزوم ، والمراد بذلك انتقال المذكور الى المتروك كما يقال : « فلان كثير الرماد » ومراده نقله الى ملزومه وهي كثرة الطبخ للأضياف » (٢) . ويبدو أنّ هذا التمييز لم يقع إلاّ بعد أن خاض السكاكي وشراح التلخيص في مباحث البلاغة التي ربطوها بالمنطق ، ولذلك فرّق السيوطي مثل ذلك التفريق وقال : « قال بعضهم : والفرق بين الكناية والارداف ان الكناية انتقال من لازم الى ملزوم ، والارداف من مذكور الى متروك » (٣) . وذكر المدني انه والكناية شيء واحد عند علماء البيان، غير ان ائمة البديع فرقوا بينهما (٤)

ومن أمثلة الإرداف قول ابن أبي ربيعة :

بعيدة مهوى القُرط إمّا لنوفل أبوها وإما عَبْدُ شمْس وهاشمُ

أراد ان يصف طول الجيد فلم يذكره بلفظه الخاص بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد وهو بعد مهوى القرط .

وقول ليلى الأخيلية :

ومخرّقٍ عنه القميص تخاله بين البيوت من الحياء سقيمـا

---

(١) أوجره الرمح ؛ طعنه به في فيه .

(٢) خزانة الأدب ص ٣٧٦ .

(٣) معترك ج ١ ص ٢٩٠ ، الاتقان ج ٢ ص ٤٨ ، شرح عقود الجمان ص ١١٧ .

(٤) أنوار الربيع ج ٦ ص ٥١ .

أرادت وصفه بالجود والكرم فجاءت بالارداف والتوابع لهما ، أما ما يتبع الجود فان تخرق قميص هذا المنعوت فسّر أن العفاة تجذبه فتخرّق قميصه من مواصلة جذبهم إياه ، وأما ما يتبع الكرم فالحياء الشديد الذي كأنه من إماتته نفس هذا الموصوف وإزالته عنه يُخال سقيما .

ومنه قول الحكم الخضْري :

قد كان يعجب بعضَهُنَّ براعتي حتى سَمِعْنَ تنحنحي وسُعالي

أراد وصف الكبر والسن فلم يأتِ باللفظ بعينه ، ولكنه أتى بتوابعه وهي السعال والتنحنح .

ارسال المثل :

ذكره الثعالبي ولم يعرّفه (١) ، وقال الحموي : « ارسال المثل نوع لطيف في البديع ولم ينظمه في بديعيته غير الشيخ صفي الدين ، وهو عبارة عن أن يأتي الشاعر في بعض بيت بما يجري مجرى المثل من حكمة أو نعت أو غير ذلك مما يحسن التمثيل به » (٢) . ونقل المدني هذا التعريف (٣) . وذكره السبكي في البديع وقال عنه : « هو أن يورد المتكلم مثلاً في كلامه ، وقد عرف ذلك في علم البيان في مجاز التمثيل » (٤) .

وكان الوطواط والحلبي والنويري قد ذكروه قبل ذلك ولكنهم لم يعرفوه (٥) ، وذكروا له أمثلة كقول أبي فراس الحمداني :

تهونُ علينا في المعالي نفوسُنا ومن نكحَ الحسناءَ لم يُغْلِها المَهْرُ

وقول المتنبي :

وحيد من الخلان في كل بلدة إذا عَظُمَ المطلوبُ قلَّ المساعدُ
تبكّي عليهن البطاريق في الدجى وهنّ لدينا ملقيات كواسدُ
بذا قضَتِ الأيامُ ما بين أهلها مصائبُ قومٍ عند قوم فوائدُ

---

(١) يتيمة الدهر ج ١ ص ٢١٤ ، ٢١٩ . (٢) خزانة ص ٨٣ .
(٣) أنوار ج ٢ ص ٥٩ . (٤) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٣ .
(٥) حدائق السحر ص ١٥٥ ، حسن التوسل ص ٢٤٢ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٢٧ .

ومن إرسال المثل قوله تعالى : « لن تنالوا البرَّ حتى تُنْفِقوا مما تحبون » (١) وقوله : « قُضِي الأمْرُ الذي فيه تستفتيان » (٢) ، وقوله : « أليس الصبحُ بقريب »(٣) وقوله : « كل نفْسٍ بما كَسَبَتْ رهينة » (٤) .

ومن كلامه — صلى الله عليه وسلم — : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » ، وقوله : « آفة العلم النسيان واضاعته انتحدّث به غير أهـــله » ، وقوله : « الحياء من الايمان » وقوله : « لا ضَرَر ولا ضِرار في الاسلام » .

ومن ذلك قول زهير :

ومن يَجْعلِ المعروفَ من دون عِرْضه
يَفِرْهُ ومن لا يتقِ الشّتْمَ يُشْتَمِ

وقول النابغة :

ولست بمستبقٍ أخــاً لا تلمّــه ... على شَعَثٍ، أيُّ الرجالِ المهذّبُ ؟

وقول الأفوه الأودي :

لايصلحُ الناسُ فوضى لا سراةَ لهم ... ولا سراةَ إذا جهّالُهُمْ ســادوا

وقول لبيد :

وما المالُ والأهلونَ إلاّ وديعةٌ ... ولا بدَّ يوماً أنْ تُرَدَّ الودائــعُ

وقول القطامي :

قد يُدْرِك المتأني بَعْضَ حاجته ... وقد يكونُ مع المُسْتَعجِلِ الزّلَلُ

وقول بشار :

إذا كنت في كلّ الأمور مُعاتباً ... صديقك لم تَلْقَ الذي لا تُعاتبه

وقوله :

مَنْ راقبَ الناسَ لم يَظْفر بحاجته ... وفاز بالطيبات الفاتِكُ اللّهِــجُ

---

(١) آل عمران ٩٢ .
(٢) يوسف ٤١ .
(٣) هود ٨١ .
(٤) المدثر ٣٨ .

وقول أبي العتاهية :

إنّ الشبابَ حجـــةُ التصابي   روائحُ الجنة في الشبابِ

وقول المتنبي :

إني لأعلم واللبيب خبيرُ   أنّ الحياة وإنْ حرَصْتَ غُرورُ

وقوله :

تَلَذُّ له المروءةُ وهي تؤذي   وَمَنْ يَعْشَقْ يَلَذُّ له الغَرامُ

وقوله :

على قَدْرِ أهْلِ العَزْمِ تأتي العزائم   وتأتي على قَدْرِ الكرامِ المكارِمُ

ارسال المثلين :

ذكره الثعالبي (١) ، وعرفه الوطواط بقوله: « وتكون هذه الصنعة بان يذكر الشاعر مثلين في بيت واحد » (٢) . وقال الرازي : « هو عبارة عن الجمع بين المثاين » (٣) . ونقل الحلبي والنويري هذا التعريف (٤) .

ومن شواهد هذا الفن قول لبيد :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ   وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

وقول أبي فراس :

ومن لم يُوَقِّ اللهُ فهو مضيّعٌ   وَمَنْ لم يعزّ اللهُ فهو ذليلُ

وقول المتنبي :

أعزُّ مكانٍ في الدنا سَرْجُ سابح   وخيرُ جليسٍ في الزمانِ كتابُ

وقوله :

وكلُّ امريءٍ يُولي الجميلَ مُحَبَّبٌ   وكلُّ مكانٍ يُنبت العزَّ طيّبُ

---

(١) يتيمة الدهر ج ١ ص ١١٧ .
(٢) حدائق السحر ص ١٥٦ .
(٣) نهاية الايجاز ص ١١٢ .
(٤) حسن التوسل ص ٢٤٢ ، ونهاية الارب ج ٧ ص ١٢٨ .

الارصاد :

الارصاد : الانتظار والاعداد ، ويقال : أرصدته إذا قعدت له على طريقه ترقبه (١) .

والارصاد : هو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الرويّ . ويسمى « التسهيم » ، وهو مأخوذ من الثوب المسهم ، وهو الذي يدل أحد سهامه على الآخر الذي قبله لكون لونه يقتضي أن يليه لون مخصوص به لمجاورة اللون الذي قبله . وكان ابن المقفع قد ذكره وان لم يسمه حينما قال : « وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما ان خير أبيات الشعر البيت الذي اذا سمعت صدره عرفت قافيته » (٢) . وعلّق الجاحظ عليه بقوله : « كأنه يقول : فرق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة التواهب حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه فانه لا خير في كلام لا يدل على معناك ولا يشير الى مغزاك والى العمود الذي اليه قصدت والغرض الذي اليه نزعت » .

وسماه قدامة التوشيح وقال : « هو أن يكون أول البيت شاهداً بقافيته ومعناها متعلقاً به حتى ان الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها إذا سمع أول البيت عرف آخره وبانت له قافيته » (٣) . وفضّل العسكري ان يسمى التبيين وقال : « سمي هذا النوع التوشيح ، وهذه التسمية غير لازمة بهذا المعنى ولو سمي تبييناً لكان أقرب . وهو أن يكون مبتدأ الكلام ينبيءُ عن مقطعه ، وأوله يخبر بآخره ، وصدره يشهد بعجزه حتى لو سمعت شعراً أو عرفت رواية ثم سمعت صدر بيت منه وقفت على عجزه قبل بلوغ السماع اليه . وخير الشعر ما تسابق صدره واعجازه ومعانيه وألفاظه » (٤) .

---

(١) اللسان (رصد) .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١١٦ .

(٣) نقد الشعر ص ١٩١ .

(٤) كتاب الصناعتين ص ٣٨٢ .

ورأى ابن الأثير ان تسميته بالارصاد أولى ، وذلك حيث ناسب الاسم مسمّاه ولاق به ، أما التوشيح فنوع آخر من علم البيان » (١) . وسماه القزويني وشراح تلخيصه إرصاداً وقال انه يسمى التسهيم أيضاً (٢) .

وذكر ابن رشيق تسمية قدامة وان سماه تسهيماً كما سماه علي بن هارون المنجم. قال الحاتمي : « قلت لعلي بن هارون المنجم : ما رأيت أعلم بصناعة الشعر منك في التسهيم ، فقال : وهذا لقب اخترعناه نحن . قلت : وما كيفيته؟ فأجابني بجواب لم يبرزه في عبارة يحكيها عن غيره : إن صفة الشعر المسهّم أن يسبق المستمع الى قوافيه قبل أن ينتهي اليها راويه منذ الشطر الأول قبل أن يخرج الى الشطر الأخير ومن قبل أن يسمعه » (٣) . وسماه ابن وكيع المطمع (٤) ، وذكر ابن سنان ان بعضهم يسميه توشيحا (٥) ، وبعضهم يسميه تسهيماً (٦) وسماه توشيحاً المصري وابن مالك وابن الاثير الحلبي (٧) ، والتوشيح عند ابن منقذ « هو أن تريد الشيْ فتعبر عنه عبارة حسنة وان كانت أطول منه » (٨) كقول ابن المعتز :

آذريون أتـــاك في طبقـــه   كالمسك في ريحه وفي عبقـــه

قد نفض العاشقون ما صنع الـ   ـسهجر بألوانهم على ورقه

---

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٣٥٠ .

(٢) الايضاح ص ٣٤٧ ، التلخيص ص ٣٥٦ ، شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٠٥ ، المطول ص٤٢٢ الاطول ج ٢ ص ١٩٠ .

(٣) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٢ .   (٤) العمدة ج ٢ ص ٣١ .

(٥) سر الفصاحة ص ١٨٧ .

(٦) الوافي ص ٢٧١ ، قانون البلاغة ص ٤٤٣ ، البديع في نقد الشعر ص ١٢٧ ، الرسالة العسجدية ص ١٥٢ ، التبيان ص ١٨٣ ، تحرير التحبير ص ٢٦٣ ، بديع القرآن ص ١٠٠ ، منهاج البلغاء ص ٩٤ ، المصباح ص ٨٩ ، حسن التوسل ص ٢٦٦ ، نهاية الارب ج٧ ص ١٤٢ ، جوهر الكنز ص ٢٤٨ ، الفوائد ص ٢٤٣ ، أنوار الربيع ج ٤ ص ٣٣٦ ، حلية اللب ص ١٣٤ .

(٧) تحرير ص ٢٢٨ ، بديع القرآن ص ٩٠ ، المصباح ص ٩١ ، جوهر الكنز ص ٢١٣ .

(٨) البديع في نقد الشعر ص ٨٩ .

فمدار البيت موضوع على أنه أصفر . وليس كذلك الارصاد الذي اتفق عليه المتأخرون كالقزويني الذي قال : « الارصاد ويسمى التسهيم أيضاً ، وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز اذا عرف الرويّ » (١) ، وتبعه في ذلك شراح تلخيصه كالسبكي والتفتازاني والاسفراييني والمغربي (٢) .

وفرّق الحموي بين التوشيح والتسهيم فقال : « اتفق علماء البديع على أن التوشيح أن يكون معنى أول الكلام دالاً على لفظ آخره ولهذا سموه التوشيح فانه ينزل فيه المعنى منزلة الوشاح وينزل أول الكلام وآخره منزلة محل الوشاح من العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح » (٣) . وقال عن التسهيم : « وتعريفه أن يتقدم من الكلام ما يدل على ما يتأخر تارة بالمعنى وتارة باللفظ كأبيات أخت عمرو ذي كلب فان الحذاق بمعاني الشعر وتأليفه يعلمون معنى قولها : « فاقسم يا عمرو لو نبهاك » يقتضي أن يكون تمامه : « اذن نبها منك داءً عضالا » دون غيره من القوافي لانه قال مكان « داءً عضالا » : ليثا غضوباً ، أو : أفعى قتولا ، أو ما ناسب ذلك لكان « الداء العضال » أبلغ إذ كل منهما ممكن مغالبته والتوقي منه ، والداء العضال لا دواء له . وهذا مما يعرف بالمعنى ، وأما ما يدل على الثاني دلالة لفظية فهو قولها بعده :

إذن نبّها ليث عرِّيسة ... مقيتاً مفيداً نفوساً ومالا
وخرق تجاوزت مجهولة ... بوجناء حرْفٍ تشكّى الملالا
فكنت النهار به شمسه

يقتضي أن يتلوه :

وكنت دجى الليل فيه الهلالا

ومنه قول البحتري :

أحلّت دمي من غير جُرْم وحرّمَتْ ... بلا سبَبٍ يوم اللقاء كلامي

(١) الايضاح ص ٣٤٧ ، التلخيص ص ٣٥٦ .
(٢) شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٠٥ ، المطول ص ٤٢٢ ، الأطول ج ٢ ص ١٩٠ .
(٣) خزانة الأدب ص ١٠٠ .

فليس الذي قد حللت بمحلل

ومن هنا يعرف المتأدب ان تمامه :

وليس الذي قد حرّمت بحرام (١)

وهذا الفن من محمود الصنعة لان خير الكلام ما دلّ بعضه على بعض(٢) ومن أمثلته في كتاب الله قوله : « وما كان الناسُ إلاّ أمةً واحدةً فاختلفوا ، ولولا كلمةٌ سَبَقَتْ من ربك لقُضي بينهم فيما فيه يختلفون » (٣) . فاذا وقف السامع على قوله تعالى : « لقضي بينهم فيما فيه » عرف أن بعده « يختلفون » لما تقدم من الدلالة عليه . ومنه قوله : « مَثَلُ الذين اتخذوا من دُونِ اللهِ أولياءَ كَمَثَلِ العنكبوت اتّخَذَتْ بَيتاً ، وإنَّ أَوْهَنَ البيوتِ لبيتُ العنكبوت »(٤)، فاذا وقف السامع على قوله – عز وجل – « وان أوهن البيوت » علم ان بعده « لبيت العنكبوت » . وقوله : « وما كان اللهُ ليظلمَهم ، ولكن كانوا أنفُسَهم يَظلمون » (٥) ، فان أول الآية يدل على آخرها .

ومنه قول زهير :

سئمت تكاليفَ الحياةِ ومن يَعِشْ ثمانينَ حَوْلاً – لا أبالك – يَسْأَمِ

وقول الآخر :

اذا لم تَستَطِعْ شَيئاً فدعْهُ وجاوِزْه الى ما تَستَطيعُ

وقول البحتري :

أبكيكما دَمعاً ولو أني على قَدْر الجوى أبكي بكيتكما دمـا

الازدواج :

الازدواج من أزدوج ، وازدوج الكلام وتزاوج أشبه بعضه بعضاً في السجع

---

(١) خزانة الأدب ص ٣٧٤ .
(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٣٤٨ ، الجامع الكبير ص ٢٣٨ .
(٣) يونس ١٩ .
(٤) العنكبوت ٤١ .
(٥) العنكبوت ٤٠ .

أو الوزن ، او كان لاحدى القضيتين تعلق بالأخرى (١) .

وكان الجاحظ قد عقد في« البيان والتبيين » بابا سماه « من مزدوج الكلام »(٢) ولم يعرفه ، ولكن الأمثلة التي ذكرها تدل على انه أراد تساوي الفقرتين في الطول مع السجع ، كقوله — صلى الله عليه وسلم — في معاوية : « اللّهم علّمه الكتاب والحساب ، وقِهِ العذاب » .

وعقد العسكري بابا في«السجع والازدواج » وقال : « لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجاً » (٣) . ولم يفرق بين المصطلحين ، وكأن الازدواج عنده مرتبط بالسجع أو التوازن بين العبارتين اللتين تأتيان مسجوعتين أحياناً وغير مسجوعتين أحيانا اخرى ، ولكنه يفضل أن تكونا مسجوعتين ، قال وهو يتحدث عن وجوه السجع : « والذي هُو دونهما أن تكون الأجزاء متعادلة وتكون الفواصل على أحرف متقاربة المخارج إذا لم يمكن أن تكون من جنس واحد . . . والذي ينبغي أن يستعمل في هذا الباب ولا بدّ منه هو الأزدواج فان أمكن أن يكون كل فاصلتين على حرف واحد أو ثلاث أواربع لا يتجاوز ذلك كان أحسن فان جاوز ذلك نسب الى التكلف . وان أمكن أيضاً أن تكون الأجزاء متوازنة كان أجمل وان لم يكن ذلك فينبغي أن يكون الجزء الأخير أطول على أنه قد جاء في كثير من ازدواج الفصحاء ما كان الجزء الأخير منه أقصر . . . وينبغي أيضاً أن تكون الفواصل على زنة واحدة وان لم يمكن أن تكون على حرف واحد فيقع التعادل والتوازن » . وتحدث عن عيوب الازدواج ، ومن ذلك التجميع وهو « أن تكون فاصلة الجزء الأول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثاني » ، ومن عيوبه التطويل وهو « أن تجيْ بالجزء الأول طويلاً فتحتاج الى اطالة الثاني ضرورة » .

وتحدث الخفاجي عن السجع والازدواج في باب واحد (٤) ، ولكنه قسم

(١) اللسان (زوج) .
(٢) البيان ج ٢ ص ١١٦ .
(٣) كتاب الصناعتين ص ٢٦٠ .
(٤) سر الفصاحة ص ٢٠٣ .

الفواصل الى قسمين : ضرب يكون سجعا وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع ، وضرب لا يكون سجعا ، وهو ما تقابلت حروفه في المقاطع ولم تتماثل . ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين أي المتماثل والمتقارب من أن يكون يأتي طوعاً سهلاً وتابعاً للمعاني وبالضد من ذلك حتى يكون متكلفاً يتبعه المعنى . فان كان من القسم الأول فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان ، وان كان من الثاني فهو مذموم مرفوض . ويبدو انه يريد بالازدواج المتقارب أي الذي لاتتماثل حروفه في المقاطع .

وعرفه ابن منقذ بقوله : « هو ان تزاوج بين الكلمات والجمل بكلام عذب وألفاظ عذبة حلوة » (١) . ونقل ابن الجوزية هذا التعريف (٢) .

وقال المصري : « هو أن يأتي الشاعر في بيته من أوله الى آخره بجمل ، كل جملة فيها كلمتان مزدوجتان ، كل كلمة اما مفردة أو جملة . واكثر ما يقع هذا النوع في أسماء مثناة مضافة » (٣) .

وأطلقه الرماني على قسم من التجانس الذي قال انه نوعان : مزاوجة ومناسبة ، والمزاوجة تقع في الجزاء كقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » (٤) أي جازوه بما يستحق على طريق العدل إلا انه استعير للثاني لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار فجاء على مزاوجة الكلام لحسن البيان . والمناسبة تدور في فنون المعاني التي ترجع الى أصل واحد كقوله تعالى : « ثم انصرفوا صَرَفَ اللهُ قلوبَهم » (٥) فجونس بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير ، والاصل فيه واحد وهو الذهاب عن الشيء ، أما هم فذهبوا عن الذكر وأما قلوبهم فذهب عنها الخير (٦) .

---

(١) البديع في نقد الشعر ص ١١١ .
(٢) الفوائد ص ٢٢٥ .
(٣) تحرير التحبير ص ٤٥٢ .
(٤) البقرة ١٤ .
(٥) التوبة ١٢٧ .
(٦) النكت في إعجاز القرآن ص ٩١ ، وينظر ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ١٣ .

وأطلقه الحموي أيضاً على المزاوجة فقال : « هذا النوع سموه المزاوجة والازدواج. »(١) ونقل تعريف السكاكي وهو : « المزاوجة : هي أن تزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء » (٢) كقول الشاعر :

إذا ما نهى الناهي فلجّ بي الهوى أصاخَ الى الواشي فلَجَّ به الهَجْرُ

وهذا ما ذكره الرماني ، ويبدو ان الازدواج أعمّ من المزاوجة لانه لا يرتبط بالشرط الذي ذكره الرماني والسكاكي والحموي .

ومن الازدواج أيضاً قوله تعالى : « عليماً حكيما » و « غفوراً رحيماً » (٣) .

وقول الشاعر :

ومعظم النصر يوم النصر مطعمه أنّى توجّه والمحرومُ محرومُ

وقول أبي تمام :

وكانا جميعاً شريكي عنانٍ رضيعي لبان خليلي صفاء

وقول ابن الرومي :

أبدانهنّ وما لَبِسْـ ـنَ من الحرير معاً حريرُ
أردانُهنّ وما مَسِسْـ ـنَ من العبير معاً عبيرُ

الاستئناف :

تحدث عبدالقاهر في مبحث الفصل والوصل عن الاستئناف وذكر له أمثلة كثيرة ، ومن ذلك قول اليزيدي :

ملّكْتُـه حَبلي ولكنـه ألقاه من زُهْدٍ على غاربي
وقال إني في الهوى كاذب انتقمَ اللهُ من الكاذب

استأنف قوله : « انتقم الله من الكاذب » لانه جعل نفسه كأنه يجيب سائلاً قال له : فما تقول فيما اتهمك به من أنك كاذب ؟ فقال : أقول : انتقم الله

(١) خزانة الأدب ص ٤٣٥ .
(٢) مفتاح العلوم ص ٢٠٠ .
(٣) اقترن العليم بالحكيم والغفور بالرحيم في كثير من آيات القرآن الكريم .

من الكاذب (١) .

وذكر السكاكي والقزويني كلام عبدالقاهر وأمثلته ، (٢) وعرّفه التنوخي بقوله : « هو الاتيان بعد تمام كلام بقول يفهم منه جواب سؤال مقدر »(٣) . وهذا ما ذهب اليه السابقون . ثم قال : « فمنه ما يكون باعادة اسم أو صفة كقولك : « أكرم زيداً فزيد أهل الاكرام » أو « اكرم زيداً صديقك الصدوق » كأنه توهم ان قائلاً يقول له : لم يكرم زيد ؟ فكان استئنافه كالجواب لذلك . ومنه قوله تعالى : « تنزيلاً ممن خلَقَ الأرضَ والسماواتِ العلى ، الرحمنُ على العرش استوى »(٤) . وقوله تعالى : « وإنْ تجهَرْ بالقول فانه يعلمُ السرَّ وأخفى . الله لا إله إلاّ هو له الاسماء الحسنى » (٥) . الاستئناف هنا هو قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » وقوله تعالى : « الله لا إله إلاّ هو له الاسماء الحسنى » . وقوله تعالى : « لا تُدْركه الأبصارُ ، وهو يُدْرِكُ الأبصارَ ، وهو اللطيف الخبيرُ » (٦) . يدفع وصفه تعالى باللطف والخبرة توهّم من يستبعد مدركاً للبصر ولا يدركه البصر .

وقد يكون الاستئناف بما ليس فيه اعادة اسم ولا صفة كقوله تعالى : « أ أنت فعَلْتَ هذا بآلهتنا يا ابراهيمُ ؟ قال : بل فعَلَه كبيرُهم هذا ، فاسألوهم إنْ كانوا ينْطِقون » (٧) . تمّ الجواب بقوله : « بل فعله كبيرهم هذا » واستأنف « فاسألوهم إن كانوا ينطقون » تنبيهاً على أن جوابه كان تهكما بهم وليس على حقيقته وان من لا ينطق كيف يفعل هذا بل كيف يكون إلها .

وهذا النوع في الكلام كثير ، وهو من لطيف البيان ، ولا ينبغي أن يعدّ هذا

---

(١) دلائل الاعجاز ص ١٨٣ .
(٢) مفتاح العلوم ص ١٢٧ ، الايضاح ص ١٥٥ ، التلخيص ص ١٨٦ .
(٣) الأقصى القريب ص ٦٨ .
(٤) طه ٤ .
(٥) طه ٧ .
(٦) الأنعام ١٠٣ .
(٧) الأنبياء ٦٣ .

من الحذف ؛ لان المتكلم ما حذف من كلامه شيئاً وانما السؤال لم يقع فكان هذا جوابه لو وقع » .

وقسم المتأخرون الاستئناف ثلاثة أضرب (١) : لان السؤال الذي تضمنته الجملة الأولى اما عن سبب الحكم فيها مطلقاً كقول الشاعر :

قال لي ؟ : كيف أنت ؟ قلتُ : عليلُ سَهَرٌ دائم وحُزْنٌ طويلُ

أي : ما بالك عليلا ؟ او ماسبب علتك ؟

وكقول الآخر :

وقد غَرِضْتُ من الدنيا فهل زَمني مُعْطٍ حياتي لغِرٍّ بعدما غَرِضا (٢)
جربت دهري وأهليه فما تركت لي التجاربُ في ود امرئ غَرَضا

أي : لم تقول هذا ويحك ؟ وما الذي اقتضاك أن تطوي عن الحياة الى هذا الحد كشحك ؟

وإما عن سبب خاص له كقوله تعالى : « وما أبرّيءُ نفسي إنّ النّفْسَ لأمّارةٌ بالسُّوء »(٣) ، كأنه قيل : هل النفس أمّارة بالسوء ؟ فقيل : إن النفس لأمارة بالسوء .

وإما عن غيرهما كقوله تعالى : « قالوا : سلاماً ، قال : سلامٌ »(٤) ، كأنه قيل : فماذا قال ابراهيم عليه السلام ؟ فقيل : قال : سلام . ومنه قول الشاعر :

زَعَمَ العواذلُ أنني في غَمْرةٍ صدقوا ، ولكن غمرتي لا تنجلي (٥)

فانه لما أبدى الشكاية من جماعات العذّال كان ذلك مما يحرك السامع ليسأل : أصدقوا في ذلك أم كذبوا ؟ فأخرج الكلام مخرجه اذا كان ذلك قد قيل له ، ففصل .

---

(١) الايضاح ص ١٥٦ ، التلخيص ص ١٨٦ ، شروح التلخيص ج ٣ ص ٥٧ ، المطول ص ٢٥٩ الاطول ج ٢ ص ١٤ .
(٢) غرض ؛ ضجر ومل . الغر ؛ من لا تجربة له .
(٣) يوسف ٥٣ .
(٤) هود ٦٩ .
(٥) الغمرة ؛ الشدة . لا تنجلي ؛ لاتنكشف .

وقد يحذف صدر الاستئناف لقيام قرينة كقوله تعالى : « يُسَبِّحُ له فيها بالغُدُوِّ والآصال ، رجالٌ » (١) فيمن قرأ « يُسَبَّح » مبيناً للمفعول . وقد يحذف الاستئناف كله كقول الشاعر :

زعمتم أنَّ إخوتكم قريشٌ   لهم إلْفٌ وليس لكم إلافُ (٢)

حذف الجواب الذي هو : كذبتم في زعمكم وأقام مقامه « لهم إلف وليس لكم إلاف » مقامه لدلالته عليه . وقد يحذف ولا يقام شيءٌ مقامه كقوله تعالى : « نِعْمَ العَبْدُ » (٣) أي : «أيوب» ، أو«هو»لدلالة ما قبل الآية وما بعدها عليه . ونحو قوله : « فَنِعْمَ الماهدون » (٤) ، أي : نحن .

الاستتباع :

يقال : استتبعه أي طلب اليه أن يتبعه (٥) ، والاستتباع هو المجيءُ بوجه يستتبع وجها آخر . وقد سماه العسكري المضاعفة وقال عنه : « هو أن يتضمن الكلام معنيين : معنى مصرح به ، ومعنى كالمشار اليه »(٦). وسماه ابن منقذ التعليق(٧) ، وتبعه في ذلك المصري الذي قال : « هو أن يأتي المتكلم بمعنى في غرض من أغراض الشعر ثم يعلق معنى به معنى آخر من ذلك الغرض يقتضي زيادة معنى من معاني ذلك الفن كمن يروم مدحا لانسان بالكرم فيعلق بالكرم شيئاً يدل على الشجاعة بحيث لو أراد أن يخلص ذكر الشجاعة من الكرم لما قدر »(٨) وسماه كذلك ابن مالك والعلوي (٩) ، وسماه الرازي والحلبي والنويري وابن قيم الجوزية« الموجّه »(١٠). وهذه تسمية الثعالبي فقد قال عن المتنبي ومحاسن

---

(١) النور ٣٦ .
(٢) الالف والايلاف ؛ العهد .
(٣) ص ٣٠ ، ٤٤ .
(٤) الذاريات ٤٨ .
(٥) اللسان (تبع) .
(٦) كتاب الصناعتين ص ٤٢٣ .
(٧) البديع في نقد الشعر ص ٥٨ .
(٨) تحرير التحبير ص ٤٤٣ ، بديع القرآن ص ١٧١ .
(٩) المصباح ص ١٢٣ ، الطراز ج ٣ ص ١٥٩ .
(١٠) نهاية الايجاز ص ١١٤ ، حسن التوسل ص ٣١٩ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٨١ ، الفوائد ص ١٦٥ .

شعره : « ومنها المدح الموجه كالثوب له وجهان ما منهما إلا حسن » ، كقوله :

نَهَبْتَ من الأعمار ما لو حَوَيته ... لهُنِّئَت الدنيا بأنّكَ خالِدُ

قال ابن جني : لو لم يمدح أبو الطيب سيف الدولة إلا بهذا البيت وحده لكان قد بقي فيه ما لا يخلقه الزمان وهذا هو المدح الموجه ؛ لانه بنى البيت على ذكر كثرة ما استباحه من أعمار أعدائه ثم تلقاه من آخر البيت بذكر سرور الدنيا ببقائه واتصال أيامه . وكقوله :

عُمْرُ العدوّ إذا لاقاه في رَهَجٍ ... أقَلُّ من عُمْرِ ما يحوي إذا وَهبا
مالٌ كأنّ غرابَ البيـن يرقبه ... فكلما قيل هذا مُجْتَدٍ نَعَبـا

وقوله :

تشرقُ تيجانُه بغرّتـه ... إشراقَ ألفاظه بمعناهـا

وقوله :

تشرقُ أعراضُهم وأوجُهُهم ... كأنما في نفوسهم شِيَمُ (١)

وأخذ الوطواط هذه التسمية وقال : « المدح الموجه ، ويقصد بالفارسية ما يحتمل أن يكون على وجهين ، وتكون هذه الصنعة بان يمدح الشاعر ممدوحه بصفة من الصفات الحميدة بحيث يقرن بها صفة حميدة أخرى من صفاته فيحصل بذلك مدح الممدوح على وجهين » (٢) . ومثّل له بقول المتنبي : « نهبت من الاعمار » وسماه السكاكي الاستتباع وقال : « هو المدح بشيءٍ على وجه يستتبع مدحاً آخر » (٣) وذكر بيت المتنبي شاهدا . وتبعه في ذلك القزويني والسبكي والتفتازاني والحموي والسيوطي والاسفراييني والمغربي والدمنهوري (٤) . وفرّق المدني بينه وبين التكميل بقوله : « والفرق بين هذا النوع وبين التكميل ، ان التكميل يكمل

---

(١) يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٠٠ .
(٢) حدائق السحر ص ١٣١ .
(٣) مفتاح العلوم ص ٢٠٢ .
(٤) الايضاح ص ٣٧٤ ، التلخيص ص ٣٨٣ ، عروس الافراح ج ٤ ص ٣٩٦ ، المطول ص ٤٤٢ ، المختصر ج ٤ ص ٣٩٦ ، خزانة الأدب ص ٤١٧ ، شرح عقود الجمان ص ١٢٦ ، الاطول ج ٢ ص ٢١٧ ، مواهب افتاح ج ٤ ص ٣٩٦ ، حلية اللب ص ١٤٧ .

ما وصف به أولاً ، والاستتباع لا يلزم فيه ذلك » (١) .

ومن أمثلة ما جاء من الاستتباع في الذم قول ابن هاني المغربي :

إن لفظاً تلوكه لشبيهٌ   بك في منظرِ الجفاءِ الجليف

وصفه بالعي وقبح اللهجة على وجه يستتبع وصفه بجفاء الخلقة والجلافة .

ومن ذلك قول المدني :

وبثّوا الجياد السابحات ليلحقوا   وهل يدرك الكسلانُ شأوَ أخي المجد

فساروا وعادوا خائبين على وجى   كما خاب من قدبات منهم على وَعْدِ (٢)

الاستثناء :

الاستثناء من استثنيت الشيْ من الشيْ أي حاشيته (٣) ، وقد عرفه الاشموني بقوله : « الاستثناء هو الاخراج بـ « إلا » أو احدى اخواتها لما كان داخلاً أو منزلاً منزلة الداخل » (٤) .

وقد تحدث العسكري عنه في باب البديع وقسمه الى قسمين :

الأول : أن تأتي معنى تريد توكيده والزيادة فيه فتستثني بغيره فتكون الزيادة التي قصدتها والتوكيد الذي توخيته في استثنائك كقول النابغة الذبياني :

ولا عَيْبَ فيهم غير أنّ سيوفهم   بهن فلولٌ من قراعِ الكتائبِ

وقول الآخر :

فتىً كملت أخلاقُه غير انــه   جوادٌ فما يُبْقي من المال باقيا

فتى كان فيه ما يَسُرّ صديقه   على أن فيه ما يسوءُ الأعاديا

الثاني : استقصاء المعنى والتحرز من دخول النقصان فيه كقول طرفة :

---

(١) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٤٩ .

(٢) الوجى : الحفا .

(٣) اللسان (ثني) ، وينظر التعريفات ص ١٧ .

(٤) شرح الأشموني ص ٢٢٧ .

فسقى ديارَك – غيرَ مفسدها –   صَوْبُ الربيع وديمةٌ تَهْمي

وقول الآخر :

فلا تبْعَدَنْ إلاّ من السوء إنني   اليك وإنْ شَطّتْ بك الدارُ نازعُ (١)

والأول هو الذي سماه ابن المعتز تأكيد المدح بما يشبه الذم (٢) ، والثاني الاحتراس وذكر الباقلاني النوع الأول وسماه استثناءً وقال : « ومن البديع ضرب من الاستثناء » (٣) ، وذكر أمثلة العسكري . وتابعه ابن رشيق غير انه اخرج الاحتراس الذي ذكره العسكري من هذا الباب ، وقال : « ومن أصحاب التأليف من يعدُ في هذا الباب ما ناسب قول الشاعر :

فأصبحت مما كان بيني وبينها   سوى ذكرها كالقابضِ الماء باليدِ

وقال الربيع بن ضبيع الفزاري :

فنيت وما يفنى صنيعي ومنطقي   وكلُّ امرئٍ إلّا أحاديثه فاني

وليس من هذا الباب عندي ، وانما هو من باب الاحتراس والاحتياط ، فلو أدخلنا في هذا الباب كل ما وقع فيه استثناء لطال ولخرجنا فيه عن قصده وغرضه ، ولكل نوع موضع » (٤) .

وسار على هذا النهج التبريزي والبغدادي (٥) ، وسماه المظفر العلوي استثناءً أيضاً ولكنه قال : « وقد عبّر عنه جماعة فكان أقرب أقوالهم الى القلب ما ذكره عبد الله بن المعتز فانه قال : « الاستثناء في الشعر تأكيد مدح بما يشبه الذم»(٦) وفعل مثله المصري فقال : « الاستثناء استثناءان : لغوي وصناعي ، فاللغوي اخراج القليل من الكثير ، وقد فرغ النحاة من ذلك مفصلاً في كتبهم . والصناعي

(١) كتاب الصناعتين ص ٤٠٨ .
(٢) البديع ص ٦٢ وينظر المنصف في نقد الشعر لابن وكيع ص ٧١ .
(٣) اعجاز القرآن ص ١٦٠ .
(٤) العمدة ج ٢ ص ٥٠ ، وينظر المنزع البديع ص ٢٨٦ .
(٥) الوافي ص ٢٨٣ ، قانون البلاغة ص ٤٥٠ .
(٦) نضرة الاغريض ص ١٢٨ .

هو الذي يفيد بعد اخراج القليل من الكثير معنى زائداً يعد من محاسن الكلام ، يستحق به الاتيان في أبواب البديع . ومتى لم يكن في الاستدراك والاستثناء معنى من المحاسن غير ماوضعا له لا يعدّان من البديع » (١) .

وتابعه ابن الاثير الحلبي في التعريف والأمثلة (٢) ، وعرفه ابن الجوزية بقوله: « هو أن يذكر شيئاً ثم يرجع عنه أو يدخل شيئاً ثم يخرج منه بعضه » (٣) وقال إن الاستثناء في القرآن الكريم كثير ، وأما الرجوع فلا ينبغي أن يكون في كتاب الله منه شيءٌ ؛ لان المتكلم به لا يليق بجلاله أن يوصف بالرجوع عن شيءٌ ، وأما ما سوى القرآن ففيه منه كثير .

وعقد الزركشي بابا للاستثناء وقال : « وقريب منه تأكيد المدح بما يشبه الذم بان يستثني من صفة ذم منفية عن الشيءُ صفة مدح بتقدير دخولها فيها »(٤) ، وقال إن التأكيد فيه من وجهين : على الاتصال في الاستثناء ؛ والانقطاع .

وعاد الحموي الى نهج المصري وابن الاثير الحلبي ونقل ما ذكراه » (٥) ، وقرن السيوطي الاستدراك بالاستثناء وقال : ان « شرط كونهما من البديع أن يتضمنا ضرباً من المحاسن زائداً على ما يدل عليه المعنى اللغوي » (٦) . وذكر المدني هذا الشرط فقال: « فليس كل استثناء يعد من المحسنات البديعية بل يشترط فيه اشتماله على معنى يزيد على معنى الاستثناء اللغوي حتى يستحق بهنظمه في سلك أنواع البديع » (٧) .

ويتضح ان البلاغيين نظروا الى الاستثناء من زاويتين :

الاولى : أنه تأكيد المدح بما يشبه الذم كما فعل ابن المعتز والعسكري .

---

(١) تحرير التحبير ص ٣٣٣ ، بديع القرآن ص ١٢١ .
(٢) جوهر الكنز ص ٢٤٦ .
(٣) الفوائد ص ١٧١ .
(٤) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٥١ .
(٥) خزانة ص ١١٨ .
(٦) معترك ج ١ ص ٢٩٠ ، شرح عقود الجمان ص ١٣٢ .
(٧) انوار الربيع ج ٣ ص ١٠٩ .

الثانية : انه الاستثناء النحوي الذي يشتمل على معنى يزيد على معنى الاستثناء اللغوي ، ويمثل هذا الاتجاه المصري وابن الأثير الحلبي والسيوطي والمدني .

ومن أمثلة الاستثناء قوله تعالى : « قالت الأعرابُ آمنّا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا : أسلمنا » (١) . فان الكلام لو اقتصر فيه على ما دون الاستدراك لكان منفراً لهم . لانهم ظنوا الاقرار بالشهادتين من غير اعتقادهما إيمانا فأوجبت البلاغة تبيين الايمان فاستدرك ما استدركه من الكلام ليعلم ان الايمان موافقة القلب للسان وان انفراد اللسان بذلك يسمى اسلاما لا ايماناً ، وزاده ايضاحاً بقوله تعالى : « ولمّا يدخل الايمانُ في قلوبكم » فلما تضمن الاستدراك ايضاح ما على ظاهر الكلام من الاشكال عدّ من المحاسن . وكذلك الاستثناء لا بدّ من تضمنه معنى زائداً على الاستثناء كقوله تعالى : « فَسَجَدَ الملائكةُ كلُّهم أجمعون إلّا إبليسَ » (٢) ، فان هذا الاستثناء لو لم يتقدم لفظه هذا الاحتراس من قوله تعالى « كلهم أجمعون » لما جاز اثباته في أبواب البديع فانه لو اقتصر فيه على قوله « فسجد الملائكة إلا ابليس » لاحتمل أن يكون من الملائكة من لم يسجد فيتأسّى به ابليس ولا يكون منفرداً بهذه الكبيرة لاحتمال ان تكون أداة التعريف للعهد لا للجنس ، فلما كان هذا الاشكال يتوجه على الكلام اذا اقتصر فيه على ما دون التوكيد وجب الاتيان بالتوكيد ، ليعلم أن أداة التعريف للجنس فيرتفع هذا الاشكال بهذا الاحتراس فحينئذ تعظم كبيرة ابليس لكونه فارق جميع الملأ الأعلى وخرق اجماع الملائكة فيستحق أن يفرد بما جرى عليه من اللعن الى آخر الأبـــد .

ومنه قول زهير :

أخو ثقة لا تُهلِكُ الخمرُ ما لَه ... ولكنّه قد يُهْلِكُ المالَ نائِلُه

وقول أبي نواس :

---

(١) الحجرات ١٤ .

(٢) الحجر ٣٠ — ٣١ .

لمن طَلَلٌ عاري المحلّ دفينُ   عفا آيه إلاّ خوالد جُـــونُ

وقول الآخر :

تبّتْ يدٌ سألت سواك وأجدبَتْ   أرض بغير بحارٍ جودك توسمُ

فالعزّ إلاّ في حياتك ذِلّةٌ   والمال إلاّ من يديك محرّمُ

وهناك نوع آخر من الاستثناء وقع للمصري وسماه « استثناء الحصر » .

استثناء الحصر :

وقع هذا النوع للمصري وهو الذي سماه بهذا الاسم قال : « ومن الاستثناء نوع وقع لي فسميته استثناء الحصر ، وهو غير الاستثناء الذي يخرج القليل من الكثير » (١) . كقول القائل :

إليك والا ما تحثّ الركائب   وعَنك وإلاّ فالمحدثُ كاذبُ

فان خلاصة هذا البيت قول الشاعر للممدوح : لا تحث الركائب إلاّ اليك ولا يصدق المحدث إلا عنك ، ولا يحصل هذا الحصر من الاستثناء السابق . وقد شرح المصري ذلك بقوله : « فان قوله تعالى : « فَلَبِثَ فيهم أَلْفَ سَنة إلاّ خمسين عاماً » (٢) لا يمنع أن يقال : إلا خمسين عاماً وعاماً لولا توخي الصدق في الخبر . وقوله سبحانه : « فَسَجَدَ الملائكة كلّهم أجمعونَ إلاّ ابليسَ »(٣) لا يمنع ان يقال : ورهطه ، لولا مراعاة الصدق ، ولان الصيغ التي قدرها المعترض لا يقع مثلها في الكلام الفصيح فانها عبارة أهل العي والفهه . فان قلت : كل الاستثناء موضوع للحصر فلا اختيار لهذا الاستثناء على الأول ، وما قدرته في الاستثناء الأول يلزم مثله في هذا الاستثناء إذا أزلت منه التقديم والتأخير وأتيت بالكلام على استقامته . قلت : الذي ميّز هذا الاستثناء على الأول هو ما فيه من التقديم والتأخير فانه على الصورة التي جاء عليها يفيد حصراً أشد من حصر جنس الاستثناء كله » .

---

(١) تحرير التحبير ص ٣٢٧ .
(٢) العنكبوت ١٤ .
(٣) الحجر ٣٠ — ٣١ .

وذكر الحموي والسيوطي هذا النوع ونسباه الى المصري (١) ، ولكن المدني علّق على ذلك بقوله : « وأنا أقول : أما لفظ البيت (٢) فليس فيه استثناء و « إلاّ » المذكورة في صدره وعجزه ليست هي الاستثنائية وانما هي بمعنى « ان لم » فهي كلمتان « ان » الشرطية و « لا » النافية ، مثلها في قوله تعالى : « إلاّ تنصروه فقد نصره اللهُ » (٣) ، لان تقدير البيت هكذا : « اليك تحث الركائب والا » أي وان لم تحث اليك لا تحث . و « عنك يحدث المحدث وإلاّ » أي وان لم يحدث عنك فالمحدث كاذب . وأما معناه الذي ذكره فالاستثناء فيه ظاهر ، فعلى هذا فالأليق أن يسمى هذا استثناءً معنوياً لئلا يتوهم من لا له دربة في العربية أن « إلّا » فيه هي الاستثنائية فيخبط خبط عشواء » (٤) .

الاستثناء المعنوي :

هو استثناء الحصر الذي تحدث عنه المصري في باب الاستثناء وقال انه نوع وقع له فسماه بهذا الاسم (٥) ، ولكن المدني فضل ان يسمى هذا النوع « الاستثناء المعنوي » لئلا يتوهم من لا له دربة في العربية ان « إلّا » فيه هي الاستثنائية فيخبط خبط عشواء (٦) .

الاستحالة والتناقض :

الاستحالة من استحال ، وقد قيل : كل شيْ تغير عن الاستواء الى العوج فقد حال واستحال وهو مستحيل . وكلام مستحيل أي محال ، ، والمحال ما عدل به عن وجهه . ويقال : أحلت الكلام أحيله احالة اذا أفسدته ، وأحال الرجل أتى بالمحال وتكلم به أي بما لا يمكن وقوعه (٧) . وللاستحالة معنى آخر وهو « حركة في الكيف كتسخن الماء وتبرده مع بقاء صورته النوعية » (٨) ، والأول

---

(١) خزانة الأدب ص ١١٩ ، شرح عقود الجمان ص ١٣٢ .

(٢) البيت هو :

إليك والا ماتحث الركائب ... وعنك وإلا فالمحدث كاذب

(٣) التوبة ٤٠ .

(٤) أنوار الربيع ج ٣ ص ١١٣ — ١١٤ .

(٥) تحرير التحبير ص ٣٢٧ .

(٦) أنوار الربيع ج ٣ ص ١١٣ — ١١٤ .

(٧) اللسان (حول) .

(٨) التعريفات ص ١٤ .

هو مايتصل بالاستحالة في البلاغة ؛ أما الثاني فهو مما يدخل في غير هذا الفن .

والاستحالة والتناقض من عيوب المعاني وقد تحدث عنهما قدامة فقال : « وهما أن يذكر في الشعر شيء فيجمع بينه وبين المقابل له من جهة واحدة . والأشياء تتقابل على أربع جهات : إما عن طريق المضاف ، ومعنى المضاف هو الشيء الذي يقال بالقياس الى غيره مثل الضعف الى نصفه ، والمولى الى عبده ، والأب الى ابنه ، فكل واحد من الأب والابن والمولى والعبد والضعف والنصف يقال بالاضافة الى الآخر ، وهذه الأشياء من جهة ما ان كان واحد منها يقال بالقياس الى غيره هي من المضاف ، ومن جهة أن كل واحد منها بازاء صاحبه كالمقابل له فهي من المتقابلات .

وإما على طريق التضاد مثل : الشرير للخيّر والحار للبارد والأبيض للأسود . وإمّا على طريق العدم والقنية (١) مثل الأعمى والبصير والأصلع وذي الجمة . وإما على طريق النفي والاثبات مثل أن يقال : « زيد جالس ، زيد ليس بجالس » فاذا أتى في الشعر جمع بين متقابلين من هذه المتقابلات وكان هذا الجمع من جهة واحدة فهو عيب فاحش غير مخصوص بالمعاني الشعرية بل هو لا حق بجميع المعاني . وأعني بقولي : « من جهة واحدة » انه قد يجوز ان يجتمع في كلام منثور أو منظوم متقابلان من هذه المتقابلات ويكون ذلك الاجتماع من جهتين لا من جهة واحدة فيكون الكلام مستقيماً غير محال ولا متناقض . مثال ذلك أن يقال في تقابل المضاف : إن العشرة مثلاً ضعف وانها نصف ، لكن يقال انها ضعف لخمسة ونصف لعشرين ، فلا يكون ذلك محالاً إذا قيل من جهتين ، فاما من جهة واحدة كما اذا قيل انها ضعف ونصف لخمسة ، فلا . وكذلك يجوز ان يجتمع المتقابلات على طريق العدم والقنية من جهتين مثال ذلك أنْ يقال : « زيد أعمى بصير القلب » فيكون ذلك صحيحاً ، فاما من جهة واحدة كما لو قيل في انسان واحد إنه أعمى العين بصيرها ، فلا . وكذلك في التضاد أن يقال في الفاتر « حار » عند البارد و « بارد » عند الحار ، فأما عند أحدهما فلا . وفي النفي والاثبات

---

(١) القنية : ما اكتسب ، يقال « له غنم قنية » أي خالصة له ثابتة عليه .

أن يقال : « زيد جالس » في وقته الحاضر الذي هو جالس ، و« غير جالس » في الوقت الآتي الذي يقوم فيه إذا قام ، فذلك جائز ، فاما في وقت واحد وحال واحدة « جالس » و « غير جالس » فلا . ولهذه العلة يجوز ما يأتي في الشعر على هذه السبيل مثل ما قال خفاف بن ندبة :

إذا انتكثَ الحبلُ ألفيته صبورَ الجَنان رَزينا خفيفا (١)

فلو لم تكن ارادته أنه رزين من حيث ليس خفيفاً ، وخفيف من حيث ليس رزيناً ، لم يجز » (٢) .

وتحدث ابن سنان في باب المعاني عن الاستحالة والتناقض وقال : « إن من الصحة تجنب الاستحالة والتناقض ، وذلك ان يجمع بين المتقابلين من جهة واحدة » (٣) . وذكر بعض ما ذكره قدامة . وفرق بين المستحيل والممتنع بقوله : « وقد فرق بين المستحيل والممتنع بان المستحيل هو الذي لا يمكن وجوده ولا تصوره في الوهم مثل كون الشيء أسود أبيض وطالعا نازلا ، فان هذا لا يمكن وجوده ولا تصوره في الوهم ، والممتنع هو الذي يمكن تصوّره في الوهم وان كان لا يمكن وجوده مثل أن يتصور تركيب بعض أعضاء الحيوان من نوع آخر منه كما يتصور يد أسد في جسم انسان ، فان هذا وان كان لا يمكن وجوده فان تصوره في الوهم ممكن . وقد يصح أن يقع الممتنع في النظم والنثر على وجه المبالغة ، ولا يجوز أن يقع المستحيل البتة » (٤) .

وقال البغدادي ان المستحيل « هو الشيء الذي لا يوجد ولا يمكن مع ذلك أن يتصور في الفكر مثل الصاعد النازل في حال واحدة ، فان هذه الحال لا يمكن أن تكون ولا تصور في الذهن » (٥) . ثم قال عن الامتناع إنه « هو الذي وان

---

(١) انتكث الحبل : انتقض . الجنان — بفتح الجيم — القلب .
(٢) نقد الشعر ص ٢٣٢ .
(٣) سر الفصاحة ص ٢٨١ .
(٤) سر الفصاحة ص ٢٨٧ .
(٥) قانون البلاغة ص ٤١٣ وقد تكلم عليه سيبويه في كتابه ج ١ ص ٢٥.

كان لا يوجد فيمكن أن يتخيل ، ومنزلته دون منزلة المستحيل في الشناعة مثل أن تركب أعضاء حيوان ما على جثة حيوان آخر فان ذلك جائز في التوهم ولكنه معدوم في الوجود » . وعرّف التناقض بمثل تعريفي قدامة وابن سنان ، وذكر جهات التقابل الأربع .

ومما جاء من الاستحالة والتناقض على جهة التضاد قول أبي نواس يصف الخمر :

كأنّ بقايا ما عفى من حَبابها   تفاريقُ شيب في سواد عِذارِ (١)

فشبّه حباب الكأس بالشيب وذلك قول جائز لان الحباب يشبه الشيب في البياض وحده لا في شيء آخر غيره ، ثم قال :

تردّتْ به ثم انفرى عن أديمها   تفرّيَ ليلٍ عن بياض نهار (٢)

فالحباب الذي جعله في هذا البيت الثاني كالليل هو الذي كان في البيت الأول أبيض كالشيب ، والخمر التي كانت في البيت الأول كسواد العِذار هي التي صارت في البيت الثاني كبياض النهار ، وليس في هذا التناقض منصرف الى جهة من جهات العذر ، لان الأبيض والأسود طرفان متضادان ، ولا يجوز أن يوصف الشيء بالسواد والبياض في آن واحد .

ومما جاء من التناقض على طريق المضاف قول عبدالرحمن بن عبدالله القس :

فاني إذا ما الموت حلّ بنفسها   يُزال بنفسي قبل ذاك فأقبرُ

فقد جمع بين « قبل » و « بعد » وهما من المضاف لانه لا قبل إلاّ لبعد ، ولا بعد إلا لقبل ، حيث قال : إنه اذا وقع الموت بها ، وهذا القول كأنه شرط وضعه ليكون له جواب يأتي به ، وجوابه هو قوله : يُزال بنفسي قبل ذاك ، وهذا شبيه بقول قائل لو قال : إذا انكسر الكوز انكسرت الجرة قبله ، وقد جعل هذا الشاعر ما هو قبل بَعْداً .

ومما جاء من التناقض على طريق القنية والعدم قول يحيى بن نوفل :

---

(١) عفى : امحى . الحباب : الفقاقيع التي تعلو الماء أو الخمر . العذار : جانب اللحية .
(٢) تردت به : اتخذته رداءا . انفري : انشق .

لأعلاجٍ ثمانيــة وشيخٍ   كبيرِ السِّنِ ذي بَصَرٍ ضريرِ (١)

فلفظة « ضرير » تستعمل في الاكثر للذي لا بصر له ، وقول الشاعر في هذا الشيخ : إنه ذو بصر وانه ضرير تناقض من جهة القنية والعدم ، وذلك كأنه يقول : ان له بصراً ولا بصر له فهو بصير أعمى .

ومن التناقض على طريق الايجاب والسلب قول عبدالرحمن بن عبدالله القس :

أرى هجرها والقتل مثلين فاقصروا   ملامكم فالقتل أعفى وأيسرُ

فأوجب هذا الشاعر الهجر والقتل انهما مثلان ثم سلبهما ذلك بقوله : « إن القتل أعفى وأيسر » فكأنه قال : إن القتل مثل الهجر وليس هو مثله ، ولو قال « بل القتل أعفى وأيسر » لكان الشعر مستقيماً .

الاستحقاق :

الاستحقاق : الاستيجاب ، يقال : استحق الشيءَ أي استوجبه (٢) .

والاستحقاق من أنواع أخـذ المعنى عند القرطاجني ، ويفهم من كلامه ان الشاعر يستحق المعنى اذا فضلت عبارته عن عبارة المتقدم ، وهذا حسن جيد في باب الأخذ الذي تحدث عنه البلاغيون على مختلف العهود . قال القرطاجني وهو يتحدث عن المعاني : « فمراتب الشعراء فيما يلمون به من المعاني اذن أربع : اختراع واستحقاق وشركة وسرقة . فالاختراع هو الغاية في الاستحسان ، والاستحقاق تالٍ له ، والشركة منها ما يساوي الآخر فيه الأولى فهذا لا عيب فيه ، ومنها ما ينحط فيه الآخر عن الأول فهذا معيب ، والسرقة كلها معيبة وان كان بعضها أشد قبحاً من بعض » (٣) . وفي هذا النص يتضح ان الاستحقاق ليس مما يعاب بل انه بعد الاختراع في المنزلة . وقد أوضح القرطاجني هذه المسألة بقوله : « فاذا تساوى تأليفا الشاعرين في ذلك فانه يسمى الاشتراك ، وان فضلت فيه عبارة المتقدم فذلك الاستحقاق لانه استحقَّ نسبة المعنى اليه باجادته نظم العبارة عنه »(٤)

---

(١) العلج : الرجل من كفار العجم .
(٢) اللسان (حقق) .
(٣) منهاج البلغاء ص ١٩٦ .
(٤) منهاج البلغاء ص ١٩٣ .

الاستخبار :

الاستخبار من استخبر ، واستخبر : سأله عن الخبر وطلب أن يخبره ، ويقال : تخبرت الخبر واستخبرته ، وتخبرت الجواب واستخبرته . والاستخبار والتخبر : السؤال عن الخبر ، واستخبر إذا سأل عن الأخبار ليعرفها (١) .

وكان ثعلب قد ذكر ان قواعد الشعر أربع : أمر ، ونهي ، وخبر ، واستخبار. (٢) ولم يعرّف الاستخبار وانما قال إنه كقول قيس بن الخطيم :

أنّى سربت وكنت غير سروبِ   وتقرّبُ الأحلامُ غيرَ قريب

ما تُمنعي يقظى فقد تؤتينه   في النوم غير مصرّد محسوبِ (٣)

فالاستخبار عنده هو الاستفهام ، وهو ما ذهب اليه ابن قتيبة حينما قال : « الكلام أربعة : أمر ، وخبر ، واستخبار ، ورغبة » (٤) . ولكنهما لم ينصا على ذلك وان كان ذلك مفهوماً من تقسيمهما الكلام ، غير ان ابن فارس قال عنه : « الاستخبار : طلب خبر ما ليس عند المستخبر ، وهو الاستفهام . وذكر ناس ان بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق ، قالوا : وذلك ان اولى الحالين الاستخبار ؛ لانك تستخبر فتجاب بشيء فربما فهمته وربما لم تفهمه ، فاذا سألت ثانية فانت مستفهم ، تقول : أفهمني ما قلته لي . قالوا : والدليل على ذلك ان الباري — جل ثناؤه — يوصف بالخبر ولا يوصف بالفهم » (٥) . وذكر الزركشي مثل ذلك وقال إن الاستخبار بمعنى الاستفهام ، وأشار الى من فرّق بينهما نقلاً عن ابن فارس (٦) . ولكن البلاغيين أداروا مصطلح « الاستفهام » في مباحثهم وكتبهم ،

---

(١) اللسان (خبر) .
(٢) قواعد الشعر ص ٢٥ .
(٣) سربت : سريت . غير سروب : غير مبعدة ، أي انها لاتبعد الضرب في الارض. مصرد مقلل .
(٤) أدب الكاتب ص ٤ .
(٥) الصاحبي ص ١٨١ .
(٦) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٢٦ .

وهو ما استعمله النحاة حينما تحدثوا عن أدوات الاستفهام ، في حين ان عبدالقاهر قد قال إن الاستفهام استخبار ، « والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك»(١)

الاستخدام :

الاستخدام في اللغة استفعال من الخدمـــة (٢) وذكر الخطيبي انه « يسمى أيضاً الاستحدام ـ بالحاء المهملة » (٣)، ولا صلة لهذه الكلمة بالاستخدام الذي هو « أن تكون الكلمة لها معنيان فتحتاج اليها فتذكرها وحدها فتخدم للمعنيين»(٤)، لان الحَدْمَ شدة احماء الشيْ بحر الشمس والنار ، يقال : حَدَمه فاحتدم ، وحَدَمة النار : صوت التهابها ، والاحتدام شدة الحر ، واحتدمت النار : التهبت، واحتدم صدر فلان غيضا ، واحتدمت القدر : إذا اشتد غليانها ، واحتدم الدم إذا اشتدت حمرته حتى يسوّدّ . ولا صلة للاستخدام بالاستحذام، لان الحذم القطع أو الاسراع في المشي أو المشي الخفيف (٥) .

وكان ابن منقذ أول من عرّفه بقوله : « اعلم ان الاستخدام هو أن تكون الكلمة لها معنيان فتحتاج اليها فتذكرها وحدها فتخدم للمعنيين » (٦) . ومثّل له بقوله تعالى : « يا أيّها الذين آمنوا لا تَقْرَبوا الصلاةَ وأنتم سُكارى » (٧) ، والصلاة ههنا تحتمل أن تكون فعل الصلاة وموضع الصلاة، فاستخدم الصلاة بلفظ واحد ؛ لانه قال سبحانه : « إلاّ عابري سبيل» فدلّ على أنه أراد موضع الصلاة ، وقال تعالى : « حتى تَعلموا ما تقولون » فدلّ على أنه فعل الصلاة .

وذكر قول البحتري :

فسقى الغَضا والساكنيه وإنْ هُمُ ... شَبّوه بين جَوانحٍ وقلوبِ

---

(١) دلائل الاعجاز ص ١٠٨ .

(٢) اللسان (خدم) وخزانة الأدب ص ٥٢ ، وأنوار الربيع ج ١ ص ٣٠٧ .

(٣) عروس الافراح ج ٤ ص ٣٢٦ .

(٤) البديع في نقد الشعر ص ٨٢ .

(٥) اللسان (حدم) و (حذم) .

(٦) البديع في نقد الشعر ص ٨٢ .

(٧) النساء ٤٣ .

فالغضا يحتمل أن يكون الموضع ، ويحتمل ان يكون الشجر ، فاستخدم المعنيين بقوله : « والساكنيه » وبقوله : « وان هم شبوه » .

ومن ذلك قول بعض العرب :

إذا نزل السماء بأرض قوم　　　رعيناه وإن كانوا غضابا

فالسماء تحتمل معنيين : المطر والنبات ، فاستخدم المعنيين بقوله : « إذا نزل » وبقوله : « رعيناه » لان النزول من حالات المطر والرعي من حالات الكلأ .

وذكر ابن منقذ نوعاً آخر من الاستخدام ومثّل له بقول الشاعر :

اسم من ملّني ومن صدّ عني　　　وجفاني لغير ذنب وجرم
والذي ضنّ بالوصال علينا　　　مثلما ضنّ بالهوى قلبُ نُعْم

وهذا استخدام في الاعراب ، لأن « قلب » مرفوع بالابتداء وبفاعل « ضنّ » وهو أيضاً استخدام في المعنى لان معنى قلب من القلوب ومعنى العكس لان الاسم مَعْن .

وعرفه ابن شيث القرشي بقوله : « هو أن تكون الكلمة تقتضي معنيين فتستخدم فيهما جميعاً » (١) ومثاله : « أنا على عهدك الذي تعلمه لم أحلّ من أمرك عقدا ، ولا مكانا آنس منك فيه فقدا » ، فقد استعمل « أحل » للمعنيين ، ومثاله : « أنت في قلبي مالي عنك ولا لغيرك قلب » ، فـ « قلب » مستخدمة لقوله : « لي » ولقوله : « عنك » .

وقال المصري : « هو أن يأتي المتكلم بلفظة لها معنيان ثم يأتي بلفظتين تتوسط تلك اللفظة بينهما ، ويستخدم كل لفظة منهما لمعنى من معنيي تلك اللفظة المتقدمة » (٢). وربما التبس هذا الفن بالتورية ولذلك قال : « والفرق بينهما أنّ التورية استعمال أحد المعنيين من اللفظة وإهمال الآخر ، والاستخدام استعمالهما معا » .

---

(١) معالم الكتابة ص ٨٢ .
(٢) تحرير ص ٢٧٥ ، بديع القرآن ص ١٠٤ ، وينظر البرهان ج ٣ ص ٤٤٦ .

ونقل الحلبي والنويري تعريف المصري (١) ، واختلف تعريف الاستخدام بعد ذلك وانقسم البلاغيون الى مؤيد لابن مالك ومنتصر للقزويني ، فابن مالك يقول : « إن الاستخدام اطلاق لفظ مشترك بين معنيين ثم يأتي بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين ، ومن الآخر المعنى الآخر ، ثم ان اللفظين قد يكونان متأخرين عن اللفظ المشترك وقد يكونان متقدمين ، وقد يكون اللفظ المشترك متوسطاً بينهما »(٢). ومثال هذه الطريقة قوله تعالى : « لكلِ أجَلٍ كتابٌ ، يمحو اللهُ ما يشاء ويُثْبتُ » (٣) ، فان لفظة « كتاب » يحتمل أن يراد بها الأجل المحتوم والكتاب المكتوب ، وقد توسطت بين لفظتي « أجل » و « يمحو » فاستخدمت أحد مفهوميها وهو الأمد بقرينة ذكر الأجل ، واستخدمت المفهوم الآخر وهو الكتاب المكتوب بقرينة « يمحو ». وهذا ما ذكره المصري من قبل حينما ذكر ..ه الآية شاهداً للاستخدام .

والقزويني يقول : « هو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم بضميره معناه الآخر ، أو يراد بأحد ضميريه أحدهما وبالآخر الآخر »(٤) . وسار على هذا المذهب معظم البلاغيين واصحاب البديعيات (٥) .

ورجع ابن الجوزية الى تعريف ابن منقذ وامثاله (٦) ، وذكر الحموي طريقتي ابن مالك والقزويني ثم قال : « وعلى كل تقدير فالطريقتان راجعتان الى مقصود واحد ، وهو استعمال المعنيين بضمير وغير ضمير » (٧) . وذكر الآية التي استشهد بها ابن مالك ثم قال : « ومنه قوله من القصيدة النباتية :

(١) حسن التوسل ص ٢٦٧ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٤٣ .
(٢) خزانة الأدب ص ٥٢ ، انوارج ١ ص ٣٠٨ . وقد سقط هذا التعريف والفن كله من المصباح المطبوع .
(٣) الرعد ٣٩ .
(٤) الايضاح ص ٣٥٤ ، التلخيص ص ٣٦٠ .
(٥) عروس ج ٤ ص ٣٢٦ ، المطول ص ٤٢٦ ، المختصر ج ٤ ص ٣٢٦ ، الاطول ج ٢ ص ١٩٥ ، مواهب ج ٤ ص ٤٢٦ .
(٦) الفوائد ص ٢١٦ .
(٧) خزانة ص ٥٣ .

حَوَيت ريقاً نباتياً حلا فغدا ينظّـمُ الدرَّ عقداً من ثناياك

فان لفظة « نباتي » يحتمل الاشتراك بالنسبة الى السكر والى ابن نباتة الشاعر وقد توسطت بين « الريق » وحلاوته وبين « الدر » و « النظم » و « العقد » فاستخدمت أحد مفهوميها وهو السكر النباتي بذكر الريق والحلاوة ، واستخدمت من المفهوم الآخر وهو قول الشاعر « النباتي » بذكر النظم والدر والعقد » . وذكر ان شاهد الضمائر على طريقة القزويني بيت واحد وهو قول القائل: « إذا نزل السماء . . . »، وان شاهد الضميرين قول البحتري : « فسقى الغضا . . . » ولم يخرج البلاغيون عن هذين البيتين في مثل هذه الحالة وان ذكروا غيرهما في الحالات الأخرى .

وذكر السيوطي ما قاله الحموي، وأشار الى أن الطريقة الثانية مذهب السكاكي واتباعه(١) ،غير ان مفتاح العلوم لا يحوي هذا الفن ولعل السيوطي يريد به طريقة القزويني وشراح تلخيصه.ثم قال: « قيل: ولم يقع في القرآن على طريقة السكاكي. قلت : وقد استخرجت بفكري آيات على طريقته منها قوله تعالى : « أتى أمْرُ الله (٢) » ، فأمر الله يراد به قيام الساعة والعذاب وبعثة النبي — صلى الله عليه وسلم — وقد أريد بلفظه الأخير كما أخرج ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى : « أتى أمر الله » . قال : « محمد » وأعيد الضمير عليه في « تستعجلوه » مراداً به قيام الساعة والعذاب » .

وذكر المدني الطريقتين وسمى الثانية طريقة الخطيب في الايضاح والتلخيص ومن تبعه ولم ينسبها الى السكاكي وذكر عبارة السيوطي على الوجه الآتي : « قال الحافظ السيوطي في الاتقان : قيل ولم يقع في القرآن على طريقة صاحب الايضاح شيءٌ من الاستخدام » (٣) مع أن العبارة كما جاءت في معترك الاقران والاتقان وشرح عقود الجمان هي : « وهذه طريقة السكاكي واتباعه » . وليس في مفتاح العلوم ذكر للاستخدام .

وقد ذكر الحلي ان الاستخدام عزيز (٤) ولذلك لم يذكر المتقدمون له أمثلة

---

(١) معترك ج ١ ص ٣٧٦ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٤ ، شرح عقود الجمان ص ١١٦ .
(٢) النحل ١ . (٣) أنوار ج ١ ص ٣٠٨ . (٤) أنوار ج ١ ص ٣٠٩ .

كثيرة ، ومعظمها ما سبق ذكره في هذا المقام .

الاستدراج :

الاستدراج من استدرج ، واستدرجه بمعنى أدناه منه على التدريج فتدرّج هو ، وفي التنزيل العزيز : « سَنَستَدرِجُهم من حيثُ لا يعلمون » (١) ، أي : سنأخذهم قليلاً قليلاً ولا نباغتهم ، وقيل إنّ معناه سنأخذهم من حيث لا يحتسبون (٢) .

وذكر ابن الأثير انه استخرج هذا الفن من كتاب الله وقال : « وهو مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الافعال . والكلام فيه وان تضمن بلاغة فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط ، بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم الى الاذعان والتسليم . واذا حقق النظر فيه علم ان مدار البلاغة كلها عليه ؛ لانه لا انتفاع بايراد الألفاظ المليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها . والكلام في مثل هذا ينبغي أن يكون قصيراً في خلابه لا قصيراً في خطابه ، فاذا لم يتصرف الكاتب في استدراج الخصم الى إلقاء يده فليس بكاتب ولا شبيه له إلاّ صاحب الجدل ، فكما أن ذاك يتصرف في المغالطات القياسية فكذلك هذا يتصرف في المغالطات الخطابية » (٣)

وقال في تعريف الاستدراج : « هو التوصل الى حصول الغرض من المخاطب والملاطفة له في بلوغ المعنى المقصود من حيث لا يشعر به ، وفي ذلك من الغرائب والدقائق ما يوثق السامع ويطربه ؛ لان مبنى صناعة التأليف عليه ومنشأها منه » (٤)

ومثال ذلك قوله تعالى : « واذْكُرْ في الكتاب ابراهيمَ إنّه كان صِدّيقاً نبيا . إذ قال لأبيه يا أبَتِ لمَ تَعبُدُ ما لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا يُغني عنك شيئاً . يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتِكَ فاتبعني أهْدِكَ صراطاً سويّا . يا أبت لا تعبد الشيطانَ ، إنّ الشيطانَ كان للرحمن عصيا ، يا أبت إني أخاف

---

(١) الأعراف ١٨٢ .

(٢) اللسان (درج) ، وينظر التعريفات ص ١٤ .

(٣) المثل ج ٢ ص ٦٨ .

(٤) الجامع الكبير ص ٢٣٥ .

أن يمسّكَ عذابٌ من الرحمن فتكونَ للشيطان وليا » (١) . وقال ابن الأثير معلقاً على هذه الآيات : « هذا كلام يهزّ أعطاف السامعين ويبهج نفوس المتأملين ، فعليك أيها المترشح لهذه الصناعة بامعان النظر في مطاويه وترداد الفكر في أثنائه ، واتخاذه قدوة ونهجاً تقتفيه ، ألا ترى حين أراد ابراهيم أن ينصح أباه ويعظه مما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم الذي عصى به أمر العقل كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق وانتظام مع استعمال المجاملة واللطف واللين والأدب الجميل والخلق الحسن مستنصحاً في ذلك بنصيحة ربه وذلك أنه طلب منه أولاً العلة في خطيئته طلب، منبّه على تماديه موقظ له لافراطه في غفلته وتناهيه ؛ لان المعبود لو كان حيا متميزاً سميعاً بصيرا مقتدراً على الثواب والعقاب إلا انه بعض الخلق لاستَسخفَ عقل من أهّله للعبادة ووصفه بالربوبية ولو كان أشرف الخلق كالملائكة والنبيين ، فكيف لمن جعل المعبود جماداً لا يسمع ولا يبصر ؟ ثم ثنّى ذلك بدعوته الى الحـــق مترفقاً به متطلعاً فلم يَسِمْ أباه بالجهل المطـــلق ولا نعته بالعلم الفائق ولكنه قال : إن معي لطائف من العلم وشيئاً منه . وذلك علم الدلالة على الطريق السويّ ، فلا تستنكف وهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه . ثم ثلّث ذلك بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده ، وهو عدوّك وعدوّ أبيك آدم ، هو الذي ورّطكَ في هذه الورطة وألقاك في هذه الضلالة . إلا أن ابراهيم — عليه السلام — لامعانه في الاخلاص لم يذكر من جنايتي الشيطان إلاّ التي تختص منها بالله — عزّ وجل — عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لآدم — عليه السلام — وذريته. ثم ربّع ذلك بتخويفه سوء العاقبة وما يُنتج عليه من الوبال . ولم يَخْلُ هذا الكلام من حسن أدب بحيث لم يصرّح بان العقاب لاحق لأبيه ولكن قال : « إني أخاف أن يمسّك عذاب » فذكر الخوف والمسّ إعظاما لهما ونكر العذاب ، وجعـل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه أكبر من العذاب وصـدّر كل نصيحة

(١) مريم ٤١ — ٤٥ .

من النصائح الأربع بقوله : « يا أبت » توسلاً اليه واستعطافاً ، فقال له في الجواب : «قال : أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم؟ لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليّا »(١) ألا ترى كيف أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظ العناد فناداه باسمه ولم يقابل قوله : « يا أبت » بـ« يا بُنيّ » ؟ وقدّم الخبر على المبتدأ في قوله : « أراغبٌ أنت عن آلهتي يا ابراهيم؟ » لانه كان أهم عنده وفيه ضروب من التعجب والانكار لرغبة ابراهيم عن آلهته وأن آلهته لا ينبغي أن يرغب أحد عنها » (٢)

وعرفه ابن الأثير الحلبي بقوله : « يقال استدرج فلانٌ فلاناً إذا توصل الى حصول مقصوده من غير أن يشعره من أول وهلة . والمراد بذلك الملاطفة في الخطاب ولزوم الأدب في الكلام مع المخاطب بحيث لا تنفر نفسه قبل حصول المقصود منه » (٣) . وهذا قريب من قول ابن الاثير السابق ، ونقل أحد امثلته وعلّق عليه بما يشير الى أنه أخذ منه .

وذهب العلوي (٤) الى ما ذهب اليه السابقان وذكر الآيات التي استشهدا بها ولكنه أضاف الى أمثلتهما شواهد أخرى من كلام النبي — صلى الله عليه وسلم — وكلام علي — رضي الله عنه — . وذكر أبياتاً للمتنبي ، وقال انها من لطيف ما جاء في الاستدراج من المنظوم ، وذلك ان سيف الدولة كان مخيماً بأرض الديار البكرية على مدينة ميافارقين ليأخذها فعصفت الريح خيمته فأسقطتها فتطير الناس لذلك وقالوا إنه لا يأخذها فامتدحه المتنبي بقصيدة يعتذر فيها عن سقوط الخيمة ويستدرج ما أثّر ذلك في صدره بالازالة والمحو تقريباً لخاطره وتطييباً لنفسه فأجاد فيها كل الاجادة وأحسن في الاعتذار والاستدراج غاية الاحسان ، مطلعها :

أينفعُ في الخيمة العذّلُ ... وتَشمل من دهرنا يَشْمُلُ

ومنها قوله :

تضيقُ بشخصك أرجاؤها ... ويركضُ في الواحد الجحفلُ
وتقصر ما كنت في جوفها ... وتركزُ فيها القنا الذُبّلُ

---

(١) مريم ٤٦ . (٢) الجامع الكبير ص ٢٣٥ ، المثل السائر ج ٢ ص ٦٩ .
(٣) جوهر الكنز ص ١٥٦ . (٤) الطراز ج ٢ ص ٢٨١ .

ثم قال :

وإنّ لها شرفاً باذخــاً ... وإن الخيامَ بهـا تخجلُ
فلا تنكرنّ لهـا صرعـةً ... فمن فرح النفس مـا يقتلُ
ولمـا أمـرتَ بتطنيبهـا ... أشيـع بانّكَ لا تـرحـلُ
فما اعتمد الله تقويضـهـا ... ولكنْ أشارَ بما تفعلُ
وعرّفَ أنكِ من همّـه ... وأنك في نصـره تَرْفُـلُ
فمـا العاندون ومـا أمّلُوا ... وما الحاسدون وما قَـوّلُـوا
هُـمُ يطلبونَ فمـن أدركوا ... وهم يكذبون فمـن يقبلُ
وهم يتمنون مـا يشتهـو ... ن ومن دونـه جدُّكَ المقبلُ

وكان ابن الاثير قد ذكر هذه الابيات شاهداً على المعاني البديعة التي جاء بها المتنبي (١) ، ولم يذكرها في فن الاستدراج كما فعل العلوي .

وقال التنوخي : « ومن البيان الاستدراج ، وهو استمالة المخاطب بما يؤثره ويأنس اليه أو ما يخوّفه ويرعبه قبل أن يفاجئه المخاطب بما يطلب منه . وهذا باب واسع ، وهو أن يقدم المخاطب ما يعلم انه يؤثر في نفس المخاطب من ترغيب وترهيب واطماع وتزهيد . وأمزجة الناس تختلف في ذلك فينبغي أن يستمال كل شخص بما يناسبه وهذا لا يؤثر فيه التعليم إلا يسيراً ، بل ينبغي أن يكون في مزاج الانسان قوة تؤديه الى ذلك وهي تصرف في الكلام كتصرف الانسان في أحواله وأفعاله بما يعود عليه نفعه » (٢) .

ونقل ابن الجوزية (٣) ما قاله ابن الأثير الذي ابتدع هذا الفن ، وذكر أمثلته من آيات الذكر الحكيم .

الاستدراك :

الاستدراك من استدرك الشيء بالشيْ إذا حاول إدراكه به (٤) . والاستدراك :

---

(١) المثل ج ١ ص ٣١٤ .
(٢) الأقصى القريب ص ١٠٣ .
(٣) الفوائد ص ٢١٢ .
(٤) اللسان (درك) ، التعريفات ص ١٦ .

« رفع توهم يتولد من الكلام السابق رفعاً شبيهاً بالاستثناء وهو معنى« لكن» (١) على ان تكون هناك نكتة طريفة لتحسنه وتدخله في البديع ، وإلا فلا يعد منه .

وسماه ابن المعتز الرجوع وقال : « هو أن يقول شيئاً ويرجع عنه » (٢)

وسماه العسكري الرجوع ايضاً وقال : « هو أن يذكر شيئاً ثم يرجع عنه (٣) » وهذا تعريف السابق .

وسماه التبريزي الاستدراك والرجوع (٤) ، وقال البغدادي عنه : « وأما الاستدراك والرجوع فهو ان يبتدىء الشاعر بمعنى فينفي شيئاً ثم يستدركه بما يؤيد هذا المعنى أو يثبت ما نفاه أولاً » (٥) .

وقال ابن الزملكاني : « الاستدراك والرجوع ، هو أن يعود المتكلم على ما سبق من كلامه بالنقض والابطال » (٦) .

وقال المصري ان الاستدراك والرجوع على قسمين : قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير لما أخبر به المتكلم وتوكيد . وقسم لا يتقدمه ذلك (٧) ومن أمثلة الأول قول ابن الرومي :

واخوان تخذتهم دروعاً ... فكانوها ولكن للاعادي
وخلتهم سهاماً صائبات ... فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب ... لقد صدقوا ولكن من ودادي

ومن الثاني وهو الذي لا يتقدم الاستدراك فيه تقرير ولا توكيد قول زهير :

أخو ثقة لا تُهلك الخمرُ ماله ... ولكنه قد يُهلك المالَ نائلُه

وهذه الشواهد لا تنطبق إلا على الاستدراك ، وقد سار على خطاه الحلبي والنويري وذكرا تعريفه وتقسيمه وامثلته (٨) .

---

(١) أنوارج ١ ص ٣٨٥ . (٢) البديع ص ٦٠ .
(٣) كتاب الصناعتين ص ٣٩٥ .
(٤) الوافي ص ٢٨٠ .
(٥) قانون البلاغة ص ٤٤٨ .
(٦) التبيان ص ١٨٢ .
(٧) تحرير التحبير ص ٣٣١ ، بديع القرآن ص ١١٧ .
(٨) حسن التوسل ص ٢٧٩ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٥١ .

وجمع ابن الأثير الحلبي بين الاستثناء والاستدراك ، وقال بعد أن عرّف الاستثناء : « وأما الاستدراك فهو مثل ذلك إلا انه يفارق الاستثناء بلفظة لكن »(١) وقال السبكي إن « الاستدراك اما بعد تقدم تقرير كقوله تعالى : « إذ يُريكَهُمُ اللهُ في منامِكَ قليلاً ولو أراكَهُمْ كثيراً لفَشِلْتُمْ ولتَنازَعْتُمْ في الأمر ولكنَّ اللهَ سَلَّمَ » (٢) . أو بعد تقدم نفي كقوله تعالى : « وما رَمَيْتَ إذ رَمَيْتَ ولكنَّ اللهَ رَمى »(٣). وهذا القسم يرجع الى الطباق أو الرجوع » (٤) . وهذا كلام المصري في كتابه « بديع القرآن » (٥) .

وعاد الحموي الى ما ذكره المصري في « تحرير التحبير » ولكنه سماه استدراكاً وفرّق بينه وبين الرجوع (٦) ، وذكر قسمي المصري وأمثلته ثم قال : « ومتى لم يكن في الاستدراك نكتة زائدة عن معنى الاستدراك لتدخله في أنواع البديع وإلاّ فلا يعدّ بديعا » (٧) . فلو اقتصر زهير في بيته :

أخو ثقة لا تهلك الخمرُ ماله ولكنّه قد يُهلك المالَ نائلُهْ

على صدر البيت لدلّ على ان ماله موفور وتلك صفة ذم ، ولكنه استدرك ما يزيل هذا الاحتمال ويخلص الكلام للمدح بالشطر الثاني .

وجمع السيوطي بين الاستدراك والاستثناء (٨) ، وذكر لكل منهما مثالاً خاصاً وفصل بينهما في « شرح عقود الجمان » ووضع لكل واحد فصلا ، وعرّف الاستدراك بمثل ما عرفه المصري وذكر أمثلته (٩) . وفعل مثل ذلك المدني(١٠)

---

(١) جوهر الكنز ص ٢٤٧ .
(٢) الانفال ٤٣ .
(٣) الانفال ١٧ .
(٤) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٦٩ .
(٥) بديع القرآن ص ١١٧ - ١١٨ .
(٦) خزانة ص ٣٦٧ .
(٧) خزانة ص ٦٥ .
(٨) معترك ج ١ ص ٣٩٠ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٨ .
(٩) شرح عقود الجمان ص ١٣٢ .
(١٠) أنوار ج ١ ص ٣٨٥ .

ومن أمثلة ابن المعتز قول بشار :

نبئتُ فاضحُ أمه يغتابني   عند الأمير وهل عليَّ أميرُ

ومن أمثلة البغدادي قول زهير :

قفْ بالديار التي لم يَعْفها القِدَمُ   بلى وغيّرها الأرْواحُ والدِّيَمُ

وقول الأعرابي :

أليس قليلاً نظرةٌ إنْ نظرتُها   إليك وكلاّ ليس منك قايلُ

ومن أمثلة المصري وغيره قوله تعالى : « إذْ أنتم بالعُدْوَةِ الدنيا وهم بالعُدْوَة القُصْوَى والركْبُ أسفَلَ منكم ولو تواعدتم لاختلفتُمْ في الميعاد ولكن ليقضي اللهُ أمْراً كان مفعولا ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عن بيِّنةٍ ويحيا من حَيَّ عن بَيِّنَةٍ » (١) . فالله سبحانه أخبر عن الأمر الواقع بخبر أخرجته الفصاحة مخرجَ المثل ، وقوّى دليل الكلام بذكر العلة حيث قال بلفظ الاستدراك : « ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولا » .

ومنه قول ابن الدويدة المغربي فيمن أودعت عنده وديعة فادّعى ضياعها :

إن قال قد ضاعَتْ فيصدُقُ أنها   ضاعَتْ ولكن منك يَعْني لو تَعي
أو قال قد وَقَعْت فيصدقُ أنها   وقَعَتْ ولكن منه أحْسَنَ موقعِ

وقال الأرجاني :

غالطتني إذ كَسَتْ جسمي ضنىً   كِسْوةَ أعرتْ عن اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندي في الهوى   مثل عيني ، صدقت لكن سَقاما

وقال ابن أبي حجلة :

شكوت الى الحبيبة سُوءَ حظّي   وما ألقاهُ من ألَمِ البعادِ
فقالت أنت حظك مثل عيني   فقلت : نعم ، ولكن في السوادِ

---

(١) الأنفال ٤٢ .

وقال المعري :

فيا دارها بالحَزْنِ إنّ مَزارَها قريبٌ ولكن دُونَ ذلك أهْوالُ

الاستدعاء :

الاستدعاء من استدعى ، وكان قدامة قد تحدث عن عيوب ائتلاف المعنى والقافية وقال : « ومن عيوب هذا الجنس أن يؤتى بالقافية لتكون نظيرة لاخواتها في السجع لا لان لها فائدة في معنى البيت » (١) كقول أبي عدي القرشي :

وَوُقيت الحتوف من وارثٍ وا لِ وأبقاك صالحاربُّ هــودِ

فليس نسبة هذا الشاعر الله ـ عز وجل ـ الى أنه « رب هود » بأجود من نسبته الى انه « رب نوح » ولكن القافية كانت دالية فأتى بذلك للسجع لا لافادة معنى بما أتى به منه .

وسماه ابن رشيق الاستدعاء وقال عنه : « هو ألاّ يكون للقافية فائدة إلا كونها قافية فقط فتخلو حينئذ من المعنى»(٢). وذكر البيت السابق وقول السيد الحميري :

أقسم بالفجر وبالعشــر والشّفْع والوَتْر ورب لقمان
في منزل محكم ناطــق بنــور آيات وبــرهـــان
فالفجر فجر الصبح والعشر عشر النحر والشفــع نجيان
محمد وابن أبي طالب والوتر رب العزة البـــاني
باني سماوات بناهــابلا تقــدير إنسي ولا جـــانِ

ثم قال ابن رشيق : « فانظر الى قوله « رب لقمان » ما أكثر قلقه وأشد ركاكته » .

وذكر البيت الذي ذكره قدامة أيضاً وهو قول علي بن محمد صاحب البصرة :

وسابغة الأذيال زُغْف مفاضة تكنفها مني نجاد مخطط(٣)

وقال : « فلا أدري معنى هذا الشاعر في تخطيط النجاد ، وهذا أقل ما في تكلف القوافي الشاردة إذا ركبها غير فارسها ، وراضها غير سائسها » .

ولم يذكر الاستدعاء أحد بعد قدامة وابن رشيق فيما وصل من كتب البلاغة والنقد .

---

(١) نقد الشعر ص ٢٥٥ . (٢) العمدة ج ٢ ص ٧٤ .

(٣) الزغف : الدرع المحكمة .

الاستدلال بالتعليل :

الاستدلال من استدل ، وهو « تقرير الدليل لاثبات المدلول سواء كان ذلك من الأثر الى المؤثر فيسمى استدلالاً إنيا ، أو بالعكس ويسمى استدلالاً لميا ، أو من أحد الأثرين الى الآخر » (١) .

وذكر ابن سنان الاستدلال بالتعليل (٢) ، وهو ما يسمى في البديع حسن التعليل ولم يعرّفه وانما ذكر له قول أبي الحسن التهامي :

لو لم تكن ريقته خمرةً   لما تثنى عطفه وهو صاح

وقوله :

لو لم يكن اقحواناً ثغر مبسمها   ما كان يزداد طيباً ساعةَ السّحَرِ

وقول البحتري :

ولو لم تكن ساخطاً لم أكن   أذمّ الزمان وأشكو الخطوبا

وقال ابن سنان ان قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهةٌ إلاّ الله لفسدتا » (٣) جارٍ هذا المجرى . وهذا من المذهب الكلامي عند البلاغيين .

الاستدلال بالتمثيل :

قال ابن سنان : « وأما الاستدلال بالتمثيل فان يزيد في الكلام معنى يدل على صحته بذكر مثال له » (٤) . كقول المعري :

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم   والعذب يهجر للافراط في الخَصَرِ (٥)

فدلّ على أن الزيادة فيما يطلب ربما كانت سبباً للامتناع منه بتمثيل ذلك بالماء الذي لا يشرب لفرط برده وان كان البرد فيه مطلوباً محمودا .

ومنه قول أبي تمام :

أخرجتموه بكرهٍ من سجيته   والنار قد تُنتضَى من ناضر السّلَمِ (٦)

---

(١) التعريفات ص ١٢ .

(٢) سر الفصاحة ص ٣٢٧ .

(٣) الأنبياء ٢٢ .

(٤) سر الفصاحة ص ٣٢٤ .

(٥) الخصر : البرد .

(٦) السلم : جنس من الشجر شائك .

وقوله :

وإذا أرادَ اللهُ نَشْرَ فضيلةٍ طُويتْ أتاح لها نسانَ حَسودِ
لولا اشتعالُ النار فيما جاورت ما كان يُعْرَفُ طيبُ عَرْفِ العُود(١)

وقال ابن سنان إن من الاستدلال بالتمثيل على الوجه الصحيح قول النابغة الذبياني يخاطب النعمان :

ولكنني كنت امرءً ليَ جانبٌ من الأرض فيه مُستراد ومذهبُ
ملوك واخوان إذا ما لقيتهم أحكمُ في اموالهم وأقرّبُ
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا

ثم قال : « فاستدل النابغة على انه لا يستحق اللوم بمدحه آل جفنة وقد أحسنوا اليه بما مثّله من القوم الذين أنعم النعمان عليهم ، فلما مدحوه لم يكونوا عنده ملومين » . وهذا من المذهب الكلامي عند البلاغيين ، أما الأبيات الاولى فهي من التمثيل او الاستعارة بالتمثيل .

الاستشهاد :

يقال : أشهدت الرجل على اقرار الغريم واستشهدته بمعنى ، ومنه قوله تعالى : « واستشهدوا شهيدينِ من رجالكم » (٢) أي : أشهدوا شهيدين . واستشهدت فلانا على فلان إذا سألته إقامة شهادة احتملها (٣) .

وذكر العسكري فنا سماه « الاستشهاد والاحتجاج »وهو من زياداته (٤)، وقد قال عنه : « وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين ، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى ، وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته » (٥). ومثاله قول بشار :

---

(١) العرف : الرائحة مطلقاً ، وأكثر استعماله في الطيبة .
(٢) البقرة ٢٨٢ .
(٣) اللسان (شهد) .
(٤) كتاب الصناعتين ص ٢٦٧ .
(٥) كتاب الصناعتين ص ٤١٦ .

فلا تجعلِ الشُّورى عليك غضاضةً فان الخوافي قُوَّةٌ للقوادمِ

وقول أبي تمام :

نقّل فؤادَك حيثُ شئتَ من الهوى ما الحبُّ إلا للحبيب الأولِ
كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى وحنينُه أبَداً لأول منزل

وأخذ الدمنهوري بهذا المعنى وذكر أبيات العسكري التي ذكرها في الصناعتين وهي :

كان لي ركن شديدٌ وقعت فيه الزلازل
زعزعته نُوَب الـدهـ ـرِ وكرّات النوازل
ما بقاء الحجر الصلـ ـب على وقع المعاول

وقال : « إن الشاهد في البيت الثالث » (١) ، وهذا من الاطناب عند المتأخرين .
والاستشهاد عند غيرهما هو الاستشهاد بالآيات الكريمة ، وقد تحدث الحلبي والنويري عن خصائص الكتابة ، ومما يتصل بها الاقتباس والاستشهاد والحل ، وقالا إن الاستشهاد بالآيات ينبغي ان ينبه عليها (٢) .

الاستطراد :

اطّرد الشيْ : تبع بعضه بعضاً وجرى ، واطّردت الأشياء إذا تبع بعضها بعضاً، واطّرد الكلام اذا تتابع (٣) .
والاستطراد عند الجاحظ هو الانتقال من موضوع الى آخر لكي لا يمل القاريْ أو السامع ، وهذا واضح في معظم مؤلفاته .
والاستطراد عند ثعلب هو حسن الخروج (٤) ، وكذلك عند تلميذه ابن المعتز (٥) ، وقيل ان أول من ابتدع هذا الاسلوب السموأل في قوله :

وإنّا أناسٌ لانرى القتل سُبّةً إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ

---

(١) حلية اللب ص ١٦٨ .
(٢) حسن التوسل ص ٣٢٥ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٨٣ .
(٣) اللسان (طرد) .
(٤) قواعد الشعر ص ٥٠
(٥) البديع ص ٦٠ .

حبٌ يقرّبُ الموت آجالَنا لنـــا وتكرهُهُ آجالُهم فتطــولُ

فكان هذا أول شاهد ورد في هذا النوع وسار مسير الأمثال ، قال ابن رشيق : « وهو أول من نطق به » (١) ، وقال المصري : « وأحسب أن أول من استطرد بالهجاء السموأل » (٢) . وقيل ان البحتري الشاعر نقل هذه التسمية عن أبي تمام ، قال الصولي : « حدثني أبو الحسن علي بن محمد الانباري ، قال : سمعت البحتري يقول : انشدني أبو تمام لنفسه :

وسابحٍ هَطِلٍ التعداء هتّـــانِ على الجراء أمينٍ غير خــوّانِ
أظمى الفصوصَ ولم تظمأ قوائمه فخلِّ عينيك في ظمآن ريّانِ
فلو تراه مشيحاً والحصى زِيَمٌ بين السنابك من مثنى ووحـــدان
أيقنت أن لم تثبت ان حـــافره من صخر تدمر أو من وجه عثمان

ثم قال لي: ما هذا الشعر ؟ قلت : لا أدري . قال: هذا المستطرِد ؛ أو قال: الاستطراد . قلت : وما معنى ذلك ؟ قال : يُري أنه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمـــان ، فاحتذى هذا البحتري فقال في قصيدته التي مدح فيها محمد بن علي القمي ويصف الفرس أولها :

أهـــلاً بذلكم الخيالِ المقبلِ فَعَلَ الذي نهواه أو لم يَفْعَـــلِ

ثم وصف الفرس فقال :

وأغرّ في الزمنِ البهيم محجـــلٍ قد رُحْت منه على أغرّ محجّلِ
كالهيـــكل المبنيّ إلا انـــه في الحسن جاء كصورة في هيكل
يَهوي كما تهوي العقاب إذا رأتْ صَيْداً وينتصبُ انتصاب الأجْدَلِ
متوجس بـــرقيقتيـــن كأنما يريان من وَرَق عليه مُوَصَّـــلِ
وكأنما نَفَضَتْ عليـــه صبغها صهباء للبردان أو قُطْرُ بُلِّ
ملك العيون فان بدا أعطيتـــه نظر المحبّ الى الحبيب المقبـــلِ

---

(١) العمدة ج ٢ ص ٣٩ ، وينظر المنزع البديع ص ٤٥٧ .

(٢) تحرير التحبير ص ١٣٢ ، وينظر بديع القرآن ص ٤٩ .

ما إنْ يعاف قذى ولو أوردته   يوماً خلائق حمدويه الأحولِ » (١)

وعلّق الآمدي على بعض حسن الخروج عند الشعراء بقوله : « وهذا يسميه قومٌ الاستطراد ، وهو حسن جدا »(٢) وسماه العسكري الاستطراد وقال في تعريفه : « هو أن يأخذ المتكلم في معنى فبينا يمر فيه يأخذ في معنى آخر وقد جعل الأول سبباً اليه » (٣) ، وذكر أمثلة من القرآن والشعر ولا سيما أبيات أبي تمام .

وقال ابن رشيق : « الاستطراد أن يبني الشاعر كلاماً كثيراً على لفظة من غير ذلك النوع يقطع عليها الكلام وهي مراده دون جميع ما تقدم ويعود الى كلامه الأول وكأنما عثر بتلك اللفظة عن غير قصد ولا اعتقاد نيّة » (٤). وقال : « وهو أن يرى الشاعر أنه في وصف شيءٍ وهو انما يريد غيره فان قطع أو رجع الى ما كان فيـــه فذلك استطراد وان تمادى فذلك خروج ، وأكثر الناس يسمي الجميع استطراداً والصواب ما بينتُه » (٥) . وقال : « من الاستطراد نوع يسمى الادماج(٦) كقول عبيدالله بن طاهر لعبدالله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد :

أبى الدهر من اسعافنا في نفوسنا   وأسْعَفَنا فيمـــن نحِبُّ ونكرِمُ

فقلت له : نعماك فيهم أتمها   وَدَعْ أمْرَنا إنّ المهمّ المقدّمُ

وسماه الاستطراد ــ أيضاً ــ التبريزي والبغدادي وابن مالك (٧) ، وعدّه الصنعاني من أنواع الفصاحة(٨). وذكر المصري انه لم يظفر منه بشيءٍ في القرآن المجيد إلاّ في موضع واحد، وهو قوله تعالى : « ألا بُعْدًا لمدينَ كما بَعُدَتْ ثمود » (٩)،

---

(١) أخبار أبي تمام ص ٦٨ ، أخبار البحتري ص ٥٩ ، حلية المحاضرة ج ١ ص ١٦٣ ، اعجاز القرآن ص ١٥٨ ، زهر الآداب ج ٤ ص ١٠٤١ ، البديع في نقد الشعر ص ٧٥ ، حسن التوسل ص ٢٢٧ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١١٩ ، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٢٨ . وينظر المنصف ص ٤٧٣ والاغاني ج ٢١ ص ٤٨

(٢) الموازنة ج ٢ ص ٣٣٠ .

(٣) كتاب الصناعتين ص ٣٩٨ .

(٤) العمدة ج ١ ص ٢٣٦ .

(٥) العمدة ج ٢ ص ٣٩ .

(٦) العمدة ج ٢ ص ٤١ .

(٧) الوافي ص ٢٨١ ، قانون البلاغة ص ٤٤٩ ، المصباح ص ١٠٦ .

(٨) الرسالة العسجدية ص ١٥٢ .

(٩) هود ٩٥ .

وقال : « فمن ظفر فيه بشيٌ فهو المحسن بالحاقه في بابه(١)» . وقال مثل ذلك ابن مالك فيما نقله السبكي (٢) ، قال : « ان الاستطراد قليل في القرآن الكريم وأكثر ما يكون في الشعر وأكثره في الهجاء ، ولم أظفر به إلاّ في قوله تعالى : «ألا بُعْداً لمدينَ كما بعدت ثمود » . وذكر العسكري قبله غير هذه الآية كقوله تعالى : « ومن آياته أنك ترى الارض خاشعةً فاذا أنزلنا عليها الماءَ اهتزَّتْ وَرَبَتْ » (٣) ، فبينا يدلّ الله — سبحانه — على نفسه بانزال الغيث واهتزاز الارض بعد خشوعها قال : « إن الذي أحياها لمحيي الموتى » ، (٤) فأخبر عن قدرته على اعادة الموتى بعد إفنائها وإحيائها بعد إرجائها ، وقد جعل ما تقدم من ذكر الغيث والنبات دليلاً عليه ولم يكن في تقدير السامع لأول الكلام، إلاّ انه يريد الدلالة على نفسه بذكر المطر دون الدلالة على الاعادة فاستوفى المعنيين جميعاً » (٥) . وقال الزمخشري في قوله تعالى : « يا بني آدمَ قد أنزلنا عليكم لباساً يُواري سَوْءاتِكم وريشاً ولباسَ التقوى ذلك خيرٌ ، ذلك من آيات الله لعلّهم يَذَّكّرون » (٦) : « وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليها إظهاراً للمنّة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة ، واشعاراً بان التستر باب عظيم من أبواب التقوى » (٧) . وقال السيوطي : « وقد خرجت على الاستطراد قوله تعالى : « لن يَسْتَنكِفَ المسيحُ أن يكونَ عبداً لله ولا الملائكةُ المقرّبون »(٨) فان أول الكلام ذكر فيه الرد على النصارى الزاعمين بنوّة المسيح ، ثم استطراد الرد على العرب الزاعمين بنوة الملائكة » (٩) .

وهذا يدل على أنّ لأسلوب الاستطراد أمثلة في كتاب الله الخالد غير ما ذكر المصري . وقال المظفر العلوي : « ومعنى الاستطراد خروج الشاعر من ذم الى

---

(١) بديع القرآن ص ٤٩ .
(٢) عروس الافراح ج ٤ ص ٣١٥ .
(٣) فصلت ٣٩ .
(٤) فصلت ٣٩ .
(٥) كتاب الصناعتين ص ٣٩٨ .
(٦) الأعراف ٢٦ .
(٧) الكشاف ج ٢ ص ٧٦ ، وينظر معترك ج ١ ص ٥٩ .
(٨) النساء ١٧٢ .
(٩) معترك ج ١ ص ٥٩ .

مدح أو من مدح الى ذم » (١) ، كقول زهير :

إن البخيل ملوم حيث كان ولكن الجوادَ على عِلاَّته هَرِمُ

وأشار القرطاجني الى الفرق بين الاستطراد والتخلص بقوله : « وأهل البديع يسمون ما كان الخروج فيه بتدرج تخلصاً ، وما لم يكن بتدرج ولا هجوم ولكن بانعطاف طارئ على جهة من الالتفات استطراداً » (٢) ، كقول حسان بن ثابت :

إن كنتِ كاذبة الذي حدّثتني فنجوت منجى الحارث بن هشامِ

ولايرى المدني ذلك استطراداً وانما هو تخلص لان « الاستطراد يشترط فيه العود الى الكلام الأول كما تقدم وحسان لم يعد الى ما كان عليه من ذكر العاذلة بل أتم القصيدة مستمراً على ذكر هزيمة الحارث بن هشام والايقاع بقومه في يوم بدر » (٣) . وذكر السيوطي ان مما يقترب من الاستطراد ولا يكاد ان يفترقان حسن التخلص ، وقال : « وقال بعضهم : الفرق بين التخلص والاستطراد انك في التخلص تركت ما كنت فيه بالكلية وأقبلت على ماتخلصت اليه . وفي الاستطراد تمر بذكر الأمر الذي استطردت اليه مروراً كالبرق الخاطف ثم تتركه وتعود الى ما كنت فيه كأنك لم تقصده وانما عرض عروضاً . قال : وبهذا يظهر ان مافي سورة الأعراف والشعراء من باب الاستطراد لا التخلص لعوده في الأعراف الى قصة موسى بقوله : « ومن قوم موسى أمة . . . » ، وفي الشعراء الى ذكر الانبياء والأمم (٤) وقال العلوي : « هو أن يشرع المتكلم في شيء من فنون الكلام ثم يستمر عليه فيخرج الى غيره ثم يرجع الى ما كان عليه من قبل ، فان تمادى فهو الخروج وان عاد فهو الاستطراد » (٥) ، وفرق بين الأثنين الحموي والمدني (٦) ، ولكن قد يجتمع التخلص والاستطراد كما في قول مسلم :

أجدّكِ لاتدرين أنّ رُبّ ليلة كأنّ دُجاها من قرونك تُنْشَرُ

أرقت لها حتى تجلّت بغرّةٍ كغرة يحيى حين يذكر جعفرُ

(١) نضرة الاغريض ص ١٠٧

(٢) منهاج البلغاء ص ٣١٦ .

(٣) أنوار الربيع ج ١ ص ٢٣٥ .

(٤) معترك ج ١ ص ٦١ .

(٥) الطراز ج ٣ ص ١٢ .

(٦) خزانة ص ٤٤ ، انوار ص ٢٢٩ .

وعرف القزويني الاستطراد بقوله : « هو الانتقال من معنى الى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل الى ذكر الثاني » (١) ، وذكر السبكي والحموي والسيوطي هذا التعريف (٢) ، وعرفه الزركشي تعريفاً غريباً فقال : « وهو التعريض بعيب انسان بذكر عيب غيره » (٣) ، كقوله تعالى : « وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنْفُسَهم وتَبَيَّنَ لكم كيف فعلنا بهم »(٤)، ونقل ابن الجوزية هذا التعريف والمثال وأضاف اليه بيتي السموأل السابقين (٥) . وذكر المدني بعض التعريفات السابقة ، وأشار الى ما بين الاستطراد والتخلص من فروق ، وذكر أمثلة من القرآن الكريم (٦) .

ومن أمثلة الاستطراد التي أعجبت المصري قول بكر بن النطاح :

عرضت عليها ما أرادتْ من المنى ... لترضى فقالت قم فجئني بكوكبِ
فقلت لها هذا التعنتُ كلّه ... كمن يتشهّى لحم عنقاء مُغربِ
سلي كلّ شيْ يستقيم طِلابُه ... ولا تذهبي يا بدْرُ بي كلّ مذهب
فأقسم لو أصبحتُ في عز مالك ... وقدرته أعيا بما رمت مطلبي
فتى شقيت أمواله بنـواله ... كما شقيت بكر بأرماح تغلبِ

قال : « وهذا أبدع استطراد سمعته في عمري ، فانه قد جمع أحسن قسم ، وأبدع تخلص ، وأرشق استطراد ، وتضمن مدح الممدوح بالكرم وقبيلته بالشجاعة والظفر وهجاء أعدائهم بالضعف والخَوَر ، وهذا لم يتفق لمن قبله ولا لمن بعده الى وقتنا هذا » (٧) .

الاستظهار :

الاستظهار من استظهر ، أي استعان ، واستظهر حفظ ، والاستظهار أيضاً الاحتياط والاستيثاق (٨) .

---

(١) الايضاح ص ٣٤٩ .
(٢) عروس الافراح ج ٤ ص ٣١٥ ، خزانة ص ٤٤ ، شرح عقود الجمان ص ١٣٥ .
(٣) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٣٠٠ . (٤) ابراهيم ٤٥ .
(٥) الفوائد ص ١٣٥ . (٦) أنوار ج ١ ص ٢٢٨ ومابعدها .
(٧) تحرير ص ١٣١ . (٨) اللسان (ظهر) .

وقد ذكر ابن رشيق في باب الايغال فناً سماه الاستظهار ، قال : « ومن هذا نوع يسمى الاستظهار ، وهو قول ابن المعتز لابن طباطبا العلوي أو غيره :

فأنتم بنــو بنتــه دوننا ونحــن بنو عمــه المسلمِ

فقوله : « المسلم » استظهار ؛ لان العلوية من بني عم النبي — عليه الصلاة والسلام — أيضاً أعني أبا طالب ومات جاهلياً ، فكأن ابن المعتز أشار بحذقه الى ميراث الخلافة » (١) .

الاستعارة :

الاستعارة مأخوذة من العارية أي نقل الشيء من شخص الى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار اليه . والعارية والعارة : ما تداولوه بينهم ، وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعاوره إياه . والمعاورةُ والتعاور شبه المداولة والتداول يكون بين اثنين . وتعوّر واستعار : طلب العارية ، واستعاره الشيء واستعاره منه : طلب منه أن يعيره أياه (٢) .

والاستعارة مجاز لغوي عند أكثر البلاغيين وان كان عبدالقاهر قد تردد فيها فجعلها مجازاً عقلياً مرة ومجازاً لغوياً تارة أخرى ، ففي « دلائل الاعجاز » يميل الى أنها مجاز عقلي أو هي من أبوابه (٣) ، ويذكر في الكتاب نفسه انها مجاز في نفس الكلمة (٤) اي مجاز لغوي ويؤكد ذلك ما ذكره في كتابه الآخر (٥) وقد أشار المتأخرون الى هذا التردد كالرازي الذي رأى انها مجاز لغوي (٦) ، والسكاكي الذي انكر المجاز العقلي وسلكه في الاستعارة المكنية (٧) اي ان المجاز لغوي كلــه .

والاستعارة من أوائل فنون التعبير الجميلة في اللغة العربية ، ولعل أبا عمرو بن العلاء كان من أقدم الذين ذكروها ، فقد ذكر الحاتمي أن ابن العلاء قال :

---

(١) العمدة ج ٢ ص ٦٠ ، وينظر المنزع البديع ص ٣٠٨ .
(٢) اللسان (عور) .
(٣) دلائل الاعجاز ص ٢٣٣ .
(٤) دلائل الاعجاز ص ٢٣٢ .
(٥) اسرار البلاغة ص ٢٩ .
(٦) نهاية الايجاز ص ٨٤ .
(٧) مفتاح العلوم ص ١٨٩ .

« كانت يدي في يد الفرزدق وأنشدته قول ذي الرمة :

أقامت به حتى ذوى العودُ في الثرى وساق الثريا في ملاءته الفَجْرُ

قال : فقال لي : أ أرشدك أم أدعك ؟ قلت : بل أرشدني . فقال : إن العود لا يذوي أو يجف الثرى ، وانما الشعر : « حتى ذوى العود والثرى » . ثم قال أبو عمرو : « ولا أعلم قولاً أحسن من قوله : « وساق الثريا في ملاءته الفجر » فصيّر للفجر ملاءة ، ولا ملاءة له ، وانما استعار هذه اللفظة وهو من عجيب الاستعارات » (١) .

وقال الباقلاني بعد أن ذكر بيت امرئ القيس :

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

« واقتدى به الناس واتبعه الشعراء فقيل : « قيد النواظر » و « قيد الالحاظ » و « قيد الكلام » و « قيد الحديث » و « قيد الرهان » . ثم قال : « وذكر الاصمعي وأبو عبيدة وحماد وقبلهم أبو عمرو انه أحسن في هذه اللفظة وانه أتبع فلم يلحق ، وذكروه في باب الاستعارة البليغة » (٢) .

وقال سيبويه تعليقاً على بيت عامر بن الأحوص :

وداهية من دواهي المنو ن ترهبها الناس لافالها

« فجعل للداهية فما » (٣) .

وأشار الفراء الى اسلوب الاستعارة ولكنه لم يسمها (٤) ، أما أبو عبيدة فقد سماها ، فهو في تعليقه على بيت الفرزدق :

لا قوم أكرم من تميم إذ غَدَتْ عوذُ النساء يُسَقْنَ كالآجالِ

قال : « قوله : « عوذ النساء » هن اللاتي معهن أولادهن ، والأصل في «عوذ» الابل التي معها أولادها فنقلته العرب الى النساء . وهذا من المستعار ، وقد تفعل

(١) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٣٦ ، وينظر العمدة ج ١ ص ٢٦٩ ، نضرة الاغريض ص ١٣٤ ، خزانة الأدب ص ٤٨ المنصف ص ٥٢ .

(٢) إعجاز القرآن ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٣) الكتاب ج ١ ص ٣١٦ .

(٤) معاني القرآن ج ٢ ص ٩١ ، ١٥٦ ، ٢٦٣ ، وغيرها .

العرب ذلك كثيراً » (١) . وفي تعليقه على البيت :

لقد مدّ للقين الرهان فردّه عن المجد عرقٌ من قفيرة مقرفُ

قال : « وانما ضربه مثلاً ههنا يريد أن أحد أبويه ليس بعربي ، والاصل للدواب فاستعاره للناس ، والعرب تفعل هذا » (٢) .

ولكن هؤلاء العلماء لم يعرّفوا الاستعارة وان ذكروها مصطلحاً ومثالا ، ولعل الجاحظ أول من عرّفها بقوله : « الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا اقام مقامه »(٣) وسماها مثلاً وبديعاً عند تعليقه على بيت الأشهب بن رميلة :

هم ساعدُ الدهر الذي يُتّقى به وما خيرُ كفٍّ لا تنوءُ بساعدِ

قال : « قوله : « هم ساعد » انما هو مثل ، وهذا الذي تسميه الرواة البديع »(٤) وهذه تسمية القدماء قال المظفر العلوي : « وكان القدماء يسمونها الامثال فيقولون : « فلان كثير الأمثال » . ولقبها بالاستعارة ألزم ؛ لانه أعم ؛ ولان الامثال كلها تجري مجرى الاستعارة » (٥) .

وسماها الجاحظ بدلاً عند تعليقه على قوله تعالى : « فاذا هي حَيّةٌ تَسْعَى »(٦) وقال : « ولو كانوا لا يسمون انسيابها وانسياحها مشياً وسعياً لكان ذلك مما يجوز على التشبيه والبدل وان قام الشيء مقام الشيء أو مقام صاحبه »(٧) .

وقال ابن قتيبة : « فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة اذا كان المسمى بها بسبب من الآخر أو مجاوراً لها أو مشاكلا » (٨) وهذا تعريف ينطبق على المجاز كله ولا سيما المرسل الذي من علاقاته السببية والمجاورة ، ويؤكد هذا المعنى الأمثلة التي ذكرها كقول الشاعر :

---

(١) النقائض ج ١ ص ٢٧٥ .
(٢) النقائض ج ٢ ص ٥٨٩ .
(٣) البيان ج ١ ص ١٥٣ ، ٢٨٤ ، الحيوان ج ٢ ص ٢٨٠ – ٢٨٣ ، ٣٠٨ .
(٤) البيان ج ٤ ص ٥٥ .
(٥) نضرة الاغريض ص ١٣٣ .
(٦) طه ٢٠ .
(٧) الحيوان ج ٤ ص ٢٧٣ ، ٢٧٨ .
(٨) تأويل مشكل القرآن ص ١٠٢ .

إذا سقط السماءُ بأرض قومٍ   رعيناه وإنْ كانوا غِضابا

وقولهم للنبات « نَوء » وللمطر « سماء » .

وذكرها المبرد وقال ان « العرب تستعير من بعض لبعض » (١) .

وقال ثعلب : « هو أن يستعار للشيْ اسم غيره أو معنى سواه » (٢) .

وقال ابن المعتز إنها « استعارة الكلمة لشيْ لم يعرف بها من شيْ عرف بها »(٣) .

ولم يبحثها قدامة في « نقد الشعر » وانما أشار اليها اشارات عابرة في اثناء كلامه على المعاضلة وقبح الاستعارة (٤) . وذكرها في « جواهر الألفاظ » وذكر لها أمثلة من غير أن يعرفها (٥) .

وتحدث عنها معاصره ابن وهب في فصل مستقل وقال : « وربما استعملوا بعض ذلك في موضع بعض على التوسع والمجاز » (٦) .

وبدأ تعريف الاستعارة بعد هؤلاء يأخذ طابعاً واضحاً يختلف عما سبق ، وقد عرّفها القاضي الجرجاني بقوله : « الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الاصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها . وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر » (٧) . وهذا التعريف يختلف عن التعريفات السابقة فهو أكثر وضوحاً وأعمق دلالة ، وهو يوضح العلاقة بين المستعار له والمستعار منه وهي المشابهة ، وملاكها تقريب الشبه وائتلاف ألفاظ صورتها مع معانيها حتى لا توجد منافرة بينهما .

وقال الرماني : « الاستعارة تعليق العبارة على ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للابانة » (٨) . ونقل ابن سنان هذا التعريف (٩) .

---

(١) الكامل ج ١ ص ٢٤٤ ، وتنظر ص ٨٦ والمقتضب ج ٣ ص ١٨٨ .
(٢) قواعد الشعر ص ٤٧ .   (٣) البديع ص ٢ .
(٤) نقد الشعر ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ؛ ٢٣٨ .   (٥) جواهر الالفاظ ص ٥ .
(٦) البرهان في وجوه البيان ص ١٤٢ .   (٧) الوساطة ص ٤١ .
(٨) النكت في اعجاز القرآن ص ٧٩ .   (٩) سر الفصاحة ص ١٣٤ .

وقال العسكري إنها « نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة الى غيره لغرض » (١) ، وفي هذا التعريف إضافة الى ما سبق وهي قوله : « لغرض » أي انه اشترط في الاستعارة أن يكون وراءها هدف والا فاستعمال اللفظ بمعناه الأصلي أولى . وقال ابن فارس : « هي أن يضعوا الكلمة للشيء مستعارة من موضع آخر » (٢) . ونقل ابن رشيق تعريفات القاضي الجرجاني وابن وكيع وابن جني والرماني (٣) ، ولما جاء عبدالقاهر نظر الى الاستعارة نظرة دقيقة فيها تحديد وعمق ، قال : « الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء وتظهره وتجيء الى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه »(٤) . وهذا التعريف يؤكد أنها مجاز لغوي وانها « ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل » وان « التشبيه كالأصل في الاستعارة وهي شبيهة بالفرع له أو صورة مقتضبة من صوره » (٥) .

وعرفها الرازي تعريفاً لا يختلف عن تعريف عبدالقاهر وقال : « الاستعارة ذكر الشيء باسم غيره واثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه » . وقال : « الاستعارة عبارة عن جعل الشيء الشيء أو جعل الشيء للشيء لأجل المبالغة في التشبيه »(٦)

وأخذ السكاكي ما قاله عبدالقاهر والرازي وعرّف الاستعارة بقوله : « هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به » (٧) . وهذا من أدق التعريفات لانه حصر الاستعارة التصريحية والاستعارة بالكناية أو المكنية .

وقال ابن الأثير : « الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع الافصاح بالتشبيه واظهاره وتجيء على اسم المشبه به وتجريه عليه » (٨) . وقال : « حدّ الاستعارة : نقل المعنى من لفظ الى لفظ لمشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول

(١) كتاب الصناعتين ص ٢٦٨ .
(٢) الصاحبي ص ٢٠٤ .
(٣) العمدة ج ١ ص ٢٦٨ .
(٤) دلائل الاعجاز ص ٥٣ ، ينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٣ .
(٥) أسرار البلاغة ص ٢٠ ، ٢٨ .
(٦) نهاية الايجاز ص ٨٢ .
(٧) مفتاح العلوم ص ١٧٤ .
(٨) الجامع الكبير ص ٨٢ .

لانه إذا احترز فيه هذا الاحتراز اختص بالاستعارة وكان حداً لهادون التشبيه»(١)

ونقل المصري تعريفي ابن المعتز والرماني ثم قال : « هي تسمية المرجوح الخفي باسم الراجح الجلي للمبالغة في التشبيه » (٢) . أي ما رجحت فيه الصفة وكان ظاهراً ينقل الى ما خفي وكان مرجوحاً عليه في هذه الصفة .

وقال ابن مالك : « هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به مع سدّ طريق التشبيه ونصب القرينة ، ولهذا سميت استعارة » (٣) . وفي هذا التعريف اشارة الى القرينة التي لا يخلو منها مجاز .

وقال الحلبي : « هو ادعاء معنى الحقيقة في الشيْ للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين لفظاً وتقديراً . وانشئت قلت : هو جعل الشيْ الشيْ أو جعل الشيْ للشيْ لأجل المبالغة في التشبيه »(٤) والتعريف الأول ينطبق على الاستعارة التصريحية ، والثاني على الاستعارة المكنية ، وقد أوضح الحلبيّ ذلك بالمثالين اللذين ذكرهما وان لم يصرّح بالتسمية .

وقال القزويني : « الاستعارة هي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له ، وقد تقيد بالتحقيقية لتحقق معناها حساً أو عقلاً أي التي تتناول أمراً معلوماً يمكن أن ينص عليه ويشار اليه اشارة حسية أو عقلية فيقال ان اللفظ نقل من مسماه الاصلي فجعل اسماً له على سبيل الاعارة للمبالغة في التشبيه » (٥) .

وذكر العلوي عدة تعريفات ثم اختار منها تعريفاً فضّله على غيره وهو ان الاستعارة « تصييرك الشيء الشيء وليس به وجعلك الشيْ الشيْ وليس له بحيث لا يلحظ فيه معنى التشبيه صورة ولا حكما » (٦) . وفي هذا التعريف اشارة الى الاستعارة التصريحية والاستعارة بالكناية ، وفَصْل للاستعارة عن التشبيه المحذوف الأداة .

---

(١) المثل السائر ج ١ ص ٣٦٤ .
(٢) تحرير التحبير ص ٩٧ ، بديع القرآن ص ١٩ .
(٣) المصباح ص ٦١ .
(٤) حسن التوسل ص ١٢٦ .
(٥) الايضاح ص ٢٧٨ ، التلخيص ص ٣٠٠ .
(٦) الطراز ج ١ ص ٢٠٢ ، وينظر المنزع البديع ص ٢٣٥ .

ولا تخرج عن ذلك تعريفات التبريزي والبغدادي وابن منقذ والصنعاني وابن الزملكاني والمظفر العلوي والقرطاجني والتنوخي والنويري وابن الاثير الحلبي والسبكي والتفتازاني والزركشي والحموي والسيوطي والاسفراييني والمغربي والمدني والدمنهوري(١) وغيرهم . وهذا يدل على « أن الكلام في الاستعارة وأنواعها مما أطاق البيانيون فيه أعنّة الأقلام » (٢) ، ولكن المعوّل عليه عند المتأخرين ما ذهب اليه عبدالقاهر والسكاكي والقزويني وأصحاب الشروح والتلخيصات .

ولا بدّ للاستعارة من ثلاثة أركان هي :

١ـ المستعار منه ، وهو المشبه به .

٢ـ المستعار له ، وهو المشبه .

٣ـ والمستعار ، وهو اللفظ المنقول .

ويسمى الأول والثاني طرفي الاستعارة ، ففي قوله تعالى : « واشتعل الرأسُ شَيْبًا » (٣) يكون المستعار هو الاشتعال ، والمستعار منه هو النار ، والمستعار له هو الشيب ، والجامع بين المستعار منه والمستعار له مشابهة ضوء النهار لبياض الشيب ولا بدّ للاستعارة من قرينة تدل على أنها ليست تعبيراً حقيقياً .

لم يقسّم الاوائل الاستعارة الى الأقسام التي ذكرها المتأخرون بل خلط بعضهم بينها وبين أنواع المجاز الاخرى . وكان تقسيم عبدالقاهر بداية العناية بذلك فقد قسمها الى مفيدة وغير مفيدة ، وقسم المفيدة الى ما سماه المتأخرون استعارة تصريحية واستعارة مكنية . ولعل الرازي من اوائل الذين حاولوا تقسيم الاستعارة في ضوء ما تحدث عنه عبدالقاهر ، فقد قسمها الى أصلية وتبعية وتصريحية

---

(١) الوافي ص ٢٦٣ ، قانون البلاغة ص ٤٠٩ وص ٤٣٨ ، البديع في نقد الشعر ص ٤١ ، الرسالة العسجدية ص ١١٥ ، التبيان ص ٤١ ، البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ص ١١٠ ، نضرة الاغريض ص ١٣٤ ، منهاج البلغاء ص ٨٧ ، الاقصى القريب ص ٤٠ ، نهاية الارب ج ٧ ص ٤٩ ، جوهر الكنز ص ٥٣ ، عروس ج ٤ ص ٤٥ ، المطول ص ٣٥٧ ، المختصر ج ٤ ص ٤٥ البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٣٢ ، خزانة ص ٤٧ ، معترك ج ١ ص ٢٧٥ ، الاتقان ج ٢ ص ٤٣ ، شرح عقود الجمان ص ٩٣ ، الاطول ج ٢ ص ١١٩ ، مواهب ج ٤ ص ٤٥ ، أنوار ج ١ ص ٢٤٣ ، حلية اللب ص ١١٨ .

(٢) أنوار الربيع ج ١ ص ٢٤٣ـ . (٣) مريم ٤ .

ومكنية وترشيحية وتجريدية (١) .
واستفاد السكاكي من هذا التقسيم وأمعن في التحديد (٢) ، وقسمها القزويني باعتبار الطرفين – المستعار منه والمستعار له – و باعتبار الجامع ، وباعتبار الثلاثة ، وباعتبار اللفظ ، وباعتبار أمر خارج عن ذلك كله (٣) .

والاستعارة باعتبار الطرفين قسمان: وفاقية وعنادية ومنها التهكمية أو التمليحية وباعتبار الجامع قسمان : أحدهما ما يكون الجامع فيه داخلاً في مفهوم الطرفين، وثانيهما ما يكون الجامع فيه غير داخل في مفهوم الطرفين . وتنقسم باعتبار الجامع أيضاً الى عامية وخاصية ، واما باعتبار الثلاثة – الطرفين والجامع – فهي ستة أقسام : استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي أو بوجــه عقلي ، أو بمـــا بعضه حسي وبعضه عقلي ، واستعارة معقول لمعقول ، واستعارة محسوس لمعقول واستعارة معقول لمحسوس. وباعتبار اللفظ قسمان : أصلية وتبعية. وباعتبار الخارج ثلاثة أقسام : المطلقة والمجردة والمرشحة . وهناك الاستعارة التمثيلية أي المجاز المركب والاستعارة التصريحية والاستعارة بالكناية أو المكنية .

وسار المتأخرون على هذا التقسيم وتحدثوا عن هذه الأقسام ، ويتضح من مراجعة كتبهم انهم لم يتفقوا على تحديدها كل الاتفاق ولا سيما التخييلية وصلتها بالمكنية ، وكان للسكاكي رأي نقضه القزويني وكان لغيرهما آراء مختلفة . وتقسيم الاستعارة الى تصريحية ومكنية خير وأجدى في دراسة هذا الفن لان ذلك عمدته ما دامت الاستعارة تقوم على التشبيه عند معظم البلاغيين ، ولكن التطور التأريخي لهذا الفن يقتضي الكلام على هذه الاقسام لتتضح مسيرة هذا الفن خلال الدراسات السابقة .

الاستعارة الاحتمالية :

قال السكاكي : « هي أن يكون المشبه المتروك صالح الحمل تارة على ماله تحقق وأخرى على ما لا تحقق له (٤) » أي انها تحتمل الوجهين ، وقد شرح

---

(١) نهاية الايجاز ص ٨١ .   (٢) مفتاح العلوم ص ١٧٦ .
(٣) الايضاح ص ٢٨٩ ، التلخيص ص ٣٠٨ ، وينظر أنوار الربيــع ج ١ ص ٢٤٥ .
(٤) مفتاح العلوم ص ١٧٦ .

السكاكي التحقيقية وقال: « أن يكون المشبه المتروك شيئاً متحققاً اما حسياً وإما عقلياً » . فالاستعارة الاحتمالية ما احتملت ما له تحقق من وجه وما لا تحقق له من وجه آخر ، ونظيره قول زهير :

صحا القلبُ عن سلمى وأقْصَرَ باطلُهُ
وعُرِّيَ أفراسُ الصِّبا ورواحلُــهُ

أراد أن يبين أنه أمسك عما كان يرتكب أوان الصبا وقمع النفس عن التلبس بذاك معرضاً الاعراض الكلي عن المعاودة لسلوك سبيل الغي وركوب مراكب الجهل فقال : « وعُري أفراس الصبا ورواحله » أي ما بقيت آلة من آلاتها المحتاج اليها في الركوب والارتكاب قائمة كأيما نوع فرضت من الانواع حرفة أو غيرها منى وطنت النفس على اجتنابه ورفع القلب رأساً عن دق بابه وقطع العزم عن معاودة ارتكابه فتقل » العناية بحفظ ما قوام ذلك النوع به من الآلات والأدوات فترى يد التعطيل تستولي عليها فتهلك وتضيع شيئاً فشيئاً حتى لا تكاد تجد في أدنى مدة أثراً منها ولا عثيراً فبقيت لذلك معرّاةً لا آلة ولا أداة فحق قوله : «أفراس الصبا ورواحله » أن يعد استعارة تخييلية لما يسبق الى الفهم ويتبادر الى الخاطر من تنزيل « أفراس الصبا ورواحله » منزلة أنياب المنية ومخالبها في قول الشاعر :

واذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

وان كان يحتمل احتمالاً بالتكلف أن تجعل الافراس والرواحل عبارة عن دواعي النفوس وشهواتها والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات أو عن الاسباب التي قلما تتآخذ في اتباع الغي وجر أذيال البطالة إلاّ أوان الصبا . وكذلك قوله تعالى : « فأذاقها اللهُ . لباسَ الجوع » (١) الظاهر من اللباس الحمل على التخييل وان كان يحتمل أن يحمل على التحقيق ، وهو أن يستعار لما يلبسه الانسان عند جوعه من انتقاع اللون ورثاثة الهيئة (٢).

---

(١) النحل ١١٢ . (٢) مفتاح ص١٧٨ ، الايضاح ص ٣١٠ ، التلخيص ص ٣٢٨ ، شروح التلخيص ج ٤ ص ١٦١ ، المطول ص ٣٨٥ ، الاطول ج ٢ ص ١٥٠ .

فالاستعارة في البيت والآية الكريمة تحتمل التخييل وتحتمل التحقيق فهي اما تخييلية أو تحقيقية .

الاستعارة الأصلية

الاستعارة الاصلية هي التي تكون في أسماء الأجناس غير المشتقة ويكون معنى التشبيه داخلاً في المستعار دخولاً أوليا (١) . وقد أوضح السكاكي معناها بقوله: « هي أن يكون المستعار اسم جنس كرجل وكقيام وقعود . ووجه كونها أصلية هو ان الاستعارة مبناها على تشبيه المستعار له بالمستعار منه »(٢) . والى ذلك ذهب ابن مالك والقزويني والسبكي والتفتازاني والسيوطي والاسفراييني والمدني والمغربي(٣). ومنها قوله تعالى « « لتُخرِجَ الناسَ من الظلمات الى النور »(٤) ، وقوله : « في كل وادٍ يَهيمون » (٥) . وقول البحتري

يؤدون التحيةَ من بعيدٍ الى قمر من الايوان بادِ

فقد شبه ممدوحه بالقمر ، ومنه تشبيه المتنبي ممدوحه بالشمس في قوله :

أُحبّكَ يا شمسَ الزمان وبَدْرَه وإنْ لامني فيك السُّها والفراقِدُ

الاستعارة بالكناية :

وتسمى المكني عنها أو المكنية وهي التي اختفى فيها لفظ المشبه واكتفي بذكر شيْ من لوازمه دليلاً عليه كقول أبي ذؤيب الهذلي :

واذا المنيةُ أنشبتْ أظفارَها ألفَيْتَ كلَّ تَميمةٍ لا تنفعُ

---

(١) نهاية الايجاز ص ٨٩ ، البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ص ١١٢ .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٧٩ ، وتنظر ص ١٧٦ .

(٣) المصباح ص ٦٥ ، الايضاح ص ٢٩٨ ، التلخيص ص ٣١٤ ، عروس الافراح ج ٤ ص ١٠٨ ، المطول ص ٣٧٦ المختصر ج ٤ ص ١٠٨ ، معترك ج ١ ص ٢٨٠ ، شرح عقود الجمان ص ٩٥ ، الاطول ج ٢ ص ١٣٦ .أنوار الربيع ج ١ ص ٢٤٦ ، مواهب الفتاح ج ٤ ص ١٠٨ .

(٤) ابراهيم ١ . (٥) الاسراء ٢٩ .

شبّه المنية بالسبع في اغتيال النفوس وحذف المشبه به وهو السبع وأبقى شيئاً من لوازمه وهي الأظفار التي لا يكمل الاغتيال إلاّ بها .

ومنها قول دعبل الخزاعي :

لا تعجبي يا سَلْمُ من رَجُلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسه فبكى

شبّه المشيب بانسان وحذف المشبه به ورمز اليه بشيءٍ من لوازمه وهو الضحك على سبيل الاستعارة .

وهذا النوع من الاستعارة مقابل للاستعارة التصريحية وهما من تقسيم هذا الفن بحسب الطرفين : المشبه والمشبه به فتارة يحذف المشبه فتكون الاستعارة تصريحية وتارة يحذف المشبه به فتكون مكنية . وكان عبدالقاهر قد أشار الى هذين القسمين وان لم يسمهما كذلك بل قال عن التصريحية : « أن تنقله — اي الاسم عن مسماه الاصلي الى شيءٍ آخر ثابت معلوم فتجريه عليه وتجعله متناولاً له تناول الصفة للموصوف »(١) . ومثّل له بقوله : « رأيت أسداً » أي رجلاً شجاعا ، وقولهم : « عنّت لنا ظبية » أي امرأة ، وقوله : « أبديت نوراً » أي هـدى . فالاسم في هذه الأمثلة متناول شيئاً معلوماً يمكن أن ينص عليه فيقال إنه عنى بالاسم وكنى به عن مسماه الاصلي فجعل اسماً على سبيل الاعارة والمبالغة في التشبيه .

وقال عن المكنية : « أن يؤخذ الاسم من حقيقته ويوضع موضعاً لا يبين فيه شيءٌ يشار اليه فيقال هذا هو المراد بالاسم والذي استعير له وجعل خليفة لاسمه ونائباً منابه » (٢) . ومثّل له بقول لبيد :

وغداة ريحٍ قد كشفْتُ وقرّةٍ إذ أصبحت بيد الشمال زمامُها

وذلك انه جعل للشمال يداً ، ومعلوم انه ليس هناك مشار اليه يمكن أن تجري عليه كاجراء الأسد على الرجل .

وفرّق بين القسمين بقوله : « إنك اذا رجعت في القسم الأول الى التشبيه الذي

(١) أسرار البلاغة ص ٤٢ .

(٢) أسرار البلاغة ص ٤٢ .

هو المغزى من كل استعارة تفيد وجدته يأتيك عفواً كقولك في « رأيت أسداً » : رأيت رجلاً كالاسد ، أو رأيت مثل الأسد ، أو شبيهاً بالأسد . وإن رمته في القسم الثاني وجدته لا يواتيك إذْ لا وجه لان تقول : « إذ أصبح شيٌ مثل اليد للشمال » أو « حصل شبيه باليد للشمال » . وانما يتراءى لك التشبيه بعد أن تخرق اليـــه ستراً وتعمل تأمـــلاً وفكراً ، وبعد أن تغير الطريقة وتخرج عن الحد الأول كقولك : « إذ أصبحت الشمال واها في قوة تأثيرها في الغداة شبه المالك تصريف الشيٌ بيده واجراءه على موافقته وجذبه نحو الجهة التي تقتضيها طبيعته وتنحوها ارادته . فأنت — كما ترى — تجد الشبه المنتزع ههنا إذا رجعت الى الحقيقة ووضعت الاسم المستعار في موضعه الأصلي لا يلقاك من المستعار نفسه بل مما يضاف اليه . ألا ترى أنك لم ترد أن تجعل الشمال كاليد ومشبهة باليد كما جعلت الرجل كالأسد ومشبها بالأسد ولكنك أردت أن تجعل الشمال كذي اليد من الاحياء . فأنت تجعل في هذا الضرب المستعار له وهو نحو الشمال ذا شيٌ وغرضك أن تثبت له حكم من يكون له ذلك الشيٌ في فعل أو غيره لانفس ذلك الشيٌ فاعرفه » (١)

وذكر فرقاً آخر لخصه بقوله : « وطريقة أخرى في بيان الفرق بين القسمين وهو ان الشبه فيالقسمالأول الذي هو نحو « رأيت أسداً » « تريد رجلاً شجاعاً » ، وصف موجود في الشيٌ الذي استعرت اسمه وهو الاسد . وأما قولك : « إذ أصبحت بيد الشمال زمامها » فالشبه الذي له استعرت اليد ليس بوصف في اليد ولكنه صفة تكسبها اليدُ صاحبها وتحصل له بها ، وهي التصرف على وجه مخصوص » (٢) .

وكان ما ذهب اليه عبدالقاهر منطلق البلاغيين في تحديد الاستعارة المكنية ، وقد قال الرازي : « هذا اذا لم يصرح بذكر المستعار بل ذكر بعض لوازمه تنبيهاً به عليه » (٣) .

---

(١) أسرار البلاغة ص ٤٤ .
(٢) أسرار ص ٤٨ .
(٣) نهاية الايجاز ص ٩٢ .

وقال السكاكي : « هي أن تذكر المشبه وتريد به المشبه به دالاً على ذلك بنصب قرينة تنصبها وهي أن تنسب اليه وتضيف شيئاً من لوازم المشبه به المساوية » (١) وقال ابن مالك : « هي أن تذكر المشبه وتريد المشبه به وتدل بمثل شيءٍ من لوازمه الى المشبه » (٢) .

ونقل النويري وابن قيّم الجوزية والزركشي تعريف الرازي (٣) ، وقال الحلبي ولم يسمها : « الثاني أن تعتمد لوازمه عندما يكون جهة الاشتراك وصفاً انما ثبت له كما في المستعار منه بواسطة شيءٍ آخر فتثبت ذلك الشيءُ للمستعار له مبالغة في اثبات المشترك » (٤) . وقال القزويني : « قد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرّح بشيءٍ من أركانه سوى لفظ المشبه ويدل عليه بان يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً أجري عليه اسم ذلك الأمر ، فيسمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنياً عنها واثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخييلية » (٥) ولم يخرج البلاغيون بعد ذلك عن هذا التعريف (٦) .

الاستعارة التبعية :

هي ان لا يكون معنى التشبيه داخلاً دخولاً أوليا ، وهي كما قال السكاكي : « ما تقع في غير اسماء الاجناس كالافعال والصفات المشتقة منها وكالحروف »(٧) وقال ابن مالك : « هي ما تقع في الافعال والصفات والحروف فانها لا توصف فلا تحتمل الاستعارة بانفسها وانما المحتمل لها في الافعال والصفات مصادرها وفي الحروف متعلقات معانيها فتقع الاستعارة هناك ثم تسري في هذه الأشياء »(٨)

---

(١) مفتاح العلوم ص ١٧٩ .
(٢) المصباح ص ٦٤ .
(٣) نهاية الارب ج ٧ ص ٥٥ ، الفوائد ص ٥٣ ، البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٣٨ .
(٤) حسن التوسل ص ١٣٤ . (٥) الايضاح ص ٣٠٩ ، التلخيص ص ٣٢٤ .
(٦) شروح التلخيص ج ٤ ص ١٨٣ ، المطول ص ٣٨١ ، الأطول ج ٢ ص ١٤٩ ، معترك الاقران ج ١ ص ٢٨١ ، الاتقان ج ٢ ص ٤٥ ، شرح عقود الجمان ص ٩٨ ، أنوار ج ١ ص ٢٥٢ .
(٧) مفتاح ص ١٨٠ ، وتنظر ص ١٧٦ .
(٨) المصباح ص ٦٥

وذلك ان الاستعارة تعتمد التشبيه ، والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفاً ، وانما يصلح للموصوفية الحقائق كما في « جسم أبيض » و « بياض صاف » دون معاني الافعال والصفات المشتقة منها والحروف (١) .

ومثالها قوله تعالى : « فالْتقطَه آلُ فرعونَ ليكون لهم عَدُوّاً وَحَزَنا »(٢) ، شبّه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب غلبة الغائية عايه ، ثم استعير في المشبه اللام الموضوعة للمشبه به .

وقرينة التبعية في الافعال والصفات تعود تارة الى الفاعل كما في « نطقت الحال» أو « الحال ناطقة بكذا » لان النطق لا يسند الى الحال . وتارة الى المفعول كقول ابن المعتز :

جمع الحــق لنا في إمــامٍ قتل البخلَ وأحيا السماحا

أي : أزال البخل وأظهر السماح والقتل والاحياء الحقيقيان لا يتعلق بهما والقرينة جعلهما مفعولين . والثاني كقول الشاعر :

نقريهم لهذميات نقدّ بها ما كان خاط عليهم كلُّ زرّادِ

وهي قرينة على أن « نقريهم » استعارة ، وهو مفعول ثان . أو الاول والثاني كقول الحريري :

وأقْري المسامعَ إمّا نطقت بياناً يقودُ الحَرونَ الشّمُوسا

وتارة الى الجار والمجرور نحو قوله تعالى : « فبشّرْهم بعذاب أليم » (٣) ، فقوله « بعذاب » قرينة على ان « بشّر » استعارة . وتارة الى الجميع : الفاعل والمفعول الاول والثاني والمجرور بمعنى ان كلاً منها قرينة مستقلة كقول الشاعر :

تقري الرياحُ رياضَ الحَزْنِ مزهرةً
إذا سرى النومُ في الاجفان إيقاظا (٤)

---

(١) الايضاح ص ٢٩٨ ، التلخيص ص ٣١٥ ، شروح التلخيص ج ٤ ص ١٠٨ ، المطول ص ٣٧٦ ، الاطول ج ٢ ص ١٣٧ ، معترك ج ١ ص ٢٨٠ ، شرح عقود الجمان ص ٩٥ ، أنوارج ١ ص ٢٤٦ . (٢) القصص ٨ .
(٣) آل عمران ٢١ ، التوبة ٣٤ ، الانشقاق ٢٤ .
(٤) شرح عقود الجمان ص ٩٦ .

الاستعارة التجريدية :

وتسمى المجردة ، وهي ما كان معتبراً فيها المستعار له (١) ، أي أنها تكون تجريدية إذا عقبت بصفات ملائمة للمستعار له أو تفريع كلام ملائم له (٢) وقال ابن مالك : « تجريد » الاستعارة هو أن تقرن بما يلائم المستعار له »(٣) وعرفها القزويني بمثل ذلك (٤) ، وقال العلوي : « فاما الاستعارة المجردة فانما لقبت بهذا اللقب لانك إذا قلت : « رأيت أسداً يجدّل الابطال بنصله ويشك الفرسان برمحه » فقد جرّدت قولك : « أسداً » عن لوازم الآساد وخصائصها إذ ليس من شأنها تجديل الابطال ولاشكّ الفرسان بالرماح والنصال » (٥) . والى ذلك ذهب السبكي والتفتازاني والزركشي والسيوطي والاسفراييني والمغربي والمدني(٦

ومثال الاستعارة التجريدية قوله تعالى : « فأذاقها اللهُ لباسَ الجوعِ والخوف »(٧) حيث قال : « أذاقها » ولم يقل : « كساها » فان المراد بالاذاقة إصابتهم بما استعير له اللباس كأنه قال : فأصابها الله بلباس الجوع والخوف .

وقول كثير :

غَمْرُ الرداء إذا تبَسّمَ ضاحكاً   غلقت لضحكته رقابُ المال (٨)

فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقي عليه ، ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف لا الرداء فنظر الى المستعار .

---

(١) نهاية الايجاز ص ٩٢ .
(٢) مفتاح العلوم ص ١٨٢ .
(٣) المصباح ص ٦٦ .
(٤) الايضاح ص ٣٠٠ ، التلخيص ص ٣١٧ .
(٥) الطراز ج ١ ص ٢٣٦ .
(٦) عروس ج ٤ ص ١٢٨ ، المطول ص ٣٧٧ ، المختصر ج ٤ ص ١٢٨ ، البرهان ج ٣ ص ٤٣٨ ، معترك ج ١ ص ٢٨١ ، الاتقان ج ٢ ص ٤٥ ، شرح عقود الجمان ص ٩٧ ، الاطول ج ٢ ص ١٤٢ ، مواهب الفتاح ج ٤ ص ١٢٨ ، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٥٤ .
(٧) النحل ١١٢ .
(٨) غمر : كثير أو واسع . الرداء : العطاء الشبيه بالرداء . غلقت : انتقل ملكها الى أيدي السائلين

الاستعارة التحقيقية :

الاستعارة التحقيقية هي « أن يكون المشبه المتروك شيئاً متحققاً إما حسياً أو عقلياً » (١) .

وسماها العلوي الحقيقية وقال : « واما الحقيقية فهي أن تذكر اللفظ المستعار مطلقاً ، كقولك : « رأيت أسدا » . والضابط لها أن يكون المستعار له أمراً محققاً سواء جرد عن حكم المستعار له أو لم يجرد بان يذكر الاستعارة ثم يأتي بعد ذلك بما يؤكد أمر المستعار له ويوضح حاله » (٢) . ومثال ذلك قول الشاعر :

ترى الثيابَ من الكتّان يلمحها ... نورٌ من البدر أحيانا فيُبْليها

فكيف تنكر أن تبلى معاجرُها ... والبدر في كل وقتٍ طالعٌ فيها (٣)

فلما استعار ذكر القمر عقبه بذكر المعاجر وانه يبليها بطلوعه فيها كل وقت وذكره من أجل ايضاح أمر المستعار له وبيان حقيقته .

واوضح السيوطي تعريف السكاكي فقال : « ما تحقق معناها حساً نحو « فأذاقها اللهُ لباسَ الجوع والخوف» (٤).أوعقلاً نحو« وأنزلنا اليكم نوراً»(٥) أي : بياناً واضحا وحجة دامغة (٦) . والى ذلك ذهب الاسفراييني والمدني (٧)

الاستعارة التخييلية :

هي أن يستعار لفظ دال على حقيقة خيالية تقدر في الوهم ثم تردف بذكر المستعار له ايضاحا لها وتعريفا لحالها . وقد سماها ابن الاثير الحابي « استعارة التخييل » (٨) ، وسماها العلوي « الاستعارة الخيالية الوهمية » (٩) .

---

(١) مفتاح العلوم ص ١٧٦ . (٢) الطرازج ١ ص ٢٣٠ .
(٣) المعاجر ؛ جمع معجر على وزن منبر ، وهو ثوب تعتم به المرأة وتشده على رأسها .
(٤) النحل ١١٢ .
(٥) النساء ١٧٣ .
(٦) معترك ج ١ ص ٢٨١ ، الاتقان ج ٢ ص ٤٥ ، شرح عقود الجمان ص ٩٣ .
(٧) الاطول ج ٢ ص ١٥٤ ، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٥١ .
(٨) جوهر الكنز ص ٥٨ .
(٩) الطرازج ١ ص ٢٣٢ .

ومثال الاستعارة التخييلية قوله تعالى : « بل يداه مبسوطتان يُنْفِقُ كيف يشاء » (١) وقوله : « ويبقى وَجْهُ ربك » (٢) وهما من الآيات الدالة على التشبيه .

ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي :

واذا المنيةُ أنشبتْ أظفارَها ألْفَيْتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

وقد يجتمع التحقيق والتخييل في الاستعارة كما في قوله تعالى : « فأذاقها اللهُ لباسَ الجوع والخوف » (٣) . والظاهر من هذه الاستعارة هو التخييل لان الله – تعالى – لما ابتلاهم لكفرهم باتصال هاتين البليتين ، ولما استعار اللباس ههنا مبالغة في الاشتمال عليهم أخذ الوهم في تصوير ما للمستعار منه من التغطية والستر والاسترسال رعاية لمزيد البيان في ذلك . وان جعلت من باب التحقيق فهو أن ما يُرى على الانسان عند شدة الخوف والجوع من الضعف والهزال وانتقاع اللون وعلو الصفرة ورثاثة الهيئة وركاكة الحال وحصول القلق والخيبة يضاهي الملابس في اختلاف أحوالها وألوانها (٤) .

والاستعارة التخييلية مرتبطة بالمكنية بل هي قرينتها خلافاً للسكاكي الذي ذهب الى أن قرينة المكنية تارة تكون تخييلية كبيت الهذلي : « واذا المنية . . . » وتارة تكون تحقيقية أي مستعارة لأمر محقق كما في قوله تعالى : « وقيل يا أرْضُ ابلعي ماءَك » (٥) . ويتضح ذلك في قوله : « والمصرح بها تنقسم الى تحقيقية وتخييلية ، والمراد بالتحقيقية أن يكون المشبه المتروك متحققاً اما حسياً واما عقلياً ، والمراد بالتخييلية أن يكون المشبه المتروك شيئاً وهمياً محضاً لا تحقق له إلاّ في مجرد الوهم » (٦) . ومعنى ذلك أن لا تلازم بين المكنية والتخييلية عند السكاكي بل يوجد كل منهما بغير الآخر . واستدل على انفراد التخييلية عن المكنية بقول أبي تمام :

---

(١) المائدة ٦٤ .
(٢) الرحمن ٢٧ .
(٣) النحل ١١٢ .
(٤) الايضاح ص ٢٨٠ ، الطراز ج ١ ص ٢٣٥ .
(٥) هود ٤٤ .
(٦) مفتاح العلوم ص ١٧٦ .

لا تَسْقِني ماءَ الملام فانني　　صَبٌّ قد استعذبت ماءَ بكائي

فانه قد توهّم ان للملامة شيئاً شبيهاً بالماء فاستعار اسمه استعارة تخييلية غير تابعة للمكنية (١) .

ويتضح في هذه المسألة رأيان :

الاول : رأي السكاكي وهو أن قرينة المكنية تارة تكون تخييلية وتارة تكون تحقيقية .

الثاني : رأي القزويني وهو أن قرينة المكنية لا تكون إلا تخييلية .

وكان منطلق السكاكي والقزويني أساساً سار عليه البلاغيون المتأخرون في هذه المسألة (٢) .

الاستعارة الترشيحية :

الاستعارة الترشيحية أو المرشحة ، أو المجاز المرشح (٣) ، هي التي قرنت بما يلائم المستعار منه ، أو هي أن يراعي جانب المستعار ويولي ما يستدعيه ويضم اليه ما يقتضيه (٤) أو كما قال الحلبي : « اما ترشيحها فهو أن ينظر فيها الى المستعار ويراعي جانبه ويوليه ما يستدعيه ويضم ما يقتضيه » (٥)

ومنها قول كثير :

رمتني بسَهْمٍ ريشهُ الكُحْلُ لم يضر
ظواهرَ جلدي وهو في القلب جارِحُ

وقول النابغة :

وصــدرٍ أزاح الليــلُ عازبَ هَمّه
تضاعَفَت الاحزانُ من كلّ جانبِ

---

(١) مفتاح ص ١٨٣ .

(٢) الفوائد ص ٤٩ ، نهاية الارب ج ٧ ص ٥٨ ، شروح التلخيص ج ٤ ص ١٥٣ ، المطول ص ٣٨١ ، الاطول ج ٢ ص ١٥٨ ، معترك ج ١ ص ٢٨١ ، الاتقان ج ٢ ص ٤٥ ، شرح عقود الجمان ص ٩٨ ، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٥٢ .

(٣) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ص ١٠١ ، التبيان ص ١٦١ .

(٤) نهاية الايجاز ص ٩٢ .

(٥) حسن التوسل ص ١٣١ .

المستعار في كل واحد منهما وهو الرمي والازاحة منظور اليه في لفظي السهم والعازب وقول الآخر :

ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا أخا عمرو بن بكرِ
ليَ الشطرُ الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر

فانه استعار الرداء للسيف ووصفه بالاعتجار الذي هو وصف الرداء فنظر الى المستعار منه .

ومن ذلك قوله تعالى : « أُولئك الذين اشْتَرَوا الضَّلالةَ بالهُدى فما رَبِحَتْ تجارَتُهم » (١) فانه استعار الاشتراء للاختيار وقفاه بالربح والتجارة اللذين هما من متعلقات الاشتراء فنظر الى المستعار منه (٢) .

ومعظم البلاغيين يسمون هذا اللون الاستعارة المرشحة أو الترشيحية (٣) ، غير أن العلوي يسميها «الموشحة» ولولا تفسيره للتوشيح لقيل إن في الكلمة تغييرا (٤). والاستعارة الترشيحية هي المقدمة في هذا الباب ، قال المصري : « وأجلّ الاستعارات الاستعارة المرشحة كقوله تعالى : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم » فان الاستعارة الأولى وهي لفظة الشراء رشحت الثانية وهي لفظتا الربح والتجارة للاستعارة » (٥) . وقال الحموي : « وليس فوق رتبتها في البديع رتبة » (٦) ، وذلك لاشتمال الترشيح على تحقيق المبالغة ولذلك كان مبناها على تناسي التشبيه حتى انه يوضع الكلام في علو المنزلة وضعه في علو المكان كما قال أبو تمام :

ويصعدُ حتى يظنُ الجهو لُ أنّ له حاجةً في السماء

فلولا أن قصده أن يتناسى التشبيه ويصمم على انكاره فيجعله صاعداً في السماء

(١) البقرة ١٦ . (٢) نهاية الايجاز ص ٩٢ ، مفتاح ص ١٨٢ ، حسن التوسل ص ١٣١ ، الايضاح ص ٣٠١ .
(٣) نهاية الايجاز ص ٩٢ ، مفتاح ص ١٧٦ ، ١٨٢ ، الايضاح ص ٣٠١ ، التلخيص ص ٣١٨ ، المصباح ص ٦٦ ، شروح التلخيص ج ٤ ص ١٣٠ ، المطول ص ٣٧٨ ، الاطول ج ٢ ص ١٤٣ ، البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٣٨ ، خزانة الأدب ص ٤٩ ، معترك ج ١ ص ٢٨١ ، الاتقان ج ٢ ص ٤٥ ، شرح عقود الجمان ص ٩٧ ، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٥٤ .
(٤) الطراز ج ١ ص ٢٣٧ . (٥) تحرير التحبير ص ٩٩. (٦) خزانة الأدب ص ٤٩ .

من حيث المسافة المكانية لما كان لهذا الكلام وجه .

وكما قال العباس بن الاحنف :

هي الشمسُ مسكنها في السّما ء فعزِّ الفؤادَ عزاءً جميلا
فلا تستطيعُ اليها الصعو دَ ولن تستطيعَ اليك النزولا

وقد يجتمع التجريد والترشيح كما في قول زهير :

لدى أسدٍ شاكي السلاح مقذفٍ له لبدٌ أظفارُه لم تُقلّم

فقوله : « لدى أسد شاكي السلاح » تجريد لانه وصف يلائم المستعار له أي الأسد الحقيقي .

الاستعارة التصريحية :

الاستعارة التصريحية هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه ، أو هي كما قال السكاكي : « أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به » (١) . أو كما قال الحلبي وان لم يسمها : « ان تعتمد نفس التشبيه ، وهو أن يشترك شيئان في وصف وأحدهما أنقص من الآخر فيعطى الناقص اسم الزائد مبالغة في تحقيق ذلك الوصف كقولك : « رأيت أسداً » وأنت تعني رجلاً شجاعا ، و « عنّت لنا ظبية » وأنت تريد امرأة » (٢) .

ومثال هذا اللون قوله تعالى : « كتاب أنزلناه اليك لتخرجَ الناسَ من الظلمات الى النور » (٣) ، أي : من الضلالة الى الهدى ، فقد استعيرت الظلمات للضلال لتشابههما في عدم اهتداء صاحبهما ، وكذلك استعير لفظ النور للايمان لتشابههما في الهداية ، والمستعار له وهما الضلال والايمان كل منهما محقق عقلا .

ومنها قول المتنبي :

في الخدّ إنْ عزَمَ الخليطُ رحيلا مطرٌ يزيدُ به الخدودَ نحولا

---

(١) مفتاح العلوم ص ١٧٦ ، وينظر البرهان الكاشف ص ١١٠ ، التبيان ص ٤١ ، المصباح ص ٦٢ ، معترك ج ١ ص ٢٨٢ ، الاتقان ج ٢ ص ٤٥ .

(٢) حسن التوسل ص ١٣٤ .

(٣) ابراهيم ١ .

قرن الدمع بالمطر ثم حذفه وأبقى المشبه به .

وقوله :

وأقْبَلَ يمشي في البساط فما دَرَى
الى البحر يَسْعَى أم الى البدر يَرْتقي

ربط سيف الدولة الحمداني بالبحر .

وقول ديك الجن :

لما نظرْتِ اليّ عن حَدَقِ المهـا ... وَبَسَمْتِ عن مُتفَتّحِ النَوّار
وعقدْتِ بين قضيب بانٍ أهيفٍ ... وكثيب رملٍ عقدَةَ الزنّار
عفّرتُ خدي في الثرى لكِ طائعاً ... وعزمتُ فيك على دخول النار

ربط بين فمها ومتفتح النوار ، وبين جسمها وقضيب البان . وهذه الاستعارة من روائع الاستعارات ، ولذلك قال ابن الاثير : « وهذه الأبيات لا تجد لها في الحسن شريكا ، ولانْ يسمى قائلها شحروراً أولى من أن يسمى ديكا » (١) .

ومنها قوله أيضاً :

لا ومكان الصليب في النَحْرِ منْـ ... ـكَ ، ومجرى الزُنّار في الخَصْرِ
والخال في الخد إذْ أشبّهه ... وردةَ مِسْكٍ على ثرى تِبْرِ
وحاجب مذخطّه قلَمُ الحُسْـ ... ـنِ بحبر البهاء لا الحبـــر
واقحــوان بفيك منتظــم ... على شبيه من رائقِ الخمــر

الاستعارة التمثيلية :

سماها القزويني المجاز المركب وقال : « وأما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شُبّه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه أي تشبيه احدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى ، ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه فتذكر بلفظِها من غير تغيير بوجه مـــن الوجوه » (٢) .

---

(١) المثل السائر ج ١ ص ٣٧٧ .
(٢) الايضاح ص ٣٠٤ ، التلخيص ص ٣٢٢ .

وقال السيوطي : « هي أن يكون وجه الشبه فيها منتزعاً من متعدد » (١) ، والى ذلك ذهب المدني (٢) ومثالها ما كتبه الوليد بن يزيد لما بويع الى مروان بن محمد وقد بلغه أنه متوقف في البيعة له : « أراك تقدّم رجلاً وتؤخر أخرى فاذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام » . شبّه صورة تردده في المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب في أمر فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً وتارة لا يريد فيؤخر أخرى .

ومن هذا اللون قوله تعالى : « والارضُ جميعاً قبضتُه يومَ القيامة » (٣) ، إذ المعنى ان مَثَل الارض في تصرفها تحت أمر الله وقدرته مثل الشيء يكون في قبضة الآخذ له منا ، والجامع يده عليه .

ومنه قول الرماح بن ميادة :

ألَم تكُ في يمنى يديك جعلتني ... فلا تجعلَنّي بعدها في شمالكا
ولو أنني أذنبت ما كنت هالِكاً ... على خصلة من صالحات خصالكا

وقول عمير بن الايهم :

راح القطينُ من الاوطان أو بكروا ... وصدّقوا من نهار الأمس ما ذكروا
قالوا لنا وعرفنا بعد بينهـــــم ... قولاً فما وردوا عنه ولا صدروا

وهذه من أمثلة قدامة في فن « التمثيل » (٤) .

ومن ذلك قول المتنبي :

ومن يكُ ذا فم مرٍّ مريض ... يَجِدْ مُرّاً به الماءَ الزُّلالا

والاستعارة في هذه الأمثلة لم تَجْرِ في لفظ مفرد من ألفاظ العبارة وانما اجريت في التركيب كله ، وهذا هو « التمثيل الذي يكون مجازاً لمجيئك به على حد الاستعارة » (٥) . أو « الاستعارة التمثيلية » . ومتى فشا هذا اللون في الاستعمال سمي مثلاً ولذلك لا تغير الأمثال (٦) .

---

(١) معترك ج ١ ص ٢٨٣ . (٢) أنوار الربيع ج ١ ص ٢٥١ . (٣) الزمر ٦٧ .
(٤) نقد الشعر ص ١٨١ . (٥) دلائل الاعجاز ص ٥٤ .
(٦) الايضاح ص ٣٠٧ ، التلخيص ص ٣٢٣ ، شروح التلخيص ج ٤ ص ١٤٧ ، المطول ص ٣٨٠ ، الاطول ج ٢ ص ١٤٧ .

الاستعارة التمايحية :

وتسمى التهكمية أيضاً ، وهي استعمال الالفاظ الدالة على المدح في نقائضها من الذم والاهانة . وقد أشار الفراء الى مثل هذا الاسلوب في القرآن الكريم وقال : « وقوله : « فأثابكم غماً بغم » (١) ، الاثابة ههنا في معنى عقاب ولكنه كما قال الشاعر :

أخاف زياداً أن يكون عطاؤه أداهـِمَ سوداً أو محدرجةً سُمْرا

وقد يقول الرجل الذي قد اجترم اليك : « لئن أتيتني لأثيبنك ثوابك » معناه لأعاقبنك وربما أنكره من لا يعرف مذاهب العربية وقد قال الله تبارك وتعالى : « فبشّرهم بعذاب أليم » (٢) والبشارة انما تكون في الخير ، فقد قيل ذلك في الشر »(٣)

ونظر ابن جني الى مثل هـذا الاسلوب بمثل مـا نظر البلاغيون في المجاز المرسل الى اعتبار ماكان فقال تعليقاً على قوله تعالى: « ذُقْ إنَّك أنت العزيز الكريم » (٤) : « انما هو في النار الذليل المهان ، لكنه خوطب بماكان يخاطب به في الدنيا ، وفيه مع هذا ضرب من التبكيت له والاذكار بسوء أفعاله » (٥) .

وقال السكاكي في تعريف الاستعارة التمليحية : « هي استعارة اسم أحد الضدين أوالنقيضين للآخر بواسطة انتزاع شبه التضاد والحاقه بشبه التناسب بطريق التهكم أو التمليح ثم ادعاء أحدهما من جنس الآخر والافراد بالذكر ونصب القرينة.»(٦)

وعدّها القزويني من العنادية فقال : « ومنها ما استعمل في ضد معناه أو نقيضه بتنزيل التضاد أو التناقض منزلة التناسب بوساطة تهكم أو تمليح » (٧) .

وسار على ذلك شراح التلخيص(٨) ، والمدني الذي قال : « ومن العنادية التهكمية والتمليحية وهما ما استعمل في ضد أو نقيض » (٩) .

---

(١) آل عمران ١٥٣ .
(٢) آل عمران ٢١ ، التوبة ٣٤ .
(٣) معاني القرآن ج ١ ص ٢٣٩ .
(٤) الدخان ٤٩ .
(٥) المحتسب ج ١ ص ١٠١ .
(٦) مفتاح العلوم ص ١٧٧ .
(٧) الايضاح ص ٢٩٠ ، التلخيص ص ٣٠٩ .
(٨) شروح التلخيص ج ٤ ص ٧٨ ، المطول ص ٣٦٥ ، الاطول ج ٢ ص ١٣٠ .
(٩) أنوار الربيع ج ١ ص ٢٤٧ .

ومن أمثلتها قوله تعالى : « إنّكَ لأنت الحكيمُ الرشيد » (١) مكان السفيه القوي وقوله : « فبشرهم بعذاب أليم » (٢) مكان انذرهم ؛ لان البشارة انما تستعمل في الأمور المحمودة والمراد ههنا العذاب والويل . ومنه قوله : « فاهدوهم الى صراط الجحيم » (٣) .

قال العلوي : « والتهكم في اللغة عبارة عن شدة الغضب على المتهكم به لما فيه من إسقاط أمره وحط منزلته وحاله . وهو كثير التداور في كتاب الله — تعالى — خاصة عند عروض ذكر الكفار وأهل الشرك والنفاق كقوله تعالى : « فلما آسَفُونا انتقمنا منهم » (٤) وغير ذلك من الآيات الوعيدية والخطابات الزجرية الدالة على مزيد الغضب وبالغ الانتقام » (٥) .

الاستعارة التهكمية :

هي الاستعارة التمايحية وقد تقدمت . وقد جمعها بمصطلح واحد معظم البلاغيين كالسكاكي والقزويني وشراح تلخيصه والمدني وغيرهم (٦) .

الاستعارة الحقيقية :

هي الاستعارة التحقيقية وقد تقدمت . وقد سماها كذلك العاوي الذي قال عن تقسيم الاستعارة : « التقسيم الاول باعتبار ذاتها الى حقيقية وخيالية ، فأما الحقيقية فهي أن تذكر اللفظ المستعار مطلقاً » (٧) . ومثل لها بقوله : « وهذا مثاله قولك : « رأيت أسداً على سرير ملكه » و « بدراً على فرس أبلق » و « بحراً على بابه الوفّاد » و « بحر علم لا يحيف في قضائه وحكمه » و « بدر تمّ يتكلم بجميع الحقائق » فيأتي بهذه الامور عقيب ذكر الاستعارة من أجل تأكيد أمرها وايضاح حالها لانك اذا قلت : « رأيت أسداً » فقد حصل مطلق الاستعارة

---

(١) هود ٨٧ .

(٢) آل عمران ٢١ ، التوبة ٣٤ ، الانشقاق ٢٤ .

(٣) الصافات ٢٣ .

(٤) الزخرف ٥٥ .

(٥) الطراز ج ١ ص ٢٤٧ .

(٦) مفتاح العلوم ص ١٧٧ ؛ الايضاح ص ٢٩٠ ، التلخيص ص ٣٠٩ ، شروح التلخيص ج ٤ ص ٧٨ ، المطول ص ٣٦٥ ، الاطول ج ٢ ص ١٣٠ ، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٤٧ .

(٧) الطراز ج ١ ص ٢٣٠ .

وهو اختصاصه بالشجاعة التي هي خاصة الأسد ، فهذه استعارة مطلقة .ثم لما قلت « على سرير ملكه » فصلته عن حكم الآساد ، إذ ليس الجلوس على السرر من شأنها ، وانما جيءَ بذلك من أجل تأكيد المستعار له . وهذه تسمى استعارة مجردة ، وهكذا اذا قلت : « رأيت قمراً على فرس » و « بدرتم يتكلم » فقد أثبت له ضوء الأقمار وتمام البدور ، ثم فصلته عمالا يليق بالاقمار والبدور بقولك : « على فرس » وبقولك : « يتكلم » لانه ليس الكون على الخيل والكلام من صفة الاقمار والبدور بحال ، ولكن الغرض هو ما ذكرناه من توكيد أمر المستعار له وتوضيح حاله » .

الاستعارة الخاصية :

هي الاستعارة الغريبة التي لا يظفر بها إلاّ من ارتفع عن طبقة العامة، أو هي التي لا يظهر فيها الجامع إلاّ بدقة ، كقول طفيل الغنوي :

وجعلت كُوري فوق ناجيةٍ يقتاتُ شحمَ سنامها الرَّحْلُ

وموضع اللطف والغرابة منه ان استعار الاقتيات لاذهاب الرحل شحم السنام مما يُقتات .

وقول ابن المعتز :

يناجينيَ الاخلافُ من تحت مَطْله فتختصمُ الآمالُ واليأسُ في صَدْري

وقد تكون الغرابة في نفس الشبه كما في تشبيه هيئة العنان في موقعه من قربوس السرج بهيئة الثوب في موقعه من ركبة المحتبي في قول يزيد بن مسلمة بن عبدالملك يصف فرساً له بانه مؤدب :

عوَّدْتُه فيما أزورُ حبائبي إهمــاله وكذاك كُــلُّ مُخــاطِر
واذا احتبى قربوسه بعنانه علَكَ الشكيمَ الى انصراف الزائر (١)

وقد تحصل بتصرف في العامية كما في قول الآخر :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالتْ باعناق المطيّ الأباطحُ

(١) القربوس : حنو السرج . العنان : سير اللجام . الشكيم : حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس .

أراد أنها سارت سيراً حثيثاً في غاية السرعة وكانت سرعة في لين وسلامة حتى كأنها كانت سيولاً وقعت في تلك الأباطح فجرت بها .

وقد تحصل الغرابة بالجمع بين عدة استعارات لالحاق الشكل بالشكل كقول امرئ القيس :

فقلت له لمّا تمطّى بصُلْبه وأَرْدَفَ أعْجازاً وناءَ بكلكلِ

أراد وصف الليل بالطول فاستعار له صلباً يتمطى به إذ كان كل ذي صلب يزيد في طوله عند تمطيه شيءٌ ، وبالغ في ذلك بان جعل له أعجاز اً يردف بعضها بعضاً ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره والضغط لمكابده فاستعار له كلكلاً ينوء به (١) .

الاستعارة الخيالية :

هي الاستعارة التخييلية وقد تقدمت . وهذه تسمية العلوي الذي قال : « واما الاستعارة الخيالية والوهمية فهي أن تستعير لفظاً دالاً على حقيقة خيالية تقدرها في الوهم ثم تردفها بذكر المستعار له ايضاحاً لها وتعريفاً لحالها » (٢)

الاستعارة العامية :

هي أن ينقل الاسم عن مسماه الاصلي الى شيء آخر ثابت معلوم ويجري عليه ويجعل متناولاً له تناول الصفة للموصوف ، وذلك مثل : « رأيت أسداً » أي : رجلاً شجاعاً ، و « عنّت لنا ظبية » أي : امرأة . (٣)

وقال القزويني : إن العامية المبتذلة هي التي يظهر الجامع فيها كالمثالين السابقين ، وتبعه في ذلك شراح تلخيصه وغيرهم (٤) .

الاستعارة العقلية :

هي الاستعارة التخييلية وقد تقدمت . وهذه تسمية الدمنهوري حينما قال :

---

(١) الايضاح ص ٢٩٢ ، التلخيص ص ٣١١ ، شروح التلخيص ج ٤ ص ٨٦ ، المطول ص ٣٦٧ الاطول ج ٢ ص ١٣١ ، شرح عقود الجمان ص ٩٤ ، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٤٧ .

(٢) الطراز ج ١ ص ٢٣٢ . (٣) أسرار البلاغة ص ٤٢ .

(٤) الايضاح ص ٢٩٣ ، التلخيص ص ٣١٠ ، شروح التلخيص ج ٤ ص ٨٥ ، المطول ص ٣٦٧ ، الأطول ج ٢ ص ١٣١ ، شرح عقود الجمان ص ٩٤ ، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٤٧ .

«فمراده بالعقلية التخييلية بدليل المقابلة» (١) . ثم قال إن الاستعارة تتحقق حسا وعقلاً ، فان لم تتحقق كذلك وكان الأمر متوهما فالاستعارة تخييلية . وهذا ما ذهب اليه السكاكي بقوله : « والمراد بالتحقيقية أن يكون المشبه المتروك شيئاً متحققاً اما حسياً واما عقلياً ، والمراد بالتخييلية أن يكون المشبه المتروك شيئاً وهمياً محضاً لا تحقق له إلا في مجرد الوهم » (٢) .

الاستعارة العنادية :

هي ما لا يمكن اجتماع الطرفين في شيء كاستعارة اسم المعدوم للموجود لعدم نفعه واجتماع الوجود والعدم في شيء ممتنع (٣) ومن العنادية الاستعارة التمليحية أوالتهكمية وقد مرّت . ومن أمثلة العنادية استعارة اسم الميت للحي الجاهل فان الموت والحياة ممتنع اجتماعهما .

الاستعارة غير المفيدة :

قسّم عبدالقاهر الاستعارة الى مفيدة وغير مفيدة ، ويريد بغير المفيدة ما لا يكون لها فائدة في النقل ، وموضعها حيث يكون اختصاص الاسم بما وضع له من طريق أريد به التوسع في أوضاع اللغة والتنوّق في مراعاة دقائق في الفروق في المعاني المدلول عليها كوضعهم للعضو الواحد أسامي كثيرة بحسب اختلاف أجناس الحيوان نحووضع الشفة للانسان والمشفر للبعير والجحفلة للفرس وما شاكل ذلك من فروق . فاذا استعمل الشاعر منها في غير الجنس الذي وضع له فقد استعاره منه ونقله عن أصله وجاز به موضعه كقول الشاعر :

فبتنا جلوساً لدى مَهْرِنا   نُنَزِّعُ من شفتيه الصِفارا (٤)

فاستعمل الشفة في الفرس وهي موضوعة للانسان . وقد علق عبدالقاهر على ذلك بقوله : « فهذا ونحوه لا يفيدك شيئاً لو ازمت الأصلي لم يحصل لك ، فلا فرق من جهة المعنى بين قوله : « من شفتيه » وقوله : « من جحفلته » لو

---

(١) حلية اللب ص ١٢٥ .   (٢) مفتاح العلوم ص ١٧٦ .

(٣) الايضاح ص ٢٨٩ ، التلخيص ص ٣٠٨ ، شروح التلخيص ج ٤ ص ٧٧ ، المطول ص ٣٦٥ ، الأطول ج ٢ ص ١٣٠ ، معترك ج ١ ص ٢٨٣ ، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٤٧ .

(٤) الصفار : مابقى في أسنان الدابة من التبن وغيره .

قاله ، انما يعطيك كلا الاسمين العضو المعلوم فحسب بل الاستعارة ههنا بان تنقصك جزءً من الفائدة أشبه وذلك ان الاسم في هذا النحو اذا نفيت عن نفسك دخول الاشتراك عليه بالاستعارة دلّ ذكره على العضو وما هو منه . فاذا قلت : « الشفة » دلّ على الانسان ، أعني يدل على أنك قصدت هذا العضو من الانسان دون غيره . فاذا توهمت جرْي الاستعارة في الاسم زالت عنهما هذه الدلالة بانقلاب اختصاصها الى الاشتراك . فاذا قلت : « الشفة » في موضع قد جرى فيه ذكر الانسان والفرس دخل على السامع بعض الشبهة لتجويزه أن نكون استعرت الاسم للفرس . ولو فرضنا ان تعدم هذه الاستعارة من أصلها وتحظر لما كان لهذه الشبهة طريق الى المخاطب فاعرفه » (١) :

وليس الأمر كذلك بل قد يكون هذا النوع من الاستعارة مفيداً — يحقق غرضاً من الأغراض التي يسعى اليها الشاعر أو الكاتب كالتحقير والتحبيب والتزيين ، أو تقتضي ضرورة الشعر ذلك ، كما في البيت السابق فان الشاعر لم يستطع أن يأتي بلفظة « الجحفلة » لان الوزن يختل ، وقد يكون أراد رسم صورة جميلة لمهره فشبهه بالطفل وسمى جحفلته شفة . وكثيراً ما نجد مثل ذلك في كلام الناس ، ولم يَخْفَ ذلك على عبدالقاهر ، فقد أشار الى ان ضرورة الشعر قد تضطر الشاعر الى أن يذكر كلمة أخرى غير الموضوعة في الأصل كما في قول المزرد :

فما رقد الوِلْدانُ حتى رأيته ... على البِكْر يمريه بساقٍ وحافرِ (٢)

وأراد أن يقول : « بساق وقدم » ولكن لم تطاوعه القافية .

وقد يجيْ للذم كما يقال : « انه لغليظ الجحافل وغليظ المشافر » كما قال الفرزدق :

فلو كنتَ ضبياً عرفت قرابتي ... ولكنّ زنجياً غليظ المشافرِ

الاستعارة في الاسماء :

تتم أقسام الاستعارة المختلفة بطريق الاسم أو الفعل ، وكان عبدالقاهر قد

(١) أسرار البلاغة ص ٣٠ .
(٢) البكر : الفتي من الأبل . يمري : يحفزه ليسرع .

تحدث عن هذين القسمين ، وقرر ان اللفظة إذا دخلتها الاستعارة فانها لا تخلو من أن تكون اسماً أو فعلاً ، واذا كانت اسماً فانه يقع مستعاراً على قسمين :

أحدهما : أن ينقل عن مسماه الاصلي الى شيء آخر ثابت معلوم ويُجرى عليه ، ويجعل متناولاً تناول الصفة للموصوف . ومثل ذلك : « رأيت أسداً » أي : : رجلاً شجاعاً ، و « عنّت لنا ظبية » أي : امرأة .

وثانيهما : أن يؤخذ الاسم عن حقيقته ويوضع موضعاً لا يبين فيه شيء يشار اليه فيقال هذا هو المراد بالاسم والذي استعير له وجعل خليفة لاسمه الاصلي ونائباً منابه ومثاله قول لبيد :

وغداة ريح قد كشفتُ وقرة إذ أصبحت بيد الشمال زمامُها (١)

وذلك انه جعل للشمال يداً ، ومعلوم انه ليس هناك مشار اليه يمكن أن تُجرى اليد عليه كاجراء الأسد والسيف على الرجل في مثل : « انبرى لي أسد يزأر » وسللت سيفاً على « العدو لا يُفل » : والظباء على النساء في « من الظباء الغيد » والنور على الهدى والبيان في « أبديت نوراً ساطعاً » .

والفرق بين القسمين ان التشبيه في الاول يأتي عفواً ، ولا يأتي في الثاني إلا بعد التأمل والتفكير (٢) .

وقد أوضح المتأخرون ما يجري من الاستعارة في الاسم فقالوا ان الاسماء ثلاثة : الاول : الاسم العلم ولا مدخل للمجاز فيـــه ؛ لانه في جميع مواقعه أصل ، ومن حق المجاز أن يكون مسبوقاً بوضع أصلي ثم ينقل عنه ، ومن حق المجاز أن يكون بينه وبين ما نقل عنه علاقة يحسن لأجلها التجوز والنقل . وهذا غير موجود في الأعلام ، ولكنهم جوزوا ذلك في الأعلام التي اشتهرت بنوع من الوصف مثل حاتم في « رأينا اليوم حاتماً » أي : رجلاً كامل الجود .

الثاني : الاسم المصدر وهو المشتق منه ، وقد يدخله المجاز إذا وقع في غير

---

(١) القر ؛ البرد ، قرة ؛ باردة .

(٢) أسرار البلاغة ص ٤٢ ، ٢٢٢ .

موضعه مثل : « رجل عَدْل » وغير ذلك من المشتقات والصفات .
الثالث : اسم الجنس ، وأكثر ما يرد المجاز في المفرد منه مثل « أسد » و « بحر » و « ليث » وغير ذلك من الاسماء المفردة .

وقد تدخل الاستعارة في أسماء الاشارة كقوله تعالى : « هذا وإنَّ للطاغينَ لَشَرَّ مآب » (١) ، فقوله : « هذا » استعارة لانه انما يستعمل حقيقة فيما كان قريباً مشاراً اليه ، فالمجاز في الاشارة داخل هنا فيما يعرض من أحواله في القرب والبعد (٢) .

الاستعارة في الافعال :

تحدث عبدالقاهر عنها وقال ان الفعل إذا استعير لما ليس له في الاصل فانه يثبت باستعارته له وصفاً هو شبيه بالمعنى الذي اشتق الفعل منه . ففي « نطقت الحالُ بكذا » و « أخبرتني أساريرُ وجهه بما في ضميره » و « كلمتني عيناه بما يحوي قلبه » نجد في الحال وصفا هو شبيه بالنطق من الانسان وذلك ان الحال تدلّ على الأمر ويكون فيها أمارات يعرف بها الشيْ كما ان النطق كذلك ، وكذلك العين فيها وصف شبيه بالكلام وهو دلالتها بالعلامات التي تظهر فيها وفي نظرها وخواص أوصاف يحدس بها على ما في القلوب من الانكار والقبول .
قال عبدالقاهر موضحاً ذلك : « واذا كان أمر الفعل في الاستعارة على هذه الجملة رجع بنا التحقيق الى أن وصف الفعل بانه مستعار حكم يرجع الى مصدره الذي اشتق منه . فاذا قلنا في قولهم : « نطقت الحال » إن « نطق » مستعار فالحكم بمعنى ان النطق مستعار ، واذا كانت الاستعارة تنصرف الى المصدر كان الكلام فيه على ما مضى » (٣) .

والفعل يكون استعارة مرة من جهة فاعله الذي رفع به نحو « نطقت الحال بكذا» و « أخبرتني أسارير وجهه بما في ضميره » و «كلمتني عيناه بما يحوي قلبه » .

---

(١) ص ٥٥ .
(٢) نهاية الايجاز ص ٨٧ ، البرهان الكاشف ص ١١٢ ، الطراز ج ١ ص ٨٨ .
(٣) أسرار البلاغة ص ٥٠ .

ويكون أخرى استعارة من جهة مفعوله كقول ابن المعتز :

جُمعَ الحقُ لنا في إمامٍ قتل البخْلَ وأحيا السّماحا

فـ « قتل » و « أحيا » انما صارا مستعارين بان عدّيا الى البخل والسماح ، ولو قال: « قتل الأعداء وأحيا » لم يكن « قتل» استعارة بوجه ولم يكن « أحيا » استعارة على هذا الوجه . ومثله قول الآخر :

وأقري الهموم الطارقات حزامة إذا كثرت للطارقين الوساوس (١)

وهو أستعارة من جهة المفعولين فأما من جهة الفاعل فهو محتمل للحقيقة وذلك أن يقول : « أقرى الأضياف النازلين اللحم العبيط » . وقد يكون الذي يعطيه الاستعارة أحد المفعولين دون الآخر كقول القطامي :

نَقريهم لهذميات نقدُّ بها ما كان خاطَ عليهم كُلُّ زرّادِ (٢)

وقد أوضح المتأخرون ذلك وقالوا إن الأفعال دالة على حصول أحداث في أزمنة معينة ، فالفعل الصناعي دالّ على المصدر وعبارة عنه ، فالمصدر إن وقع فيه مجاز فالفعل تابع وان تعذر وقوع المجاز في المصدر فالفعل أحق بالتعذر .(٣)

الاستعارة في الحروف :

لا مدخل للمجاز في الحروف ؛ لأن وضعها على أنها تدل على معانٍ في غيرها فلا بدّ من اعتبار الغير في دلالتها . ثم ذلك الغير ان كانت صالحة للدخول عليه مثل« زيد في الدار» و « عمرو من الكرام » فهي حقيقة في استعمالها وإن كانت غير صالحة لما دخلت عليه مثل : « « من حرف جر » و « لم حرف نفي » صارت مجازاً ، لكن التجوز إنما كان من جهة تركيبها لا من جهة الافراد والمنع انما كان في حالة الافراد لا في التركيب (٤) .

ويمكن أن تدخل الاستعارة في الحرف إذا كان مضمناً ، لانه في هذه الحالة

---

(١) قرى الضيف ؛ أضافه ، والقرى ما يقدم للضيف . الحزامة ؛ ضبط الأمر واحكامه .

(٢) اللهذميات ؛ السيوف القواطع . نقد ؛ نقطع . الزراد ؛ صانع الزرد وهي الدروع .

(٣) الطراز ج ١ ص ٨٨ ، وينظر نهاية الايجاز ص ٨٨ .

(٤) الطراز ج ١ ص ٨٨ .

يخرج عن معناه الاصلي الذي وضع له . وقد تحدث النحاة عن ذلك في باب التضمين على سبيل التوسع والتجوّز ، وتكلم عليه البلاغيون في الاستعارة التبعية وقالوا في قوله تعالى : « فالتقطه آلُ فرعونَ ليكون لهم عَدُوّاً وحزناً » (١). إنه استعير في المشبه اللام الموضوع للمشبه به (٢).

الاستعارة القطعية :

وهي أن يكون المشبه المتروك مُتعيّن الحمل على ماله تحقق حسي أو عقلي أوعلى مالا تحقق له البتة إلاّ في الوهم وهي الاحتمالية التي « يكون المشبه المتروك صالح الحمل على مالا تحقق له » (٣) .

وقد تحدث السكاكي عن لونين من هذه الاستعارة :

الأول : الاستعارة المصرح بها التحقيقية مع القطع ، قال : « هي اذا وجدت وصفا مشتركا بين ملزومين مختلفين في الحقيقة هو في أحدهما أقوى منه في الآخر وأنت تريد الحاق الأضعف بالأقوى على وجه التسوية بينهما أن تدعي ملزوم الأضعف من جنس ملزوم الأقوى باطلاق اسمه عليه وسدّ طريق التشبيه بافراده في الذكر توصلاً بذلك الى المطلوب لوجوب تساوي اللوازم عند تساوي ملزوماتها فاعلا ذلك في ضمن قرينة مانعة عن حمل المفرد بالذكر على ما يسبق منه الى الفهم كيلا يحمل عليه فيبطل الغرض التشبيهي بانياً دعواك على التأويل المذكور ليمكن التوفيق بين دلالة الافراد بالذكر وبين دلالة القرينة المتمانعتين ولتمتاز دعواك عن الدعوى الباطلة . مثال ذلك أن يكون عندك شجاع وأنت تريد أن تلحق جراءته وقوته بجراءة الأسد وقوته فتدعي الأسدية له باطلاق اسمه عليه مفرداً له في الذكر فتقول : « رأيت أسداً » كيلا يعدّ جراءته وقوته دون جراءة الأسد وقوته مع نصب قرينة مانعة عن ارادة الهيكل

(١) القصص ٨ .
(٢) الايضاح ص ٢٩٩ ، التلخيص ص ٣١٥ ، شروح التلخيص ج ٤ ص ١٢٠ ، المطول ص ٣٧٥ ، الاطول ج ٢ ص ١٤٠ ، معترك ج ١ ص ٢٨٠ ، الاتقان ج ٢ ص ٤٥ .
(٣) مفتاح العلوم ص ١٧٦ .

المخصوص به كـ « يرمي » أو « يتكلم » أو « في الحمام » أو أن يكون عندك وجه جميل وأنت تريد أن تلحق وضوحه واشراقه وملاحة استدارته بما للبدر فتدّعيه بدراً باطـــلاق اسمه عليـــه مـــع إفراده في الذكر قائلاً : « نظرت الى بدر يبتسم » (١) .

الثاني : الاستعارة المصرح بها التخييلية مع القطع . قال السكاكي : « هي أن تسمي باسم صورة متحققة صورة عندك وهمية محضة تقدرها مشابهة لها مفرداً في الذكر ضمن قرينة مانعة عن حمل الاسم على ما يسبق منه الى الفهم من كون مسماه شيئاً متحققاً ، وذلك مثل أن تشبه المنية بالسبع في اغتيال النفوس وانتزاع أرواحها بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفّاع وضرّار ولا رقة لمرحوم ومساس بقيا على ذي فضيلة تشبيهاً بليغاً حتى كأنها سبع من السباع فيأخذ الوهم فـــي تصويرها في صورة السبع واختراع ما يلازم صورته ويتمّ بها شكله من ضروب هيئات وفنون وجوارح وأعضاء ، وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتيال السبع للنفوس بها وتمام افتراسه للفرائس بها من الأنياب والمخالب ، ثم تطلق على مخترعات الوهم عندك أسامي المتحققة على سبيل الافراد بالذكر وأن تضيفها الى المنية قائلا : « مخالب المنية » أو « أنياب المنية » الشبيهة بالسبع لتكون اضافتها اليها قرينة مانعة من اجرائها على ما يسبق الى الفهم منها من تحقق مسمياتها » (٢) .

الاستعارة الكثيفة :

قال المصري : « والاستعارة منها كثيف وهو استعارة الاسماء للاسماء » (٣) كقوله عليه الصلاة والسلام — : « ضموا مواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء » فاستعار — صلى الله عليه وسلم — للعشاء الفحمة لقصد حسن البيان ؛ لان الفحمة ههنا أظهر للحسن من الظلمة ، فان الظلمة تدرك بحاسة البصر فقط والفحمة تدرك بحاستي البصر واللمس لا نها جسم والظلمة عرض ، فـــكان ذكر الفحمة

(١) مفتاح ص ١٧٧ .
(٢) مفتاح العلوم ص ١٧٨ .
(٣) تحرير التحبير ص ١٠١ .

أحسن بيانا من ذكر الظلمة .

وقال المصري أيضاً : « استعارة المحسوس للمحسوس بسبب المشاركة في وصف محسوس وهي الاستعارة الكثيفة » (١) .

الاستعارة اللطيفة :

قال المصري : « واللطيف وهو استعارة الأفعال للاسماء » (٢) كقوله تعالى : « فما بَكَتْ عليهم السماءُ والأرْضُ » (٣) ، وكقول أبي تمام :

من كل ممكورة ذاب النعيم لهـــا   ذَوْبَ الغمام فمنهلٌ ومنسكبُ(٤)

الاستعارة المجردة :

هي الاستعارة التجريدية وقد تقدمت .

استعارة المحسوس المحسوس بوجه حسي :

سماها المصري « الاستعارة الكثيفة » (٥) ، وذلك بان يشترك المحسوسان في الذات ويختلفا في الصفات كاستعارة الطيران لغير ذي جناح في السرعة فان الطيران والعدو يشتركان في الحقيقة وهي الحركة الكائنة إلاّ ان الطيران أسرع .

أو بان يختلفا في الذات ويشتركا في صفة محسوسة كقوله تعالى : « واشتعل الرأسُ شَيْباً » (٦) فالمستعار منه النار والمستعار له الشيب والجامع الانبساط ، ولكنه في النار أقوى . ومنها قوله : « وتركنا بعضهم يومئذ يموجُ في بعْض» (٧) فان أصل الموج تحريك المياه فاستعير لحركة يأجوج ومأجوج لاشتراك المستعار والمستعار له في الحركة (٨) .

---

(١) بديع القرآن ص ٢١ .

(٢) تحرير ص ١٠١ .

(٣) الدخان ٢٩ .

(٤) الممكورة : المدمجة الخلق .

(٥) بديع القرآن ص ٢١ .

(٦) مريم ٤ .

(٧) الكهف ٩٩ .

(٨) نهاية الايجاز ص ٩٦ ، الايضاح ص ٢٩٥ ، حسن التوسل ص ١٣٦ ، نهاية الارب ج ٧ ص ٥٨ ، الطراز ج ١ ص ٢٤٣ ، معترك الأقران ج ١ ص ٢٧٧ ، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٤٥

استعارة المحسوس للمحسوس بوجه عقلي :

وهذه ألطف من استعارة المحسوس للمحسوس بوجه حسي وسماها المصري «الاستعارة المركبة من الكثيف واللطيف » (١) . ومنها قوله تعالى : « وآية لهم النهار نَسْلَخُ منه الليل » (٢) ، فالمستعار منه السلخ الذي هو كشط الجلد عن الشاة والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل وهما حسيان ، والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر وحصوله عقب حصوله كترتب ظهور اللحم على الكشط وظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل ، والترتب أمر عقلي .

ومنها قوله تعالى : « فجعلناها حصيداً كأن لم تَغْنَ بالأمْسِ » (٣) ، أصل الحصيد النبات ، والجامع الهلاك ، وهو أمر عقلي .

وقوله : « إذْ أرسلنا عليهم الريحَ العقيم » (٤) فان المستعار له الريح والمستعار منه ذات النتاج ، والمستعار العقم وهو عدم النتاج والمشاركة بين المستعار له والمستعار منه في عدم النتاج وهو شيءٌ معقول (٥) .

استعارة المحسوس للمحسوس بما بعضه حسي وبعضه عقلي :

وذلك مثل « رأيت شمساً » وأنت تريد انساناً شبيهاً بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشأن . وقد أهمل السكاكي هذا القسم في « مفتاح العلوم » (٦) .

استعارة المحسوس للمعقول :

قال المصري : « وهي ألطف من المركبة » (٧) ، وذلك كاستعارة النور الذي هو محسوس للحجة ، وكقوله تعالى : « فاصْدَعْ بما تُؤمَر » (٨) فان

---

(١) بديع القرآن ص ٢١ .
(٢) يس ٣٧ .
(٣) يونس ٢٤ .
(٤) الذاريات ٤١ .
(٥) الايضاح ص ٢٩٦ ، نهاية الارب ج ٧ ص ٥٨ ، معترك ج١ ص ٢٧٨ ، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٤٥ .
(٦) الايضاح ص ٢٩٧ .
(٧) بديع القرآن ص ٢١ .
(٨) الحجر ٩٤ .

المستعار منه صدع الزجاجة وهو حسي ، والمستعار له تبليغ الرسالة ، والجامع لهما التأثير وهما عقليان .

ومنها قوله : « بل نَقْذِفُ بالحقِّ على الباطلِ فيَدْمَغُه فاذا هو زاهِقٌ »(١) فالقذف والدمغ مستعاران وهما محسوسان ، والحق والباطل مستعاران لهما وهما معقولان (٢) .

الاستعارة المرشحة :

هي الاستعارة الترشيحية وقد تقدمت .

الاستعارة المطلقة :

وهي التي لم تقترن بما يلائم المستعار أو المستعار منه ، قال القزويني : « هي التي لم تقترن بصفة ولا تفريع كلام ، والمراد المعنوية لا النعت » (٣) ومنها قوله تعالى : « إنّا لمّا طغى الماءُ حملناكم في الجارية »(٤) . وتبعه في ذلك البلاغيون ولا سيما شراح التلخيص (٥) .

استعارة المعقول للمحسوس :

وذلك كقوله تعالى : « إذا أُلْقُوا فيها سَمِعوا لها شهيقاً وهي تفور . تكاد تَميَّزُ من الغيظ »(٦) فالشهيق والغيظ مستعاران . وقوله : « إنا لما طغى الماءُ حملناكم في الجارية » (٧) ، وهذه من الاستعارة المطلقة أيضاً ، والمستعار منه التكبر وهو عقلي والمستعار له كثرة المـاء وهو حسي ، والجامـع الاستعلاء

---

(١) الأنبياء ١٨ .

(٢) نهاية الايجاز ص ٩٨ ، الايضاح ص ٢٩٧ ، حسن التوسل ص ١٣٧ ، نهاية الارب ج٧ ص ٥٩ ، جوهر الكنز ص ٥٨ ، الطراز ج١ ص ٢٤٥ ، معترك ج١ ص ٢٧٩ ، انوار الربيع ج١ ص ٢٤٦ .

(٣) الايضاح ص ٣٠٠ ، التلخيص ص ٣١٧ .

(٤) الحاقة ١١ .

(٥) شروح التلخيص ج ٤ ص ١٢٨ ، المطول ص ٣٧٧ ، الاطول ج ٢ ص ١٤٢ ، معترك ج١ ص ٢٨١ ، الاتقان ج ٢ ص ٤٥ ، شرح عقود الجمان ص ٩٦ ، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٥٣ .

(٦) الملك ٧ — ٨ .

(٧) الحاقة ١١

وهو عقلي (١) .

استعارة المعقول للمعقول :

قال المصري : « وهي ألطف الاستعارات »(٢) ، وذلك أن يستعار شيْ معقول لشيْ معقول لاشتراكهما في وصف عدمي أو ثبوتي ، وأحدهما أكمل في الوصف فيتنزل الناقص منزلة الكامل كاستعارة العدم للوجود إذا اشتركا في عدم الفائدة ، أو استعارة اسم الوجود للعدم إذا بقيت آثاره المطلوبة منه كتشبيه الجهل بالموت لاشتراك الموصوف بهما في عدم الادراك والعقل .

ومنها قوله تعالى : « مَنْ بَعَثَنا من مَرْقَدِنا » (٣) ، فان المستعار منه الرقاد ، والمستعار له الموت ، والجامع لهما عدم ظهور الافعال ، والجميع عقلي وقوله : « ولما سَكَتَ عن موسى الغَضَبُ » (٤) ، المستعار السكوت ، والمستعار منه الساكت ، والمستعار له الغضب (٥) .

الاستعارة المفيدة :

قسّم عبدالقاهر الاستعارة الى مفيدة وغير مفيدة ، ويريد بالمفيدة ما كان لنقلها فائدة وهي عمدة هـذا الفن ومـداره ؛ لانها الاستعارة الحقيقية وهي واسعة لا تحدّ فنونها ولا تحصر وهي « أمدّ ميداناً ، وأشد افتنانا ، وأكثر جريانا ، وأعجب حسنا واحسانا ، واوسع سعة ، وأبعد غوراً ، وأذهب نجداً في الصناعة وغوراً من أن تجمع شعبها وتحصر فنونها وضروبها » (٦) . ثم قسمها الى استعارة في الاسم وفي الفعل وأوضح ما سمي بعد ذلك الاستعارة التصريحية والاستعارة بالكناية او المكنى عنها .

---

(١) نهاية الايجاز ص ٩٨ ، الايضاح ص ٢٩٨ ، حسن التوسل ص ١٣٧ ، نهاية الارب ج٧ ص ٥٩ ، جوهر الكنز ص ٥٨ ، الطراز ج١ ص ٢٤٦ ، معترك الأقران ج١ ص ٢٠٨ ، أنوار الربيع ج١ ص ٢٤٦ .

(٢) بديع القرآن ص ٢١ . (٣) يس ٥٢ . (٤) الاعراف ١٥٤ .

(٥) نهاية الايجاز ص ٩٧ ، الايضاح ص ٢٩٧ ، حسن التوسل ص ١٣٦ ، نهاية الارب ج ٧ ص ٥٨ ، جوهر الكنز ص ٥٨ ، الطراز ج١ ص ٢٤٤ ، معترك ١ ص ٢٧٨ ، أنوار الربيع ج١ ص ٢٤٦ . (٦) أسرار البلاغة ص ٤٠ .

الاستعارة المكنية :

هي الاستعارة بالكناية وقد تقدمت .

الاستعارة الموشحة :

هي الاستعارة الترشيحية والاستعارة المرشحة ، وهذه تسمية العلوي ولولا انه شرح المصطلح لقيل ان في العبارة خطأ . فقد قسم الاستعارة الى مجردة وموشحة وقال : « إذا استعير لفظ لمعنى آخر فليس يخلو الحال اما أن يذكر معه لازم المستعار له أو يذكر لازم المستعار نفسه . فان كان الأول فهو التجريد وان كان الثاني فهو التوشيح » (١) . ثم قال : « فاما الاستعارة الموشحة فانما سميت بهذا الاسم لانك اذا قلت : « رأيت أسداً وافر الاظفار منكر الزئير دامي الانياب» فقد ذكرت لازم اللفظ المستعار وذكرت خصائصه فوشحت هذه الاستعارة وزينتها بما ذكرته من لوازمها وأحكامها الخاصة ، أخذاً لها من التوشيح وهو ترصيع الجلد بالجواهر واللآلي تحمله المرأة من عاتقها الى كشحها وهذا هو الوشاح واشتقاق التوشيح للاستعارة منه . ومثالها قوله تعالى : « اشتروا الضلالة بالهدى »(٢) ثم قال على أثره : « فما ربحَتْ تجارَتُهم » فلما استعار لفظ الشراء عقّبه بذكر لازمه وحكمه وهو الربح توشيحاً للاستعارة ولو قال فهلكوا أو عموا وصمّوا عوض قوله : « فما ربحت » لكان تجريداً ولم يكن توشيحاً ، ولو قال تعالى : « فكساها الله لباسَ الجوع » لكان توشيحاً ، أو قال : « فأذاقها الله طعم الجوع والخوف » لكان توشيحاً أيضاً . ومن التوشيح قول كثير عزّة :

رمتني بسهم ريشه الكحْلُ لم يضرْ ظواهر جلدي وهو في القلب جارحُ

ومنه قوله :

تقري الرياح رياض الحزن مزهرة
إذا سرى النوم في الأجفان ايقاظا

فذكر السهم مع الريش والرياض مع الازهار يكون توشيحاً » (٣) .

---

(١) الطراز ج ١ ص ٢٣٦ . (٢) البقرة ١٦ .
(٣) الطراز ج ١ ص ٢٣٧ – ٢٣٨ .

الاستعارة الوفاقية :

الاستعارة الوفاقية هي أن يكون اجتماع الطرفين في شيء ممكناً لما بينهما من الاتفاق ، كقوله تعالى : « أوَ مَنْ كان مَيْتا فأحييناه » (١) ، أي : ضالاً فهديناه ، استعير الاحياء من جعل الشيء حياً للهداية التي هي الدلالة على ما يوصل الى المطلوب والاحياء والهداية مما يمكن اجتماعهما في شيء (٢) .

الاستعانة :

قال الجاحظ : « حدثني صديق لي قال : قلت للعتابي : ما البلاغة ؟ قال كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ . فان أردت اللسان الذي يروق الألسنة ويفوق كل خطيب فاظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق . قال : فقلت له : قد عرفت الاعادة والحبسة فما الاستعانة ؟ قال : أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه ياهناه ، ويا هذا وياهيه ، واسمع مني ، واستمع اليَّ ، وافهم عني ، أو است تفهم ؟ أو لست تعقل ؟ فهذا كله وما أشبهه عيّ وفساد » (٣) .

والاستعانة هنا بمعناها اللغوي اي ما يستعين به المتحدث أو الخطيب حينما يتوقف وهي اقرب الى الجملة الأعتراضية أو علامة التنبيه . وقد عرفها المبرد بقوله : « أن يدخل في الكلام ما لا حاجة اليه ليصحح به نظماً أو وزناً إن كان في شعر أو ليتذكر ما بعده إن كان في كلام منثور كنحو ما تسمعه في كثير من كلام العامة مثل قولهم : ألست تسمع ؟ أفهمت ؟ أين أنت ؟ وما أشبه هذا . وربما تشاغل العيي بفتل اصبعه ومسّ لحيته وغير ذلك من بدنه وربما تنحنح » (٤) . وهذا قريب مما ذكره العتّابي ونقله الجاحظ غير ان فيه زيادة وهي الحشو المتصل

---

(١) الانعام ١٢٢ .

(٢) الايضاح ص ٢٨٩ ، التلخيص ٣٠٨ ، شروح التلخيص ج ٤ ص ٧٧ ، المطول ص ٣٦٤ ، الاطول ج ٢ ص ١٢٩ ، معترك ج١ ص ٢٨٢ ، شرح عقود الجمان ص ٩٤ ، أنوار الربيع ج ١ ص ٢٤٧ .

(٣) البيان والتبيين ج١ ص ١١٣ ، وينظر زهر الآداب ج ١ ص ١١٥ .

(٤) الكامل ج١ ص ٣٠ .

بوزن الشعر ، ومعنى ذلك ان الاستعانة تدل على الحشو أيضاً . ولكن البلاغيين نقلوا هذا المصطلح الى معنى آخر فقال المصري : « الاستعانة أن يستعين الشاعر ببيت لغيره في شعره بعد أن يوطئ له توطئة لائقة به هنا بحيث لا يبعد ما بينه وبين أبياته وخصوصاً أبيات التوطئة له . وقد شرط بعض النقاد التنبيه عليه إن لم يكن البيت مشهوراً ، وبعضهم لم يشترط ذلك، وهو الصحيح فان أكثر ما رأينا ذلك في أشعار الناس غير منبّه عليه . وأما الناثر فان أتى في أثناء نثره ببيت لنفسه سمي ذلك تشهيراً وإن كان البيت لغيره سمي استعانة » (١) .

ومثال ذلك في الشعر قول الحارثي :

وقائلة والدمع سكْبٌ مبادرُ   وقد شَرِقَتْ بالماء منها المحاجرُ
وقد أبصرتْ حمّان من بعد أنسها   بنا وهي منّا موحشاتٌ دواثر
كأن لم يكن بين الحَجون الى الصّفا   أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكة سامرُ
فقلت له والقلبُ مني كأنما   يقلّبه بين الجوانح طائرُ
بلى نحن كنّا أهلها فأبادها   صروفُ الليالي والجدودُ العواثر (٢)

فان الشاعر استعان ببيتي حرقة بنت تُبّع .

وهذا قريب من التضمين غير ان المصري فرّق بينهما فقال : « والفرق بين التضمين والايداع والاستعانة والعنوان ان التضمين يقع في النظم والنثر ويكون من المحاسن ومن العيوب ، والايداع والاستعانة وان وقعا معاً في النظم والنثر فلا يكونان إلا بالنظم دون النثر » (٣) . وفرق بين الاستعانة والموازنة فقال وهو يتحدث عما يقع من تصحيف أو تحريف في الكلام المتقدم ليدخل في معنى الكلام المتأخر عند الاستعانة : « والفرق بين هذا القسم من الاستعانة وبين الموازنة أن

---

(١) تحرير التحبير ص ٣٨٣ . وينظر معاهد التنصيص ج ٤ ص ١٥٥ .

(٢) المحاجر : العيون . الموحشات : المقفرات . الدواثر : البوالي . صروف الليالي : أحداثها . الجد : الحظ ، العاثر : المهلك . المستعان بهما هما الثالث والخامس .

(٣) تحرير التحبير ص ١٤٢ .

المواربة تكون في كلام المتكلم نفسه والاستعانة لا تكون إلا بكلام غيره » (١) .

وقال السيوطي : « وتضمين البيت كاملاً يسمى استعانة لانه استعان بشعر غيره » (٢) .

استعمال العام والخاص :

العام لفظ وضع وضعاً واحداً لكثير غير محصور مستغرق جميع ما يصلح له ، والخاص هو كل لفظ وضع لمعنى معلوم على الانفراد (٣) .

وقال ابن الاثير الحلبي : « فالعام في اصطلاح الاصوليين هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد . والفرق بين العام والمطلق هو اللفظ الدال على الحقيقة من حيث هي هي على الاصطلاح المتقدم . وقد يطلق في اصطلاح آخر على المعنى الكلي الذي تندرج تحته المقيّدات ، فعلى هذا من وجد الخاص أي المقيد وجد العام أي المطلق لانه جزؤه » (٤) .

وقرر ابن الاثير الجزري « انه اذا كان الشيئان أحدهما خاصاً والآخر عاماً فانّ استعمال العام في حالة النفي أبلغ من استعماله في حالة الاثبات ، وكذلك استعمال الخاص في حالة الاثبات أبلغ من استعماله في حالة النفي » (٥) . مثال ذلك الانسانية والحيوانية فان اثبات الانسانية يوجب اثبات الحيوانية ولا يوجب نفيها نفي الحيوانية ، وكذلك نفي الحيوانية يوجب نفي الانسانية ولا يوجب اثباتها اثبات الانسانية . ومن ذلك قوله تعالى : « مثلُهم كمثَل الذي استوقد ناراً فلما أضاءتْ ما حولَه ذهبَ اللهُ بنورهم وتركهم في ظلمات لا يُبْصِرون »(٦) فقد عدلَ سبحانه وتعالى — عن الضوء الى لفظة النور ، وذلك لان النور أعم من الضوء فاذا انتفى انتفى الأخص .

---

(١) تحرير ص ٣٨٥ .
(٢) شرح عقود الجمان ص ١٧٠ .
(٣) التعريفات ص ٨٥ ، ١٢٦ .
(٤) جوهر الكنز ص ٢٩٢ .
(٥) المثل السائر ج٢ ص ٣٢ ، الجامع الكبير ص ١٦٩ .
(٦) البقرة ١٧ .

ومما يحمل على ذلك الأوصاف الخاصة إذا وقعت على شيئين وكان يلزم من وصف احدهما وصف الآخر ولا يلزم عكس ذلك ، ومثاله قـوله تعالى : « وسارِعوا الى مَغْفِرةٍ من ربكم وجنةٍ عَرْضُها السماواتُ والأرضُ »(١)، فانه انما خَصَّ العرض بالذكر دون الطول للمعنى الذي أشير اليه ، والمراد بذلك انه إذا كان هذا عرضها فكيف يكون طولها ؟

وأما الاسماء المفردة الواقعة على الجنس فكقوله تعالى : « قال الملأُ من قومه إنّا لنراكَ في ضَلالٍ مبين . قال : يا قومِ ليس بي ضَلالةٌ ولكني رسولٌ من رَبِّ العالمين » (٢) . قال : « ضلالة » ولم يقل « ضلال » لان نفي الضلالة أبلغ من نفي الضلال عنه .

وأما الصفتان الواردتان على شيءٍ واحد فكقوله تعالى : « ما لهذا الكتابِ لا يُغادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصاها » (٣) فان وجود المؤاخذة على الصغيرة يلزم منه وجود المؤاخذة على الكبيرة .

ومنه قول الأشتر النخعي :

خلّفْتُ وَفْري وانحرفتُ عن العلى ... ولقيت أضيافي بوجْهٍ عبوسِ
إن لم أشنَّ على ابن حَرْب غارةً ... لم تَخْلُ يوماً من نهابِ نفوسِ
خيلاً كأمثال السعالي شُزَّباً ... تعدو ببيضٍ في الكريهة شُوس
حمي الحديدُ عليهمُ فكأنّه ... لمعانُ برقٍ أو شعاعُ شموس(٤)

وأما الصفات المتعددة الواردة على شيءٍ واحد فكقول البحتري في وصف نحول الركاب :

يترقرقْنَ كالسّراب وقد خُضْـ ... ـنَ غِماراً من السّراب الجاري
كالقسيِّ المعطفات بل الأسْـ ... ـهم مبريّةً بل الأوتـــار

فقد رقي في تشبيه نحولها من الأدنى الى الأعلى فشبهها أولاً بالقسيِّ ، ثم

---

(١) آل عمران ١٣٣ .
(٢) الأعراف ٦٠ – ٦١ .
(٣) الكهف ٤٩ .
(٤) الوفر : المال . الشزب : الضمر . الشوس : جمع أشوس ، وهو الذي ينظر نظرة الغاضب المتكبر

بالأسهم المبرية ، ثم بالاوتار وهي أبلغ في النحول لما سبق .

هذا ما عليه الاسلوب ولكن بعضهم قد يخرج على ذلك ، وقد أشار ابن الاثير الى ان كثيراً من الشعراء أغفلوا ذلك ومنهم المتنبي الذي قال :

يا بدرُ يا بحرُ يا غمامةُ يـــا ليثَ الشرى يا حِمامُ يا رجلُ (١)

وكان ينبغي ان يبدأ فيه بالأدنى فالأدنى فيقول : يا رجل ، يا ليث ، يا غمامة ، يا بحر ، يا حِمام ، لان هذا مقام مدح فيجب أن يرقى فيه من منزلة الى منزلة حتى ينتهي الى المنزلة العايا ، ولو كان مقام ذم لعكس القضية (٢) .

ولكن للأديب الحرية في التعبير كما يتصور المعنى أو كما يريد أن يصوره .

الاستغراب :

أغرب الرجل : جاء بشيْ غريب ، واستغرب في الضحك واستغرب أكثر منه(٣) والاستغراب التعجب أو المجيْ بالشيْ الغريب أو المبالغة فيه .

قال قدامة : « قد يضع الناس في باب أوصاف المعاني الاستغراب والطرفة ، وهو أن يكون المعنى مما لم يسبق اليه . وليس عندي أنّ هذا داخل في الاوصاف لان المعنى المستجاد انما يكون مستجاداً إذا كان في ذاته جيداً فاما أن يقال له : جيد ، إذا قاله شاعر من غير أن يكون تقدمه من قال مثله فهذا غير مستقيم ، بلى يقال لما جرى هذا المجرى : طريف وغريب إذا كان فرداً قليلاً فاذا كثر لم يسمّ بذلك ، وغريب وطريف هما شيْ آخر غير حسن أو جيد لانه قد يجوز أن يكون حسن جيدٌ غير طريف ولا غريب ، وطريف غريب غير حسن ولا جيد » (٤) .

وسماه الآخرون إغراباً ونقل ابن منقذ خلاصة كلام قدامة وقال : « هو أن يكون المعنى مما لم يسبق اليـــه على جهة الاستحسان فيقال : طريف وغريب إذا كان فرداً قليلاً فاذا كثر لم يسمّ بذلك »(٥) .

(١) الشرى : مكان تنسب اليه الأسود . الحمام : الموت .
(٢) المثل السائر ج٢ ص ٣٦ .
(٣) اللسان (غرب) .
(٤) نقد الشعر ص ١٧٠ .
(٥) البديع في نقد الشعر ص ١٣٢ .

وقرن القرطاجني الشعر الجيد بالاغراب فقال : « الشعر كلام موزون مقفى من شأنه ان يحبب الى النفس ما قصد تحبيبه اليها ويكره اليها ما قصد تكريهه لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه بما يتضمن من حسن تخييل له ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيأة تأليف الكلام أو قوة صدقه أو قوة شهرته أو بمجموع ذلك . وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب فان الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثرها » (١)

ولم يختر معظم البلاغيين تسمية قدامة وانما سموه «النوادر» ومنهم المصري الذي قال : « وهو الذي سماه قدامة تديما الاغراب والطرفة وسماه من بعده التطريف وسماه قوم النوادر ، وقوم أبقوا عليه تسمية قدامة » (٢) . ثم قال : « وهو أن يأتي الشاعر بمعنى غريب لقلته في كلام الناس ، وليس من شرطه على رأي قدامة أن يكون لم يسمع مثله ، وانما شرطه أن يكون قليلاً نادرا . وقد رأى غير قدامة فيه غير ذلك ، وقال : لا يكون في المعنى إغراب إلا إذا لم يسمع مثله . والاشتقاق يعضد التفسير الثاني والشواهد تعضد تفسير قدامة ؛ لان شواهد الباب وقع فيها ما يجوز أن يكون قائله لم يسبق اليه وما يجوز أن يكون قد سبق اليه على قلته » .

وقال ابن الاثير الحلبي : « ويسمى هذا الباب بالاغراب وهو أن يأتي المتكلم بمعنى غريب نادر لم يسمع بمثله أو سمع وهو قليل الاستعمال » (٣) .

وسماه المدني النوادر وقال : « النوادر جمع نادرة ، قال الجوهري : ندر الشيء يندر ندراً : إذا شذّ ، ومنه النوادر . وفي القاموس : نوادر الكلام : ما شذّ وخرج من الجمهور . وسماه قدامة ومن تبعه : الاغراب – بالغين المعجمة – والطرافة » (٤) .

---

(١) المنهاج ص ٧١ .
(٢) تحرير ص ٥٠٦ ، بديع القرآن ص ٢٢٢ .
(٣) جوهر الكنز ص ٢٢٧ .
(٤) أنوار الربيع ج ٥ ص ٣٣٨ .

ومن أمثلته مدح زهير للفقراء والأغنياء معاً فانه غريب إذ العادة جارية بمدح الاغنياء غالبا لانه يقال : ما سمع قط مدح فقير حتى قال :

على مكثريهم حقٌّ من يعتريهم وعند المقلين السماحةُ والبذْلُ

ومن الاغراب قسم آخر وهو ان يعمد الشاعر الى معنى متداول معروف ليس بغريب في بابه فيغرب فيه بزيادة لم تقع لغيره ليصير بها ذلك المعنى المعروف غريبا طريفا وينفرد به دون كل من نطق بذلك المعنى من ذلك ان تشبيه الحسان بالشمس والبدر متداول معروف ولكنّ أبا تمام تحيّل في زيادة طريفة لم تقع لغيره فقال :

فردّت علينا الشمس والليلُ راغمٌ بشمس لهم من جانب الخدر تطلعُ

فوالله ما أدري أ أحلامُ نائمٍ ألمّتْ بنا أم كان في الركب يُوشعُ

فالتشكيك الذي أدخله في كلامه وذكر يوشع بعد إغرابه في التوطئة باخباره بان هذه المرأة رُدّت بها الشمس على الرغم من الليل ، نقل المعنى من المعرفة الى الغرابة فاستحق أبو تمام هذا المعنى الطريف دون كل من تناوله .

ومن الاغراب والطرفة نوع لا يكون الاغراب فيه في ظاهر لفظه بل في تأويله وهو الذي إذا حمل على ظاهره كان الكلام به معيباً جداً وإذا تؤول ردّ التأويل الى نمط الكلام الفصيح واميط من ظاهره حدث العيب فيكون التأويل هو الموصوف بالاغراب لا الظاهر وذلك كقوله تعالى : « حَبِطَتْ أعمالُهم فأصبحوا خاسرين » (١) ، فانهم أمسوا كما أصبحوا فتكون لفظة « فاصبحوا » حشواً لا فائدة فيه ، ومثل هذا يتحاشى عنه نظم القرآن (٢) .

ومن الغريب الطريف قول أبي تمام :

لا تُنكروا ضربي له من دونه مثَلاً شَروداً في النّدى والباسِ

فاللهُ قد ضرب الأقلَّ لنوره مثلاً من المشكاةِ والنبراسِ

ومن لطيف الاغراب وطريفه قول بعضهم :

---

(١) المائدة ٥٣ .

(٢) تحرير ص ٥٠٦ ، بديع القرآن ص ٢٢٢ ، خزانة الأدب ص ٢٢٣ .

ظلت تبشرني عيني إذا اختلجت ... بأن أراكَ وقد كنّا على حَذَرِ
فقلت للعينِ امّا كنت صادقةً ... إني ببشراك لي من أسعد البشَرَ
فما جزاؤك عندي لست أعرفه ... بلى جزاؤك أن أحْبُوكِ بالنظر
وأسترُ المقلةَ الأخرى فأحجبها ... عن أنْ تراكِ كما لم تأتِ بالخبرِ

ومنه قول الآخر :

وما لبس العشّاقُ ثوباً من الهوى ... ولا بدّلوا إلاّ الثيابَ التي أبلي
وما شَرِبوا كأساً من الحب مُرّةً ... ولا حلوةً إلاّ وشربُهم فضلي

ومنه قول أبي الفتح البُستي :

أرأيت ما قد قال لي بدرُ الدجى ... لما رأى طَرْفي يُديمُ سهودا
حتام ترمقني بطرْفٍ ساهر ... أقْصِرْ فلستُ حبيبك المفقودا

الاستفهام :

الفهم : معرفتاك الشيء بالقلب ، وفهمت الشيء : عقلته وعرفته ، وأفهمه الأمر وفهّمه إياه : جعله يفهمه ، واستفهمه : سأله أن يفهمه ، وقد استفهمني الشيء فافهمته وفهمته تفهيماً (١) .

والاستفهام طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل ، وهو الاستخبار الذي قالوا فيه : إنه طلب خبر ما ليس عندك وهو بمعنى الاستفهام أي طلب الفهم . ومنهم من فرّق بينهما وقال : إن الاستخبار ما سبق أولاً ولم يفهم حق الفهم ، فاذا سألت عنه ثانيا كان استفهاماً (٢) . ولكن الدائر في كتب البلاغة مصطلح « الاستفهام » ، وهو من أساليب الانشاء أو الطلب التي فطن لها أوائل المؤلفين والبلاغيين ، وقد عقد له سيبويه بابا سماه « باب الاستفهام » (٣) ، وتحدث فيه عن أدواته . وتكلم عليه الفراء والمبرد (٤) .

---

(١) اللسان (فهم) . (٢) الصاحبي ص ١٨١ ، البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٢٦ ، معترك الاقران ج ١ ص ٤٣١ ، الاتقان ج ٢ ص ٧٩ ، شرح عقود الجمان ص ٤٩ .

(٣) الكتاب ج ١ ص ٩٨ ، ج ٣ ص ١٧٦ .

(٤) معاني القرآن ج ١ ص ٢٣ ، ٢٠٢ ؛ ج ٢ ص ٤١١ ؛ المقتضب ج ١ ص ٤١ ؛ ج ٢ ص ٥٣ ، ج ٣ ص ٢٢٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٣٠٧ .

ودخل في الدراسات البلاغية وتحدث عنه ابن وهب الذي قال : « ومن الاستفهام ما يكون سؤالاً عما لا تعلمه فيخصّ باسم الاستفهام » (١) .

وقال السكاكي : « والاستفهام لطلب حصول في الذهن ، والمطلوب حصوله في الذهن إما أن يكون حكماً بشيء على شيء أو لا يكون . والأول هو التصديق ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين ، والثاني هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من التصديق » (٢) . وسار على هذا المذهب ملخصو كتابه « مفتاح العلوم » وشراح التلخيص . (٣) ولا يخرج غيرهم عن ذلك فالعلوي يقول : « ومعناه طلب المراد من الغير على جهة الاستعلاء » (٤) . وابن الجوزية يقول : « هو أن يستفهم عن شيء لم يتقدم له به علم حتى يحصل له به علم » (٥) .

وللاستفهام أدوات كثيرة وهي نوعان :

الأول : حرفان وهما الهمزة وهل . وتستعمل الهمزة لطلب التصديق وهو إدراك النسبة أي تعيينها مثل : « أقام محمد ؟ » الجواب عنها يكون بـ « نعم » أو « لا ». وللتصور وهو ادراك المفرد أي تعيينه مثل : « أقام محمد أم قعد ؟ » والجواب عنها يكون بتحديد المفرد أي : قام أو قعد .

أما هل فلا يطلب بها غير التصديق مثل : « هل قام محمد ؟ » والجواب عنها يكون بـ « نعم » أو « لا » .

الثاني : اسماء ، ولا يطلب بها إلاّ التصور وهي :

١ــ ما : يطلب بها شرح الشيء مثل : « ما البلاغة ؟ » .

٢ــ مَنْ : للسؤال عن الجنس مثل : « مَنْ هذا ؟ » .

٣ــ أيّ : للسؤال عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما مثل: « أيّ الثياب عندك ؟ » .

---

(١) البرهان في وجوه البيان ص ١١٣ .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٤٦ .

(٣) الايضاح ص ١٣١ ، التلخيص ص ١٥٣ ، شروح التلخيص ج ٢ ص ٢٤٦ ، المطول ص ٢٢٦ ، الأطول ج ١ ص ٢٣٤ .

(٤) الطراز ج ٣ ص ٢٨٦ .

(٥) الفوائد ص ١٦٠ .

٤- كم : للسؤال عن العدد مثل : « كم كتابا عندك ؟ » .
٥- كيف : للسؤال عن الحال مثل : « كيف محمد ؟ » .
٦- أين : للسؤال عن المكان مثل : « أين كنت ؟ » .
٧- أنّى : تستعمل تارة بمعنى « كيف » كقوله تعالى : « أنّى يحيي هذه اللهُ بَعْدَ مَوْتِها ؟ » (١) ، وتارة بمعنى « من أين » كقوله تعالى : « يا مريمُ أنى لك هذا ؟ (٢) » . وتارة بمعنى « متى » مثل : « أنى تسافر ؟ » .
٨- متى : للسؤال عن الزمان مثل : « متى جئت ؟ » .
٩- أيّانَ : للسؤال عن الزمان كقوله تعالى : « يَسْأَلُ أيّانَ يَوْمُ القيامةِ ؟ »(٣) ، وكقوله : « يسألونَكَ أيانَ يَوْمُ الدين ؟ » (٤) .

ويخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي أي أنه «استفهام العالم بالشيء مع علمه به»(٥). ويقصد به غير طلب الفهم الذي هو الاستفهام عن شيء لم يتقدم له به علم حتى يحصل له به علم . والاغراض التي يخرج الاستفهام اليها كثيرة ، وقد ذكر المتقدمون كسيبويه والفراء وأبي عبيدة وابن قتيبة والمبرد قسماً كبيراً منها (٦) ولكن البلاغيين المتأخرين كالسكاكي والقزويني وشراح تلخيصه ، والذين ألفوا في علوم القرآن كالزركشي والسيوطي جمعوها مرتبة في مباحث الاستفهام .

أستفهام الاثبات :

ويأتي للاثبات مع التوبيخ (٧) ، كقوله تعالى : « ألم تكُنْ أَرْضُ اللهِ

---

(١) البقرة ٢٥٩ .
(٢) آل عمران ٣٤ .
(٣) القيامة ٦ .
(٤) الذاريات ١٢ .
(٥) الفوائد ص ١٥٨ .
(٦) الكتاب ج ١ ص ٣٤٣ ، ج ٢ ص ١٧٩ ، ج ٣ ص ١٧٢ ، ١٧٦ ، معاني القرآن ج ١ ص ٤ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٠٢ ، ٤٦٧ ، ج ٢ ص ٤١١ ، ج ٣ ص ٥٤ ، ٢١٣ ، مجاز القرآن ج ١ ص ٣٥ ، ١٨٤ ، ٢٨٧ ، ج ٢ ص ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٣٣ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٨١ ، ٢٣١ ، ٢٨٨ ، تأويل مشكل القرآن ص ٢١٤ ، المقتضب ج ٢ ص ٥٣ ، ج ٣ ص ٢٢٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٣٠٧ ، ج ٤ ص ٣٨٢ ، الكامل ج ١ ص ١٨٣ ، ١٨٤ ، ج ٢ ص ٤٢٨ .
(٧) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٣٦ .

واسعةٌ » (١) .

استفهام الاخبار :

سماه بهذا الاسم أبو عبيدة ، ومثّل له بقوله تعالى : سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذرهم لا يؤمنون »(٢) . ومنه قول زهير :

سواءٌ عليه أيَّ حين أتيتــه   أساعة نحس تتقى أم بأسعدِ

وقال : « فخرج لفظها على لفظ الاستفهام وانما هو إخبار » (٣).

وسماه البلاغيون « استفهام التقرير » ، اما استفهام الاخبار فقد مثّل لــه السيوطي(٤) بقوله تعالى : « أفي قلوبهم مَرَضٌ أم ارتابوا »(٥)، وقوله : « هل أتى على الانسانِ حِينٌ من الدَّهْرِ ؟ » (٦) .

استفهام الاستبطاء :

مثل له السيوطي (٧) بقوله تعالى : « متى نَصْرُ اللهِ ؟ » (٨) ، وقول الشاعر :

حتى متى أنت في لهو وفي لَعِبٍ   والموتُ نحوك يجري فاغراً فاه

استفهام الاستبعاد :

مثل له السيوطي (٩) بقوله تعالى : « أنّى لهم الذكرى وقد جاءهم رسولٌ مبين » . (١٠) ومنه قول أبي تمام :

مَنْ لي بانسانٍ إذا أغْضَبْتُهُ   وَجَهِلْتُ كان الحِلْمُ رَدَّ جوابِه ؟

---

(١) الأنبياء ٩٧ .   (٢) يس ١٠ .

(٣) مجاز القرآن ج ٢ ص ١٥٨ .

(٤) معترك ج ١ ص ٤٣٩ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٠ .

(٥) النور ٥٠ .   (٦) الانسان ١ .

(٧) معترك ج ١ ص ٤٣٧ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٠ ، شرح عقود الجمان ص ٥٣ ، وينظر البرهان ج ٢ ص ٣٤٣ .   (٨) البقرة ٢١٤ .

(٩) معترك ج ١ ص ٤٣٨ ، شرح عقود الجمان ص ٥٤ ، وينظر البرهان ج ٢ ص ٢٤٤

(١٠) الدخان ١٣ .

استفهام الاسترشاد :

مثّل له السيوطي(١) بقوله تعالى : « أتجعلُ فيها من يُفْسِدُ فيها ؟ » (٢) « والظاهر انهم استفهموا مسترشدين وانما فرق بين العبارتين أدبا ، وقيل : هي هنا للتعجب (٣) .

استفهام الافتخار :

مثّل له السيوطي (٤) بقوله تعالى : « أليس لي مُلْكُ مِصْرَ ؟ » (٥)

استفهام الاكتفاء :

مثّل له السيوطي (٦) بقوله تعالى: « أليس في جهنّمَ مثوى للمتكبرين ؟»(٧)

استفهام الامر :

ذكره الفراء ومثّل له بقوله تعالى : « وقُلْ للذين أُوتوا الكتابَ والاميين أأسلمتم ؟» (٨)، وقال: « وهو استفهام ومعناه أمر »(٩). ومثّل له السيوطي(١٠) بالآية نفسها وقال : « أي اسلموا »وبقوله :« فهل أنتم منتهون » (١١)؟ أي : انتهوا ، وقوله : « أتَصْبِرون ؟ » (١٢) أي : اصبروا .

استفهام الانكار :

والمعنى فيه النفي وما بعده منفي ولذلك تصحبه « إلاّ » كقوله تعالى : « فهل يُهْلَكُ إلاّ القومُ الفاسقون ؟ »(١٣) . وعطف المنفي عليه كقوله : « فمن يهدي من أضلّ اللهُ وما لهم من ناصرين ؟» (١٤) أي : لا يهدي . وقوله : « أشَهِدوا خلقَهم ؟ » (١٥) أي : ما شهدوا ذلك .

---

(١) معترك ج ١ ص ٤٣٧ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٠ .
(٢) البقرة ٣٠ . (٣) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٣٨ .
(٤) معترك ج ١ ص ٤٣٥ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٠ .
(٥) الزخرف ٥١ . (٦) معترك ج ١ ص ٤٣٨ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٠ .
(٧) الزمر ٦٠ . (٨) آل عمران ٢١ . (٩) معاني القران ج ١ ص ٢٠٢ .
(١٠) معترك ج ١ ص ٤٣٦ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٠ ، البرهان ج ٢ ص ٣٣٩ .
(١١) المائدة ٩١ . (١٢) الفرقان ٢٠ . (١٣) الاحقاف ٣٥ .
(١٤) الروم ٢٩ . (١٥) الزخرف ١٩ .

وكثيراً ما يصحبه التكذيب وهو في الماضي بمعنى « لم يكن » وفي المستقبل بمعنى « لا يكون » كقوله تعالى : « أفأصفاكم ربُكم بالبنين » (١) أي : لم يفعل ذلك . وقوله : « أنُلزِمكمُوها وأنتم لها كارهون » (٢) أي : لايكون هذا الالزام (٣) .

ومنه قول امرئ القيس :

أيقتلني والمشرفيُّ مُضاجعي ومَسْنُونةٌ زُرْقٌ كأنيابِ أغوالِ

استفهام الاياس :

ذكره الزركشي (٤) ومثّل له بقوله تعالى : « فأيْنَ تَذْهَبون ؟ » (٥)

استفهام الايناس :

مثّل له السيوطي »(٦) بقوله تعالى: « وما تلكَ بيمينك يا موسى »(٧)، وقيل هي للتقرير فيعرف ما في يده حتى لا ينفر اذا انقلبت حية (٨) .

استفهام التأكيد :

أي التأكيد لما سبق من معنى أداة الاستفهام قبله، ومثّل له السيوطي (٩) بقوله تعالى: « أفمن حَقَّ عليه كلمةُ العذاب أفأنت تُنْقِذُ مَنْ في النار؟ »(١٠) أي : من حق عليه كلمة العذاب فانك لا تنقذه ، فـ « من » للشرط والفاء جواب الشرط والهمزة في « أفأنت » معادة مؤكدة لطول الكلام .

استفهام التبكيت :

ذكره الزركشي(١١)ومثّل له بقوله تعالى: « أأنت قُلْتَ للناس اتخذوني

---

(١) الاسراء ٤٠ . (٢) هود ٢٨ .
(٣) معترك ج ١ ص ٤٣٢ ، الاتقان ج ٢ ص ٧٩ ، البرهان ج ٢ ص ٣٢٨ .
(٤) البرهان ج ٢ ص ٣٤٣ . (٥) التكوير ٢٦ .
(٦) معترك ج ١ ص ٤٣٨ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٠ .
(٧) طه ١٧ . (٨) البرهان ج ٢ ص ٣٤٣ .
(٩) معترك ج ١ ص ٤٣٨ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٠ .
(١٠) الزمر ١٩ . (١١) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٣٦ .

وأمي إلهين » (١) ، وجعلها السكاكي من باب التقرير (٢) ، وفيه نظر لان ذلك لم يقع منه عليه السلام .

استفهام التجاهل :

مثل له السيوطي (٣) بقوله تعالى : « أَأُنْزِلَ عليه الذِكْرُ من بَيْنِنا »(٤)

استفهام التحذير :

ذكره الزركشي (٥) ومثّل له بقوله تعالى : « ألم نُهْلِكِ الأوّلين » (٦) أي قدرنا عليهم فنقدر عليكم .

استفهام التحضيض :

وهو الطلب برفق ، وقد مثّل له السيوطي (٧) بقوله تعالى : « ألا تُقاتلون قوماً نَكثوا أيْمانهم ؟ » (٨) .

استفهام التحقير :

مثّل له السيوطي (٩) بقوله تعالى: « أهذا الذي يذْكُرُ آلهتكم ؟ » (١٠) .
ومنه قول الشاعر :

فَدَعِ الوعيدَ فما وعيدُك ضائري   أطنينُ أجنحةِ الذباب يَضيرُ ؟

استفهام التذكير :

وفيه نوع اختصار، وقد مثّل له السيوطي (١١) بقوله تعالى : « ألم أعْهَدَ

---

(١) المائدة ١١٦ .
(٢) هذا ماذكره الزركشي (البرهان ج ٢ ص ٣٣٦) ، أما السكاكي فقد ذكر للتقرير قوله تعالى ؛ « أأنت فعلت هذا بالهتنا ياابراهيم » (مفتاح العلوم ص ١٥١) .
(٣) معترك ج ١ ص ٤٣٨ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٠   (٤) ص ٨ .
(٥) البرهان ج ٢ ص ٣٣٩ .   (٦) المرسلات ١٦ .
(٧) معترك ج ١ ص ٤٣٧ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٠ ، البرهان ج ٢ ص ٣٤٢ .
(٨) التوبة ١٣ .
(٩) معترك ج ١ ص ٤٣٨ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٠ ، شرح عقود الجمان ص ٥٤ ، البرهان ج ٢ ص ٣٤٣ .   (١٠) الأنبياء ٣٦ .
(١١) معترك ج ١ ص ٤٣٥ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٠ .

اليكم يا بني آدمَ ألاّ تعبُدوا الشيطانَ »(١) ، وقوله : « قال : هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه » (٢) . قال الزركشي (٣) : « وجعل بعضهم منه : « ألم يجدك يتيماً فآوى؟» (٤)، وقوله تعالى: « ألم نشرحْ لك صَدْرَك ؟ »(٥).

استفهام الترغيب :

مثّل له السيوطي (٦) بقوله تعالى : « من ذا الذي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً »(٧)، وقوله : «هل أدُلكم على تجارةٍ تُنجيكم من عذابٍ أليم ؟»(٨)

استفهام التسهيل :

وهو للتخفيف ، وقد مثّل له السيوطي (٩) بقوله تعالى : « ماذا عليهم لو آمنوا » (١٠) .

استفهام التسوية :

وهو الاستفهام الداخل على جملة يصح حاول المصدر محلها (١١)، كقوله تعالى : « سواءٌ عليهم أأنْذَرتهم أم لم تُنْذِرْهم »(١٢)، وهو استفهام الاخبار الذي ذكره أبو عبيدة (١٣)، ومثّل له المبرد بقوله : « ليت شعري أقام زيد أم قعد » (١٤) ومنه قول المتنبي

ولستُ أبالي بعد إدراكيَ العلى ... أكان تُراثاً ما تناولْتُ أم كَسْبا

---

(١) التوبة ٤٣ .
(٢) يوسف ٨٩ .
(٣) البرهان ج ٢ ص ٣٤٠ .
(٤) الضحى ٦ .
(٥) الانشراح ١ .
(٦) معترك ج ١ ص ٤٣٧ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٠ ، البرهان ج ٢ ص ٣٤١ .
(٧) البقرة ٢٤٥ .
(٨) الصف ١٠ .
(٩) معترك ج ١ ص ٤٣٦ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٠ ، شرح عقود الجمان ص ٥٤ ، البرهان ج ٢ ص ٣٣٨ .
(١٠) النساء ٣٩ .
(١١) معترك ج ١ ص ٤٣٦ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٠ ، شرح عقود الجمان ص ٥٤ ، البرهان ج ٢ ص ٣٣٦ .
(١٢) البقرة ١٦٠ .
(١٣) مجاز القرآن ج ٢ ص ١٥٨ .
(١٤) المقتضب ج ٢ ص ٥٣ .

استفهام التشويق :

جمعه السيوطي (١) مع استفهام الترغيب ومثل لهما بقوله تعالى : « من ذا الذي يُقرِضُ اللهَ قرْضا حسَنا »(٢) ، وقوله : « هل أدُلكم على تجارةٍ تنجيكم من عذاب أليم » (٣) .

استفهام التعجب :

ويقال له استفهام التعجيب ، وقد مثّل له السيوطي (٤) بقوله تعالى : « كيف تكفُرون بالله » (٥) ، ومنهم من جعله للتنبيه (٦) .

ومن هذا اللون قول المتنبي مخاطباً الحمى :

أبِنْتَ الدهرِ عندي كلُّ بنتٍ فكيف وَصَلْتِ أنت من الزِّحامِ

استفهام التعظيم :

مثّل له السيوطي(٧) بقوله تعالى : « من ذا الذي يَشْفَعُ عنده إلاّ باذْنِه » (٨)

ومنه قول الشاعر :

أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا ليوم ِ كريهةٍ وسِدَادِ ثَغْرِ

استفهام التفجع :

ذكره الزركشي (٩) ، ومثّل له بقوله تعالى : « ما لهذا الكتاب لا يُغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصاها ؟ »(١٠). ولعله التفخيم الذي ذكره السيوطي(١١) ، لان الآية لا تشعر بالتفجع كما تشعر بالتعظيم والتفخيم .

---

(١) شرح عقود الجمان ص ٥٤ . (٢) البقرة ٢٤٥ . (٣) الصف ١٠ .

(٤) معترك ج ١ ص ٤٣٥ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٠ ، شرح عقود الجمان ص ٥٣ .

(٥) البقرة ٢٨ . (٦) البرهان ج ٢ ص ٣٤٤ .

(٧) معترك ج ١ ص ٤٣٨ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٠ ، البرهان ج ٢ ص ٣٣٧ ، وينظر ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢٨ .

(٨) البقرة ٢٥٥ .

(٩) البرهان ج ٢ ص ٣٣٨ .

(١٠) الكهف ٤٩ .

(١١) معترك ج ١ ص ٤٣٦ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٠ .

استفهام التفخيم :

مثل له السيوطي (١) بقوله تعالى : « ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ؟ » (٢). وكان الزركشي قد ذكر هذه الآية شاهداً للتفجع وليس فيها تفجع.

استفهام التقرير :

وهو حمل المخاطب على الاقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده. قال ابن جني : « ولا يستعمل ذلك بـ « هل » كما يستعمل بغيرها من أدوات الاستفهام ». وقال الكندي : « ذهب كثير من العلماء في قوله تعالى : « هل يَسْمعونكم إذ تَدْعون أو ينفعونكم » (٣) الى أن « هل » تشارك الهمزة في معنى التقرير والتوبيخ ». ونقل أبو حيان عن سيبويه ان استفهام التقرير لا يكون بـ « هل » انما يستعمل فيه الهمزة ، ثم نقل عن بعضهم ان « هل » تأتي تقريراً كما في قوله تعالى : « هل في ذلك قَسَمٌ لذي حِجْرٍ » (٤). والكلام مع التقرير موجب ولذلك يعطف عليه صريح الموجب ويعطف على صريح الموجب. فالأول كقوله تعالى : « ألم نشرح لك صدرك. ووضعنا عنك وزرك » (٥) ، وقوله : « ألم يجدك يتيماً فآوى. ووجدك ضالاً فهدى » (٦) ، وقوله : « ألم يجعل كيدَهم في تضليل. وأرْسَل عليهم طيراً أبابيلَ » (٧). والثاني كقوله تعالى : « أكذّبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما » (٨).

وحقيقة استفهام التقرير انه استفهام انكار ، والانكار نفي وقد دخل على النفي ، ونفي النفي اثبات » (٩).

وقسّم الآمدي التقرير الى ضربين حينما تحدث عن الخطأ في قول أبي تمام :

---

(١) معترك ج ١ ص ٤٣٦ ، الاتقان ج٢ ص ٨٠.
(٢) الكهف ٤٩. (٣) الشعراء ٧٢ — ٧٣.
(٤) الفجر ٥. (٥) الشرح ١ — ٢.
(٦) الضحى ٦ — ٧. (٧) الفيل ٢ — ٣. (٨) النمل ٨٤.
(٩) معترك ج ١ ص ٤٣٤ ، الاتقان ج٢ ص ٧٩ ، شرح عقود الجمان ص ٥٤ ، البرهان ج٢ ص ٣٣١ وينظر ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢٨.

رضيت وهل أرضى اذا كان مسخطي ... من الأمر ما فيه رضى من له الأمرُ

قال : « فمعنى هل في هذا البيت التقرير ، والتقرير على ضربين : تقرير للمخاطب على فعل قد مضى ووقع ، أو على فعل هو في الحال ليوجب المقرر بذلك ويحققه ، ويقتضي من المخاطب في الجواب الاعتراف به ، نحو قوله : هل أكرمتك ؟ هل أحسنت اليك ؟ هل أودك وأوثرك ؟ هل أقضي حاجتك ؟

وتقرير على فعل يدفعه المقرر وينفي أن يكون قد وقع نحو قوله : « هل كان مني اليك قط شيءٌ كرهته ؟ » و « هل عرفت مني غير الجميل ؟ » .

فقوله في البيت : « وهل أرضى » تقرير لفعل ينفيه عن نفسه وهو الرضى كما يقول القائل : « وهل يمكنني المقام على هذه الحال ؟ » أي : لا يمكنني ، و « هل يصبر الحر على الذل ؟ » و « هل يَرْوَى زيد ؟ » و « هل يشبع عمرو ؟ » ، فهذه كلها أفعال معناها النفي . فقوله : « وهل أرضى » انما هو نفي للرضى فصار المعنى : ولست أرضى ، إذ كان الذي يسخطني ما فيه رضى من له الأمر ، أي رضى الله تعالى ، وهذا خطأ منه فاحش » (١) .

استفهام التكثير :

مثّل له السيوطي (٢) بقوله تعالى : « فكأيّنْ من قريةٍ أهلكناها » (٣)

استفهام التمني :

مثّل له السيوطي (٤) بقوله تعالى : « فهَلْ لنا من شُفَعاء » (٥) .

ومنه قول المتنبي :

أيدري الرَّبْعُ أيَّ دمٍ أراقا ... وأيَّ قلوب هذا الركب شاقا

استفهام التنبيه :

وهو من أقسام الأمر ، وقد مثّل له السيوطي (٦) بقوله تعالى : « ألم ترَ الى

---

(١) الموازنة ج ١ ص ٢٠١ – ٢٠٢ .

(٢) معترك ج ١ ص ٤٣٦ ، الاتقان ج٢ ص ٨٠ ، البرهان ج٢ ص ٣٣٨ .

(٣) الحج ٤٥ . (٤) معترك ج١ ص ٤٣٧ ، الاتقان ج٢ ص ٨٠ ، البرهان ج٢ ص ٣٤١ . (٥) الأعراف ٥٣ . (٦) معترك ج١ ص ٤٣٦ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٠ ، شرح عقود الجمان ص ٥٤ ، البرهان ج٢ ص ٣٤٠ .

ربك كيف مَدَّ الظلَّ » (١) ، أي : انظر .

استفهام التهديد :

ويكون للوعيد ، وقد مثّل له السيوطي (٢) بقوله تعالى : « أَلم نُهلِكِ الأوّلين » (٣)

استفهام التهكم :

ويكون للاستهزاء ، وقد مثّل له السيوطي (٤) بقوله تعالى : « أَصَلواتُكَ تأمرك »(٥) ، و قوله : « ألا تأكلون ؟ ألا تَنطِقون ؟ » (٦) .

ومنه قول المتنبي :

أفي كلّ يومٍ ذا الدمستقُ قادِمُ   قفاه على الأقدام للوجهِ لائمُ ؟

استفهام التهويل :

ويكون للتخويف ، وقد مثّل له السيوطي (٧) بقوله تعالى : « الحاقّةُ . ما الحاقّةُ ؟ » (٨) وقوله : « القارعةُ . ما القارعةُ ؟ » (٩) .

استفهام التوبيخ :

وجعله بعضهم من قبيل الانكار ، إلا ان الأول انكار إبطال وهذا الانكار توبيخ ، والمعنى ان ما بعده واقع جدير بان يُنفى ، فالنفي هنا قصدي والاثبات

(١) الفرقان ٤٥ .
(٢) معترك ج١ ص ٤٣٦ ، الاتقان ج٢ ص ٨٠ .
(٣) المرسلات ١٦ .
(٤) معترك ج١ ص ٤٣٨ ، الاتقان ج٢ ص ٨٠ ، شرح عقود الجمان ص ٥٤ ، البرهان ج٢ ص ٣٤٣ .
(٥) هود ٨٧ .
(٦) الصافات ٩١ — ٩٢ .
(٧) معترك ج١ ص ٤٣٦ ، الاتقان ج٢ ص ٨٠ ، شرح عقود الجمان ص ٥٤ ، البرهان ج ٢ ص ٣٣٨ وينظر ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢٨ .
(٨) الحاقة ١ — ٢ .
(٩) القارعة ١ — ٢ .

قصدي ، ويعبر عن ذلك بالتقريع أيضاً (١) . ومنه قوله تعالى : « أفَعَصَيْتَ أمري ؟ » (٢) وقوله : « أتَعْبُدُون ما تَنْحِتُونَ ؟ » (٣) وقوله : « لِمَ تقولونَ ما لا تفعلون ؟ » (٤) .

استفهام الدعاء :

وهو كالنهي إلاّ انه من الأدنى الى الأعلى»(٥) ، ومنه قوله تعالى: « أتُهلكُنا بما فعل السفهاءُ منا ؟ » (٦) ، أي : لا تهلكنا .

استفهام العتاب :

مثّل له السيوطي (٧) بقوله تعالى : « ألم يأنِ للذين آمنوا أن تَخْشَعَ قلوبُهم لذكر الله؟ » (٨) . ومن ألطف ما عاتب به خير خلقه بقوله: « عفَا اللهُ عنك لِمَ أذِنْتَ لهم ؟ » (٩) .

استفهام العرض :

وهو الطلب بشق ، وقد مثّل له السيوطي (١٠) بقوله تعالى : « ألا تُحبون أنْ يَغْفِرَ اللهُ لكم ؟ » (١١) .

استفهام النفي :

كقوله تعالى : « هل جزاءُ الاحسانِ إلاّ الاحسان ؟» (١٢) ، وقول البحتري :

هل الدهر إلاّ غمرةٌ وانجلاؤها ... وشيكاً وإلاّ ضِيقةٌ وانفراجُها ؟

---

(١) معترك ج١ ص ٤٣٣ ، الاتقان ج٢ ص ٧٩ ، البرهان ج٢ ص ٣٤٤ .
(٢) طه ٩٣ . (٣) الصافات ٩٥ . (٤) الصف ٢ .
(٥) معترك ج١ ص ٤٣٧ ، الاتقان ج٢ ص ٨٠ ، البرهان ج٢ ص ٣٤١ .
(٦) الأعراف ١٥٥ .
(٧) معترك ج١ ص ٤٣٥ ، الاتقان ج٢ ص ٨٠ ، البرهان ج٢ ص ٣٣٦ .
(٨) الحديد ١٦ . (٩) التوبة ٤٣ .
(١٠) معترك ج١ ص ٤٣٧ ، الاتقان ج٢ ص ٨٠ ، البرهان ج٢ ص ٤٣٢ .
(١١) النور ٢٢ . (١٢) الرحمن ٦٠ .

استفهام النهي :

مثّل له السيوطي (١) بقوله تعالى : « أَتَخْشَوْنَهم ؟ فالله أَحَقّ أنْ تَخْشَوه » (٢) بدليل قوله : « فلا تخشوا الناس واخشوني » (٣) .

استفهام الوعيد :

قال السيوطي : « ومنه الوعيد كقولك لمن يسيء الأدب : ألم أُؤَدّب فلانا ؟ إذا كان عالماً بذلك » (٤) . ومنه قوله تعالى : « ألم نُهْلِك الأوّلين ؟ » (٥)

الاستقصاء :

قصا : بعد ، وكل شيء تنحى عن شيء فقد قصا وهو قاصٍ ، وأقصى الرجلَ يقصيه : باعده . وتقصيت الأمر واستقصيته واستقصى فلان في المسألة وتقصى بمعنى (٦) .

والاستقصاء « هو أن يتناول الشاعر معنى فيستقصيه الى أن لا يترك فيه » (٧) كقوله تعالى : « أَيَودّ أحدُكم أن تكونَ له جنة من نخيل وأعنابٍ تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابَه الكِبَرُ وله ذريّة ضعفاءُ فأصابها إعصارٌ فيه نارٌ فاحترقت » (٨) . فانه لو اقتصر على قوله « جنة » لكان كافياً ولكنه لم يقف عند ذلك وانما استقصى فقال : « من نخيل وأعناب » ثم زاد « تجري من تحتها الانهار » ثم أضاف « له فيها من كل الثمرات » وقال في وصف صاحبها : « وأصابه الكبر » ثم استقصى المعنى بما يوجب تعظيم المصاب بقوله : « وله ذرية ضعفاء » ثم أصاب الجنة « اعصار فيه نار فاحترقت » .

ومنه قول ابن الرومي في الحديث :

وحديثها السّحْرُ الحلال لو انّه ... لم يَجْنِ قَتْلَ المسلم المتحرّز

---

(١) معترك ج١ ص ٤٣٧ ، الاتقان ج٢ ص ٨٠ ، شرح عقود الجمان ص ٥٤ ، البرهان ج٢ ص ٣٣٩ . (٢) التوبة ١٣ .

(٣) المائدة ٤٤ . (٤) شرح عقود الجمان ص ٥٤ . (٥) المرسلات ١٦ .

(٦) اللسان (قصا) .

(٧) تحرير التحبير ص ٥٤٠ ، بديع القرآن ص ٢٤٧ .

(٨) البقرة ٢٦٦ .

إنْ طال لم يُمْلَلْ وان هي أوجزَتْ ودَّ المحدَّثُ أنّها لم تُوجز

شركُ العقول ونزهةٌ ما مثلها للمطمئن وعُقْلَةٌ المُسْتَوفِزِ

فقد استقصى وصف حديث هذه المحبوبة استقصاءً تاما .

وفرّق المصري بين هذا الفن الذي ابتدعه والتتميم والتكميل ، فقال : « والفرق بين الاستقصاء والتتميم والتكميل كون التتميم يرد على معنى ناقص فيتم بعضه ، والتكميل يرد على التام فيكمل وصفه ، والاستقصاء له مرتبة ثالثة فانه يرد على الكامل فيستوعب كل ما تقع عليه الخواطر من لوازمه بحيث لا يترك لآخذه مجالاً لاستحقاقه من هذه الجملة » (١) .

وكان عبدالقاهر قد تحدث عن استقصاء التشبيه وقال : « ويشبه هذا الموضع في زيادة أحد التشبيهين مع ان جنسهما واحد وتركيبهما على حقيقة واحدة بان في أحدهما فضل استقصاء ليس في الآخر قول ابن المعتز في الآذريون (٢) :

وطاف بها ساقٍ أديبٌ بمبزَلٍ كخنجر عيّار صناعته الفَتْكُ

وحمّل آذريونة فوق أذنه ككأس عقيق في قرارتها مِسْكُ

مع قوله :

مداهِنٌ من ذَهَبِ فيها بقايا غاليه

الأول ينقص عن الثاني شيئاً ، وذلك ان السواد الذي في باطن الآذريونة الموضوع بازاء الغالية والمسك فيه أمران :

أحدهما : انه ليس بشامل لها .

والثاني : ان هذا السواد ليس صورته صورة الدرهم في قعرها .

أعني انه لم يستدر هناك بل ارتفع من قعر الدائرة حتى أخذ شيئاً من سمكها من كل الجهات وله في منقطعه هيئة تشبه آثار الغالية في جوانب المدهن إذا كانت بقية بقيت عن الاصابع . وقوله : « في قرارتها مسك » يبين الأمر الأول ويؤمن دخول النقص عليه كما كان يدخل لو قال : « ككأس عقيق فيها مسك »

---

(١) تحرير ص ٥٤٣ ، بديع القرآن ص ٢٥١ .

(٢) الآذريون ؛ جنس زهر ، برتقالي اللون يكثر على شواطئ البحر المتوسط ويزرع في الحدائق

ولم يشترط أن يكون في القرارة . وأما الثاني من الأمرين فلا يدل عليه كما يدل قوله : « بقايا غالية » وذاك ان من شأن المسك والشيء اليابس إذا حصل في شيء مستدير له قعر أن يستدير في القعر ولا يرتفع في الجوانب الارتفاع الذي تراه في سواد الآذريونة ، وأما الغالية فهي رطبة ثم هي تؤخذ بالاصابع ، واذا كان كذلك فلا بد في البقية منها من أن تكون قد ارتفعت عن القرارة وحصلت بصفة شبيهة بذلك السواد ، ثم هي انعومتها ترق فتكون كالصبغ الذي لا جرم له يملك المكان وذلك أصدق للشبه » (١) .

ونقل ابن الأثير الحلبي والسيوطي تعريف المصري للاستقصاء وأمثلته (٢) ، وقال السبكي إنه « قريب من مراعاة النظير » (٣) .

الاستلحاق :

وهو من باب الأخذ والاستعانة ، وقد قرنه السابقون بالاجتلاب (٤) ، وقد تقدم الكلام عليهما في « الاجتلاب » .

الاستهلال :

الاستهلال الابتداء ، يقال استهلت السماء وذلك في أول مطرها ، واستهل الصبي بالبكاء : رفع صوته وصاح عند الولادة (٥) .

والاستهلال أن يبتدئ الشاعر أو الكاتب بما يدل على الغرض كقول الخنساء في أخيها صخر :

وما بلغت كفُّ امرىءٍ متناولٍ ... من المجد إلا والذي نلت أطوَلُ
وما بلغ المهدون للناس مِدْحةً ... وان أطنبوا إلا الذي فيك أفْضَلُ

قال ابن الزملكاني : « ويقرب من هذا الضرب ضرب يسمى التسهيم كقول البحتري

واذا حاربوا أذلوا عزيزاً ... واذا سالموا أعزوا ذليلا

(١) أسرار البلاغة ص ١٦١ — ١٦٢ .
(٢) جوهر الكنز ص ٢٢٣ ، معترك الأقران ج١ ص ٣٧٠ ، الاتقان ج٢ ص ٧٥ .
(٣) عروس الأفراح ج ٤ ص ٤٧٠ .
(٤) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٥٨ ، الرسالة المسجدية ص ٥٢ ، العمدة ج ٢ ص ٢٨٣ .
(٥) اللسان (هلل) .

وكقوله :

فليس الذي حلّلته بمحلل   وليس الذي حرمْته بحرامِ

فالشطر الأول معرف بالشطر الثاني في البيتين ، سمي بذلك أخذاً من البرد المسهم الذي لا تفاوت فيه وقد يسمى التوشيح » (١) .

وهذه النظرة الى الاستهلال أوسع من نظرة الآخرين الذين يرون انه البدء بالمطلع الدال على المعنى . قال القرطاجني : « وتحسين الاستهلالات والمطالع من أحسن شيْ في هذه الصناعة إذ هي الطليعة الدالة على ما بعدها المتنزلة من القصيدة منزلة الوجه والغرة ، تزيد النفس بحسنها ابتهاجاً ونشاطاً لتلقي ما بعدها إن كان بنسبة من ذلك ، وربما غطت بحسنها على كثير من التخون الواقع بعدها إذا لم يتناصر الحسن فيما وليها » (٢) .

وقد تحدث البلاغيون عن « الابتداء » و « براعة الاستهلال » ، و « الافتتاح » وكلها تتصل بالاستهلال وجمال بداية الكلام إن كان مما يثير السامع ويحرك في نفسه كثيراً من الكوامن .

الاستيعاب :

وعب الشيْ وعباً وأوعبه واستوعبه : أخذه أجمع ، والاستيعاب : الاستقصاء في كل شيْ (٣) .

والاستيعاب : « أن يتعلق بالكلام معنى له أقسام متعددة فيستوعبها في الذكر ويأتي عليها » (٤) . كقوله تعالى : « يخلقُ ما يشاءُ ، يَهَبُ لمن يشاء إناثاً ويَهَبُ لمنَ يشاء الذكور . أو يُزوّجهم ذُكْراناً وإناثا ، ويجعل من يشاء عقيماً » (٥) . فهذا التقسيم حاصر لا مزيد على حصره مع ما فيه من البلاغة التي

---

(١) التبيان ص ١٨٣ .
(٢) منهاج البلغاء ص ٣٠٩ .
(٣) اللسان (وعب) .
(٤) الطراز ج ٣ ص ١٠٦ .
(٥) الشورى ٤٩ — ٥٠ .

ليس وراءها غاية ، لانه في معنى : الناس على طبقاتهم واختلاف أحوالهم على أربعة أصناف: فمنهم من له بنات لا غير ، ومنهم من له بنون،ومنهم ذ و بنات وبنين ، ومنهم من هو عقيم لا ولد له من ابن أو بنت ، فهذه الآية الكريمة مستوعبة لذلك كله .

ومنه قول بشار :

فراحَ فريقٌ في الأسارِ ومثله　　　قتيلٌ وقِسْمٌ لاذَ بالبحر هاربُه

فاستوعب أنواع التنكيل وتفريق الشمل كأنه قال : صاروا بين أسير ومقتول وهارب في البحار لعله ينجو .

ومنه قول نصيب :

فقال فريقُ القوم لما سألتهم　　　نَعَمْ وفريقٌ أيْمن الله لا نَدْري

فاستوعب جميع نوعي الجواب في النفي والاثبات فلم يبق بعد ذلك شيٌ .
وهذا ما سماه الآخرون « حسن التقسيم » و « التقسيم » .

الاسجال :

أسجل الأمر : أطلقه ، ومنه قول محمد بن الحنفية — رحمة الله عليه — في قوله عز وجل : « هل جزاءُ الاحسان إلاّ الاحسان » (١) قال : هي مُسْجَلَة للبر والفاجر ، يعني مرسلة مطلقة في الاحسان الى كل أحد لم يشترط فيها برّ دون فاجر . وأسجلت الكلام : أرسلته (٢) .

وسماه المصري : « الاسجال بعد المغالطة » وهو من مبتدعاته ، وقد قال في تعريفه : « هو أن يقصد الشاعر غرضاً من ممدوح فيأتي بألفاظ تقرر بلوغه ذلك الغرض فيسجل عليه ذلك مثل أن يشترط لبلوغه ذلك الغرض شرطاً يلزم من وقوعه وقوع ذلك الغرض ثم يقرر وقوع ذلك الغرض مغالطة ليقع المشروط » (٣) .

وقد يقع الاسجال لغير مغالطة ، والقسم الأول يأتي في الشعر وغيره من كلام

---

(١) الرحمن ٦٠ .
(٢) اللسان (سجل) .
(٣) تحرير التحبير ص ٥٧٤ ، بديع القرآن ص ٢٨٦ .

البشر ولا يقع في الكتاب العزيز إلا القسم الثاني وهو الاسجال بغير مغالطة ، كقوله تعالى : « رَبّنا وآتِنا ما وَعَدْتنا على رُسُلِكَ » (١) ، وقوله : « رَبّنا وأدْخِلْهُمْ جنّاتِ عَدْنٍ التي وَعَدْتَهم » (٢) .

ومثال القسم الأول وهو ما تقع فيه المغالطة قول الشاعر :

جاء الشتاء وما عندي لقِرّته إلاّ ارتعادي وتصفيقي بأسناني (٣)
فان هلكتُ فمولانا يكفنني هبني هلكت فهبني بعض أكفاني

وقد تأتي المغالطة بلا اسجال إذا أراد المتكلم إخفاء مراده فسأل عن شيْ وهو يريد غيره بشرط أن يكون المسؤول عنه يتعلق بمراده تعلقاً قريبا لطيفا ، كقول أبي نواس :

أسألُ القادمين من حَكَمانِ كيف خلّفتُم أبا عثمانِ
فيقولون لي جنان كما سرّ ك من حالها فَسَلْ عن جنانِ
ما لهم لا يبارك الله فيهم كيف لم يَغْنَ عندهم كتماني

فانه سأل عن أخي سيد جنان ــ وهو أبو عثمان الذي ذكره في البيت الأول ــ وانما أراد جنانا .

ونقل الاسجال عن المصري المتأخرون كالحلبي والنويري (٤) ، ولم يخرجا على أمثلته القرآنية والشعرية ، وذلك لانه أول من تحدث عنه وليس فيما سبقه من دراسات كلام على الاسجال .

الاسلوب الحكيم :

عقد الجاحظ في « البيان والتبيين » باباً سماه « اللغز والجواب » وقال : « قالوا كان الحطيئة يرعى غنما له وفي يده عصا فمرّ به رجل فقال : يا راعي الغنم ما عندك ؟ قال : عجراء من سَلَم ــ يعني عصاه ــ قال : إني ضيف . قال

---

(١) آل عمران ١٩٤ .   (٢) غافر ٨ .
(٣) القرة : شدة البرد .
(٤) حسن التوسل ص ٣٠٩ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٧٣ .

الحطيئة : للضيفان أعددتها » (١) .

وكان مثل هذا الاسلوب يستعمل للتظرف أو التخلص من احراج السائل ، ولم يضع الجاحظ مصطلح « الأسلوب الحكيم » وانما قال السكاكي وهو يتحدث عن التصريح والتلويح : « ولا كالاسلوب الحكيم وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب » (٢) كما قال الشاعر :

أتت تشتكي عندي مزاولةَ القِرى   وقد رَأَت الضيفانَ يَنْحُون منزلي

فقلت كأني ما سمعت كلامَها   هم الضيف جدّي في قراهم وعجّلي

أو السائل بغير ما يتطلب كما قال الله — تعالى — : « يسألونك عن الأهلّة ، قل : هي مواقيتُ للناس والحج » (٣) ، قالوا : ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يتزايد قليلاً حتى يمتلىء ويستوي ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بــدا .

وهذان هما قسما هذا الاسلوب ، أي : تلقي المخاطب بغير ما يترقب ، كالبيتين السابقين ، وتلقي السائل بغير ما يتطاب كالآية الكريمة السابقة . ولهذا الاسلوب أثر في الكلام وقد أوضحه السكاكي بقوله : « وان هذا الاسلوب الحكيم لربما صادف المقام فحرّك من نشاط السامع ، سلبه حكم الوقور وأبرزه في معرض المسحور . وهل ألان شكيمة الحجاج لذلك الخارجي وسلّ سخيمته (٤) حتى آثر ان يحسن على أن يسيْ غير ان سحره بهذا الاسلوب إذ توعده الحجاج بالقيد في قوله : « لأحملنك على الأدهم » فقال متغابيا : « مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب » مبرزاً وعيده في معرض الوعد ، متوصلاً أن يريه بألطف وجه ان امرءً مثله في مسند الامرة المطاعة خليق بأن يُصْفِدَ لا أنْ يُصْفَدَ ، وأن يعد لا أن يوعد » (٥) .

---

(١) البيان ج ٢ ص ١٤٧ .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٥٥ .

(٣) البقرة ١٨٩ .

(٤) السخيمة : الضغينة ، يقال : سللت سخيمته باللطف والترضي أي أخرجت ضغينته من صدره

(٥) مفتاح العلوم ص ١٥٦ .

وقد أوضح القزويني كلام السكاكي فقال: « ومن خلاف المقتضى ما سماه السكاكي الاسلوب الحكيم، وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تَنبيهاً على أنه الأولى بالقصد ، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهاً على أنه الاولى بحاله أو المهم له » (١) ، وذكر أمثلته .

وسمّى عبدالقاهر هذا الفن « المغالطة » (٢) وذكر السيوطي (٣) المصطلحين أي مصطلح عبدالقاهر ومصطلح السكاكي . وذكر الحموي ان هذا الاسلوب هو « القول بالموجب » (٤) وليس الأمر كذلك وان ذكر أحد شواهده وهو قصة القبعثرى مع الحجاج ؛ لان القول بالموجب فن آخر . وذهب الى ذلك كثير من البلاغيين كالمدني الذي قال عن القول الموجب : « هو والاسلوب الحكيم رضيعا لبان وفرسا رهان حتى زعم بعضهم أن أحدهما عين الآخر وليس كذلك » (٥) ثم قال : « هذا النوع – أعني القول بالموجب – يشترك هو والاسلوب الحكيم في كون كل منهما من اخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر ، ويفترقان باعتبار الغاية . فان القول بالموجب غايته ردّ كلام المتكلم وعكس معناه ، والاسلوب الحكيم هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهاً على انه الأولى بحاله أو المهم له » (٦)، وذكر أمثلة الأسلوب الحكيم ليفرق بينه وبين القول بالموجب .

الاسناد الخبري :

الاسناد الخبري : ضم كلمة أو ما يجري مجراها الى أخرى بحيث يفيد أن

---

(١) الايضاح ص ٧٥ ، التلخيص ص ٩٧ ، شروح التلخيص ج١ ص ٤٧٩ ، المطول ص ١٣٥ الأطول ج١ ص ١٥٨ .
(٢) الايضاح ص ٧٦ ، عروس الافراح ج ١ ص ٤٧٩ .
(٣) شرح عقود الجمان ص ٢٩ .
(٤) خزانة الأدب ص ١١٦ .
(٥) أنوار الربيع ج٢ ص ١٩٨ .
(٦) أنوار الربيع ج٢ ص ٢٠٩ .

مفهوم إحداهما ثابت لمفهوم الأخرى أو منفي عنه . وصدقه مطابقته للواقع وكذبه عدمها ، وقيل : صدقه مطابقته للاعتقاد وكذبه عدمها (١) .

وقد أقام عليه البلاغيون المتأخرون مباحث الخبر وأغراضه وانواعه (٢) ، ولم يتحدثوا عن الاسناد الانشائي وقد علل السبكي ذلك بقوله : « والذي عندي في ذلك ان حقيقة الاسناد في الانشاء لا يتحقق إلاّ بتوسع وذلك لان الاسناد نسبة دائرة بين المنتسبين » (٣) . وهذا صحيح ، لان الاسناد واحد وهو تعليق خبر بمخبر عنه أو مسند بمسند اليه ،ولذلك يجري على الانشاء،وكان القزويني قد قال : « ما ذكرناه في الابواب الخمسة السابقة ليس كله مختصاً بالخبر بل كثير منه حكم الانشاء فيه حكم الخبر » (٤) .

الاسهاب :

أسهب الرجل : أكثر الكلام فهو مسهَب — بفتح الهاء — ولا يقال بكسرها وهو نادر . وقال أبو علي البغدادي : رجل مسهَب — بالفتح — إذا أكثر الكلام في الخطأ فان كان ذلك في صواب فهو مُسْهِب — بالكسر — لا غير (٥) .

قال الجاحظ : « قال أبو الحسن قيل لاياس : ما فيك عيب إلاّ كثرة الكلام . قال : فتسمعون صواباً أم خطأً ؟ قالوا : لا بل صوابا . قال : فالزيادة من الخير خير . وليس كما قال ، للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية ، وما فضل على قدر الاحتمال ودعا الى الاستثقال والملال فذلك الفاضل هو الهذر ، وهو الخطل ، وهو الاسهاب الذي سمعت الحكماء يعيبونه » (٦) . وذكر أنهم

---

(١) التعريفات ص ١٧ .

(٢) مفتاح العلوم ص ٧٩ ، الايضاح ص ١٧ ، التلخيص ص ٤٠ ، شروح التلخيص ج١ ص١٩٠ المطول ص ٤٣ ، الأطول ج ١ ص ٥٢ .

(٣) عروس الأفراح ج١ ص ١٩١ .

(٤) الايضاح ص ١٤٧ ، التلخيص ص ١٧٤ ، شروح التلخيص ج ٢ ص ٣٤٠ ، المطول ص ٢٤٦ ، الأطول ج ١ ص ٢٥٣ .

(٥) اللسان (سهب) .

(٦) البيان ج ١ ص ٩٩ .

كانوا يكرهون السلاطة والهذر والتكلف والاسهاب والاكثار لما في ذلك من التزيد والمباهاة (١) . وذكر أن ناساً قالوا لابن عمر : ادعُ الله لنا بدعوات . فقال : « اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا » . فقالوا : لو زدتنا يا أبا عبدالرحمن . قال : نعوذ بالله من الاسهاب » (٢) .

ويتضح ان الجاحظ يريد الاسهاب المتكلف ، أما الذي يوجبه المقام فذلك محمود ، قال : « فأما ما ذكرتم من الاسهاب والتكلف والخطل والتزيد فانما يخرج الى الاسهاب المتكلف والى الخطل المتزيد » (٣) ، وقال : « ووجدنا الناس إذا خطبوا في الصلح بين العشائر أطالوا ، واذا أنشدوا بين السماطين في مديح الملوك أطالوا ، وللاطالة موضع وليس ذلك بخطل ، وللاقلال موضع وليس ذلك من عجز » (٤) .

وهذا ما ذهب اليه ابن منقذ حينما تحدث عن الاسهاب والاطناب والاختصار والاقتصار ، وقال : « اعلم ان كل واحد من هذه الأقسام له موضع يأتي فيه فيحمد ، فان أتى في غيره لم يحمد . فان كان في الترغيب والترهيب والاصلاح بين العشائر والاعذار والانذار الى الأعداء والعساكر وما أشبه ذلك فيستحب فيه التطويل والشرح ، وأما غير ذلك فيستحب فيه الاختصار والاقتصار ، وقد أتى الكتاب العزيز بهما جميعاً ، وذلك لما يصلح بالمكانين ، وقد مدحت العرب التطويل والتقصير فقالوا :

يرمون بالخطب الطوال وتارةً ... يُومون مثل تلاحظ الرقباء

ومدح بعضهم خطيباً فقال :

إذا هو أطنب في خطبةٍ ... قَضى للمطيل على المُقْصر

---

(١) البيان ج ١ ص ١٩١ .
(٢) البيان ج١ ص ١٩٦ .
(٣) البيان ج١ ص ٢٠١ .
(٤) الحيوان ج١ ص ٩٢ — ٩٣ .

وإنْ هو أوجز في خطبةٍ قضى للمقل على المكثرِ (١)

وعرّفه الكلاعي تعريفاً بديعاً فقال انه « ما رفل ثوب لفظه على جسد معناه »(٢) ثم قال :

« موطن الاسهاب ما يكتب به الى عامة وتقرع به آذان جماعة كالصلح بين العشائر والتحضيض على الحرب والتحذير من المعصية والترغيب في الطاعة وغير ذلك مما له بال . فحينئذ يجب على الكاتب ان يبدئ ويعيد ويحذر بالتكرير وينذر بالترديد » (٣) . وهذا ما قاله الجاحظ وابن منقذ من قبل .

الاشارة :

هي الايماء عند المتقدمين لان الاشارة هي الايماء يقال : أشار اليه باليد أي أومأ ، وأشار الرجل يشير اشارة إذا أومأ بيديه ، ويقال : شوّرت اليه بيدي وأشرت اليه : اي لوّحت اليه (٤) .

وعدّ الجاحظ الاشارة من اصناف الدلالات على المعاني (٥) ، لكنه لا يريد بها المعنى البلاغي الذي ذكره قدامة في باب « ائتلاف اللفظ والمعنى » وقال « هو أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معانٍ كثيرة بايماء أو لمحة تدل عليها كما قال بعضهم وقد وصف البلاغة فقال : هي لمحة دالة » (٦) ، وذلك مثل قول امرئ القيس :

فان تهلكْ شنوءة أو تبدلْ فسيري إن في غسّان خالا

بعزهم عززْتَ وان يذلوا فذلهم أنالك ما أنالا

فبنية هذا الشعر على أن ألفاظه مع قصرها قد أشير بها الى معانٍ طوال فمن ذلك قوله : « تهلك » أو « تبدل » ، ومنه قوله : « إن في غسّانَ خالاً » ، ومنه

---

(١) البديع في نقد الشعر ص ١٨٢ .
(٢) إحكام صنعة الكلام ص ٨٩ .
(٣) إحكام صنعة الكلام ص ٩٠ .
(٤) اللسان (شور) .
(٥) البيان ج ١ ص ٧٦ .
(٦) نقد الشعر ص ١٧٤ ، حلية المحاضرة ج١ ص ١٣٩ ، نضرة الاغريض ص ٣٣ .

ما تحته معان كثيرة وشرح طويل وهو : « أنا لك ما أنالا » .

وذكرها الجاحظ مرة أخرى بهذا المعنى وربطها بالوحي والحذف وقال : « ورأينا الله — تبارك وتعالى — إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الاشارة والوحي والحذف ، واذا خاطب بني اسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام » (١) . والى ذلك ذهب العسكري (٢) وذكر البيتين السابقين ، وفعل مثله الباقلاني (٣) ، وقال ابن رشيق : « والاشارة من غرائب الشعر وملامحه ، وبلاغته عجيبة تدل على بعد المرمى وفرط المقدرة وليس يأتي بها إلاّ الشاعر المبرز والحاذق الماهر ، وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة واختصار وتلويح يعرف مجملا ومعناه بعيد من ظاهر لفظه » (٤) . وعدّ من أنواع الاشارة التفخيم ، والايماء ، والتعريض ، والتلويح ، والكناية ، والتمثيل ، والرمز ، واللمحة ، واللغز ، واللحن ، والتعمية ، والحذف ، والتورية . وفعل مثل ذلك ابن سنان والتبريزي والبغدادي والمظفر العلوي والحلبي والنويري (٥) . وقال عبدالقاهر : « كذلك اثباتك الصفة للشيْ تثبتها له إذا لم تلقه الى السامع صريحا وجئت اليه من جانب التعريض والكناية والرمز والاشارة ، وكان له من الفضل والمزية ومن الحسن والرونق مالا يقل قليله ولا يجهل موضع الفضل فيه » (٦) .

وقال المصري : « من الاشارة نوع يقال له اللحن والوحي ، وهو يجمع العبارة والاشارة ببعد لا يفهم طريقه إلاّ ذو فهم ، كما قال الشاعر :

ولقد وحيت لكم لكيما تفطنوا ولحنت لحنا ليس بالمرتاب (٧)

وقال ابن قيم الجوزية : « الاشارة أن تطلق لفظاً جليا تريد به معنى خفيا ،

---

(١) الحيوان ج ١ ص ٩٤ .
(٢) كتاب الصناعتين ص ٣٤٨ .
(٣) إعجاز القرآن ص ١٣٦ .
(٤) العمدة ج١ ص ٣٠٢ .
(٥) سر الفصاحة ص ٢٤٣ ، الوافي ص ٢٦٧ ، قانون البلاغة ص ٤١٦ ، ٤٤١ ، نضرة الاغريض ص ٣٣ ، حسن التوسل ص ٢٦٣ ، نهاية الارب ج٧ ص٨ ، ١٤٠ .
(٦) دلائل الاعجاز ص ٢٣٧ .
(٧) تحرير التحبير ص ٢٠٤ ، بديع القرآن ص ٨٢ ، وينظر خزانة الادب ص ٣٥٨ .

وذلك من ملح الكلام وجواهر النثر والنظام »(١) . وأدخل في هذا الفن بعض أمثلة الكناية ، وذلك لانه قسم الاشارة الى اربعة أقسام :

الاول : هو ما عرف به .

الثاني : أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على المعنى الكبير .

الثالث : المعميات والالغاز .

الرابع : التورية .

وقال : « ان الاشارة في الحسن والكناية في القبيح » (٢) ، وهذا هو الفرق بين الفنين عنده . وهذا التقسيم عودة الى تقسيم السكاكي للكناية الى تعريض وتلويح ورمز وايماء واشارة (٣) ، وكأنّ الاشارة جزء من الكناية ، وان كانت عبارة عبدالقاهر : « وجئت اليه من جانب التعريض والكناية والرمز والاشارة » توحي بان كل فن من هذه الفنون قائم بنفسه .

ونقل السبكي تعريف قدامة وقال انها من الايجاز (٤) ، وذهب الى ذلك السيوطي وقال انها ايجاز القصر بعينه (٥) . وفرّق المصري بينهما وقال ان دلالة اللفظ في الايجاز دلالة مطابقة ، ودلالة اللفظ في الاشارة اما دلالة تضمن أو دلالة التزام (٦) ، أي ان الاشارة كالكناية وليست كالايجاز .

ولم يخرج المتأخرون كالمدني (٧) عما بدأه قدامة بل أرجع الاشارة اليه وذكر انها من مستخرجاته ، ولا تكاد أمثلته تخرج على أمثلة السابقين .

ومن أمثلة الاشارة قوله تعالى : « وَغيض الماءُ » (٨) ، فان ذلك يشير الى

---

(١) الفوائد ص ١٢٥ .
(٢) الفوائد ص ١٢٦ .
(٣) مفتاح العلوم ص ١٩٦ .
(٤) عروس الافراح ج٤ ص ٤٧١ .
(٥) معترك الاقران ج١ ص ٣٠٤ ، الاتقان ج٢ ص ٥٦ ، شرح عقود الجمان ص ٧٦ .
(٦) بديع القرآن ص ٨٢ .
(٧) أنوار الربيع ج٥ ص ٣٠١ ، وينظر المنزع البديع ص ٢٦٢ والمنصف ص ٥٤ .
(٨) هود ٤٤ .

انقطاع مادة الماء من نبع الارض ومطر السماء ولولا ذلك لما غاض . ومنه قوله : « وما كُنْتَ بجانب الغربيّ إذْ قضينا الى موسى الأَمْرَ » (١) ، فقد أشارت لفظة الأمر الى ابتداء نبوة موسى – عليه السلام – وخطاب الله له ، واعطائه الآيات البينات من إلقاء العصا لتصير ثعبانا واخراج يده بيضاء وارساله الى فرعون وسؤاله شدّ عضده بأخيه هارون الى جميع ما جرى في ذلك المقام . وقوله تعالى : « فيها ما تشتهيه الأنفسُ وتَلَذّ الأعين »(٢) فألمح الى كل ما تميل النفوس اليه من الشهوات وتلتذه الأعين من المرئيات .

ومنه قول زهير :

فاني او اقيتك واتجهنا لكان لكلِ منكرة كفاءُ

أي : قابلت كل منكرة بكفئها .

ومن أمثلة الوحي والاشارة بضرب من الاستعارة قول يزيد بن الوليد لمروان بن محمد وقد بلغه عنه تلكؤه عن بيعته : « أراك تقدّم رِجْلاً وتؤخر أخرى فاذا قرأت كتابي هذا فاقعد على أيهما شئت » .

الاشباع :

أشبع الثوب وغيره : روّاه صبغاً ، وقد يستعمل في غير الجواهر على المثل كاشباع النفخ والقراءة وسائر اللفظ ، وكل شيْ توفره فقد أشبعته حتى الكلام يُشبع فتوفر حروفه (٣) .

والاشباع في القوافي هو اشباع حركة الحرف بين ألف التأسيس وحرف الروي ككسرة الصاد من قوله :

كِليني لهم يا أميمةُ ناصبِ وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكبِ

وقيل : انما ذلك إذا كان الروي ساكناً ككسرة الجيم من قوله :

كنعاجِ وجرةَ ساقهنّ الى ظلالِ الصيف ناجِرْ

وقيل : الاشباع اختلاف تلك الحركة اذا كان الروي مقيداً كقول الحطيئة :

---

(١) القصص ٤٤ .
(٢) الزخرف ٧١ .
(٣) اللسان (شبع) .

الواهبُ المائةَ الصفا يا فوقها وبر مُظاهَر

وقال الأخفش : الاشباع حركة الحرف الذي بين التأسيس والروي المطلق (١) . ولكن الغانمي قال عنه : « هو أن يأتي الشاعر بالبيت معلق القافية على آخر أجزائه ولا يكاد يفعل ذلك إلاّ حذاق الشعراء ، وذلك ان الشاعر اذا كان بارعاً جلب بقدرته وذكائه وفطنته الى البيت وقد تمت معانيه واستغنى عن الزيادة فيه قافية متممة لأعاريضه ووزنه فجعلها نعتاً للمذكور » (٢) ، وذلك كقول ذي الرمة :

قِفِ العيسَ في أطلالِ ميّةَ فاسألِ رسوماً كأخلاق الرداء المسَلسلِ

وعلق ابن الأثير على ذلك بعد أن أشار الى التبليغ بقوله : « والبابان المذكوران سواء لا فرق بينهما بحال ، والدليل على ذلك ان بيت امريْ القيس يتم معناه قبل أن يؤتى بقافيته وكذلك بيت ذي الرمة ، ألا ترى أن امرأ القيس لما قال :

كأنّ عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع . . . .

أتى بالتشبيه قبل القافية ولما احتاج اليها جاء بزيادة حسنة وهي قوله : « لم يُثَقّبِ» وهكذا ذو الرمة فانه لما قال :

قِفِ العيسَ في أطلال مية فاسألِ رسوماً كأخلاق الرداء . . . .

أتى بالتشبيه أيضاً قبل أن يأتي بالقافية ، ولما احتاج اليها جاء بزيادة حسنة وهي قوله: « المسلسل». واعلم ان أبا هلال قد سمى هذين القسمين بعينهماالايغال»(٣)

وكان أبو هلال العسكري قد نقل ذلك عن الاصمعي ، قال : « وأخبرنا أبو أحمد ، قال : أخبرنا الصولي عن المبرد عن التّوزي قال : قلت للأصمعي : مَنْ أشعر الناس ؟ فقال : من يأتي بالمعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيراً ، أو الكبير فيجعله بلفظه خسيسا ، أو ينقضي كلامه قبل القافية فإذا احتاج اليها أفاد بها معنى » (٤) ، وذكر بيتي امرئ القيس وذي الرمة . وكأن الاشباع هنا اشباع

(١) الموشح ص ١٠ ، اللسان (شبع) .
(٢) المثل السائر ج٢ ص ٣٥١ ، الجامع الكبير ص ٢٤٠ .
(٣) المثل ج ٢ ص ٣٥١ ، الجامع ص ٢٤٠ . (٤) كتاب الصناعتين ص ٣٨٠ .

المعنى وان كان كاملا .

الأشتراك :

الشركة مخالطة الشريكين ، يقال : اشتركنا بمعنى تشاركنا ، وقد اشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر ، والشريك المشارك ، وطريق مُشترك : يستوي فيه الناس ، واسم مشترك تشترك فيه معانٍ كثيرة (١) .

والاشتراك أو المشاركة عدة أنواع : منها ما يكون في اللفظ ، ومنها ما يكون في المعنى . فالذي يكون في اللفظ ثلاثة أشياء :

الأول : أن يكون اللفظان راجعين الى حدّ واحدٍ ومأخوذين من حدٍّ واحد ، وذلك اشتراك محمود وهو التجنيس (٢) .

الثاني : أن يكون اللفظ يحتمل تأويلين أحدهما يلائم المعنى والآخر لا يلائمه ولا دليل فيه على المراد كقول الفرزدق :

وما مِثْلُه في الناس إلاّ مُمَلّكاً ... أبو أمه حيٌّ أبوه يقاربُـــه

فقوله : « حي » يحتمل القبيلة ويحتمل الواحد الحي ، وهذا الاشتراك مذموم ، والمليح الذي يحفظ لكثيّر في قوله يشبب :

لعمري لقد حببّت كل قصيرة ... اليّ ومـــا تَدري بذاك القصـــائرُ
عنيت قصيراتِ الحجال ولم أُرِدْ ... قصارَ الخطى شرُّ النساء البحاترُ(٣)

فانه لما أحس بالاشتراك نفاه وأعرب عن معناه الذي نحا اليه .

الثالث : ليس من هذا في شيٌ ، وهو سائر الألفاظ المبتذلة للتكلم بهـــا ، ولا يسمى تناولها سرقة ولا تداولها اتباعا ؛ لانها مشتركة لا أحد من الناس أولى بها من الآخر فهي مباحة غير محظورة إلاّ أن تدخلها استعارة أو تصحبها قرينة تحدث فيها معنى أو تفيد فائدة فهناك يتميز الناس ويسقط اسم الاشتراك الذي يقوم به العذر . قال الحاتمي عن الاشتراك في اللفظ : « وقد اعتبر قوم هذا

---

(١) اللسان (شرك) .
(٢) ينظر المنزع البديع ص ٥٠٦ .
(٣) البحاتر ؛ القصار ، وهي جمع بحترة ، أي قصيرة .

سرقا ، وليس بسرق وانما هي ألفاظ مشتركة محصورة يضطر الى الماردة فيها إذا اعتمد الشاعر القول في معناها . ومثال ذلك قول المنخل بن سبيع العنبري :

ألا قد أرى والله أنْ لَسْتُ منكم وأنْ لَسْتُمُ مني وإنْ كُنْتُم أهْلي

وقول الآخر :

ألا قد أرى والله أني ميّتٌ ونخْل مقيمٌ سدرُها أو بسالها (١)

ومما يعتمده قوم سرقا وليس بسرق وأنما هو اشتراك في اللفظ قول عنترة :

ألا قاتلَ اللهُ النوى كيف أصبحت

ألحّ عليها يابثين صريرها

وقول جميل :

ألا قاتل الله النوى كيف أصبحت

ألحّ عليها يابثين صريرها (٢)

وألاشتراك في المعاني نوعان :

الأول : أن يشترك المعنيان وتختلف العبارة عنهما فيتباعد اللفظان وذلك هو الجيد المستحسن .

الثاني : وهو على ضربين :

أحدهما : مايوجد في الطباع من تشبيه الجاهل بالثور والحمار ؛ والحسن بالشمس والقمر .

والاخر : ضرب كان مخترعاً ثم كثر حتى استوى فيه الناس وتواطأ عليه الشعراء آخراً عن أول (٣) .

ولم يخرج البلاغيون عما تقدم مما ذكره ابن رشيق والحاتمي فقد قسمه المصري الى معنوي ولفظي وفرق بين الاشتراك اللفظي والايضاح بقوله :

---

(١) السدر ؛ شجر النبق . وفي معجم البلدان (نخلة) ؛ بارض مقيم سدرها وسيالها .
(٢) حلية المحاضرة ج٢ ص ٦٨ .
(٣) العمدة ج٢ ص ٩٦ وما بعدها .

« ان الاشتراك في الالفاظ والايضاح في المعاني »(١) . وتبعهم الحلبي والنويري والسيوطي (٢) وسماه الحموي والمدني « المشاركة » (٣) ولخصا كلام السابقين.

الاشتغال :

الاشتغال من اشتغل واشتغل فلان بأمره فهو مشتغل (٤) . والاشتغال عند النحاة هو « أن يسبق اسم عاملاً مشتغلاً عنه بضميره، أو ملابسه لو تفرغ له هو أو مناسبه لنصبه لفظاً أو محلا فيضمر للاسم السابق عند نصبه عامل مناسب للعامل الظاهر مفسر به » (٥) .

ولا يريد البلاغيون ذلك وأنما نظروا اليه من حيث المعنى فقال الزركشي : « إن الشيء اذا أضمر ثم فسر كان أفخم مما اذا لم يتقدم اضمار . ألا ترى أنك تجد اهتزازاً في قوله تعالى: « وإنْ أحَدٌ من المشركين استجارَكَ فأجِرْهُ » (٦) وفي قوله : « قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي » (٧) ونظائره . فهذه فائدة اشتغال الفعل عن المفعول بضمبره » (٨) .

الاشتقاق :

اشتقاق الشيء: بنيانه من المرتجل واشتقاق الكلام: الأخذ فيه يميناً وشمالا واشتقاق الحرف من الحرف : أخذه منه (٩) . والاشتقاق : « نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيباً ومغايرتهما في الصيغة » (١٠) . وقسموا الانشقاق الى :

١ ــ الاشتقاق الصغير : وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في الحروف

(١) تحرير التحبير ص ٣٤٢ .
(٢) حسن التوسل ص ٣١٦ ، نهاية الارب ج٧ ص ١٧٨ ، شرح عقود الجمان ص ١٣٩ .
(٣) خزانة الادب ص ٣٦٥ ، أنوار الربيع ج٥ ص ٣٢٠ .
(٤) اللسان (شغل) .
(٥) شرح الاشموني ج١ ص ١٨٧ .
(٦) التوبة ٦ .
(٧) الاسراء ١٠٠ .
(٨) البرهان في علوم القرآن ج٣ ص ٩٠ . (٩) اللسان (شقق) .
(١٠) التعريفات ص ٢١ .

والترتيب نحو « ضرب » من الضرب .

٢ ـ الاشتقاق الكبير : وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب نحو « جبذ » من الجذب .

٣ ـ الاشتقاق الاكبر: وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في المخرج نحو « نعق » من النهق (١) .

وذكر الحموي والسيوطي والمدني(٢) ان الاشتقاق بمعناه البلاغي من مستخرجات أبي هلال العسكري وليس في كتاب الصناعتين هذا المصطلح وأنما هناك « المشتق » الذي قال عنه العسكري في آخر أنواع البديع : « وقد عرض لي بعد نظم هذه الأنواع نوع آخر لم يذكره أحد وسميته المشتق وهو على وجهين : فوجه منهما أن يشتق اللفظ من اللفظ ، والآخر أن يشتق المعنى من اللفظ . فاشتقاق اللفظ من اللفظ هو مثل قول الشاعر في رجل يقال له ينخاب :

وكيف ينجح من نصف اسمه خابا

وقلت في البانياس :

في البانياس إذا اوطئت ساحتها
خَوْفٌ وحَيْفٌ واقلاسٌ وافلاسٌ (٣)

وكيف يطمع في أمن وفي دعَة
من حلَّ في بلد نصف اسمه ياسُ

واشتقاق المعنى من اللفظ مثل قول أبي العتاهية :

حُلقت لحيــة موسى باسمه وبهارون إذا مـا قلبـا

وقال ابن دريد :

لو أوحي النحو الى نفطويه ماكان هذا النحو يُقرا عليه

---

(١) الخصائص ج١ ص٥ وما بعدها ، التعريفات ص٢١ .

(٢) خزانة الادب ص ٣٦٨ ، شرح عقود الجمان ص ١٣٦ ، أنوار الربيع ج٥ ص ٢٧٦ .

(٣) بانياس : مرفأ في سورية جنوبي اللاذقية . القلس : ما خرج من البطن الى الفم من الطعام او الشراب . .

أحرقه الله بنصف اسمه وَصيَّرَ الباقي صُراخاً عليه (١)

ونقل الحموي هذا الكلام وقال : « وهذا النوع ماذكره القاضي جلال الدين في التلخيص ولا في الايضاح ولا ذكره الشهاب محمود في حسن التوسل ولا نظمه العميان ولا غيرهم من أصحاب البديعيات غير الشيخ صفي الدين الحلي » (٢) . ونظمه المدني بعد ذلك فقال :

لم تُبقِ بَدْرٌ لهم بدراً وفي أُحُدٍ
لم يَبْقَ من أحَدٍ عند اشتقاقهم

وذكر تعريف العسكري وبعض أمثلته (٣) .

هذا هو الفن الذي سماه العسكري « المشتق » وسماه الحموي والمدني « الاشتقاق » غير أن الاشتقاق عند البلاغيين غير ذلك ، فهو المشتق عند البغدادي مثل قول خالد بن صفوان العبدي : « هشمتك هاشم وأمتك أمية وخزمتك مخزوم » (٤) . وعند الوطواط : « أن يورد الكاتب أو الشاعر في نثره أو نظمه الفاظاً متقاربة الحروف في النطق » (٥) « وعند الرازي « أن تجيء بالفاظ يجمعها أصل واحد في اللغة » (٦) . كقوله تعالى : « فأقمْ وَجْهَكَ للدين القيّم » (٧) . وهو من التجنيس عند ابن الاثير (٨) .

وعقد له ابن الزملكاني فصلا مستقلا عن التجنيس وقال : « الاشتقاق هو أن تأتي بألفاظ يجمعها أصل واحد ويكون معناه مشتركاً كما ان حروفه الأصول مشتركة فتزيد على معنى الأصل تغاير اللفظتين بوجه » (٩) ، كقوله

(١) كتاب الصناعتين ص ٤٢٩ .
(٢) خزانة ص ٣٦٨ ، وينظر المنزع البديع ص ٥٠٢ .
(٣) أنوار الربيع ج٥ ص ٢٧٦ .
(٤) قانون البلاغة ص ٤٠٩ .
(٥) حدائق السحر ص ١٠٣ .
(٦) نهاية الايجاز ص ٣٠ . (٧) الروم ٤٣ .
(٨) المثل السائر ج٢ ص ٣٣٧ ، الجامع الكبير ص ١٩٨ .
(٩) التبيان ص ١٦٩ .

تعالى : « فأقِمْ وجْهَكَ للدين القيِّم » (١) . وقال : « ومما يشبه المشتق وليس بمشتق قوله سبحانه وتعالى : « وجَنَى الجنتين دان » (٢) ، وان أصل كل واحد من الكلمتين غير أصل الأخرى فـ « جنى » من « جنى الشيء يجنيه » إذا قطعه و « الجنة » من « جنّه الله إذا ستره » (٣) .

وربط التنوخي بين هذا الاشتقاق واشتقاق أهل النحو وقال : « ومن البيان مايستند الى الاشتقاق المعروف عند أهل النحو » (٤) .

وسماه بعضهم « الاقتضاب » (٥) وقال ابن الجوزية : « هو من باب التجنيس وإن عدّ أصلاً برأسه وهو أن يجيء بألفاظ يجمعها أصل واحد في اللغة » (٦) . كالآية السابقة وكقول أبي تمام :

عَمَمْتَ الخلْقَ من نعماك حتى

غدا الثقلانِ منها مُثْقَلَيْنِ

ثم قال : « هذا الباب أولى بأن يكون من أجناس التجنيس » وهو ما ذهب اليه ابن الاثير قبل ذلك .

الاشراف :

يقال : أشرف لك الشيءُ : أمكنك وشارف الشيءُ دنا منه وقارب أن يظفر به (٧).

وقال ابن شيث القرشي : « هو أن ينظر الى القافية فيشرف عليها بخاطره ويبني الأمر عليها فان ذلك أهون عليه فيما يكتبه ولا يدور على القافية فيطول عليه الكلام فكأنها وان كانت آخر الكلام مبتدؤه في النفس وهو قول بعضهم « أول الفكرة آخر العمل » (٨) .

إصابة المقدار :

يقال: أصاب أي جاء بالصواب وأصاب السهم القرطاس إذا لم يخطئ (٩)

---

(١) الروم ٤٣ . (٢) الرحمن ٥٤ . (٣) التبيان ص ١٧٠ .
(٤) الأقصى القريب ص ٨٧ .
(٥) حدائق السحر ص ١٠٣ . (٦) الفوائد ص ٢٢٠ .
(٧) اللسان (شرف) . (٨) معالم الكتابة ص ٧٨ . (٩) اللسان (صوب) .

وذكره الجاحظ فقال : « قال طرفة في المقدار واصابته :

فسقى ديارَكِ — غير مفسدها —
صَوْبُ الغمام ودِيمةٌ تَهمي

طلب الغيث على قدر الحاجة لأن الفاضل ضار » (١) .

وسماه ابن المعتز « الاعتراض » وقال عنه : « ومن محاسن الكلام أيضاً والشعر اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود اليه فيتممه في بيت واحد (٢) كقول كثير .

لو ان الباخلين — وأنت منهم —
رأوك تعلموا منك المطالا

وسماه الحموي « الاحتراس » (٣) وذكر بيت طرفة السابق ، وتسمية الجاحظ طريفة لانها تدل على المعنى دلالة واضحة .

الاصطراف :

الصرف : رد الشيء عن وجهه والصرف : التقلب والحيلة ، يقال : فلان يصرف ويتصرف ويصطرف لعياله أي يكتسب لهم واصطرف في طلب الكسب ، قال العجاج :

قد يكسب المالَ الهدانُ الجافي
بغير ماعصف ولا اصطراف (٤)

وقال الحاتمي : « الاصطراف هو صرف الشاعر الى أبياته وقصيدته بيتاً أو بيتين أو ثلاثة لغيره فيضيفها الى نفسه ويصرفها عن قائلها وكان كثير كثيراً مايصطرف شعر جميل الى نفسه ويهندمه » (٥) .

---

(١) البيان ج١ ص ٢٢٨ . (٢) البديع ص ٥٩ .
(٣) خزانة الأدب ص ٤٥٨ . (٤) اللسان (صرف) .
(٥) حلية المحاضرة ج٢ ص ٦١ .

وقال ابن رشيق : « الأصطراف أن يعجب الشاعر ببيت من الشعر فيصرفه الى نفسه فان صرفه اليه على جهة المثل فهو اجتلاب واستلحاق وان ادعاه جملة فهو انتحال . . . . أما الاصطراف فيقع من الشعر على نوعين :

أحدهما : الاجتلاب ، وهو الاستلحاق أيضاً .

والآخر : الانتحال .

فأما الاجتلاب فنحو قول النابغة الذبياني :

وصهباء لاتخفي القذى وهو دونها
تصفق في راووقها حين تقطب

تمززتها والديك يدعو صباحه إذا مابنو نعش دنوا فتصوّبوا

فاستلحق البيت الأخير فقال :

واجانة ريّا السرور كأنها
اذا غمست فيها الزجاجة كوكبُ

تمززتها والديك يدعو صباحه
اذا مابنو نعش دنوا فتصوبوا

وربما اجتلب الشاعر البيتين فلا يكون في ذلك بأس كما قال عمرو ذو الطوق :

صدّدت الكأس عنا أمّ عمرو
وكان الكأسُ مجراها اليمينا

وماشرّ الثلاثة أمّ عمرو
بصاحبك الذي لا تصبحينا

فاستلحقهما عمرو بن كلثوم فهما في قصيدته ، وكان أبو عمرو بن العلاء وغيره لايرون ذلك عيباً .

والانتحال عندهم قول جرير :

إنّ الذين غـَدَوا بلبك غادروا
وَشَلاً بعينك لا يزال مَعينا

غيّضن من عبراتهن وقلن لي

ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فان الرواة مجمعون على أن البيتين للمعلوط السعدي انتحلهما جرير (١) .
وكان الحاتمي قد عني بهذا الفن وذكر أن كثير عزة كان كثيراً مايصطرف شعر جميل الى نفسه ويهتدمه وقال : « واذكر هنا قدراً من اصطراف غيره يستدل به على معنى الاصطراف . أخبرنا أبو أحمد عيسى بن عبد العزيز الطاهري عن الدمشقي قال : أخبرنا الزبير بن بكار قال أخبرنا عمر بن أبي بكر الموصلي عن عبد الله بن أبي عبيدة أن كثيراً أنشده قصيدته التي يقول فيها :

اذا الغورّ من نوء الثريا تجاوبت

حمينا بأجواز الفلاة قطارُها

فمرّ في هذه القصيدة على أبي ذؤيب الهذلي في قصيدته التي أولها :

وما الدهر إلاّ ليلةٌ ونهارُها

وإلاّ طلوعُ الشمس ثم غيارُها .

فأخذ منها بيتين وهما :

وعيرّها الواشون أنّي أُحبها

وتلك وشاةٌ طائر عنك عارُها

وإن اعتذر منها فأني مكذَّبٌ

وإن تعتذر يردد عليك اعتذارُها

فاستضافهما جميعا واصطرفهما . . . .
ومن الاصطراف ماأخبرنا به أبو محمد عبد الله بن جعفر قال : أخبرنا المبرد عن المازني قال : قال جرير :

لو شئت قد نقع الفؤاد بمشرب

يَدَعُ الحوائمَ لايجدن غليلا

---

(١) العمدة ج٢ ص٨١ ٢ وما بعدها .

من ماءِ ذي رَصَفٍ القلاة ممنع
قطن الأباطح مايزال ظليلا

فقال المهرول العامري ، واصطرف الأول واهتدم الثاني :

لو شئت قد نقع الفؤاد بمشرب
يدع الحوائم لايجدن غليلا
من ماءِ ذي رصف الفلاة ممنع
يعلو أشم على الجبال طويلا (١)

الاصطلام :

الاصطلام من قولهم : اصطلم من الصلم وهو القطع (٢) . قال السجلماسي: « هو قول مركب من أجزاء فيه مشتملة بجملتها على مضمون تنقص عنه بطرح جزء منها هو عمدة أو في حكم العمدة في الاقتران لافادة ذلك المضمون » (٣) وهو نوعان : الاكتفاء ، والحذف المقابلي . وسيأتي الاكتفاء ، اما الحذف المقابلي فهو « الاحتباك » وقد تقدم .

الاضمار :

الضمير : السرّ وداخل الخاطر ، والضمير : الشيءُ الذي تضمره في قلبك وأضمرت الشيءَ : أخفيته ، وهو مضمر وضمّار (٤) .

وللضمائر جانبان : أحدهما يتعلق بجانب الاعراب ، والآخر يتعلق بجانب المعاني .

والثاني هو الذي يتحدث عنه البلاغيون ، وقد قالوا إن ضمير الشأن والقصة كقوله تعالى : « قلْ هو اللهُ أحَد » (٥) ، وقوله: « فانها لاتَعْمَى الابصار».(٦) انما يرد على جهة المبالغة في تعظيم تلك القصة وتفخيم شأنها وتحصيل البلاغة

---

(١) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٦١ – ٦٢ .
(٢) اللسان (صلم)
(٣) المنزع البديع ص ١٨٧
(٤) اللسان (ضمر)
(٥) الاخلاص ١ .
(٦) الحج ٤٦ .

فيه من جهة اضماره أولاً وتفسيره ثانياً ، لان الشيء اذا كان مبهماً فالنفوس متطلعة الى فهمه ولها تشوق اليه فلأجل هذا حصلت فيه البلاغة ، ولأجل مافيه من الاختصاص والابهام لايكاد يرد إلاّ في المواضع البليغة المختصة بالفخامة ومثل ذلك الضمير في « نعم » و « بئس » فهو انما اضمر على جهة المبالغة في المدح والذم وهو من الباب الذي ابهم ثم فسّر ، فتوجّه البلاغة فيه من حيث كان مبهما فكان للافئدة تطلع الى فهمه وللقلوب تعلق به ولها غرام بايضاحه .

ومثل ذلك الضمير المتوسط بين المبتدأ والخبر وعواملهما وهو العماد أو الفصل كقوله تعالى : « وكنا نحن الوارثين » (١) وقوله : « إنْ تَرَنِي أنا أقلّ » (٢) ، وقوله : « ولكن كانوا هم الظالمين » (٣) . ووروده من أجل التأكيد المعنوي وفيه دلالة على الاختصاص ، فقوله تعالى : « ولكن كانوا هم الظالمين » ورد الضمير على هذه الصيغة للتأكيد لان الكلام مع ذكرها أبلغ ولو قيل « والكافرون الظالمون » باسقاط الضمير لكان هناك فرق بين الحالتين في التأكيد وعدمه وهي مفيدة للاختصاص أي انهم لكفرهم اختصوا بمزيد الظلم الفاحش . وقوله تعالى : « اولئك هم المؤمنون حقا » (٤) فيه دلالة على مزيد اختصاصهم بالايمان واستحقاقهم لصنعته من بين سائر الخلق فيؤخذ الاختصاص والتأكيد في هذا الضمير (٥) .

الاضمار على شريطة التفسير :

ومن الاضمار مايسمى « الاضمار على شريطة التفسير » وذلك مثل قولهم « أكرمني وأكرمت عبد الله » أي : أكرمني عبد الله وأكرمت عبد الله ، ثم ترك ذكره استغناء بذكره في الثاني . ومما يشبه ذلك مجيء المشيئة بعد « لو » وبعد حرف الجزاء موقوفة معداة الى شيء كقوله تعالى : « ولوشاء اللهُ لجمعهم

---

(١) القصص ٥٨ .
(٢) الكهف ٣٩
(٣) الزخرف ٧٦ .
(٤) الانفال ٤ ، ٧٤ .
(٥) الطراز ج ٢ ص ١٤١ .

على الهُدَى » (١) والتقدير : ولو شاء الله ان يجمعهم على الهدى لجمعهم ، إلاّ ان البلاغة في الحذف .

ومتى كان مفعول المشيئة أمراً عظيماً أو بديعاً غريباً كان الأولى ذكره والاّ فالحذف أولى ، مثال الأول قوله :

ولو شئتُ أنْ أبكي دَماً لبكيتهُ
عليه ولكن ساحةُ الصَّبر أوْسَعُ

لما كانت مشيئة الانسان أن يبكي دماً أمراً عظيماً عجيباً كان الأولى التصريح به . ومثال الثاني قوله تعالى : « فان يشأ اللهُ يختمْ على قلبك » (٢) .

وقد تترك الكناية الى التصريح لما فيه من زيادة الفخامة كقول البحتري :

قد طلبنا فلم نجدْ لك في السؤ
دد والمجدِ والمكارم مِثْلا

المعنى : قد طلبنا لك مثلاً ، ثم حذف لأن هذا المدح انما يتم بنفي المثل فلو قال : قد طلبنا لك مثلاً في السؤدد والمجد فلم نجده لكان قد أوقع نفي الوجود على ضمير المثل فان الكناية لاتبلغ مبلغ التصريح ولهذا لو قيل : « وبالحق أنزلناه وبه نزل » و « قل هو الله أحد وهو الصمد » لذهبت الفخامة التي في قوله تعالى: « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل »(٣) ، وقوله: « قل هو الله أحد . اللهُ الصَّمَدُ » (٤) . وعلى ذلك قول الشاعر :

لا أرى الموت يسبق الموتَ شيءٌ
نغّصَ الموتُ ذا الغنى والفقيرا (٥)

---

(١) الانعام ٣٥ .
(٢) الشورى ٢٤ .
(٣) الاسراء ١١٥ . (٤) الاخلاص ١ — ٢ .
(٥) دلائل الاعجاز ص ١٢٥ ، نهاية الايجاز ص ١٤٢ ، جسن التوسل ص ١٦٩ نهاية الارب ج ٧ ص ٧٩ ، التبيان ص ١١٧ ، البرهان الكاشف ص ٢٤٦ ، الايضاح ص ١٠٥ ، التلخيص ص ١٢٨ ، شروح التلخيص ج ٢ ص ١٣١ ، المطول ص ١٩٣ ، الاطول ج ١ ص ٢٠٥ .

الاطالة :

يقال : طال الشيءُ طولاً وأطلته إطالة أي حددته وجعلته طويلا (١) وكان بعض البلغاء لايميلون الى الاطالة بل كان بعضهم لايكاد يتكلم كعمرو ابن عبيد الذي قال الجاحظ عنه : « كان عمرو بن عبيد لايكاد يتكلم فاذا تكلم لم يكد يطيل . وكان يقول : لاخير في المتكلم إذا كان كلامه لمن شهده دون نفسه ، وإذا طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف ، ولاخير في شيءٌ يأتيك به التكلف » (٢) وذكر ابن جني أن « الاطالة والايجاز جميعاً انما هما في كل كلام مفيد مستقل بنفسه » (٣) . فالاطالة لها مقتضاها وللايجاز مقتضاه في الكلام ، ولكن بعضهم حدد موقف الاطالة فقال شبيب ابن شيبة : « فاذا ابتليت بمقام لابدّ لك فيه من الاطالة فقدّم إحكام البلوغ في طلب السلامة من الخطل قبل التقدم في إحكام البلوغ في شرف التجويد . واياك أن تعدل بالسلامة شيئاً فان قليلاً كافياً خير من كثير غير شاف » (٤) . وتحدث ابن المقفع عن الاطالة فقد قيل له : « فان ملّ السامع الاطالة التي ذكرت انها حق ذلك الموقف ؟ » . قال : « اذا اعطيت كل مقال حقه وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام وأرضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضى الحاسد والعدو فانه لايرضيهما شيءٌ . وأما الجاهل فلست منه وليس منك ، ورضى جميع الناس شيءٌ لاتناله ، وقد كان يقال : رضى الناس شيءٌ لا يُنال (٥) .

الاطراد :

الاطراد مصدر اطّرد الشيءُ : إذا تبع بعضه بعضاً وجرى ، والانهار تطرد أي : تجري ، وبعير مطرد : وهو المتتابع في سيره ولايكبو ، واطّرد الأمر : استقام ، واطردت الأشياء : اذا تبع بعضها بعضاً ، واطرد الكلام : إذا تتابع (٦) .

---

(١) اللسان (طول) (٢) البيان ج ١ ص ١١٥ ، وينظر زهر الآداب ج ١ ص ١١٣ .
(٣) الخصائص ج ١ ص ٣٠ . (٤) البيان ج ١ ص ١١٢ . (٥) البيان ج ١ ص ١١٦ .
(٦) اللسان (طرد) ، خزانة ص ١٦٠ ، أنوار الربيع ج ٣ ص ٣٢٤ .

قال ابن رشيق : « ومن حسن الصنعة أن تطرد الاسماء من غير كلفة ولا حشو فارغ فانها إذا اطردت دلت على قوة طبع الشاعر وقلة كلفته ومبالاته بالشعر » (١)، كقول الأعشى :

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد
وأنت امرؤ ترجو شبابَك وائلُ

فأتى كالماء الجاري اطراداً وقلة كلفة وبين النسب حتى أخرجه عن مواضع اللبس والشبهة .

ومما تعسف فيه المتنبي قوله لسيف الدولة الحمداني :

فأنت أبو الهيجا ابن حمدون ياابنه
تشابه مولود كريم ووالدُ
وحمدان حمدون وحمدون حارث
وحارث لقمان ولقمان راشدُ

قال ابن رشيق : « ففي هذا المعنى من التقصير انه في بيتين وانه جعلهم أنياب الخلافة بقوله :

أولئك أنياب الخلافة كلها وسائر أملاك البلاد الزوائد

وهم سبعة بالممدوح والأنياب في المتعارف أربعة إلا أن تكون الخلافة تمساح نيل أو كلب بحر فان أنياب كل واحد منهما ثمانية . اللهم إلاّ أن يريد ان كل واحد منهم ناب الخلافة في زمانه خاصة فانه يصح . وفيه من الزيادة على ماقبله أنه زاد واحداً في العدد فانه جعل كل ابن هو أبوه في الخلافة الى أن بلغ راشداً ولم يقصد الى ذلك أحد من أصحابه وانما مقت شعره هذا تكريره كل اسم مرتين في بيت واحد وهي أربعة أسماء » (٢) .

وقال المصري عن الاطراد : « هو أن تطرد للشاعر أسماء متتالية يزيد الممدوح

---

(١) العمدة ج ٢ ص ٨٢ .
(٢) العمدة ج ٢ ص ٨٤ .

بها تعريفاً لانها لاتكون إلا أسماء آبائه تأتي منسوبة صحيحة التسلسل غير منقطعة من ظهور كلفة على النظم ولاتعسف في السبك بحيث يشبّه تحدرها باطراد الماء لسهولته وانسجامه فمتى جاءت كذلك دلت على قوة عارضة الشاعر وقدرته » (١) . وذكر بعض أمثلة ابن رشيق وقوله تعالى : « ملّةَ آبائي ابراهيمَ واسحاقَ ويعقوبَ » (٢) حكاية عن يوسف عليه السلام .
وقال القرطاجني : « وما كان في أقصى الرتب من ذلك وما يليها من الأوساط فهو الذي يسمى الاطراد » (٣) .

ولم يخرج ابن مالك والحلبي والنويري وابن الاثير الحلبي والقزويني والسبكي والتفتازاني والحموي والسيوطي والاسفراييني والمغربي والمدني والدمنهوري على السابقين (٤) وفرّق العلوي بينه وبين الاستطراد بقوله : « ان الاستطراد يكون كلام ثم تدخل عليه كلاماً أجنبياً عنه ثم ترجع الى الأول ؛ بخلاف الاطراد فانه ذكر اسم الممدوح بعينه ليزداد إبانة وتوضيحاً على ترتيب صحيح ونسق مستقيم من غير تكلف في النظم ولاتعسف في السبك حتى يكون ذكر الاسم في سهولته كاطراد الماء وسهولة جريه وسيلانه » (٥) .

هذا هو الاساس عند معظم البلاغيين وسماه بعضهم « ذكر الاسماء مطلقاً » (٦) وهي تسمية صحيحة وان كان الأول أكثر دوراناً وأقرب دلالة على هذا الفن .

---

(١) تحرير التحبير ص ٣٥٢ ، بديع القرآن ص ١٤١ .
(٢) يوسف ٣٨ .
(٣) منهاج البلغاء ص ٣٢٠ .
(٤) المصباح ص ٨٣ ، حسن التوسل ص ٢٨٤ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٥٥ ، جوهر الكنز ص ٢٤٠ ، الايضاح ص ٣٨٢ ، التلخيص ٣٨٧ ، عروس الافراح ج ٤ ص ٤١٠ ، المطول ص ٤٤٥ ، المختصر ج ٤ ص ٤١٠ ، خزانة ص ١٦٠ ، معترك ج ١ ص ٣٨٥ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٧ ، شرح عقود الجمان ص ١٣٣ ، الأطول ج ٢ ص ٢٢١ ، مواهب الفتاح ج ٤ ص ٤١٠ ، أنوار الربيع ج ٣ ص ٣٢٤ ، حلية اللب ص ١٤٩ .
(٥) الطراز ج ٣ ص ٩٣ .
(٦) عروس الافراح ج ٤ ص ٤١١ .

الاطناب :

الاطناب: البلاغة في المنطق والوصف مدحاً كان أو ذماً ، وأطنب في الكلام: بالغ فيه ، وأطنب في الوصف : اذا بالغ واجتهد . وأطنب في الكلام أيضاً – إذا أبعد، وأطنب الابل : إذا تبع بعضها بعضاً في السير (١). وهذه المعاني كلها تدل على الطول والتتابع ، والاطناب من أقدم الفنون التي تحدث القدماء عنها ، وكان الجاحظ قد اشار اليه كثيراً ، وقال إنه ليس باطالة ما لم يجاوز الكلام الحاجة (٢). وقال إن سهل بن هارون كان شديد الاطناب في وصف المأمون بالبلاغة والجهارة ، وبالحلاوة والفخامة وجودة اللهجة والطلاوة »(٣). وتحدث المبرد عن الاطناب (٤) وبحثه العسكري في كتاب الصناعتين وقال: « القول القصد ان الايجاز والاطناب يحتاج اليهما في جميع الكلام وكل نوع منه ولكل واحد منهما موضع ، فالحاجة الى الايجاز في موضعه كالحاجة الى الاطنـــاب في مكانه . فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته واستعمل الاطناب في موضع الايجاز واستعمل الايجاز في موضع الاطناب أخطأ » (٥) .

وأوضح ابن جني أهمية كل منهما بقوله : « والاطالة والايجاز جميعاً انما هما في كل كلام مفيد مستقل بنفسه » (٦) . وأدخله السكاكي في مباحث علم المعاني وقال : « هو أداؤه – الكلام – بأكثر من عباراتهم سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة الى الجمل أو الى غير الجمل » (٧) . وتبعه في هذا القزويني وشراح تلخيصه (٨) .

---

(١) اللسان (طنب)

(٢) الحيوان ج ٦ ص ٧ .

(٣) البيان ج ١ ص ٩١ ، ١٩٥ .

(٤) الكامل ج ١ ص ٢٧ .

(٥) كتاب الصناعتين ص ١٩٠ .

(٦) الخصائص ج ١ ص ٣٠ .

(٧) مفتاح العلوم ١٣٣ .

(٨) الايضاح ص ١٧٦ ، التلخيص ص ٢٠٩ ، شروح التلخيص ج ٣ ص ١٥٩ ، المطول ص ٢٨٢ ، الاطول ج ٢ ص ٣٢ .

وقال ابن الاثير : « والذي يحدّ به أن يقال : هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة . فهذا حدّه الذي يميزه عن التطويل ؛ إذ التطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة ، وأما التكرير فأنه دلالة على المعنى مردداً » (١) .

وذكر أن الاطناب يوجد تارة في الجملة الواحدة من الكلام ؛ ويوجد تارة في الجمل المتعددة ؛ والذي يوجد في الجمل المتعددة أبلغ لاتساع المجال في ايراده . وعلى هذا فأنه قسمان :

الأول : الذي يوجد في الجملة الواحدة من الكلام وهو يرد حقيقة ومجازاً ؛ أما الحقيقة فمثل « ذقته بفمي » ؛ وانما جيءْ به كذلك للتأكيد وللدلالة على نيله والحصول عليه ؛ كقول البحتري :

تأمل من خلال السَّجْفِ وانظرْ
بعينك ما شَرِبْتَ وما سقاني
تجدْ شمْسَ الضحى تدنو بشمس
اليّ من الرحيق الخسْرواني

ومن ذلك قوله تعالى : « ذلكم قولُكم بأفواهِكُمْ » (٢) .

وأما ماجاء منه على سبيل المجاز فقوله تعالى : « فانها لاتعمْىالأبصارُ ؛ ولكن تعمى القلوبُ التي في الصدور » (٣) .

الثاني : المختص بالجمل فانه يشتمل على أربعة أضرب :

الأول : أن يذكر الشيءْ فيؤتى فيه بمعانٍ متداخلة إلاّ أنَّ كل معنى يختص بخصيصة ليست للاخر ؛ كقول أبي تمام :

قطعت اليّ الزابيين هباتُه والتّاث مأمولُ السحابِ المسبلِ
من منّة مشهورةٍ وصنيعةٍ بكْر واحسان أغرّ محجلِ

فالبيت الثاني تداخلت معانيه ؛ إذ المنة والصنيعة والاحسان متقارب بعضه من

---

(١) المثل السائر ج ٢ ص ١٢٨ ، وتنظر ص ١٥٦ .
(٢) الأحزاب ص ٤ .
(٣) الحج ٤٦ .

بعض وليس ذلك بتكرير ؛ لانه لو اقتصر على قوله : « منّة وصنيعة واحسان » لجاز أن يكون تكريراً ولكنه وصف كل واحدة من هذه الثلاث بصفة أخرجتها عن حكم التكرير .

الثاني : يسمى النفي والاثبات ؛ وهو أن يذكر الشيء على سبيل النفي ثم يذكر على سبيل الاثبات أو بالعكس ؛ ولابد من أن يكون في أحدهمازيادة ليست في الآخر وإلاّ كان تكريراً ؛ والغرض به تأكيد ذلك المعنى المقصود كقوله تعالى : « لا يَسْتَأذِنُكَ الذين يُؤمنون بالله واليومِ الآخِرِ أنْ يُجاهدوا بأموالِهِم وأنفسهِم والله عليمٌ بالمتقين . إنّما يَستَأذِنُكَ الذين لايؤمنون بالله واليومِ الآخِرِ وارتابت قلوبُهم فهم في رَيْبِهم يَتَرَدّدون » (١) فقد قال : «لا يَستأذِنُكَ الذين يؤمنون » ثم قال بعد ذلك : «انما يستأذنك الذين لايؤمنون » إلاّ أنه زاد في الثانية قوله : « وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون» ولولا هذه الزيادة لكان حكم هاتين الآيتين التكرير .

الثالث : هو أن يذكر المعنى الواحد تاماً لايحتاج الى زيادة ثمّ يضرب له مثال من التشبيه كقول البحتري :

ذاتُ حُسْنٍ لو استزادَتْ من الحسن اليه لما أصابت مَزيدا
فهي كالشمسِ بهجةً والقضيب الّدْن قَدّاً والريم طرْفاً وجيدا

فقد أفاد التشبيه تصويراً وتخييلا لا مزيد على حسنه .

الرابع : أن يستوفي معاني الغرض المقصود من كتاب أو خطبة أو قصيدة وهذا أصعب الأنواع لانه يتفرع الى أساليب كثيرة من المعاني (٢) .

ولا يخرج كلام المتأخرين عما ذكره السابقون بل سار بعضهم كالعلوى على خطى ابن الاثير وقد أجمعوا على ان هـــذا الفن أسلوب له أهدافه في التعبير ولذلك يقف الى جانب الايجاز والمساواة لان لكل واحد منها هدفه

---

(١) التوبة ٤٤ — ٤٥ .

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ١٢٧ ، الجامع الكبير ص ١٤٦ .

الذي لايحققه غيره أحسن تحقيق (١) . وللاطناب عدة أساليب تحدث عنها القدماء وحددوها في ضوء تقسيماتهم لفنون البلاغة .

الاطناب بالاعتراض :

وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لامحل لها من الاعراب لنكتة كالتنزيه والتعظيم في قوله تعالى : « ويجعلون لله البناتِ — سبحانه — ولهم مايشْتهُون »(٢) .

والدعاء في قول المتنبي :

وتحتقر الدنيا احتقارَ مجرّبٍ يرى كُلَّ ما فيها ـ وحاشاك ـ فانيا

وقول عوف بن محلم الشيباني :

إنَّ الثمانين — وبلّغتها — قد أحوَجَتْ سمعي الى تَرْجُمان

والتنبيه في قول الشاعر :

واعلمْ — فعلم المرء ينفعه — أنْ سوف يأتي كُلُّ ماقُدرا

وتخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد في أمر علق بهما كقوله تعالى : « ووصيّنـــا الانسانَ بوالديه حَمَلَتْهُ أمُّه وَهْناً على وَهْنٍ وفِصالُهُ في عامينِ ان أشكرْ لي ولوالديكَ » (٣) .

والمطابقة مع الاستعطاف في قول المتنبي :

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه
يا جنّتي لرأيت فيه جَهَنّما

والتنبيه على سبب أمر فيه غرابة كما في قول الشاعر :

---

(١) الرسالة المسجدية ص ٩٩ ، الأقصى القريب ص ٧٠ ، جوهر الكنز ص ٢٥٦ ، الايضاح ص ١٩٥ ، التلخيص ص ٢١٠ ، الطراز ج ٢ ص ٢٢٩ ، ج ٣ ص ٣١٨ ، الفوائد ص ١٠٦ ، عروس الافراح ج ٣ ص ١٦٠ ، المختصر ج ٣ ص ١٦٣ ، المطول ص ٢٨٢ ، معترك ج ١ ص ٢٩٤ ، ٣٣٣ ، الاتقان ج ٢ ص ٥٣ ، شرح عقود الجمان ص ٩٧ ، الأطول ج ٢ ص ٣٢ ، مواهب الفتاح ج ٣ ص ١٦٣ ، ١٧١ ، حلية اللب ص ٩٩ ، المنزع البديع ص ٣٢٤ .

(٢) النحل ٥٧ . (٣) لقمان ١٤ .

فلا هجره يبدو — وفي اليأسِ راحةٌ —
ولا وَصْلُه يَبْدُو لنا فنكارِمُه (١)

الاطناب بالايضاح :

يؤتى بالاطناب بالايضاح بعد الابهام ليرى المعنى في صورتين مختلفتين أو ليتمكن في النفس فضل تمكن فإن المعنى إذا ألقي على سبيل الاجمال والابهام تشوقت نفس السامع الى معرفته على سبيل التفصيل والايضاح فتتوجه الى مايرد بعد ذلك فإذا ألقي كذلك تمكن فيها فضل تمكن وكان شعورها به أتم . أو لتكمل اللذة بالعلم به فإن الشيءُ إذا حصل كمال العلم به دفعة واحدة لم يتقدم حصول اللذة به ألم واذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النفس الى العلم بالمجهول فيحصل لها بسبب المعلوم لذة وبسبب حرمانها عن الباقي ألم ثم إذا حصل لها العلم به حصلت له لذة أخرى واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم .

أو يؤتى به لتفخيم الأمر وتعظيمه كقوله تعالى : « ربِّ اشرَحْ لي صدري ويَسِّرْ لي أمري » (٢) والمقام مقتضٍ للتأكيد للارسال المؤذن بتلقي المكاره والشدائد . كقوله تعالى : « وقضينا اليه ذلك الأمْرَ أَنَّ دابِرَ هؤلاء مقطوعٌ مُصْبِحين » (٣) .

ففي ابهامه وتفسيره تفخيم للأمر وتعظيم له .

ومن الايضاح بعد الابهام باب « نعم » و « بئس » إذ لو لم يقصد الاطناب لقيل : « نعم زيد » و « بئس عمرو » . ووجه حسنه سوى الايضاح بعد الابهام أمران آخران :

الأول : ابراز الكلام في معرض الاعتدال نظراً الى اطنابه من وجه والى

(١) الايضاح ص ٢٠٦ ، التلخيص ٢٣١ ، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٣٧ ، المطول ص ٢٩٠ ، الاطول ج ٢ ص ٤٧ .
(٢) طه ٢٥ – ٢٦ .
(٣) الحجر ٦٦ .

اختصاره من آخر وهو حذف المبتدأ في الجواب .

الثاني : ايهام الجمع بين المتنافيين (١) .

الاطناب بالايغال :

سبق الأصمعي الى معرفة هذا الفن ولم يسمه فقد ذكر قدامة ان ابا العباس محمد بن يزيد المبرد قال : حدثني التوزي قال : قلت للأصمعي من أشعر الناس ؟ فقال : من يأتي الى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيراً أو الى الكبير فيجعله بلفظه خسيساً أو ينقضي كلامه قبل القافية فإذا احتاج اليها أفاد بها معنى . قال : قلت : نحو من ؟ قال : نحو ذي الرمة حيث يقول :

قِفِ العيسَ في أطلال ميَّةَ فاسأل
رسوماً كأخلاق الرداء المسلسل

فتم كلامه قبل « المسلسل » ثم قال : « المسلسل » فزاد شيئاً ثم قال :

أظن الذي يجدي عليك سؤالها
دموعا كتبديد الجمان المفصَّلِ

فتم كلامه ثم احتاج الى القافية فقال « المفصل » فزاد شيئاً (٢) .

وعدّه قدامة من باب ائتلاف القافية مع سائر البيت وقال : « الايغال هو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاماً من غير أن يكون للقافية فيما ذكره صنع ثم يأتي بها لحاجة الشعر في أن يكون شعراً اليها فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره في البيت » (٣) كما قال امرؤ القيس :

كأنّ عيونَ الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يُثَقَّبِ

فقد أتى الشاعر على التشبيه كاملاً قبل القافية وذلك ان عيون الوحش شبيهة

---

(١) الايضاح ص ١٩٥، التلخيص ٢٢١ ، عروس الافراح ج ٣ ص ٢٠٩ ، المختصر ج ٣ ص ٢٠٩ ، المطول ٢٩١ ، شرح عقود الجمان ص ٧١ ، الأطول ج ٢ ص ٤٠ ، مواهب الفتاح ج ٣ ص ٢٠٩ .

(٢) نقد الشعر ص ١٩٤ ، كتاب الصناعتين ص ٣٨٠ ، تحرير ص ٢٣٢ بديع القرآن ص٩١

(٣) نقد الشعر ص ١٩٢ .

بالجزع ثم لما جاء بالقافية أوغل بها في الوصف ووكدّه وهو قوله : « لم يثقب » فإن عيون الوحش غير مثقبة وهي بالجزع الذي لم يثقب أدخل في التشبيه .

ولايخرج كلام العسكري وأمثلته عما ذكره قدامة (١) وهو عند ابن رشيق ضرب من المبالغة وذكر أنّ بعضهم يسميه تبليغاً (٢) وقال عنه «هو ضرب من المبالغة إلاّ أنّه في القوافي خاصة لايعدوها والحاتمي واصحابه يسمونه التبليغ » (٣) .

ولكن الحاتمي ذكر انه يسمى ايغالاً أيضاً قال : « أبدع ماقيل في التبليغ وقد سماه قوم الايغال » وهو : « أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تماما قبل انتهائه الى القافية ثم يأتي بها لحاجة الشعر اليها فتزيد البيت نصاعة والمعنى بلوغاً الى الغاية القصوى في الجودة » (٤) .

وقال ابن سنان : « إن الشاعر يوغل بالقافية في الوصف إن كان واصفاً وفي التشبيه إن كان مشبها » (٥) .

وذهب البلاغيون الآخرون الى مثل ذلك (٦) وحينما قُسمّت البلاغة الى علومها الثلاثة تحدث عنه القزويني في الاطناب وسمى أحد أقسامه « الاطناب بالايغال » وقال عنه : « الايغال هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بغيرها كزيادة المبالغة في قول الخنساء :

وإن صخراً لتأتمُّ الهداةُ بـــه
كأنه علَمٌ في رأسه نـــارُ

---

(١) كتاب الصناعتين ص ٣٨٠ . (٢) العمدة ج ١ ص ٢٧٩ .
(٣) العمدة ج ٢ ص ٥٧ ، قراضة الذهب ص ٢٠ ، المنزع البديع ص ٣٢١ .
(٤) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٥ .
(٥) سر الفصاحة ص ١٨١ .
(٦) الوافي ص ٥٠٢ ، قانون البلاغة ص ٤٤٢ ، المثل السائر ج ٢ ص ٣٥٢ ، الجامع الكبير ص ٢٤١ ، تحرير التحبير ص٢٤١ ، بديع القرآن ص٩١ ، نضرة الاغريض ص ١٣١ ، المصباح ص ١٠٤ ، الاقصى القريب ص ١٠٤ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٣٨ ، جوهر الكنز ص ١٣٣ .

لم تَرْضَ أن تشبهه بالجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت في رأسه ناراً . وكتحقيق التشبيه في بيت امريْ القيس السابق : « كأن عيون الوحش » (١).

وتبعه العلوي والسبكي والتفتازاني والسيوطي والاسفراييني والمغربي (٢)

ولم يخرج البديعيون على ماذكره الأوائل أو تحدث عنه القزويني وشراح تلخيصه فالحموي يعود الى ماذكره قدامة وينقل كلامه (٣) ويفرق بين الايغال والتذييل والتمكين والتكميل بقوله : « والفرق ظاهر فان الايغال لا يكون إلا في الكلمة التي فيها الروي ومايتعلق به ؛ وهو أيضاً مما يأتي بعد تمام المعنى كالتكميل والتذييل . وأما التمكين فليس له مدخل في هذه الأبواب لانه عبارة عن استقرار القافية في مكانها لانها لاتزيد معنى البيت بل إذا حذفت نقص معنى البيت لانها ممكنة في قواعده . وأما التكميل فانه وان أتى بعد تمام المعنى فهو يفارق الايغال والتذييل من وجهين : أحدهما كونه يأتي في الحشو والمقاطع والايغال والتذييل لايكونان إلاّ في المقاطع دون الحشو . والايغال والتذييل لايخرجان عن معنى الكلام المتقدم والتكميل لابدّ أن يأتي بمعنى يكمل الغرض على التكملة المتقدمة إما تكميلاً بديعياً أو تكميلا عروضيا . والتذييل يفارق الايغال لكونه يزيد على الكلمة التي تسمى ايغالاً ويستوعب غالباً عجز البيت » (٤) .

وكان المصري قد فرّق من قبل بين التتميم والايغال من ثلاثة أوجه : أحدها : ان التتميم لايرد إلاّ على كلام ناقص شيئا ما إما حسن معنى أو أدب أو ما أشبه ذلك ، والايغال لايرد إلاّ على معنى تام من كل وجه .

---

(١) الايضاح ص ١٩٩ ، التلخيص ص ٢٢٥ ، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٢٠ ، المطول ص ٢٩٣ ، الأطول ج ٢ ص ٤٤ .

(٢) الطراز ج ٣ ص ١٣١ ، عروس الافراح ج ٣ ص ٢٢٠ ، المختصر ج ٣ ص ٢٢٠ ، المطول ص ٢٩٣ ، معترك ج ١ ص ٣٦٧ ، الاتقان ج ٢ ص ٧٤ ، شرح عقود الجمان ص ٧٣ ، الاطول ج ٢ ص ٤٤ ، مواهب ج ٣ ص ٢٢٠ .

(٣) خزانة الادب ص ٢٣٤ .

(٤) خزانة ص ١١١ ، وينظر تحرير التحبير ص ٣٩١ .

الثاني : اختصاص الايغال بالمقاطع دون الحشو مراعاة لاشتقاقه لان الموغل في الارض هو الذي قد بلغ اقصاها أو قارب بلوغه فلما اختص الايغال بالطرف لم يبق للتتميم إلاّ الحشو .
الثالث : ان الايغال لابدّ وان يتضمن معنى من معاني البديع والتتميم قد يتضمن أو لايتضمن وأكثر مايتضمن الايغال التشبيه والمبالغة حتى لو قيل: إنه لايتعدى هذين الضربين لكان حقاً والتتميم يتضمن طوراً المبالغة ويتضمن حينا الاحتياط ويأتي مرة غير متضمن شيئاً سوى تتميم ذلك المعنى » (١) .
وتبعهم المدني غير انه ردّ ماذكره الحموي من التجاذب الذي ينتظم الايغال والتكميل وقال : « ومفهومه انه لافرق بينهما وليس كذلك فان الفرق بينهما من وجهين :
أحدهما : ان التكميل يؤتى به لافادته معنى آخر يكمل المعنى الأول والايغال يؤتى به لافادته نكتة في ذلك المعنى بعينه .
الثاني : أن التكميل قد يكون في أثناء الكلام وقد يكون في آخره والايغال لايكون إلاّ ختما للكلام » (٢) .

الاطناب بالبسط :

هو الاطناب الذي يكون بتكثير الجمل كقوله تعالى: «الذين يحمِلونَ العرشَ ومَنْ حَوْلَهُ يُسَبّحونَ بحمدِ ربهم ويؤمنونَ به ويستغفرون » (٣) فقوله : « ويؤمنون به » اطناب لان ايمان حملة العرش معلوم وحسّنه اظهار شرف الايمان ترغيباً فيه (٤) .

الاطناب بالتتميم :

قال الحاتمي : « التتميم هو أن يذكر الشاعر معنى فلايغادر شيئاً يتم به

(١) تحرير التحبير ص ٢٤١ .
(٢) أنوار الربيع ج ٥ ص ٣٣٥ .
(٣) غافر ٧ .
(٤) معترك الاقران ج ١ ص ٣٣٣ ، الاتقان ج ٢ ص ٦٤ .

ويتكامل معه الاشتقاق إلاّ أتى به » (١) .

وقال القزويني : « هو أن يُؤتى في كلام لايوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة » (٢) كالمبالغة في قوله تعالى : « ويُطعمون الطعامَ على حُبّهِ » (٣) ، ومنه قول الشاعر :

انيِ على ماترين من ـِكبَري
أعرِفُ من أين تُؤكل الكتِفُ

وقول زهير :

مَنْ يَلْقَ يوماً على عِلاّته هَرِماً
يَلْقَ السّماحةَ منه والنّدى خُلُقا

الاطناب بالتذييل :

بحثه البلاغيون الاوائل فقال العسكري : « فأما التذييل فهو إعادة الالفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه ويتوكد عند من فهمه ، وهو ضد الاشارة والتعريض . وينبغي أن يستعمل في المواطن الجامعة والمواقف الحافلة ، لان تلك المواطن تجمع البطيءْ الفهم والبعيد الذهن والثاقب القريحة والجيد الخاطر ، فاذا تكررت الالفاظ على المعنى الواحد توكد عند الذهن اللقن ، وصحّ للكليل البليد » (٤) . ومنه قوله تعالى : « ذلك جَزَيناهم بما كفروا ، وهل نُجازي إلاّ الكَفور » (٥) ، ومعناه : وهل يجازي بمثل هذا الجزاء إلاّ الكفور .

ومنه قول الحطيئة :

قومٌ هُمُ الأنْفُ والأذنابُ غيرُهم
ومن يَقيسُ بأنْفِ الناقةِ الذّنبا

(١) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٣ ، وينظر المنزع البديع ص ٣٢٣ .
(٢) الايضاح ص ٢٠٥ ، التلخيص ص٢٣٠ ، شروح التلخيص ج ٣ ص٢٣٥ ، المطول ص ٢٩٦ ، الاطول ج ٢ ص ٤٧ .
(٣) الانسان ٨ .
(٤) كتاب الصناعتين ص ٣٧٣ .
(٥) سبأ ١٧ .

فاستوفى المعنى في النصف الأول ، وذيّل بالنصف الثاني .

وقال الباقلاني : « وهو ضرب من التأكيد » (١) ، وقال ابن سنان : « وهو أن يكون اللفظ زائداً على المعنى وفاضلاً عنه » (٢) . ثم قال : « واما التذييل فهو العبارة عن المعنى بألفاظ تزيد عليه » (٣) .

وقال التبريزي إنه « ضد الاشارة ، وهو إعادة الالفاظ المترادفة على المعنى الواحد بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه ويتوكد عند من فهمه » (٤) ، وهذه عبارة العسكري ، وتقل البغدادي هذا التعريف (٥) .

وقال ابن منقذ : « هو أن تأتي في الكلام جملة تحقق ماقبلها » (٦) ، وذكر المصري مثل ذلك وفرق بين الايغال والتكميل والتمكين والتذييل ، فقال : « وقد يختلط على بعض الناس هـذه الأبواب الاربعـة وهي : باب الايغال ، والتكميل ، والتمكين ، والتذييل ، وأنا أشير الى الفرق بينها فأقول : الايغال لايكون إلافي الكلمة التي فيها الرويّ ومايتعلق بها ، وهو أيضاً مما يأتي بعد تمام المعنى كالتكميل والتذييل ، وأما التمكين فيفارق هذه الأبواب من كونه عبارة عن استقرار القافية في مكانها لكنها لاتزيد معنى البيت شيئا ومتى حذفت القافية نقص المعنى مع كونها غير نافرة من البيت ،والتكميل وان أتى بعد تمام المعنى فهو يفارق الايغال من وجهين :

أحدهما: كونه يأتي في الحشو والمقاطع والايغال والتذييل لايكونان إلافي المقاطع دون الحشو ، والايغال والتذييل لايخرجان عن معنى الكلام المتقدم ، والتكميل لابدّ أن يأتي بمعنى يكمل الغرض المتقدم إما تكميلاً بديعياً أو تكميلا عروضيا لانه يكون بمعاني البديع كمطابقة تكمل جناساً أو مبالغة تكمل تشبيهاً أو بالفنون . والفنون عند أهل الصناعة هي ما ينتجها المتكلم من الأغراض والمقاصد كالمديح والهجاء والرثاء والفخر والوصف وغير ذلك . والتذييل يفارق

(١) إعجاز القرآن ص ١٥٥ .
(٢) سر الفصاحة ص ٢٤٣ .
(٣) سر الفصاحة ص ٢٥٦ .
(٤) الوافي ص ٢٨١ .
(٥) قانون البلاغة ص ٤١٦ ، ٤٤٩ .
(٦) البديع في نقد الشعر ص ١٢٥ .

الايغال لكونه يزيد على الكلمة التي تسمى ايغالاً آخذاً في البيت من الجزء الذي هو الضرب الى أول العجز » (١) .

ولم يخرج البلاغيون الآخرون عن هذا المعنى وسار على خطى المتقدمين ابن مالك والحلبي والنويري وابن الأثير الحلبي والعلوي وابن الجوزية والزركشي والحموي والسيوطي والمدني (٢) .

وتحدث عن التذييل القزويني وشرّاح تلخيصه في بحث الاطناب وسموه « الاطناب بالتذييل » ، وقال القزويني : « هو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد » (٣) ، وهو ضربان: ضرب لايخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بافادة المراد وتوقفه على ماقبله كقوله تعالى : « ذلك جَزَيناهم بما كفروا ، وهل نُجازي إلاّ الكفور ؟ » (٤) وقول ربيعة بن مقروم :

ودَعوا نزال فكنتُ أوّل نازلٍ
وعلامَ أركبه إذا لم أنْزِلِ

وقول ابن نباتة السعدي :

لم يُبْقِ جودُك لي شيئاً أؤمله
تركتني أصْحَبُ الدنيا بلا أمَلِ

وضرب يخرج مخرج المثل كقوله تعالى : « وقُلْ جاء الحقُّ وَزَهَقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كان زَهوقا » (٥) . وقول النابغة الذبياني :

ولسْتَ بمستبقٍ أخاً لاتلمه
على شَعَثٍ أيُّ الرجال المهذبُ

---

(١) تحرير التحبير ص ٣٩١ ، وينظر خزانة الأدب ص ١١٠ ، وأنوار الربيع ج ٣ ص ٤٣ .

(٢) المصباح ص ٩٨ ، حسن التوسل ص ٢٦٤ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٤٠ ، جوهر الكنز ص ٢٤٤ ، الطراز ج ٣ ص ١١١ ، الفوائد ص ١٢١ ، البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص٩٨ ، خزانة ص ١٠٩ - ١١١ ، معترك ج ١ ص ٣٦٨ ، الاتقان ج ٢ ص٧٤ ، أنوار الربيع ج ٣ ص ٣٩ .

(٣) الايضاح ص ٢٠٠ ، التلخيص ٢٢٧ ، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٢٥ ، المطول ص ٢٩٤ ، الاطول ج ٢ ص ٤٥ . (٤) سبأ ١٧ . (٥) الاسراء ٨١ .

وقد اجتمع الضربان في قوله تعالى : « وما جَعَلْنا لبشرٍ من قبلك الخُلْدَ ؛ أفإنْ مِتَّ فهم الخالدون . كُلُّ نفْسٍ ذائقةُ الموتِ » (١) . فقوله : « أفإنْ مِتَّ فهم الخالدون » من الأول ومابعده من الثاني . وكل منهما تذييل على ماقبله .

وهو أيضاً إما لتأكيد منطوق كلام كقوله تعالى: « وقل جاء الحقُّ وزَهَقَ الباطلُ ، إنَّ الباطلَ كان زهوقا » (٢) ؛ واما لتأكيد مفهومه كبيت النابغة : « ولست بمستبق . . . » فان صدره دلّ بمفهومه على نفي الكامل من الرجال فحقق ذلك وقرره بعجزه .

الاطناب بالتكرير :

وهو الاطناب بالتكرار ؛ وهو من الأساليب الشائعة في اللغة العربية؛ وقد تعرّض له معظم النحاة والنقاد والبلاغيين فقال الفراء : « والكلمة قد تكررها العرب على التغليط والتخويف » (٣) . وسماه أبو عبيدة « مجاز المكرر » (٤) ، وأولى الجاحظ التكرار عناية كبيرة ونقل بعض الأقوال فيه ؛ ومن طريف ما ذكر قوله : « جعل ابن السماك يوما يتكلم وجارية له حيث تسمع كلامه ، فلما انصرف اليها قال لها : كيف سمعت كلامي ؟ قالت : ماأحسنه ؛ لولا أنك تكثر ترداده . قال : أردده حتى يفهمه من لم يفهمه . قالت : الى أن يفهمه من لايفهمه قد ملّه من فهمه » (٥) . ثم قال الجاحظ : « وجملة القول في الترداد انه ليس فيه حدّ يُنتهى اليه و يؤتى على وضعه وانما ذلك على قدر المستمعين ومن يحضره من العوام والخواص . وقد رأينا الله — عز وجل — ردّد ذكر قصة موسى وهود وهارون وشعيب وابراهيم ولوط وعاد وثمود وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة ، لانه خاطب جميع الأمم » (٦) .

---

(١) الانبياء ٣٤ — ٣٥ . (٢) الاسراء ٨١ .
(٣) معاني القرآن ج ٣ ص ٢٨٧ ، وينظر ج ١ ص ١٧٧ ، ج ٢ ص ٢٣٤ .
(٤) مجاز القرآن ج ١ ص ١٢ . (٥) البيان ج ١ ص ١٠٤ .
(٦) البيان ج ١ ص ١٠٥ .

فالتكرار محمود إذا جاء في الموضع الذي يقتضيه وتدعو الحاجة اليه ، ولذلك فرّق الخطابي بين المحمود والمذموم فقال : « وأما ماعابوه من التكرار فأن تكرر الكلام على ضربين :

أحدهما : مذموم وهو ماكان مستغنى عنه غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفيدوه بالكلام الأول لأنه حينئذ يكون فضلاً من القول ولغواً ؛ وليس في القرآن شيء من هذا النوع .

والضرب الآخر : ماكان بخلاف هذه الصفة ؛ فان ترك التكرار في الموضع الذي يقتضيه وتدعو الحاجة اليه فيه بازاء تكلف الزيادة في وقت الحاجة الى الحذف والاختصار ، وانما يحتاج اليه ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها (١) .

ويأتي الاطناب بالتكرير لنكتة كتأكيد انذار في قوله تعالى : « كَلّاً سوف تعلمون . ثم كلاّ سوف تعلمون »(٢) وفي « ثم » دلالة على أن انذار الثاني أبلغ وأشد .

وكزيادة التنبيه على ماينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول كما في قوله تعالى : « وقال الذي آمن ياقومِ اتبعوني أهْدِكُمْ سبيلَ الرشاد . ياقومِ إنما هذه الحياةُ الدنيا متاعٌ » (٣) .

وقد يكرر اللفظ لطول الكلام كما في قوله تعالى : « ثُمّ إنّ ربّكَ للذين عَمِلوا السُّوءَ بجهالةٍ ثم تابوا مِنْ بَعْدِ ذلكِ وأصلحوا، إنّ ربّك من بعدها لغفورٌ رحيم » (٤) .

وقد يكرر لتعدد المتعلق كما كرره الله تعالى من قوله في سورة الرحمن : « فبأي آلاء ربكما تكذبان » لانه ــ تعالى ــ ذكر نعمة بعد نعمة ، وعقب كل

---

(١) بيان إعجاز القرآن ص ٤٧ .
(٢) التكاثر ٣ - ٤ .
(٣) غافر ٣٨ - ٣٩ .
(٤) النحل ١١٩ .

نعمة بهذا القول ؛ والغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى .

وقد يأتي للتهويل والتخويف وغير ذلك (١) .

الاطناب بالتكميل :

قال الباقلاني : « ومن البديع التكميل والتتميم وهـــو أن يأتي بالمعنى الذي بدأ به بجميع المعاني المصححة المتممة لصحته المكملة لجودته من غير أن يخل ببعضها ولا أن يغادر شيئاً منها » (٢) كقوله تعالى : « إنَّ اللهَ عنده علْمُ الساعة وينزّل الغيثَ ، ويعلمُ ما في الارحام وما تدري نَفْسٌ ماذا تكسبُ غداً ، وما تَدري نفسٌ بأيّ أرْضٍ تموت » ثم قال : « إنَّ اللهَ عليمٌ خبير » (٣) .

وقول نافع بن خليفة :

رجال إذا لم يقبلوا الحقَّ منهـــم ... ويعطوه عادوا بالسيوف القواطعِ

وانما تمَّ جودة المعنى بقوله : « ويعطوه » .

وقال التبريزي: « والتكميل أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بهاصحته وتكمل معها شيئاً إلاّ أتى به »(٤). ونقل البغدادي هذا التعريف(٥)

وقال المصري : « وهو أن يأتي المتكلم أو الشاعر بمعنى من معاني المدح أو غيره من فنون الشعر وأغراضه ثم يرى مدحه والاقتصار على ذلك المعنى فقط غير

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص١٨٠ ، إعجاز القرآن ص ١٦٠ ، زهر الآداب ج ١ ص ١٦٤ ، العمدة ج ١ ص ٧٣ ، سر الفصاحة ص ١١٣ ، الوافي ص ٢٨٢ ، قانون البلاغة ص ٤١٠ ، ٤٥٠ ، البديع في نقد الشعر ص ١٩١ ، الرسالة المسجدية ص ١٥٥ ، المثل السائر ج ٢ ص ١٢٩ ، ١٥٧ ، الجامع الكبير ص٢٠٤ ، تحرير التحبير ص٣٧٥ ، بديع القرآن ص ١٥١ ، المصباح ص ١٠٥ ، الأقصى القريب ص٩٠ ، ١١٩ ، جوهر الكنز ص ١٤٧ ، الفوائد ص ١١١ ، الايضاح ص ٢٠٠ ، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢١٨ ، المطول ص ٢٩٢ ، البرهان ج ٣ ص ٨ ، خزانة الادب ص ١٦٤ ، الاتقان ج ٢ ص ٦٦ ، شرح عقود الجمان ص ٧٢ ، الأطول ج ٢ ص ٤٣ ، أنوار الربيع ج ٥ ص ٣٤٥ .

(٢) إعجاز القرآن ص ١٤٣ .

(٣) لقمان ٣٤ .

(٤) الوافي ص ٢٧٤ .

(٥) قانون البلاغة ص ٤٤٦ .

كامل فيكمله بمعنى آخر » (١) . وعرّفه بمثل ذلك ابن مالك والحلبي والنويري وابن قيم الجوزية والحموي والمدني (٢) .

وقال القزويني: « الاطناب بالتكميل أو الإحتراس هو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه ، وهو ضربان : ضرب يتوسط الكلام كقول طرفة :

فسقى ديارَكَ — غير مفسدها — صَوْبُ الربيع وديمةٌ تَهْمي

وضرب يقع في آخر الكلام كقوله تعالى: «فسوف يأتي اللهُ بقوم يُحبُّهم ويحبونه أذلّةٍ على المؤمنينَ أعِزَّةٍ على الكافرين » (٣) ، فانه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لتوهم أن ذلتهم لضعفهم فلما قيل : « أعزة على الكافرين » علم انها منهم تواضع لهم . ومنه قول الحماسي :

وما مات منا سيّدٌ في فِراشه — ولا طُلَّ منا حيث كان قتيل (٤)

فانه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل إياهم لأوهم أن ذلك لضعفهم وقلتهم، فأزال هذا الوهم بوصفهم بالانتصار من قاتلهم .

وتبعه في ذلك شراح تلخيصه كالسبكي والتفتازاني والاسفراييني (٥) .

الاطناب بالتوشيع :

وهو أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين أحدهما معطوف على الآخر كما جاء في الخبر : « يشيب ابن آدم ويشيب فيه خصلتان : الحرص وطول الأمل » . وقول الشاعر :

سقَتنيَ في ليلٍ شبيهٍ بشعرها — شبيهةُ خديها بغير رقيب
فما زلت في ليلين : شعرٍ وظلمةٍ — وشمسين من خمرٍ ووجه حبيبِ

---

(١) تحرير ص ٣٥٧ ، بديع القرآن ص ١٤٣ .
(٢) المصباح ص ٩٨ ، حسن التوسل ص ٢٨٧ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٥٧ ، الفوائد ص ٨٩ ، خزانة الادب ص ١٧٠ ، أنوار الربيع ج ٥ ص ١٨٥ .
(٣) المائدة ٥٤ .
(٤) طل الرجل — بالبناء للمجهول — : أهدر دمه .
(٥) الايضاح ص ٢٠٢ ، التلخيص ص ٢٢٩ ، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٣١ ، المطول ص ٢٩٥ ، الاطول ج ٢ ص ٤٦ . وينظر معترك ج ١ ص ٣٦٩ ، الاتقان ج ٢ ص ٧٤ ، شرح عقود الجمان ص ٧٤ .

وقول البحتري :

لما مَشَين بذي الأراك تشابَهت ... أعطافُ قضبان بـه وقـدودِ
في حلتي حَبَرٍ وروض فالتقى ... وشيان: وشي رُبًى ووشيُ برودِ
وسفرن فامتلأت عيونٌ راقها ... وردان : وردُ جنى وورد خدودِ

ومنه قول الآخر :

أمسي وأصبح من تذكاركم وَصِبا ... يرثي ليَ المشفقان : الأهلُ والولدُ
قد خدد الدمع خدي من تذكركم ... واعتادني المضنيان : الوجدُ والكمدُ
وغاب عن مقلتي نومي لغيبتكم ... وخانني المسعدان : الصبرُ والجلدُ
لا غروَ للدمع أن تجري غوارِبُه ... وتحته المضرمان : القلبُ والكبدُ
كأنما مهجتي شِلوٌ بمسبعـةٍ ... ينتابها الضاريان : الذئبُ والأسدُ
لم يبقَ غيرُ خفيِّ الروح في جسدي ... فِدًى لك الباقيان : الروحُ والجسدُ (١)

الاطناب بذكر الخاص :

ومنه الاطناب بذكر الخاص بعد العام وذلك للتنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنسه تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات كقوله تعالى : « من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال » (٢) ، وقوله : « حافظوا على الصلوات والصلاةِ الوُسطى » (٣) . ومنه قول المتنبي :

فان تَفُق الأنامَ وأنت منهم ... فان المِسْكَ بَعْضُ دَمِ الغزالِ

وقول ابن الرومي :

كمْ من أبٍ قد علا بابن ذُرى شرَفٍ
كما علَتْ برسول الله عدنانُ (٤)

---

(١) تحرير ص ٣١٦ ، المصباح ص ٨٠ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٤٨ ، جوهر الكنز ص ٢١٨ ، الايضاح ص ١٩٦ ، التلخيص ص ٢٢٢ ، الطراز ج ٣ ص ٨٩ ، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢١٥ ، المطول ص ٢٩٢ ، الاطول ج ٢ ص ٤٢ .

(٢) البقرة ٩٨ . (٣) البقرة ٢٣٨ .

(٤) الايضاح ص ١٩٧ ، التلخيص ص٢٢٣ ، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢١٦ ، المطول ص ٢٩٢ ، الاطول ج ٢ ص ٤٣ ، البرهان ج ٢ ص ٤١٢ ، شرح عقود الجمان ص ٧٢ .

الاطناب بالزيادة :

ويكون على أنواع : منها دخول حرف فأكثر من حروف التوكيد كقوله تعالى: « إنّا اليكم مُرْسَلون » (١) وقوله : « ثم إنكم بعد ذلك لميّتون . ثم انكم يوم القيامة تبعثون » (٢) .

ومنها دخول الأحرف الزائدة كقوله تعالى : « كيف نُكَلّمُ مَنْ كان في المهْدِ صَبيّاً » (٣) ، وقوله : « فان آمنوا بمثل ما آمنتم به » (٤) .

ومنها التأكيد الصناعي ، وهو أربعة أقسام :

أحدها : التوكيد المعنوي بـ « كل » و « أجمع » و « كلا » و « كلتا » كقوله تعالى : « فسَجَدَ الملائكةُ كلُّهم أجمعون » (٥) ، وفائدته رفع توهم المجاز وعدم الشمول .

ثانيها : التأكيد اللفظي وهو تكرار اللفظ الاول إما بمرادفه نحو قوله تعالى : « ضَيّقا حَرَجاً » (٦) ، واما بلفظه فيكون في الاسم والفعل والحرف والجملة فالاسم نحو قوله تعالى : « قواريرَا .قواريرَ» (٧) وقوله : دَكّاً دكّا » (٨) . والفعل نحو قوله : « فمهّل الكافرين أمْهِلْهُم رُوَيْدا » (٩) . واسم الفعل نحو قوله : « هيهاتَ هيهاتَ لما تُوعدون »(١٠) . والحرف نحو قوله تعالى : « ففي الجنة خالدين فيها » (١١) . والجملة نحو قوله تعالى : « فانّ مع العُسْر يُسْرا ، إنّ مع العسر يُسْرا » (١٢) .

وقد تقترن الثانية بـ « ثم » نحو قوله تعالى : « وما أدراك ما يوم الدين . ثم ما أدراك ما يوم الدين » (١٣).

---

(١) يس ٤ .
(٢) المؤمنون ١٥ - ١٦ .
(٣) مريم ٢٩ .
(٤) البقرة ١٣٧ .
(٥) البقرة ١٣٧ .
(٦) الانعام ١٢٥
(٧) الانسان ١٥ - ١٦ .
(٨) الفجر ٢١ .
(٩) الطارق ١٧ .
(١٠) المؤمنون ٣٦ .
(١١) هود ١٠٨ .
(١٢) الشرح ٥ - ٦ .
(١٣) الانفطار ١٧ - ١٨ .

ومن هذا النوع تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل كقوله تعالى : « اسْكُنْ أنت وزوجُك الجنة » (١) . ومنه تأكيد المنفصل بمثله كقوله تعالى : « وهم بالآخرة هم كافرون » (٢) .

ثالثها : تأكيد الفعل وهو عوض عن تكرار الفعل مرتين ، وفائدته رفع توهم المجاز في الفعل ، والأصل في هذا النوع أن ينعت بالوصف المراد كقوله تعالى : « اذكروا اللهَ ذكْراً كثيرا » (٣) .

رابعها : الحال المؤكدة كقوله تعالى : « ويَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً (٤) » ، وقوله : « ولا تَعْثَوا في الأرْض مُفْسِدين » (٥) .

وفي هذه الانواع كلها جاء الاطناب بالزيادة لغرض من الأغراض ، فاذا انتفى الغرض لم يعد الاطناب مفيدا (٦) .

اعتدال الوزن :

ذكره قدامة ولم يعرّفه ، وقال انه كقول من قال : « اصبر على حر اللقاء ومضض النزال وشدة المصاع ودوام المراس » (٧) ، ولو قال : « على حر الحرب ومضض النازلة وشدة الطعن ومداومة المراس » لبطل رونق التوازن ، لان « اللقاء » و « النزال » و « المصاع » و « المراس » بوزن واحد في الحركة والسكون والزوائد .

ومثله قول القائل : « إذا كنت لا تؤتى في نقص كرم ، وكنت لا أوتى من ضعف سبب ، فكيف أخاف منك خيبة أمل أو عدولاً عن اغتفار زلل ، أو فتوراً عن لمّ شعث أو اصلاح خلل » ، فجعل « نقصاً » بازاء « ضعف » و « كرماً » بازاء « سبب » و « عدولاً » بازاء « فتور » مناسبة في التقدير وموازنة في البناء ، ولو جعل مكان « كرم » : سماحة ، ومكان « سبب » . شكراً ، لبطل التوازن (٨) .

---

(١) البقرة ٣٥ . (٢) يوسف ٣٧ .
(٣) الاحزاب ٤١ . (٤) مريم ٣٣ .
(٥) البقرة ٦٠ . (٦) معترك الاقران ج ١ ص ٣٣٣ ، الاتقان ج ٢ ص ٦٤ .
(٧) ماصع : قاتل وجالد (٨) جواهر الالفاظ ص ٤ .

وهذا يدل على أن التوازن أو الايقاع مهم في النثر لانه يضفي عليه جمالا إذا جاء غير متكلف ، أو كان غير بعيد عن المعنى الذي يقصد الأديب اليه .

الاعتراض :

يقال : اعترض الشيْ دون الشيْ ، أي : حال دونه ، واعترض فلان الشيْ : تكلفه ، واعترض عرضه : نحا نحوه ، واعترض له بسهم : أقبل قبله فرماه فقتله (١) .

وهذا من الفنون التي تحدث عنها المتقدمون وسماه بعضهم التفاتاً ، قال الحاتمي عن الالتفات : « وقد سماه قوم الاعتراض » (٢) ، وقال ابن رشيق عنه : « وهو الاعتراض عند قوم » (٣) ، وقال الصغاني : « ومن أنواع الفصاحة الالتفات ويسمى الاعتراض» (٤) . وهذه تسمية الاصمعي ، فقد حكى الحاتمي وابن رشيق ماروي عن اسحاق بن ابراهيم ان الاصمعي قال له : « أتعرف التفاتات جرير ؟ » فقال : ما هي ؟ وانشده :

أتنسى إذْ تودِعُنا سُليمى ... بعُودِ بَشامةٍ سقي البَشامُ

ثم قال : « ألا تراه مقبلاً على شعره ، ثم التفت الى البشام فدعا له ؟ » (٥) . وليس هذا هو الاعتراض الذي قال ابن المعتز عنه : « ومن محاسن الكلام أيضاً والشعر اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود اليه فيتممه في بيت واحد(٦) كقول كثير :

لو انّ الباخلين — وأنت منهم — ... رأوك تعلّموا منك المِطالا

فقد اعترض بقوله — وانت منهم —

والاعتراض في كلام العرب « كثير قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ومنثور الكلام ، وهو جارٍ عند العرب مجرى التأكيد فلذلك لا يشنع عليهم ولا يستنكر عندهم

(١) اللسان (عرض) .
(٢) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٧ .
(٣) العمدة ج ٢ ص ٥٤ .
(٤) الرسالة العسجدية ص ١٤٦ .
(٥) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٧ ، العمدة ج ٢ ص ٤٦ ، وينظر الوافي ص ٢٧٨ .
(٦) البديع ص ٥٩ .

أن يعترض به بين الفعل وفاعله ، والمبتدأ وخبره وغير ذلك مما لا يجوز الفصل فيه بغيره إلاّ شاذاً أو متأولا » (١) .

ودخل هذا الاسلوب في كتب البلاغة وعرّفه العسكري بمثل ما عرفه ابن المعتز وذكر أمثلته (٢) ، واشترط ابن منقذ أن لا تكون الجملة المعترضة زائدة بل يكون فيها فائدة (٣) . وقسّمه الرازي الى ثلاثة أقسام (٤) :

الأول : مذموم كقول الشاعر :

وما يشفي صداعَ الرأس مِثْلُ الصارمِ العضبِ

الثاني : وسط كقول امرئ القيس :

ألا هل أتاها والحوادثُ جَمّةٌ بان امرأ القيس بن تملك بيقرا

الثالث : لطيف ، وهو الذي يكسو المعنى جمالاً كقوله تعالى : « فلا أُقسِمُ بمواقعِ النجوم . وإنّه لَقَسمٌ لو تعلمون عظيم . إنّه لقرآن كريم » (٥) . وأدخله السكاكي في المحسنات المعنوية وقال عنه : « ويسمى الحشو ، وهو تدرج في الكلام ما يتم المعنى بدونه » (٦) كقول طرفة :

فسقى ديارك — غير مفسدها — صَوْبُ الربيع وديمَةٌ تَهْمي

وأشار ابن الأثير الى أن بعضهم يسميه حشواً ، ثم قال عنه : « وحدّه كل كلام أدخل فيه لفظ أو مركب لو اسقط لبقي الأول على حاله »(٧) . وقال ابن الزملكاني : « هو أن يأتوا في حشو الكلام بما يتم الغرض دونه » (٨) . وذكر ابن مالك ان قدامة يسميه التفاتاً (٩) ، ولكن الأمثلة التي ذكرها قدامة أقرب الى الرجوع منه الى الاعتراض وان كان قد قال : « ومن نعوت المعاني الالتفات وهو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى فكأنه يعترضه اما شك فيه أو ظن بان رادّاً

---

(١) الخصائص ج ١ ص ٣٣٥ . (٢) كتاب الصناعتين ص ٣٩٤ .
(٣) البديع في نقد الشعر ص ١٣٠ .
(٤) نهاية الايجاز ص ١١١ ، الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٨ .
(٥) الواقعة ٧٥ — ٧٧ . (٦) مفتاح العلوم ص ٢٠٢ .
(٧) المثل السائر ج ٢ ص ١٨٣ ، الجامع الكبير ص ١١٨ .
(٨) التبيان ص ١٧٤ . (٩) المصباح ص ٩٩ .

يرد عليه قوله أو سائلاً يسأله عن سببه فيعود راجعاً الى ما قدّمة »(١) ، وهذا قريب من الرجوع .

وقال ابن شيث القرشي : « هو أن يذكر قضية ثم يحاشيه منها » (٢) ، وهو أنواع : منه مثل: « وخشيت أن يمر في ظن سيدنا — وحاشاه — أن الأمر كذا فيعجل بالمؤاخذة ، وهو أبسط من ذلك علما وأوسع حلماً » ، وقول الشاعر :

حسبتك تجفوني بما قال حاسدي
— وحاشاك — بل غير الجفا منك أَلْيَقُ

ومنه نوع آخر على طريق المزج أو طريق التفاؤل ، ومثاله : « الناس كلهم أبناء الدنيا وأخلاقهم — حاشا سيدنا — أخلاقها ، فما يراد منهم الوفاء ولا يردّ منهم الجفاء » ، وقول المتنبي :

وتحتقر الدنيا احتقارَ مجرّب — يرى كلَّ ما فيها — وحاشاك — فانيا

ومنه نوع آخر وهو حسن ، ومثاله : « وجدت من الألم — وعافاك الله — كذا وكذا ، فكيف أنكر أن تتنكر عليّ الأيام وتتوالى على جسمي الآلام ، وقد أربيت على الستين — ضاعفها الله لك عددا — وجعلك بالذكر الجميل بعد العمر الطويل مخلدا » ، وقول الشاعر :

إن الثمانين — وبلغتها — قد أحوجَتْ سمعي الى تَرْجُمـان

وسماه التنوخي اعتراضاً (٣) ، وقال الحلبي : « وهو الذي سماه الحاتمي وسماه ابن المعتز اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود فيتمه » (٤) . وذكر ابن الأثير الحلبي انهم يسمونه التمام أيضاً (٥) . وهذه تسمية لم ترد كثيراً في كتب البلاغة إذ استحسن البلاغيون تسميته اعتراضاً كالزركشي والقزويني والعلوي

---

(١) نقد الشعر ص ١٦٧ .
(٢) معالم الكتابة ص ٨٠ .
(٣) الأقصى القريب ص ٥٨ .
(٤) حسن التوسل ص ٢٢٦ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١١٨ .
(٥) جوهر الكنز ص ١٢٨ .

وابن الجورية والسبكي والتفتازاني والسيوطي والاسفراييني والمغربي (١) . وذكر الحموي التسميات السابقة وأشار الى أن تسمية ابن المعتز هي « اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه » وقال ان اسمه التمام وان الحاتمي سماه التتميم (٢) ، وسماه بعضهم الاستدراك والرجوع (٣) . ولكنه حينما تحدث عنه عقد له فصلا باسم « الاعتراض » وقال : « هو عبارة عن جملة تعترض بين الكلامين تفيد زيادة في معنى غرض المتكلم »(٤) . وفرّق بينه وبين الحشو بقوله : « ومنهم من سماه الحشووقالوا في المقبول منه « حشو اللوزينج » وليس بصحيح . والفرق بينهما ظاهر وهو ان الاعتراض يفيد زيادة في غرض المتكلم والناظم ، والحشو انما يأتي لاقامة الوزن لا غير . وفي الاعتراض من المحاسن المكملة للمعاني المقصودة ما يتميز به على أنواع كثيرة » .

وذكر المدني له عدة مصطلحات كالتمام والتتميم (٥) ، ولكنه عقد له فصلاً باسم « الاعتراض » (٦) كما فعل الحموي وغيره ، وقال انه « متى خلا عن نكتة سمي حشواً فلا يعد حينئذ من البديع بل هو من المستهجن » وذكر ان النكت فيه كثيرة منها التنزيه كما في قوله تعالى : « ويجعلون لله البناتِ ــ سبحانه ــ ولهم ما يشتهون » (٧) .

ومنها الدعاء كقول أبي المنهال عوف بن محلم الخزاعي :

إنّ الثمانين ــ وبلغتها ــ قد أحوجت سمعي الى تَرْجُمان

ومنها التنبيه كقول الآخر

واعلمْ ــ فعلم المرء ينفعه ــ أنْ سوف يأتي كُلُّ ما قُدّرا

---

(١) البرهان ج ٣ ص ٥٦ ، الايضاح ص ٢٠٦ ، التلخيص ٢٣١ ، الطراز ج ٢ ص ١٦٧ ، الفوائد ص٩٤ ، عروس الافراح ج ٣ ص٢٣٧ ، المطول ص٢٩٦ ، المختصر ج ٣ ص٨٣ ، ص ٤٣٧ ، معترك ج ١ ص ٣٧١ ، الاتقان ج ٢ ص٧٥ ، شرح عقود الجمان ص ٧٥ ، الاطول ج ٢ ص ٤٧ ، مواهب ج ٣ ص ٢٣٧ .

(٢) خزانة الادب ص ١٢١ .

(٣) خزانة ص ٣٦٧ .

(٤) خزانة ص ٣٦٦ .

(٥) أنوار الربيع ج ٣ ص ٥٢ .

(٦) أنوار الربيع ج ٥ ص ١٣٦ .

(٧) النحل ٥٧ .

ومنه تخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد في أمر علق بهما كقوله تعالى : « ووَصَّينا الانسان بوالديه — حملته أمه وَهْنا علىوَهْن — وفِصالُه في عامين — أن اشكرْ لي ولوالديك »(١) .

ومنها المطابقة والاستعطاف كما في قول المتنبي :

وخفوق قلب لو رأيت لهيبــه — جنتي — لرأيت فيه جَهَنّما

ومنها بيان السبب لأمر فيه غرابة كما في قول الشاعر :

فلا هجْرُه يبدو — وفي اليأس راحة — ولا وَصْلُه يصفو لنا فنكارِمُه

ومنها المدح كما في قول أبي محمد الخازن :

فأية طربة للعفو إنّ الــ كريم — وأنت معناه — طروبُ

ومما جاء بين كلامين متصلين معنى وهو أكثر من جملة أيضاً قوله تعالى : « قالت : ربّ إني وضعتها انثى — والله أعلمُ بما وضعت وليس الذكرُ كالانثى — وإني سميتها مريمَ » (٢) . فقوله تعالى : « والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى » ليس من قول أم مريم وإنما هواعتراض من كلام الله — سبحانه — والنكتة فيه تعظيم الموضوع وتجهيلها بقدر ما وهب لها منه .

وهذه النكت أشار اليها القزويني وشراح تلخيصه حينما تحدثوا عن « الاطناب بالاعتراض » (٣) .

الاعجاز :

نزل القرآن الكريم فكان حجة بلاغية تحدى العرب بل الانس والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . وكان العرب يسمعونه فيخرون لروعته وجماله ساجدين ويتأثرون به تأثراً شديداًوقد دفع المؤلفين فيما بعد الى أن يبحثوا عن ذلك ويوضحوا مسألة إعجاز القرآن ، ويبينوا سر ذلك الاعجاز الذي تحداهم

(١) لقمان ١٤ .
(٢) آل عمران ٣٦ .
(٣) الايضاح ص ٢٠٦ ، التلخيص ٢٣١ ، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٣٧ ، المطول ص ٢٩٦ ، الأطول ج ٢ ص ٤٧ . وينظر المنصف ص ٦٣ .

الله به حينما قال : « قل لئن اجتمعت الانسُ والجنّ على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بَعْضُهم لبعض ظهيرا » (١) .

وكان المتكلمون أول من تحدثوا عن إعجازه وبلاغته فقالت المعتزلة – إلا النظام وهشاما الفوطي وعباد بن سليمان – : « تأليف القرآن ونظمه معجز محال وقوعه منهم كاستحالة إحياء الموتى منهم وانه علم لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – . وقال النظام : الآية والاعجوبة في القرآن ما فيه من الاخبار عن الغيوب ، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم . وقال هشام وعباد : لا نقول إن شيئاً من الأعراض يدل على الله سبحانه وتعالى – ولا نقول أيضاً إن عَرَضاً يدل على نبوة النبي – صلى الله عليه وسلم – . ولم يجعلا القرآن علما للنبي – صلى الله عليه وسلم – وزعما أن القرآن أعراض » (٢)

ويتضح من ذلك ان للمعتزلة رأيين في الاعجاز :

الأول : انه معجز بنظمه .

الثاني : انه معجز بالصَّرْفة .

ورأى الرماني ان القرآن معجز ببلاغته ، وهو أعلى طبقات الكلام ، والبلاغة عنده ايصال المعنى الى القلب في أحسن صورة من اللفظ ، وأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن ، وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب كاعجاز الشعر المفحم ، فهذا معجز للمفحم خاصة كما ان ذلك معجز للكافة (٣) .

ويرى الخطابي ان بلاغة القرآن ترجع الى جمال ألفاظه وحسن نظمه وسمو معانيه وتأثيره في النفوس ، قال : « واعلم ان القرآن انما صار معجزاً لانه جاء بأفصح الالفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني »(٤) ، وأشار الى تأثير القرآن في النفوس فقال : « قلت في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس

---

(١) الاسراء ٨٨ .
(٢) مقالات الاسلاميين ج١ ص ٢٢٥ .
(٣) النكت في اعجاز القرآن ص ٦٩ .
(٤) بيان إعجاز القرآن ص ٢٤ .

فلا يكاد يعرفه إلاّ الشاذ من آحادهم وذلك صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس»(١)
وبذلك يكون للخطابي رأيان :

الأول : مجيءُ القرآن بأفصح الالفاظ وأحسن النظم .

الثاني : تأثيره في النفوس .

وذهب الباقلاني الى ان كتاب الله معجز ؛ لانه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ولذلك رأى ان البديع ليس من الاسباب التي يعلل بها الاعجاز ، قال : « لا سبيل الى معرفة اعجاز القرآن من البديع الذي ادعوه في الشعر ووصفوه فيه ، وذلك ان هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة ويخرج عن العرف ، بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به والتصنع له كقول الشعر ورصف الخطب وصناعة الرسالة والحذق في البلاغة » (٢) . وبذلك يرى ان القرآن معجز باسلوبه ونظمه البديع وألفاظه ، وبأثره في النفوس ، لا بما فيه من وجوه البلاغة او فنونها .

وعاد الخفاجي الى ما قاله النظام في الاعجاز وقرر ان وجه الاعجاز صرف العرب عن معارضة القرآن بان سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك ، قال : « إن الصحيح ان وجه الاعجاز في القرآن هو صرف العرب عن معارضته ، وان فصاحته قد كانت في مقدورهم لولا الصرف . وهذا هو المذهب الذي يعوّل عليه أهل هذه الصناعة وأرباب هذا العلم » (٣) . ولكنه قال إن القائل بالصرف يحتاج الى تحقق الفصاحة ليعرف ما هي ، ليقطع بانها كانت في مقدورهم ومن جنس فصاحتهم . وذهب الى ان لا فرق بين القرآن وفصيح الكلام المختار في هذه القضية ، ومتى رجع الانسان الى نفسه وكان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار وجد في كلام العرب ما يضاهي القرآن في تأليفه.(٤)
وبذلك يكون للخفاجي رأيان :

---

(١) بيان إعجاز القرآن ص ٦٤ .
(٢) إعجاز القرآن ص ١٦٨ .
(٣) سر الفصاحة ص ٢٦٥ .
(٤) سر الفصاحة ص ١١٠ .

الأول : ان القرآن خرق العادة بفصاحته التي وقع التزايد فيها موقعا خرج عن مقدور البشر ، ولكنه جعل القرآن طبقات في الفصاحة .

الثاني : الصرفة .

وذهب عبدالقاهر الجرجاني الى ان كتاب الله معجز بنظمه أي انه يعود الى تلاؤم المعاني في الكلمات المفردة تلاؤما يؤدي الى الغرض ، لان الالفاظ « لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة وانما تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها وما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ »(١) . فعبدالقاهر يرجع الاعجاز الى النظم والتأليف ، ولكنه يرى ان ادراك هذين الأمرين يعود الى الذوق والاحساس الروحاني وكثرة الاطلاع على كلام العرب وتذوقه (٢) .

وذهب الزمخشري الى ان القرآن معجز من جهتين :

الاولى : ما فيه من الاخبار عن الغيوب .

الثاني : نظمه ، وهذا عنده أم الإعجاز والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته أهم ما يجب على المفسر (٣) . وهو بذلك يتابع عبدالقاهر ، ولاجل ايضاح ذلك طبق قوانين البلاغة على كتاب الله ، وقال إن المفسر لا يستطيع أن يغوص على معانيه ما لم يكن بارعا في علمين مختصين به هما : علم المعاني وعلم البيان .

ورأى الرازي أنّ إعجاز الكتاب العزيز وبلاغته راجعان الى الفصاحة التي يشتمل عليها نظمه وبدائعه (٤) .

واستعرض السكاكي الآراء في الإعجاز فوجد أنها أربعة ثم أورد وجهاً خامساً رآه أحسن الآراء وخير الوجوه ، وقال : « فهذه أقوال أربعة يخمسها ما يجده أصحاب الذوق أن وجه الاعجاز هو أمر من جنس البلاغة والفصاحة ولا طريق لك الى هذا الخامس إلاّ طول خدمة هذين العلمين — المعاني والبيان — بعد فضل إلهي من هبة يهبها بحكمته من يشاء ، وهي النفس المستعدة لذلك فكل ميسر

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٣٨ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٢٩٩ .

(٣) الكشاف ج ١ ص ٧٧ .

(٤) نهاية الايجاز ص ٧ .

لما خاق له ، ولا استبعاد في انكار هذا الوجه ممن ليس معه ما يطلع عليه ، فلكم سحبنا الذيل في إنكاره ثم ضممنا الذيل ما ان ننكره ، فله الشكر على جزيل ما أولى ، وله الحمد في الآخرة والاولى»(١). وانتهى الى ان شأن الاعجاز يدرك ولا يوصف كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة ، قال : « ومدرك الاعجاز عندي هو الذوق ليس إلاّ ، وطريق اكتساب الذوق خدمة هذين العلمين — المعاني والبيان — نعم للبلاغة وجوه ملتثمة ربما تيسرت اماطة اللثام عنها لتجلى عليك أما نفس وجه الاعجاز فلا » (٢) . وهذه نظرة تعتمد على الذوق والادراك الروحاني اكثر من اعتمادها على التعليلات التي أوردها كثير من العلماء . وهذا ما يحمد للسكاكي الذي عاش في زمن تحكم المنطق فيه واخذت النظرة العقلية تطغى في التعليل والتفسير .

وكان لهذه الآراء وغيرها أثر في دراسة البلاغة لانها دفعت الناس الى الوقوف على أساليبه وما فيه من فنون القول ، ولذلك كانت معظم كتب « اعجاز القرآن » كتباً بلاغية ، وهذا من فضل القرآن العظيم .

الاعداد :

تحدث الرازي عن التعديد وقال : « هو ايقاع الاعداد من الاسماء المفردة في النثر والنظم على سياق واحد ، فان روي فيه ازدواج أو تجنيس أو مطابقة أو مقابلة أو نحوها فذلك في غاية الحسن » (٣) . ومنه قول القائل : « فلان اليه الحلّ والعقد والقبول والرد والأمر والنهي والاثبات والنفي » ، وقول المتنبي :

الخيلُ والليلُ والبيداءُ تَعْرِفني والطّعْنُ والضّرْبُ والقرطاس والقلَمُ

وقال ابن الزملكاني : « هو ايقاع الالفاظ المفردة على سياق واحد » (٤) ، كقوله تعالى : « اللهُ لا إله إلاّ هو الحيُّ القيّوم » (٥)، وقوله : « الخالقُ الباريءُ المصوّرُ » (٦) .

---

(١) مفتاح العلوم ص ٢٤٣ . (٢) مفتاح العلوم ص ١٩٦ .
(٣) نهاية الايجاز ص ١١٣ ، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٢١ .
(٤) التبيان ص ١٧٧ . (٥) البقرة ٢٥٥ . (٦) الحشر ٢٤ .

وقال الحلبي والنويري انه يسمى: « سياقة العدد » أو « سياقة الاعداد » ونقلا كلام الرازي ومثاليه : النثري والشعري (١) . وكان الثعالبي قد سمّاه « سياقة الاعداد » (٢)، وفعل مثل ذلك الوطواط الذي قال : « سياقة الأعداد : وتكون هذه الصنعة بان يسوق الكاتب أو الشاعر في نثره أو نظمه عدداً من الاسماء المفردة على نسق واحد بحيث يكون كل واحد من هذه الاسماء له معنى قائم بذاته ويكون اسما كذلك لشيءٍ آخر . وهذه الصنعة أكثر قبولاً وأشد أسراً إذا اقترنت بازدواج اللفظ أو التجنيس أو التضاد أو أي صنعة أخرى من صناعات البلاغة »(٣) وقال ابن الجوزية « ويسمى أيضاً سياق الأعداد » (٤) ، وذكر تعريف الرازي ومثاليه وأمثلة أخرى من القرآن الكريم كقوله تعالى : « هو اللهُ الذي لا إلهَ إلاّ هو المَلِكُ القدّوسُ السّلامُ المؤمنُ المهيمنُ العزيزُ الجبارُ المتكبرُ » (٥) . ولا يخرج كلام الزركشي عن كلام السابقين وإن أضاف : « وأكثر ما يؤخذ في الصفات ومقتضاها ألاّ يعطف بعضها على بعض لاتحاد محلها ويجري مجرى الوصف في الصدق على ما صدق » (٦) .

وهذا ما سماه غير المتقدمين « الأعداد » قال الحموي : « هذا النوع أعني التعديد ذكره الامام فخرالدين الرازي وغيره وسماه قوم الأعداد » (٧) ، ويبدو من هذا الكلام ان التعديد أو الأعداد من استخراج الرازي غير ان الثعالبي والوطواط ذكراه قبله .

ولم يخرج الآخرون عن كلام الرازي وسموه تعديداً أو سياقة الاعداد وسياقة العدد (٨) .

---

(١) حسن التوسل ص ٢٤٧ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٣٠ .
(٢) يتيمة الدهر ج ١ ص ٢١٢ . (٣) حدائق السحر ص ١٤٩ .
(٤) الفوائد ص ١٦٤ . (٥) الحشر ٢٣ .
(٦) البرهان ج ٣ ص ٤٧٥ . (٧) خزانة الأدب ص ٤١٦ .
(٨) معترك ج ١ ص ٣٩٧ ، الاتقان ج ٢ ص ٩٠ ، شرح عقود الجمان ص ١٤٩ ، حلية اللب ص ١٦٦ ، أنوار الربيع ج ٦ ص ١٢٨ .

الاعراض :

الاعراض عن الشيءِ : الصَّدُّ عنه ، وأعرض عنه : صدّ (١) .

وقد سماه ابن الزملكاني : « الاعراض عن صريح الحكم » وقال : « تيقظ لهذا الفن فانه دقيق السلك ، لبيق السبك ، ويجيءُ على وجوه شتى » (٢) ، ومن ذلك قوله تعالى: « وَمَنْ يَخْرُجْ من بيته مهاجراً الى الله ورسولِه ثم يُدْرِكه الموتُ فقد وَقَعَ أجْرُه على الله » (٣) . أعرض عن ذكر مقدار الجزاء والثواب وذكر ما هو معلوم مشترك بين جميع أعمال البر تضخيماً لمقدار الجزاء لما فيه من ابهام المقدار وتنزيلاً له منزلة ما قد علم ، فهو غير محتاج الى بيانه . وهذا على حد قوله — صلى الله عليه وسلم — : « انما الاعمال بالنيات ، وانما لامريءٍ ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله » . أعرض عن ذكر الجزاء الى اعادة الشرط تنبيهاً على وضوح ما ينال وتضخيماً لشأن ما أتى من العمل وصار السكوت عن مراتب الثواب أبلغ من بيانها . والى ذلك ذهب الزركشي ونقل كلام ابن الزملكاني (٤) .

الاعنات :

العنت : دخول المشقة على الانسان ولقاء الشدة ، يقال : أعنت فلانٌ فلانا إعناتاً إذا أدخل عليه عَنَتا أي مشقة ، والاعنات : تكليف غير الطاقة (٥) .

والاعنات في البلاغة من تسمية ابن المعتز الذي قال : « ومن إعنات الشاعر نفسه في القوافي وتكلفه من ذلك ما ليس له » (٦) قول الشاعر :

عصانيَ قومي والرشاد الذي بــه ... أمرتُ ومن يَعْصِ المجرّبَ يَنْدَمِ
فصبراً بني بكر على الموت انني ... أرى عارضا ينهــلّ بالموت والدمِ

وسماه بعضهم لزوم مالا يلزم ، والتضييق ، والتشديد ، والالتزام (٧) ، وذكر

(١) اللسان (عرض) . (٢) البرهان الكاشف ص ٣١٢ .
(٣) النساء ١٠٠ . (٤) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤١١ .
(٥) اللسان (عنت) . (٦) البديع ص ٧٤ . ويظر الغيث المسجم ج ١ ص ٧٢.
(٧) الوافي ص ٢٩٥ ، قانون البلاغة ص ٤٥٨ ، الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٦ ، الفوائد ص ٢٣٤ ، خزانة الأدب ص ٤٣٤ ، شرح عقود الجمان ص ١٥٥ ، أنوار الربيع ج ٦ ص ٩٣ .

ابن الاثير الحلبي أن تجاهل العارف يقال للاعنات (١) ،ولكن الفنين مختلفان وقد شاع في الكتب مصطلح « لزوم مالا يلزم » أكثر من شيوع مصطلح ابن المعتز ، والاثنان واردان وصحيحان ؛ لان الاعنات هو إلزام الشاعر نفسه بما لا ينبغي . قال ابن الأثير : « وهو من أشق هذه الصناعة مذهباً وأبعدها مسلكاً . ، وذلك لان مؤلفه يلتزم مالا يلزمه ، فان اللازم في هذا الموضع وما جرى مجراه انما هو السجع الذي هو تساوي أجزاء الفواصل من الكلام المنثور في قوافيها ، وهذا فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفاً واحداً وهو في الشعر أن تتساوى الحروف التي قبل روي الأبيات الشعرية »(٢) .

وزاد العلوي في تعريفه فقال : « ويقال له : الاعنات ، ويرد في المنظوم والمنثور من الكلام ، ومعناه في لسان علماء البيان أن يلتزم الناظم قبل حرف الروي حرفا مخصوصا أو حركة مخصوصة من الحركات قبل حرف الروي أيضا وهكذا القول في الردف فانه يجعله على حد حرف متماثل وهكذا إذا ورد في النثر يكون على هذه الطريقة. فحاصل الأمر في لزوم ما لا يلزم هو أن يلتزم حرفا مخصوصا قبل حرف الروي من المنظوم أو حركة مخصوصة » (٣) .

وقال الحلبي : « هو أن يعنت نفسه في التزام ردف أو دخيل أو حرف مخصوص قبل حرف الروي أو حركة مخصوصة » (٤) . وذكر النويري هذا التعريف (٥)

وقال ابن مالك : « الالتزام أن يلتزم المتكلم في السجع أو التقفية قبل حرف الروي ما لا يلزمه من مجيْ حرف بعينه أو حرفين أو أكثر ، ويحمد منه ما عدم الكلفة لدلالته على الاقتدار وقوة المادة » (٦) . وقريبٌ من هذا تعريفُ المصري الذي قال : « هو أن يلتزم الناثر في نثره أو الشاعر في شعره قبل رويّ البيت من الشعر حرفاً فصاعداً على قدر قوته وبحسب طاقته مشروطاً بعدم

(١) جوهر الكنز ص ٢٠٨ . (٢) المثل السائر ج ١ ص ٢٦٧ .
(٣) الطراز ج ٢ ص ٣٩٨ . (٤) حسن التوسل ص ٢٢٠ .
(٥) نهاية الارب ج ٧ ص ١١٣ .
(٦) المصباح ص ٨١ .

الكلفة » (١) ، وتعريف الحموي والسيوطي (٢) .

وقد ورد هذا الفن في القرآن الكريم (٣) إلا أنه يسير ، ومن ذلك قوله تعالى : « والطُّورِ وكتابٍ مسطور » (٤) ، وقوله : « فلا أقسِمُ بالخنّس الجواري الكُنّس » (٥) ، وقوله : « والليلِ وما وَسَقَ . والقمرِ إذا اتسق » (٦) ، وقوله : « فأما اليتيمَ فلا تقهرْ . وأما السائلَ فلا تنهرْ » (٧) .

ومن الشعر قول عروة بن أذينة :

إن التي زعمت فؤادك ملّها
خُلِقَتْ هواك كما خُلِقْتَ هَوى لها

بيضاءُ باكرها النعيمُ فصاغها
بِلباقةٍ فأدقّها وأجلّسَها

واذا وجدت لها وساوس سلوة
شَفَعَ الضمير الى الفؤادِ فسلّها

ومن التزام حركة الفتح قبل حرف الروي قول ابن الرومي :

لما تُؤذنُ الدنيا به من صروفها
يكون بكاءُ الطفل ساعةَ يُوْلَدُ

وإلاّ فما يبكيه منها وانّه
لأوْسَعُ مما كان فيه وأرْغَدُ

إذا أبصَرَ الدنيا استهلّ كأنه
بما سوف يلقى من أذاها يُهَدّدُ

---

(١) تحرير التحبير ص٥١٧ ، بديع القرآن ص ٢٢٧

(٢) خزانة ص ٤٣٤ ، معترك ج ١ ص ٥١ ، شرح عقود الجمان ص ١٥٥ .

(٣) ينظر تحرير ص ٥١٧ ، بديع القرآن ص ٢٢٧ ، خزانة ص ٤٣٥ ، معترك ج ١ ص ٥١ ، أنوار الربيع ج ٦ ص ٩ .

(٤) الطور ١ — ٢ .

(٥) التكوير ١٥ — ١٦ .

(٦) الانشقاق ١٧ — ١٨ .

(٧) الضحى ٩ — ١٠ .

وكان هذا الفن في العهود الاولى يأتي سهلاً منقاداً في البيتين والثلاثة ، وقد يأتي في العشرين كما في قصيدة كثير عزة التي يقول فيها :

خليليّ هذا ربعُ عزّةَ فاعقلا
قلُوصيكما ثم احلُلا حيثُ حلّتِ
وما كنت أدري قبْلَ عزّةَ ما البكا
ولا موجعات القلب حتى تولّتِ
هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامر
لعزة من أعراضنا ما استحلّت
فما أنا بالداعي لعزة بالجوى
ولا شامتٍ إنْ نَعْلُ عزّةَ زلّتِ
واني وتَهيامي بعزة بعدما
تخليت مما بيننا وتخلّت
لكا لمرتجي ظلّ الغمامة كلما
تبوأ منها للمقيل اضمحلّتِ

ولكن المتأخرين أسرفوا في استعماله ، ونظم ابو العلاء ديوانا سماه « اللزوميات » والتزم فيه بهذا الفن كل الالتزام. ومعظم البلاغيين لا يستسيغون الاعنات إذا جاء متكلفاً ، وقد قال الخفاجي : « وليس يغتفر للشاعر إذا نظم على هذا الفن لاجل ما ألزم نفسه ما لا يلزمه شيْ من عيوب القوافي ؛ لانه انما فعل ذلك طوعاً واختياراً من غير إلجاء ولا إكراه . ونحن نريد الكلام الحسن على أسهل الطرق وأقرب السبل وليس بنا حاجة الى المتكلف المطرح وان ادعى علينا قائله ان مشقةنالته وتعباً مرّ به في نظمه » (١) .

وفرق ابن الأثير بين المتكلف وغير المتكلف فقال : « أما المتكلف فهو الذي يأتي بالفكرة والروية وذلك أن يُنْضى الخاطر في طلبه ويبعث على تتبعه واقتصاص

---

(١) سر الفصاحة ص ٢١٢ .

أثره ، وغير المتكلف يأتي مستريحاً من ذلك كله ، وهو أن يكون الشاعر في نظم قصيدته أو الخطيب أو الكاتب في انشاء خطبته أو كتابه ، فبينا هو كذلك إذ سنح له نوع من هذه الأنواع بالاتفاق لا بالسعي والطلب . ألا ترى الى قول أبي نواس في مثل هذا الموضع :

اتْرُكِ الاطلالَ لا تعبأ بهـا
إنّها من كل بُؤْسٍ دانيه
وانْعتِ الراحَ على تحريمهـا
إنمـا دنياك دارٌ فانيـه
مِنْ عُقار مَنْ رآها قال لي :
صِيدَتِ الشمسُ لنا في آنيـه

وألحق بهذا الفن تصغير الكلمات الأخيرة من الشعر أو من فواصل الكلام المنثور كقول بعضهم :

عزّ على ليلى بذي سُـدَيْـر
سوءُ مبيتي ليلـة الضُمَيـر
مُقَضباً نفسيَ في طُمـير
تنتهز الرعـدةُ فـي ظُهيـري
يَهفـو اليّ الزور من صُديـري
ظمآن في ريح وفي مُطيـر
وازِرَ قرّ ليس بالغـريـر
مِن لَدُ ما ظُهَـيرِ الى سُحَير
حتى بدت لي جبهـة القُمـير
لأربع خلون مـن شُهيـر (١)

(١) المثل السائر ج ١ ص ٢٧٥ ؛ الجامع الكبير ص ٢٦٧ .

الاغارة :

أغار على القوم إغارة وغارة : دفع عليهم الخيل ، وقيل : الاغارة المصدر والغارة الاسم من الاغارة على العدو (١) .

والاغارة من السرقات ، قال الحاتمي : « وهو أن يسمع الشاعر المفلق والفحل المتقدم الأبيات الرائعة ندرت لشاعر في عصره وباينت مذاهبه في أمثالها من شعره ويكون بمذهب ذلك الشاعر المغير أليق وبكلامه أعلق فيغير عليها مصافحة ويستنزل شاعرها عنها قسراً بفضل الاغارة فيسلمها اليه اعتماداً لسلمه ومراقبة لحربه وعجزاً عن مساجلة يمينه » (٢) .

وقال ابن رشيق في باب السرقات : « الاغارة : أن يصنع الشاعر بيتاً ويخترع معنى مليحاً فيتناوله من هو أعظم منه ذكراً وأبعد صوتاً فيروى له دون قائله كما فعل الفرزدق بجميل وقد سمعه ينشد :

ترى الناسَ ما سِرْنا يسيرون خَلْفنا
وإنْ نحن أوْمأنا الى الناس وَقّفوا

فقال : متى كان الملك في بني عذرة ؟ إنما هو في مضر وأنا شاعرها ، فغلب الفرزدق على البيت ولم يتركه جميل ولا أسقطه من شعره ، وقد زعم بعض الرواة انه قال له : تجافَ لى عنه ، فتجافى جميل عنه ، والأول أصح . فما كان هكذا فهو إغارة ، وقوم يرون أن الاغارة أخذ اللفظ بأسره والمعنى بأسره ، والسَّرَق أخذ بعض اللفظ او بعض المعنى ، كان ذلك لمعاصر أو قديم » (٣) . ونقل الصنعاني هذا الكلام (٤) . وقال المظفر العلوي : « هي ادعاء اللفظ والمعنى من غير أن يفكر الشاعر او يتعنّى ، فما ذم شاعر في السرقات بأقبح منها »(٥) وقال : هي « أقبح وجوه السرقات وأشنعها وأدناها منزلة وأوضعها » (٦) .

---

(١) اللسان (غور) .
(٢) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٣٩ .
(٣) العمدة ج ٢ ص ٢٨٤ .
(٤) الرسالة العسجدية ص ٥٤ .
(٥) نضرة الاغريض ص ٤٤٥ .
(٦) نضرة الاغريض ص ٢١٧ .

ومن الاغارة ما قاله ذو الرمة : لقيت الفرزدق يوماً فقلت له : لقد قلت أبياتاً ، إن لها لعروضاً ، وان لها لمراداً ومعنى بعيداً . فقال لي : ما قلتَ ؟ قلت : قلت :

أحين اعاذت بي تميم نساءها
وجُرِّدْتُ تجريد اليماني من الغِمْدِ

ومدّت بضبعيّ الرباب ومالك
وعمرٌ وشالت من ورائي بنو سعد

ومن آل يربوع زُهاءٌ كأنها
دُجى الليل محمود النكاية والوِرْدِ

فقال له الفرزدق : لا تعودَنّ بها ، فأنا أحق بها منك . فقال : والله لا أعود فيها أبدا وما أرويها إلا لك فهي في قصيدة الفرزدق التي يقول فيها :

وكنّا إذا القيسيّ نبَّ عتوده
ضربناه فوق الانثيين على الكَرْدِ

وكان الاحوص بقباء فمر عليه موسى شهوات فأنشد قصيدة له حتى مرّ بهذا البيت :

وكذاك الزمان يذهب بالنا
س وتبقى الديارُ والآثارُ

فقال الاحوص على رويّها قصيدة أولها :

ضوء نار بدا لعينك أم شبّـ
ـتْ بذي الأثل من سلامةَ نارُ

فأدخل فيها هذا البيت فقال موسى شهوات : « ما رأيت مثلك يا أحوص ، أنشدتك قصيدة لي فذهبت بافضل بيت فيها فقال الأحوص : « والله ما هو لي ولا لك ، وما هو إلاّ للبيد حيث يقول :

وكذاك الزمان يذهب بالنا
س وتبقى الديارُ والآثارُ

فعفا آخرُ الزمان عليهـــم
فعلى آخرِ الزمـــان الديارُ (١)

الاغراب :

الاغراب هو الاستغراب وقد تقدم ، وذلك بان يأتي المتكلم بمعنى غريب نادر لم يسمع بمثله أو سمع وهو قليل الاستعمال . وسماه قوم النوادر (٢) .

الاغراق :

أغرق في الشيء : جاوز الحد ، وأصـــله من نزع السهم (٣) والاغراق فوق المبالغة ودون الغلو (٤) ، وقد سماه ثعلب « الافراط في الاغراق » (٥) ولم يعرفه كقول امريءٍ القيس :

وقد اغتدي والطيرُ في وكناتها بمنجردٍ قَيّدْ الأوابدِ هيكـــلِ

وذكر ابن المعتز « الافراط في الصفة » (٦) وسماه الرازي « الاغراق في الصفة »(٧) وهي تسمية الوطواط (٨) . وتحدث عنه العسكري في باب الغاو وقال : « الغلو تجاوز حد المعنى والارتفاع فيه الى غاية لا يكاد يبلغها » (٩) كقوله تعالى : « وبلغتِ القلوبُ الحناجرَ (١٠) » وقول الشاعر :

يتقارضون إذا التقوا في موطن نظراً يُزيل مواطنَ الأقْدامِ

وقال الحاتمي : « وبعضهم يسميه الغلو » ثم قال : « وجدت العلماء بالشعر يعيبون على أبيات الاغراق ويختلفون في استهجانها واستحسانها ويعجب بعض منهم بها وذلك على حسب ما يوافق طباعه واختياره ، ويرون أنها من إبداع الشاعر الذي يوجب الفضلة له . ويقولون : « إن أحسن الشعر أكذبه » وان الغلو

---

(١) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٣٩ — ٤١ .

(٢) ينظر نقد الشعر ص ١٧٠ ، البديع في نقد الشعر ص ١٣٢ ، تحرير التحبير ص ٥٠٦ ، بديع القرآن ص ٢٢٢ ، جوهر الكنز ص ٢٢٧ ، خزانة الادب ص ٢٢٣ ، أنوار الربيع ج ٥ ص ٣٣٨ .

(٣) اللسان (غرق) .وينظر المنصف ص٧٨ .

(٤) ينظر تحرير ص ٣٢١ .

(٥) قواعد الشعر ص ٤٠ .

(٦) البديع ص ٦٥ .

(٧) نهاية الايجاز ص ١١٤ .

(٨) حدائق السحر ص ١٧٥ .

(٩) كتاب الصناعتين ص ٣٥٧ .

(١٠) الاحزاب ١٠ .

انما يراد به المبالغة . قالوا : واذا أتى الشاعر من الغلو بما يخرج به عن الموجود ويدخل في باب المعدوم فانما يراد به المثل وبلوغ الغاية في النعت . واحتجوا بقول النابغة وقد سئل : مَنْ أشعر الناس ؟ فقال : « من استجيد كذبه وأضحك رديّه » . وقد طعن قوم على هذا المذهب لمنافاته الحقيقة ، وانه لا يصحّ عند التأمل والفكرة » (١) .

وسماه ابن رشيق الغلو وقال إنّ من اسمائه : الاغراق والافراط (٢) ، وربط بين الغلو والاغراق في المعنى ، فالأول مشتق من « المغالاة ومن غلوة السهم وهي مدى رميته » والثاني « أصله في الرمي وذلك أن تجذب السهم في الوتر عند النزع حتى تستغرق جميعه بينك وبين حنية القوس » . ثم قال : « وهذه التسمية تدل على ما نحوت اليه وأشرت نحوه »(٣) . وقال : إن « أحسن الاغراق ما نطق فيه الشاعر أو المتكلم بـ « كاد » أو ما شاكلها نحو « كأن » و « لو » و «لولا »(٤)

وفرّق المصري بين الاغراق والغلو فقال : « وقد رأيت من لا يفرق بين الغلو والاغراق ويجعل التسميتين لبابٍ واحد . وعندي ان معنى البابين مختلف كاختلاف اسميهما إلاّ ان الاغراق أصله في النزع وأصل الغلو بُعْدُ الرمية وذلك ان الرامي ينصب غرضا يقصد إصابته فيجعل بينه وبينه مدى يمكن معه تحقيق ذلك الغرض فاذا لم يقصد غرضا معينا ورمى السهم الى غاية ما ينتهي اليه بحيث لا يجد مانعا يمنعه من استيفاء السهم قوته في البعد سميت هذه الرمية غلوة ، فالغلو مشتق منها . ولما كان الخروج عن الحق الى الباطل يشبه خروج هذه الرمية عن حدّ الغرض المعتاد إلى غير حدّ سمّي غلوا » (٥) وقال ابن مالك عن الاغراق انه قسمان أحسنهما وأدخلهما في القبول ما اقترن به ما يقربه من حد الصحة كـ « قد » و « كاد » و « لو » و « لولا » وحرف التشبيه . وقال عن الغلو ان المقبول منه « ان لا يتضمن دعوى كون الوصف على مقدار غير ممكن الوصف بما هو خارج عن طباق الموصوف » (٦) .

---

(١) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٩٥ .
(٢) العمدة ج ٢ ص ٦٠ .
(٣) العمدة ج ٢ ص ٦٥ .
(٤) العمدة ج ٢ ص ٦٤ .
(٥) تحرير التحبير ص ٣٢٣ .
(٦) المصباح ص ١٠٣ .

ولكن معظم البلاغيين آثروا مصطلح « الاغراق » وقد قال ابن منقذ عنه : « هو أن يبالغ في الشيءْ بلفظه ومعناه » (١) ، وقال الحلبي : « وهو فوق المبالغة ودون الغلو » (٢) ، وقال عن الغلو : «ومنهم من يجعله هو والاغراق شيئا واحد». (٣) وذكر النويري مثل ذلك (٤) .

وجمع ابن الاثير الحلبي الاغراق والغلو والمبالغة في باب واحد وقال : « هي ثلاث تسميات متقاربة وردت في باب واحد لقرب بعضها من بعض » (٥) ، وقال في الاغراق : « هو الزيادة في المبالغة حتى يخرجها عن حدها » . وفي الغلو : « هو زيادة في الخروج عن الحد » . وفي المبالغة : « بلوغ القصد في المعنى من غير تجاوز في الحد » . ومثل للاغراق بقول ابن المعتز :

صَبَبْنا عليها ظالمينَ سياطنا   فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرْجُلُ

وللغلو بقول الشاعر :

تظل تحفر عنه إنْ ضربْتَ به   بعد الذراعين والساقين والهادي

وللمبالغة بقول الآخر :

تصرَّمَ الدهرُ لا وَصْلٌ فيطمعني   فيما لديك ولا نَأْيٌ فيسليني

وكيف أعجب من عصيان قلبك لي   يوما إذا كان قلبي فيك يعصيني

والاغراق عند العلوي أحد أنواع المبالغة وقد قال عنه إنه « ما كان ممكن الوقوع لكنه ممتنع وقوعه في العادة » (٦) كقول المتنبي :

كفى بجسمي نُحولاً انني رجُلٌ   لولا مخاطبتي إياك لم ترَني

وحصر القزويني المبالغة في التبليغ والاغراق والغلو لان « المدعي للوصف من الشدة أو الضعف اما أن يكون ممكناً في نفسه أو لا ، الثاني الغلو ، والاول اما أن يكون ممكناً في العادة أوْ لا ، الاول التبليغ ، والثاني الاغراق »(٧) . وذكر للاغراق قول الشاعر :

---

(١) البديع في نقد الشعر ص ٨٣ .
(٢) حسن التوسل ص ٢٧٦ .
(٣) حسن التوسل ص ٢٧٦ .
(٤) نهاية الارب ج ٧ ص ١٤٩ .
(٥) جوهر الكنز ص ١٣٥ .
(٦) الطراز ج ٣ ص ١٢٧ .
(٧) الايضاح ص ٣٦٥ ، التلخيص ص ٣٧٠ .

ونكرِمُ جارَنا ما دام فينا ونتبعه الكرامةَ حيثُ مالا

وتبعه في ذلك شراح تلخيصه والسيوطي (١) . ووضع الحموي الاغراق فوق المبالغة ودون الغلو وقال عنه : « هو في الاصطلاح افراط وصف الشيء بالممكن البعيد وقوعه عادة » (٢) ، وقال المدني : « الاغراق هو أن تدعي لشيء وصفا بالغاً حدّ الامكان عقلا والاستحالة عادة » (٣) .

ومن الاغراق الى جانب ما تقدم قول امرئ القيس :

تنوّرتها من أذرعاتٍ وأهلها بيثرب أدنى دارِها نَظَرٌ عـالِ

فان اذرعات في الشام ويثرب في الحجاز ، وبينهما ما بينهما من الجبال .

وقول ابن الفارض :

كأني هلالُ الشكّ لولا تأوهي خفيت فلم تُهْدَ العيونُ لرؤيتي

وقول مجنون ليلى :

ألا إنما غادرت يا أمّ مالكٍ صَدَى أينما تَذْهَبْ به الريح يَذْهَبِ

وقول بشار :

في حلتي جِسْمُ فتى ناحلٍ لو هَبّت الريحُ به طاحا

افتتاحات الكلام :

هي الابتداء أو حسن الابتداء أو حسن الافتتاح ، وهذه تسمية التنوخي الذي قال : « وأما افتتاحات الكلام وخواتمه فينبغي لمن نظم شعراً أو ألف خطبة أو كتاباً ان يفتتحه بما يدل على مقصوده منه ويختمه بما يشعر بانقضائه ، وان يقصد ما يروق من الالفاظ والمعاني لاستمالة سامعيه اليه » (٤) .

الافتنان :

يفنن الرجل الكلام أي يشتق في فن بعد فن ، ورجل مفن : يأتي بالعجائب وامرأة مفنة ، وافتن الرجل في حديثه وفي خطبته إذا جاء بالافانين وهو مثل اشتق .

---

(١) شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٦٠ ، المطول ص ٤٣٤ ، الاطول ج ٢ ص ٢٠٧ ، شرح عقود الجمان ص ١٢٢ ، حلية اللب ص ١٤١ . (٢) خزانة الادب ص ٢٢٧ .

(٣) أنوار الربيع ج ٤ ص ٢١٩ . (٤) الأقصى القريب ص ٨٥ .

وافتن الرجل في كلامه : اذا توسع وتصرف ، وافتن : أخذ في فنون من القول.(١)

والافتنان من الفنون التي ابتدعها المصري وقال عنه : « ان يفتن المتكلم فيأتي بفنين متفاوتين من فنون الكلام في بيت واحد أو جملة واحدة مثل النسيب والحماسة والهجاء والهناء والعزاء » (٢). كقوله تعالى : « ثم نُنَجّي الذينَ اتّقَوا ونَذَرُ الظالمين فيها جِثِيّا »(٣) فقد جمعت هذه اللفظات التي هي بعض آية الوعد والوعيد والتبشير والتحذير . وقوله : « كلٌّ من عليها فان. ويبقى وجهُ ربك ذو الجلال والاكرام » (٤) . فقد جمعت هاتان الآيتان التعزية والفخر .

ومنه قول عبدالله بن طاهر بن الحسين .

أحبك يا ظلومُ وأنت عندي ... مكان الروح من جَسَد الجبانِ
ولو أني أقول مكان روحي ... خشيت عليك بادرةَ الطعانِ

وقول أبي نواس للعباس بن الفضل بن الربيع يعزيه بالرشيد ويهنئه بالأمين :

تعزّ أبا العباس عن خير هالك ... بأكرمِ حيّ كان أوْمَنْ هو كائنُ
حوادثُ أيام تدور صروفُها ... لهنّ مساوي مرة ومحاسنُ
وفي الحي بالميْتِ الذي غيّب الثرى ... فلا أنت مغبونٌ ولا الموتُ غابنُ

فقد جمع بين التعزية والتهنئة .

ولم يخرج الآخرون كالحلبي والنويري والسبكي والحموي والسيوطي والمدني (٥) عن هذه الدلالة والأمثلة وان زاد المدنّي أمثلة أخرى ، من ذلك قول عنترة الذي ذكر النسيب والحماسة في قوله :

إن تُغْدِ في دوني القناعَ فانني ... طَبٌّ بأخْذِ الفارِسِ المُسْتَلْئِمِ (٦)

فأول البيت نسيب وآخره حماسة .

---

(١) اللسان (فنن) . (٢) تحرير التحبير ص ٥٨٨ ، بديع القرآن ص ٢٩٥ .
(٣) مريم ٧٢ . (٤) الرحمن ٢٦ – ٢٧ .
(٥) حسن التوسل ص ٣٠٩ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٧٣ ، عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٠ ، خزانة ص ٦١ ، معترك ج ١ ص ٣٨٨ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٧ ، شرح عقود الجمان ص ١٣٦ ، أنوار الربيع ج ١ ص ٣٢٠ .
(٦) أغدفت المرأة القناع على وجهها : أرسلته . المستلئم : الذي لبس لأمة الحرب وهي الدرع.

ومن الافتنان بالهجو والمدح قول ربيعة في يزيد بن حاتم يفضله على يزيد بن أسيد وكان في لسانه تمتمة فعرّض بها في هذه الأبيات :

لشتان ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سليم والأغرّ ابن حاتمِ
فهَمّ الفتى الازديّ إتلافُ ماله ... وهمّ الفتى القيسي جَمْعُ الدراهمِ
فلا يَحْسَبِ التمتامُ أني هجوته ... ولكنني فضلّتُ أهْلَ المكارمِ

ومن أمثلته قول الشريف الرضي جامعا بين الحماسة والمدح والهجو تعريضا لا تصريحا :

ما مقامي على الهوان وعندي ... مِقوَلٌ صارمٌ وأنف حميٌّ
وإباء محلّق بي عن الضيـ ... ـم كما راغ طائر وحشيّ
أيّ عذر له الى المجد إن ذلـ ... ـلَ غلام في غمده المشرفيُّ
ألبسُ الذلّ في ديارِ الأعادي ... وبمصْرَ الخليفةُ العلويُّ
مَنْ أبوه أبي ومولاه مولا ... يَ إذا ضامني البعيدُ القصيّ
لَفَّ عِرقي بعرقه سيدا النا ... س جميعا محمدٌ وعليٌّ
إنّ ذلي بذلك الجو عزّ ... وأوامي بذلك النقع ريّ
قَد يذل العزيزُ ما لم يشمر ... لانطلاقٍ وقد يُضام الأبيُّ
إنّ شراً عليّ اسراع عزمي ... في طلاب العلى وحظي بطيّ
أرتضي بالاذى ولم يقف العز ... م قصوراً ولم تعز المطيّ
تاركاً أسرتي رجوعاً الى حيْـ ... ـثُ غَديري قَذٍ ورعيي وبيٌّ
كالذي يخبط الظلام وقد أقْـ ... ـمَرَ من خلفه النهارُ المضيّ

ومن ذلك قول أبي الفتيان محمد بن حيوس يخاطب نصر بن محمود صاحب حلب مهنياً له بالملك ومعزيا له في أبيه :

صبرنا على حكم الزمان الذي سطا ... على أنه لولاك لم يكن الصَّبْرُ
عرانا ببوسى لا يماثلها الأسى ... تقارن نعمى لا يقابلها شُكْرُ

الافراط :

يقال : أفرط في الأمر : أسرف وتقدم ، والافراط : إعجال الشيء في الأمر قبل التثبت ، يقال : أفرط فلان في أمره أي عجّل فيه . وأفرط عليه : حمله فوق ما يطيق ، وكل شيء جاوز قدره فهو مُفْرِط ، والافراط : الزيادة على ما أمرت(١)

وقد قيل للاصمعي : من أشعر الناس ؟ قال : من يأتي الى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه حسنا ، ويأتي الى المعنى الكبير فيجعله بلفظه خسيسا (٢) ، وذلك عن طريق المبالغة والافراط في الصفة . وذكر الجاحظ الافراط في الصفة وقال : « وإذ قد ذكرنا شيئا من الشعر في صفة الضرب والطعن فقد ينبغي أن نذكر بعض ما يشاكل هذا الباب من إسراف مَنْ أسرف واقتصاد من اقتصد . فاما مَنْ أفرط فقول مهلهل :

فلولا الريحُ أَسْمَعَ مَنْ بحجر صَليلَ البيضِ تُقْرَعُ بالذكورِ(٣)

وهذا ما ذكره قدامة فيما بعد وأدخله في المبالغة (٤)

ومن أشعار المقتصدين في الشعر قول بعضهم :

تركت الركاب لأربابها فأجهدت نفسي على ابن الصعق

جعلت يديّ وشاحاً له وبعض الفوارس لا يعتنق

وممن صدق على نفسه عمرو بن الاطنابة حيث يقول :

واقدامي على المكروه نفسي وضربي هامةَ الرجل المشيحِ

وقولي كلما جَشَأت وجاشَتْ مكانَكِ تُحمَدي أو تستريحي(٥)

وتحدث ابن قتيبة عن ذلك واستحسن المبالغة والافراط في الاستعارة وقال : « وكان

---

(١) اللسان (فرط) .وينظر المنصف ص ٨١

(٢) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٦ ، العمدة ج ٢ ص ٥٧ .

(٣) الحيوان ج ٦ ص ٤١٨ . (٤) نقد الشعر ص ٦٢ ، ٢٤٣ .

(٥) الحيوان ج ٦ ص ٤٢٥ .

بعض أهل اللغة يأخذ على الشعراء أشياء من هذا الفن وينسبها فيه الى الافراط وتجاوز المقدار ، وما أرى ذلك إلا جائزاً حسنا » (١) . وأشار المبرد الى الافراط في قول الشاعر :

فلو أنّ ما أبقيت مني معلق   بعود ثُمامٍ ما تأوّدَ عودُها

وقال : إن هذا متجاوز « وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة ونبه فيه بفطنته على ما يخفى عن غيره وساقه برصف قوي واختصار قريب » (٢) .

وأشار ثعلب الى الإفراط في الغلو وذكر له أمثلة (٣) كقول النابغة :

وانك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ   إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهن كوكبُ

وذكر ابن المعتز الافراط في الصفة وعدّه من محاسن الكلام (٤) . وتحدث عنه قدامة في باب المبالغة (٥) ، وتكلم عليه القاضي الجرجاني فقال : « فاما الافراط فمذهب عام في المحدثين وموجود كثير في الاوائل ، والناس فيه مختلفون فمستحسن قابل ومستقبح رادّ ، وله رسوم متى وقف الشاعر عندها ولم يتجاوز الوصف حدّها جمع بين القصد والاستيفاء وسلم من النقص والاعتداء ، فاذا تجاوزها اتسعت له الغاية وأدته الحال الى الاحالة ، وانما الاحالة نتيجة الافراط وشعبة من الاغراق ، والباب واحد ، ولكن له درج ومراتب . فاذا سمع المحدث قول الأول :

ألا إنما غادَرْتِ يا أمَّ مالكٍ   صَدًى أينما تَذْهَبْ به الريحُ يَذْهَبِ

وقول آخر من المتقدمين :

ولو أنّ ما أبقيتِ مني معلّق   بعُودِ ثُمامٍ ما تأوّدَ عـودُهـا

جَسَرَ على أن يقول :

أسرُّ إذا نَحَلْتُ وذابَ جسمي   لعلَّ الريحَ تَسْفي بي اليـه (٦)

وبدأ هذ الفن يدخل الدراسات البلاغية ، فتحدث عنه ابن رشيق في باب الغلو

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ١٣١ .

(٢) الكامل ج ١ ص ٢٥٣ ، وينظر العمدة ج ٢ ص ٦١ .

(٣) قواعد الشعر ص ٤٠ .

(٤) البديع ص ٦٥ .

(٥) نقد الشعر ص ١٦٠ .

(٦) الوساطة ص ٤٢٠ .

والإغراق(١)،وعرّفه ابن الاثير بقوله : « واما الإفراط فهو الإسراف وتجاوز الحد ، يقال : أفرط في الشيْ إذا أسرف وتجاوز الحد » (٢) . وفرّق بينه وبين التفريط فقال: « أما التفريط والإفراط فهما ضدان أحدهما أن يكون لمعنى المضمر في العبارة دون ما تقتضيه منزلة المعبّر عنه . والآخر أن يكون المعنى فوق منزلته » .

وعقد ابن الزملكاني فصلاً لفن سماه « الافراط والنزول » وقال : « إن هذا الغرض لا يوصف قاصده بالكذب إذ كان غرضه معلوماً وكان متجوزاً في مقاله غير قاصد الى البتّ به والقطع بمقتضاه » (٣) . ومثل له ببعض كلام الله من ذلك قوله : « وما أمرُ الساعة إلاّ كلمحِ البصر أو هو أقرب » (٤) . وعقد المصري بابا سماه « الافراط في الصفة » وقال : « وهو الذي سمّاه قدامة المبالغة ، وسماه مَنْ بعده التبليغ ، واكثر الناس على تسمية قدامة لانها أخف وأعرف » (٥) وتحدث في هذا الباب عن المبالغة بمعناها العام وقال انها جاءت في كتاب الله العزيز .

وقال القرطاجني : « هو أن يغلو في الصفة فيخرج بها عن حد الامكان الى الامتناع والاستحالة »(٦) . ولخص التنوخي وابن الجوزية وابن الأثير الحلبي ما ذكره ابن الأثير (٧) ، وقال الحلبي والنويري إن « المبالغة تسمى التبليغ والافراط في الصفة » (٨) . وسار العلوي على خطى ابن الأثير وقال إن الافراطَ الزيادةُ عن الحد أو هو « تجاوز الحد في المدح والذم وغيرهما من المقاصد » (٩) وقال إن في الاقتصاد مذهبين :

---

(١) العمدة ج ٢ ص ٦٠

(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٣١٦ ، الجامع الكبير ص ٢٢٦ .

(٣) البرهان الكاشف ص ٣١٠ . (٤) النحل ٧٧ .

(٥) تحرير التحبير ص ١٤٧ ، بديع القرآن ص ٥٤ .

(٦) منهاج البلغاء ص ٧٦ .

(٧) الأقصى القريب ص ١٠٠ ، الفوائد ص ٢٠٨ ، جوهر الكنز ص ١٣٩ .

(٨) حسن التوسل ص ٢٣٤ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٢٤ .

(٩) الطراز ج ٢ ص ٢٩٩ ، ٣١١ .

الاول : جوازه ، وقالوا : « إن أحسن الشعر أكذبه » بل أكذبه يكون أصدقه.

والثاني : منعه بعضهم وزعم أن للأمر حدوداً ونهايات مما يدخل تحت الامكان فاما ما كان من الأمور مما لا يدخل تحت الامكان ولا يعقل وجوده فلا وجه له .

وجوّزه العلوي على كل أحواله لانه « إذا كان جائز الوجود فهو معجب لا محالة لاشتماله على المبالغة في المدائح وأنواع الذم وان لم يكن جائز الوجود فالاعجاب به أشد والملاحة فيه أدخل ، وقد ورد مثل ذلك في كتاب الله تعالى» (١) .

ومن أمثلة الافراط قول عنترة :

وأنا المنية في المواطن كلهـــا ... والطّعْنُ مني ســائقُ الآجــالِ

وقول بشار :

إذا ما غَضِبْنا غَضْبَةً مُضَرِيّةً ... هَتَكْنا حجابَ الشمس أو قطّرت دما

وقول المتنبي :

كأنّ الهامَ في الهيجا عيونٌ ... وقد طبعت سيوفك من رقـــادِ

وقد صغت الأسنة من همـــوم ... فما يخطرْنَ إلاّ فـــي فــؤادِ

وقول أبي نواس

وأخَفْتَ أهلَ الشّرْكِ حتى أنّه ... لتخافُكَ النُّطَفُ التي لم تُخلَقِ

الافراط في الاستعارة :

هو الخروج عن حد الاستعمال والعادة ، وكان أبو تمام قد اتهم بذلك لانه خرج على عمود الشعر في الاستعارة ، ولذلك قال الآمدي : « إن للاستعارة حداً تصلح فيه اذا جاوزته فسدت وقبحت » . (٢) وقال : « وإنما استعارت العرب المعنى لما ليس هو له إذا كان يقاربه أو يناسبه أو يشبهه في بعض أحواله أو كان سبباً من أسبابه فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استعيرت له وملائمة لمعناه » (٣) .

وعابوا المتنبي لانه يفرط أحيانا في الاستعارة (٤) ، وان كان لا يخرج على

---

(١) الطراز ج ٢ ص ٣١٢ .

(٢) الموازنة ج ١ ص ٢٥٩ .

(٣) الموازنة ج ١ ص ٢٥٠ .

(٤) الوساطة ص ٤٢٩ .

عمود الشعر كأبي تمام .

ومن قبيح استعارات أبي تمام قوله :

يا دهرُ قوّمْ من أخدعيك فقد أضْجَجتَ هذا الأنامَ من خُرُقِكَ (١)

وقوله :

فضربْتَ الشتاء في أخدعيــه ضَرْبَةً غادرته عَوْداً ركوبا (٢)

وقوله :

تروح علينا كل يوم وتغتدي خطوبٌ كأنّ الدهر منهن يصرعُ

ومن افراط المتنبي في الاستعارة قوله :

مسرّة في قلوب الطيب مفرقها وحسرة في قلوب البيض واليَلَبِ (٣)

وقوله :

تجمعتْ في فــؤاده هِمَمٌ ملْ فــؤادِ الزمان إحداها

ولكن هذا اللون من الاستعارات ليس محظوراً على الشاعر إذا كان مثل المتنبي أو أبي تمام .

الاقتباس :

يقال : قبست منه ناراً أقبس قبساً فأقبسني أي : أعطاني منه قبساً ، وكذلك اقتبست منه ناراً واقتبست منه علماً أيضاً أي : استفدته (٤) .

فالاقتباس هو الأخذ والاستفادة ، وقد عرف هذا اللون من الأخذ منذ عهد مبكر وكانوا يسمون الخطبة التي لا توشّح بالقرآن الكريم بتراء . وروى الجاحظ عن عمران بن حطان انه قال : « إن أول خطبة خطبتها عند زياد — أو عند ابن زياد — فاعجب بها الناس وشهدها عمي وأبي ، ثم اني مررت ببعض المجالس فسمعت رجلاً يقول لبعضهم : هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيٌ من القرآن » (٥) .

---

(١) الاخدعان ؛ مثنى الأخدع ، وهما عرقان في صفحتي العنق . الخرق ؛ الحمق .

(٢) العود ؛ المسن من الابل . (٣) اليلب ؛ الدروع تتخذ من الجلود

(٤) اللسان (قبس) وللثعالبي كتاب « الاقتباس من القرآن الكريم ».

(٥) البيان ج ٢ ص ١١٨ ، والرواية في ج ٢ ص ٦ أيضاً .

وقد عـرّف الرازي الاقتباس بقوله : « هو أن تدرج كلمة من القرآن أو آية منه في الكلام تزييناً لنظامه وتضخيماً لشأنه » (١) .

وقال الحلبي : « هو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث ولا ينبّه عليه للعلم به » (٢) ، وذكر مثل ذلك النويري (٣) .

وقال ابن الجوزية : « ويسمى التضمين ، وهو أن يأخذ المتكلم كلاماً من كلام غيره يدرجه في لفظه لتأكيد المعنى الذي أتى به أو ترتيب ، فان كان كلاماً كثيراً أو بيتاً من الشعر فهو تضمين وان كان كلاماً قليلاً أو نصف بيت فهو ايداع » (٤) وعرفه القزويني بمثل ما عرفه الحلبي والنويري وأضاف قائلا : « لا على انه منه » (٥) . كقول الحريري : « فلم يكن إلاّ كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فاغرب » ، والاقتباس من الآية السابعة والسبعين من سورة النحل وهي : « وما أمْرُ الساعةِ إلاّ كلمْحِ البَصَر أو هو أقربُ » .

ومنه قول الحماسي :

إذا رمت عنها سلوة قال شافع — من الحب ميعاد السلوّ المقابرُ
ستبقى لها في مضمر القلب والحشا — سريرةُ ودٍ يوم تبلى السرائرُ

والاقتباس من الآية التاسعة من سورة الطارق وهي : « يَوْمَ تَبْلَى السّرائِرُ » .

والاقتباس منه ما لا ينتقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الاصلي الى معنى آخر كما تقدم ، ومنه بخلاف ذلك كقول ابن الرومي :

لئن أخطأت في مدحـ — ـك ما أخطأت في منعي
لقد أنزلت حاجاتي — « بوادٍ غير ذي زَرْع »

والاقتباس من الآية السابعة والثلاثين من سورة ابراهيم وهي : « ربّنا إني أسْكَنْتُ من ذُريّتي بوادٍ غير ذي زَرْعٍ عند بيتك المُحَرَّمِ ، ربّنا ليُقيموا الصلاةَ فاجْعَلْ أفئدةً من الناس تَهْوي اليهم وارْزُقْهم من الثمراتِ لعلّهم يَشكُرُون » .

---

(١) نهاية الايجاز ص ١١٢ ، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٩ .
(٢) حسن التوسل ص ٣٢٣ .
(٣) نهاية الارب ج ٧ ص ١٨٢ .
(٤) الفوائد ص ١١٧ .
(٥) الايضاح ص ٤١٦ ، التلخيص ص ٤٢٢ .

ولا بأس بتغيير يسير لأجل الوزن أو غيره (١) كقول بعضهم عند وفاة بعض أصحابه :

قــد كان ما خفت أن يكــونا إنــا الى الله راجعــونــا

والاقتباس من الآية ١٥٦ من سورة البقرة ، وهي : « الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنّا لله وإنا اليه راجعون » .

وقول عمر الخيام :

سَبَقْتُ العالمين الى المعالي بصائبِ فكرة وعلوّ همّـــه
ولاح بحكمتي نورُ الهدى في ليالٍ للضلالة مُدلهمـــه
يريد الجاهلون ليطفؤوه « ويأبى الله إلاّ أن يُتمّه »

والاقتباس من الآية الثانية والثلاثين من سورة التوبة ، وهي : « يُريدون أن يُطفئوا نورَ الله بافواههم ويأبى الله إلا أن يتمّ نورَه ، ولو كرِه الكافرون » .

وكقول الآخر :

فلو كانت الأخلاق تحوي وراثةً ولو كانتِ الآراء لا تَتَشَعّبُ
لأصبح كلُّ الناس قد ضمّهم هوى كما أنّ كلّ الناس قد ضمّهم آب
ولكنها الأقدارُ كلٌّ مُيَسّرٌ لما هو مخلوقٌ له ومقرّبُ

اقتبس من لفظ الحديث الشريف : « اعملوا ، كل ميسّر لما خلق له » .

وسار المتأخرون في هذا السبيل كالسبكي والتفتازاني والسيوطي والاسفراييني والمغربي (٢) ، غير ان الحموي ذكر رأياً جديداً نسبه الى العلماء وهو أن جعل الاقتباس نوعين : فما قام به الناثرون من الخطباء والمنشئين يسمى الاقتباس ، وما يتم على أيدي الشعراء في أشعارهم يسمى التضمين . وذلك ان العلماء في هذا الباب قالوا : « ان الشاعر لا يقتبس بل يعقد ويضمن ، وأما الناثر فهو الذي يقتبس

---

(١) الايضاح ص ٤١٩ ، التلخيص ص ٤٢٣ .

(٢) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٣ ، ٥٠٩ ، المطول ص ٤٧١ ، المختصر ج ٤ ص ٥٠٩ ، الاتقان ج ١ ص ١١٣ ، شرح عقود الجمان ص ١٦٦ ، الاطول ج ٢ ص ٢٥٠ ، مواهب ج ٤ ص ٥٠٩ .

كالمنشئ والخطيب » (١) .

وذكر الحموي أيضاً ان الاقتباس من كتاب الله على ثلاثة أقسام : مقبول ومباح ومردود . فالاول : ما كان في الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبي — صلى الله عليه وسلم — ونحو ذلك .

والثاني : ما كان في الغزل والرسائل والقصص .

والثالث : على ضربين :

أحدهما : ما نسبه الله تعالى الى نفسه ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه، كما قيل عن أحد بني مروان انه وقع على مطالعة فيها شكاية من عماله : « إنّ الينا إيابَهم . ثم إنّ علينا حسابَهم » (٢) .

والآخر : تضمين آية كريمة في معنى هزل لا يحسن ذكر مثاله (٣) . وهذا ما نقله المدني (٤) من شرح بديعية صفي الدين الحلي وذكره السيوطي ايضاً (٥) .

الاقتدار :

القَدْرُ والقدرة والمقدار : القوة ، وقَدَرَ عليه يقْدِر قُدرة ، واقتدر فهو قادر وقدير وأقدره الله عليه . والاقتدار على الشئ : القدرة عليه (٦) .

والاقتدار من الفنون التي ابتدعها المصري وقال في تعريفه : « هو أن يبرز المتكلم المعنى الواحد في عدة صور اقتداراً منه على نظم الكلام وتركيبه وعلى صياغة قوالب المعاني والأغراض ، فتارة يأتي به في لفظ الاستعارة وطوراً يبرزه في صورة الارداف وآونة يخرجه مخرج الايجاز ، وحينا يأتي به في ألفاظ الحقيقة » (٧) . وسماه في « تحرير التحبير » التصرف وعرفه بمثل هذا التعريف (٨) . كقول امرئ القيس يصف الليل :

---

(١) خزانة الادب ص ٤٤٤ .

(٢) الغاشية ٢٥ — ٢٦ .

(٣) خزانة الادب ص ٤٤٢ .

(٤) أنوار الربيع ج ٢ ص ٢١٨ .

(٥) شرح عقود الجمان ص ١٦٨ .

(٦) اللسان (قدر) .

(٧) بديع القرآن ص ٢٨٩ .

(٨) تحرير ص ٥٨٢ .

وايلٍ كموج البحر أرخى سدولَه
عليّ بأنواع الهموم ليبتلـي
فقلت له لمّا تمطّى بصُلْبِـه
وأرْدَفَ أعجازاً وناءَ بكلكـل

فانه ابرز هذا المعنى في لفظ الاستعارة ثم تصرف فيه فأتى به بلفظ الايجاز فقال :

فيا لكَ من ليل كأنّ نجومَه بكل مغار الفتْلِ شُدَّتْ بيذْبُلِ

ثم تصرّف فيه فأخرجه بلفظ الارداف فقال :

كأنَّ الثر يا عُلّقتْ في مصامها بأمراسِ كتّان الى صُمّ جَنْدَلِ

ثم تصرف فيه فعبر عنه بلفظ الحقيقة فقال :

ألا أيّها الليلُ الطويلُ ألا انجلي بصبحٍ وما الاصباحُ منك بأمثلِ

قال المصري : « ولا شبهة في أن هذا انما يأتي من قوة الشاعر وقدرته ، ولذلك أتت قصص القرآن الكريم في صور شتى من البلاغة ما بين الايجاز والاطناب واختلاف معاني الالفاظ » (١) .

ولخص السيوطي كلام المصري وسار على مذهبه في بحث هذا الفن وسماه الاقتدار (٢) .

الاقتسام :

هو افتعال من قولهم «اقتسم اقتساما وقاسم مقاسمة وقاسم قساماً إذا حلف»(٣) وقد أقسم بالله واستقسمه به وقاسمه : حلف له ، وتقاسم القوم . تحالفوا ، وفسر قوله تعالى : « كما انزلنا على المقتسمين » (٤) بانهم الذين تقاسموا وتحالفوا على كيد الرسول (٥) . وهو في البلاغة « أن يُحلف على شيْ بما فيه فخر أو مدح أو تعظيم أو تغزل أو زهو أو غير ذلك مما يكون فيه رشاقة في الكلام وتحسين له » (٦) . وهذا تعريف العلوي ، وذكر من الاقتسام خمسة أمور :

(١) تحرير ص ٥٨٣ ، بديع القرآن ص ٢٩٠ .
(٢) معترك الاقران ج ١ ص ٣٨٨ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٧ .
(٣) الطراز ج ٣ ص ١٥٣ .
(٤) الحجر ٩٠ .
(٥) اللسان (قسم) .
(٦) الطراز ج ٣ ص ١٥٣ .

الأول : الامتنان والفخر ، والامتنان كقوله تعالى : « فَوَرَبِّ السماءِ والأرْضِ إنّه لَحَقٌّ مثلما أنكم تَنْطِقُون » (١) . فامْتَنّ الله — تعالى — وأكد امتنانه بما يقرره من القسم .

والافتخار كقول الأشتر النخعي :

بَقّيتُ وفري وانحرفت عن العلى ... ولقيت أضيافي بوجهِ عبوسِ
إن لم أشُنّ على ابن هندٍ غارةً ... لم تخلُ يوماً من نِهاب نفوسِ

فضمّن هذا القسم على الوعيد ما فيه افتخار من الجود والشرف والسؤدد والشجاعة والبسالة .

الثاني : المدح والثناء كقول الشاعر :

آثار جودك في القلوب تؤثّرُ ... وجميلُ بشرك بالنجاح يبشّرُ
إنْ كان في أملٍ سواك أعدّه ... فكفرْتُ نعمتك التي لا تكفرُ

فهذا انما ورد ههنا على جهة المدح والثناء على الممدوح بما هو أهله .

الثالث : تعظيم القدر كقوله تعالى : « لعمرُك إنهم لفي سَكْرتهم يَعْمَهون »(٢)

ومنه قول عمر بن أبي ربيعة :

قالت وعيشِ أخي وحرمةِ والدي ... لأنبهنّ الحيّ إنْ لم تَخْرُجِ
فخرجتُ خيفةَ قولها فتبسّمتْ ... فعلمْتُ أن يَمينها لم تحرجِ
فضممتها ولثمتها وفديت مَنْ ... حلَفَتْ عليّ يمين غير المحرجِ

فقد حكى يمينها على جهة الاعظام لها ورفع القدر منها .

الرابع : ما يكون على جهة التغزل ، ومثاله ما قاله بعض الشعراء :

جنى وتجنّى والفؤاد يطيعه ... فلا ذاق من يجني عليّ كما يجني
فان لم يكن عندي كعيني ومسمعي ... فلا نظرت عيني ولا سمعت أذني

فقوله : « فان لم يكن عندي كسمعي » فيه دلالة على القسم وهو متضمن له على جهة التغزل والاعجاب .

---

(١) الذاريات ٢٣ . (٢) الحجر ٧٢ .

الخامس : أن يكون وارداً على جهة الزهو والطرب ومثاله قول الشاعر :

حلفت بمن سوّى السماء وشادها
ومن مرَج البحرين يلتقيانِ
ومن قام في المعقول من غير رؤية
بأثبت من إدراك كل عيانِ
لما خلقت كفاك الا لأربعٍ
عقائل لم يُعقل لهنّ ثوانِ
لتقبيل أفواهٍ وإعطاءِ نائلٍ
وتقليب هنديّ وحبْس عنانِ

فهذا وارد في القسم على جهة الاعظام في المديح والاطراء على ممدوحه واشادة ذكره واظهار أمره .

وسماه التبريزي القسم (١) ، قال البغدادي : « هو أن يقسم الشاعر أو يحلف غيره بأقسام تتعلق بغرضه المقصود معتمداً بذلك الابداع فيما ينظم » (٢) . وذكر له بيتي الأشتر النخعي : « بقيت وفري . . . » وقول أبي علي البصير معرضاً بعلي ابن الجهم :

أكذبت أحسن ما يظن مؤملي
وهدمت ما شادته لي أسلافي
وعدمت عاداتي التي عوّدتها
قدماً من الاتلاف والاخلاف
وصحبت أصحابي بعرض مُعْرِضٍ
متحكّم فيه ومالٍ وافي
وَغَضَضْتُ من ناري ليخفى ضوؤها
وقريت عذراً كاذباً أضيافي

(١) الوافي ص ٢٩٤ .
(٢) قانون البلاغة ص ٤٥٨ .

إن لم أشنّ على عليّ خـلـّـة
تُضحي قذى في أعيـن الأشرافِ

وقال المصري : «هو أن يريد الشاعر الحلف على شيْ فيحلف بما يكون له مدحاً وما يكسبه فخراً ، أو ما يكون هجاء لغيره أو وعيدا له أو جاريا مجرى التغزل والترقق » (١) أو «خارجاً مخرج الموعظة والزهد » (٢) . وذكر له الأمثلة السابقة للأقسام الخمسة وهي : الفخر والمدح والتعظيم والغزل والزهد .

وقال ابن مالك : « القسم ان تحلف على شيْ بما فيه من فخر أو مدح أو تعظيم أو تغزل او زهد أو غير ذلك » (٣) ، وهذا قريب من كلام المصري وتقسيماته . وقال الحلبي : « هو ان يريد الشاعر الحلف على شيْ فيأتي في الحلف بما يكون مدحا له وما يكسبه فخراً أو يكون هجاءاً لغيره أو وعيداً أو جارياً مجرى التغزل والترقق » (٤) . وذكر النويري هذا التعريف (٥) .

وقال ابن الأثير الحلبي : « حقيقة هذا الباب أن يريد الشاعر أن يحلف على شيْ فيحلف بما يكون له مدحاً وما يكسبه فخراً وما يكون تعريضاً لغيره » (٦) .

وقال السبكي : « هو الحلف على المراد بما يكون فيه تعظيم المقسم أو غير ذلك بما يناسبه » (٧)

وعرّفه الزركشي تعريفا نحويا فقال : « هو عند النحويين جملة يؤكد بها الخبر » (٨) ، وليس هذا ما قصد اليه البلاغيون .

ونفى الحموي أن يكون لهذا الفن كبير فائدة في البديع ، قال : « القسم أيضاً حكاية حال واقعة وليس تحته كبير أمر ولكن تقرر ان الشروع في المعارضة ملزم (٩) » ، وعرّفه بقوله : « هو أن يقصد الشاعر الحلف على شيْ فيحلف بما يكون له مدحاً وما يكسبه فخراً وما يكون هجاء لغيره » . وَرَدّ المدني هذا الكلام

---

(١) تحرير التحبير ص ٣٢٧ .
(٢) بديع القرآن ص ١١٢ .
(٣) المصباح ص ١٢٠ .
(٤) حسن التوسل ص ٢٧٧ .
(٥) نهاية الارب ج ٧ ص ١٥٠ .
(٦) جوهر الكنز ص ٣٠٧ .
(٧) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٦٩ .
(٨) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٠ .
(٩) خزانة الادب ص ١٤٥ .

بقوله : « وهذا غلط صريح منه فان القسم من أنواع الانشاء وحكاية الحال من نوع الاخبار ، ولكن ليس هذا بمستنكر من ابن حجة فان باعه قصير جداً في المسائل العلمية » (١).

وقال السيوطي : « هو أن يريد المتكلم الحلف على شيْ فيحلف بما يكون فيه فخر له أو تعظيم أو تنويه لقدره أو ذم لغيره أو جارياً مجرى الغزل والترفق أو خارجاً مخرج الموعظة والزهد » (٢) . وتحدث عنه في الانشاء وقال : « نقل القرافي في الاجماع على أنه انشاء وفائدته تأكيد الجملة الخبرية وتحقيقها عند السامع » (٣) .

فالاقتسام هو القسم ، ولكن العلوي انفرد بالمصطلح الأول في حين تردد الثاني في كتب البلاغة والنحو والأدب .

الاقتصاد :

القصْد في الشيْ : خلاف الافراط ، وهو ما بين الاسراف والتقتير ، واقتصد فلان في امره ، أي : استقام (٤) ، فالاقتصاد هو الاستقامة والاعتدال في الامور

وقد عرفه ابن الأثير بقوله : « أن يكون المعنى المضمر في العبارة على حسب ما يقتضيه المعبّر عنه في منزلته » (٥) .

ولخص التنوخي وابن الأثير الحلبي وابن الجوزيه كلام ابن الأثير (٦) ، ونقل العلوي كثيراً منه وقال في الاقتصاد : « ومعناه ان يكون المعنى المتدرج تحت العبارة على حسب ما يقتضيه المعبّر عنه مساويا له من غير زيادة فيكون افراطاً ، ولا نقصان فيكون تفريطاً » (٧) . كقوله تعالى : « هُدًى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويُقيمون الصلاةَ ومما رَزَقْناهم يُنفِقون . والذين يؤمنون بما أُنْزِلَ اليك

(١) أنوار الربيع ج ٣ ص ٢٠٩ .
(٢) معترك ج ١ ص ٤٠٨ ، الاتقان ج ٢ ص ٩٣ ، شرح عقود الجمان ص ١٣٩ .
(٣) معترك ج ١ ص ٤٤٩ .
(٤) اللسان (قصد) والمنصف ص ٩٠ .
(٥) المثل السائر ج ٢ ص ٣١٦ ، الجامع الكبير ص ٢٢٦ .
(٦) الاقصى القريب ص ١٠٠ ، جوهر الكنز ص ١٣٩ ، الفوائد ص ٢٢٦ .
(٧) الطراز ج ٢ ص ٣٠١ .

وما أُنزل من قَبْلِكَ وبالآخرة هم يُوقنون . اولئك على هُدًى من ربهم واولئك هم المفلحون » (١) .

فهذه الأوصاف على نهاية الاقتصاد والتوسط من غير إفراط ولا تفريط .

ومنه قول الفرزدق يمدح زين العابدين علي بن الحسين :

هذا الذي تعرِفُ البطحاءُ وَطْأَتَهُ
والبيتُ يعرفه والحلُّ والحَـرَمُ
هـذا ابنُ خيرِ عِبَـادِ الله كلّهم
هذا التقيّ النقيّ الطاهرُ العَلَمُ
يكاد يُمْسِكُـه عرفان راحـته
ركن الحطيم إذا ما جاء يَسْتلمُ

وقول البحتري :

فلو انّ مشتاقاً تكلّف فَوْقَ ما
فـي وِسْعِه لَسَعى اليك المِنْبَرُ

الاقتصاص :

قصّ آثارهم يقصها قصاً وقَصَصا وتقصصاً : تتبعها بالليل ، وقيل : هو تتبع الأثر أي وقت كان . ويقال : خرج فلان قصصاً في أثر فلان وقصاً وذلك اذا اقتصَّ أثره . وقيل : القاص يقصّ القصص لاتباعه خبراً بعد خبر وسوقه الكلام سوقاً (٢) .

والاقتصاص كما عرّفه ابن فارس« هو أن يكون كلام في سورة مقتصاً من كلام في سورة أخرى أو في السورة معها » (٣) كقوله تعالى : « وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين » (٤) ، والآخرة دار الثواب لاعمل فيها فهذا مقتص : من قوله : « ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجاتُ العلى » (٥)

---

(١) البقرة ٢ — ٥ .
(٢) اللسان (قصص) .
(٣) الصاحبي ص ٢٣٩ .
(٤) العنكبوت ٢٧ .
(٥) طه ٧٥ .

ونقل الزركشي هذا الباب من ابن فارس وأشار الى ذلك (١) ، وفعل مثله السيوطي (٢) .

وذكر العسكري الاقتصاص بمعنى سَوْق القصة ، قال : « واذا دعت الضرورة الى سوق خبر واقتصاص كلام فتحتاج الىأن تتوخى فيه الصدق وتتحرى الحق فان الكلام حينئذ يملكك ويحوجك الى اتباعه والانقياد له » (٣) . وكان ابن طباطبا قد ذكر اقتصاص الخبر او الحكاية عند كلامه على ما يضطر اليه الشاعر ، وقال : « على ان الشاعر إذا اضطر الى اقتصاص خبر في شعر دبره تدبيراً يسلس له معه القول ويطرد فيه المعنى فبنى شعره على وزن يحتمل أن يحشى بما يحتاج الى اقتصاصه بزيادة من الكلام يخلط به أو نقص يحذف منه ، وتكون الزيادة والنقصان يسيرين غير مخدجين لما يستعان فيه بهما وتكون الالفاظ المزيدة غير خارجة من جنس ما يقتضيه بل تكون مؤيدة له وزائدة في رونقه وحسنه (٤) » . ومثل له بقصيدة الأعشى فيما اقتصه من خبر السموأل والتي قال فيها :

كن كالسموأل إذْ طاف الهمام به

في جحفل كزهاء الليل جرار

ثم قال ابن طباطبا بعد الأبيات : « فانظر الى استواء هذا الكلام وسهولة مخرجه وتمام معانيه وصدق الحكاية فيه ووقوع كل كلمة موقعها الذي أريدت له من غير حشد مجتلب ولا خلل شائن ، وتأمل لطف الأعشى فيما حكاه في قوله : « أ أقتل ابنك صبراً أو تجيءُ بها » فاضمر ضمير الهاء في قوله : « واختار أدرعه أن لا يسب بها » فتلافى ذلك الخلل بهذا الشرح فاستغنى سامع هذه الأبيات عن استماع القصة فيها لاشتمالها على الخبر كله بأوجز كلام وأبلغ حكاية وأحسن تأليف وألطف إيماءة » (٥) .

وقال المصري : « هو ان يقتص المتكلم قصة بحيث لا يغادر منها شيئاً في

(١) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٢٩٧ .
(٢) الاتقان ج ٢ ص ٨٨ .
(٣) كتاب الصناعتين ص ١٤٧ .
(٤) عيار الشعر ص ٤٣ .
(٥) عيار الشعر ص ٤٥ .

ألفاظ قليلة موجزة جداً بحيث لو اقتصها غيره ممن لم يكن في مثل طبقته من البلاغة أتى بها في اكثر من تلك الالفاظ . واكثر قصص الكتاب العزيز من هذا القبيل كقصة موسى — عليه السلام — في طه ، فان معانيها أتت بألفاظ الحقيقة تامة غير محذوفة وهي مستوعبة في تلك الالفاظ . وقد رأيت أكثر العلماء على تقديم الأعشى في اقتصاصه قصة السموأل في أدرع امرئ القيس الشاعر التي أودعها عنده لما قصد قيصر ووفاء السموأل بها حتى سلمها لأهل امرئ القيس وبذل دونها دم ولده وهو يشاهده » (١) . ومن ذلك قول النابغة في اقتصاصه قصة الزرقاء للنعمان (٢) والتي منها :

فاحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرتْ ... الى حمام شراع واردِ الثّمَدِ

لقد تحدث المصري عن الاقتصاص في باب الايجاز ، ، وتحدث عنه في باب التنظير أيضاً (٣) ، وتكلم ابن فارس والزركشي والسيوطي عليه في فصول خاصة اتخذت من هذا المصطلح عنوانا .

الاقتضاب :

القضْب : القطع ، قضبه يَقْضِبه قضباً واقتضبه وقضّبه فانقضب وتقضّب : انقطع ، واقتضب الحديث : انتزعه واقتطعه ، واقتضاب الكلام : ارتجاله (٤) قال العسكري : « الاقتضاب أخذ القليل من الكثير ، وأصله من قولهم : « اقتضبت الغصن » إذا قطعته من شجرته ، وفيه معنى السرعة أيضاً » (٥) . والاقتضاب عند بعضهم (٦) الاشتقاق الذي تقدم . ولهمعنى آخر أشار اليه البلاغيون كابن الاثير وهو خلاف التخلص وذلك « أن يقطع الشاعر كلامه الذي فيه ويستأنف كلاماً آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك ولا يكون للثاني علاقة بالأول . وهو مذهب العرب ومن يليهم من المخضرمين ، وأما المحدثون فانهم تصرفوا

---

(١) تحرير التحبير ص ٤٥٩ . (٢) تحرير ص ٤٦٤ .
(٣) تحرير ص ٤٥٩ ، بديع القرآن ص ٢٣٩ .
(٤) اللسان (قضب) . (٥) كتاب الصناعتين ص ٣٩ .
(٦) حدائق السحر ص ١٠٣ ، الفوائد ص ٢٢٠ .

في التخلص فأبدعوا فيه وأظهروا منه كل غريبة »(١) . وقال التنوخي : « وأما الاقتضاب فالانتقــال من كلام الى غيره بكلمة تدل على الانتقــال من غير أن يعلق بعض الكلام ببعض ، وهو غالباً بقولهم : « أما بعد » وقولهم : « وبعد » وبكلمات كثيرة غيرهما . وقد سمي هذا « فصل الخطاب » ، وفصل الخطاب حقيقته هو تخليص المعاني بعضها من بعض والاتيان بكل شيءٌ في موضعه ومع ما يناسبه ولعله خلاصة علم البيان » (٢) .

وقال القزويني : « وقد ينتقل من الفن الذي شبب الكلام به الى ما يلائمه ويسمى ذلك الاقتضاب وهو مذهب العرب ومن يليهم من المخضرمين » (٣) . وألحق به ما ذكره التنوخي وهو « فصل الخطاب » وقال : « ومن الاقتضاب ما يقرب من التخلص كقول القائل بعد حمدالله : « أما بعد » ، قيل وهو « فصل الخطاب » (٤) كقوله تعالى : « هذا ، وإنّ للطاغين لشرَّمآب » (٥) ، وقوله : «هذا ذِكْرٌ ، وإنّ للمتّقين لحُسْنَ مآب »(٦) . ومنه قول الكاتب : « هذا باب» و « هذا فصل » . ولا يخرج عن ذلك البلاغيون الآخرون كالعلوي وابن قيم الجوزية والسبكي والتفتازاني والحموي والاسفراييني والمغربي (٧)

ومن بديع ما جاء في الاقتضاب قول البحتري يمدح الفتح بن خاقان بعد انخساف الجسر به في قصيدته التي مطلعها :

متى لاح بَرْقٌ أو بدا طَلَلٌ قَفْرُ
جَرى مستهلٌ لابكيءٌ ولا نَــزْرُ

وبعده :

---

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٢٥٩ ، الجامع الكبير ص ١٨١ .
(٢) الأقصى القريب ص ٨٤ . (٣) الايضاح ص ٤٣٣ ، التلخيص ص ٤٣٣ .
(٤) الايضاح ص ٤٣٤ ، التلخيص ص ٤٣٤ .
(٥) ص ٥٥ . (٦) ص ٤٩ .
(٧) الطراز ج ٢ ص ٣٤٧ ، الفوائد ص ١٤١ ، شروح التلخيص ج ٤ ص ٥٣٨ ، المطول ص ٤٨٠ ، الاطول ج ٢ ص ٢٥٨ ، خزانة الأدب ص ١٥٠ .

فتى لا يزال الدهر بين ربـــاعه
أيادٍ له بيضٌ وأفنيـــةٌ خُضْرُ

فبينا هو في غزلها إذ خرج الى المديح علىَ جهة الاقتضاب بقوله :

لعمرك ما الدنيا بنا قصـــة الجدا إذا بقي الفتح بن خاقان والقَـطْرُ

فخرج الى المديح من غير أن يكون هناك له سبب من الأسباب .

ومن ذلك ما قاله أبو نواس في قصيدته التي مطلعها :

يا كثيرَ النوْحِ في الدِمَنِ لا عليها بل على السَكَنِ

فضمنها غزلاً كثيرا ثم قال بعد ذلك :

تضحك الدنيا الى مَلِكٍ قام بالآثار والسّنَنِ
سَنّ للناس الندى فندوا فكأنّ المحْلَ لم يَكُنِ

قال العلوي : « وأكثر مدائح أبي نواس مؤسسة على الاقتضاب من غير ذكر التخلص » (١) . والاقتضاب عند السجلماسي هو « اقتضاب الدلالة » (٢) وهو اربعة انواع : التتبيع والكناية والتعريض والتلويح ، ولكل فن موضعه .

الاقتطاع :

القطع : إبانة بعض أجزاء الجرم من بعض فَصْلاً ، واقتطعه فانقطع وتقطّع (٣) أي : فصله ، والاقتطاع هو أخذ قطعة من الشيْ .

وكان ابن فارس قد عقد باباً باسم « القبض » وقال عنه : « ومن سنن العرب القبض محاذاة للبسط وهو النقصان من عدد الحروف (٤) » كقول القائل :

غرثى الوشاحين صموت الخلخل

أراد : الخلخال . وقول الآخر :

ليس شيْ على المنون بخالِ

أي : بخالد . وقال : « وهذا كثير في اشعارهم ، وما أحسب في كتاب الله — جلّ ثناؤه — منه إلاّ انه روي عن بعض القراء انه قرأ : « ونادوا يا مالِ » (٥)

---

(١) الطراز ج ٢ ص ٣٥٣ . (٢) المنزع البديع ص ٢٦٢ . (٣) اللسان (قطع) .
(٤) الصاحبي ص ٢٢٨ . (٥) الزخرف ٧٧ ، وفي القرآن الكريم : « ونادوا يامالك — » .

أي : يا مالك . والله أعلم بصحة ذلك » (١) .

وسماه السيوطي الاقتطاع ، وهو من أنواع الحذف عنده ، قال : « الحذف على أنواع : أحدها ما يسمى بالاقتطاع وهوحذف بعض حروف الكلمة ، وأنكر ابن الأثير ورود هذا النوع في القرآن . وردّ بان بعضهم جعل منه فواتح السور على القول بان كل حرف منها من اسم من اسمائه . وأدعى بعضهم ان الباء في « وامسحوا برؤوسكم » (٢) أول كلمة « بعض » ثم حذف الباقي . ومنه قراءة بعضهم : « ونادوا يا مال » بالترخيم ، ولما سمعها بعض السلف قال : ما أغنى أهل النار عن الترخيم .

وأجاب بعضهم انهم لشدة ما هم فيه عجزوا عن اتمام الكلمة . ويدخل في هذا النوع حذف « أنا » في قوله : « لكنّا هو الله ربي »(٣) الاصل : :« لكنِ أنا » حذفت همزة « أنا » تخفيفا وادغمت النون في النون »(٤) . وهذا قريب مما ذكره ابن فارس ، وهو من أنواع الحذف او الايجاز بالحذف .

الاقتناص :

قنص الصيد يقنِصه قنْصاً وقَنَصاً واقتنصه وتقنّصه : صاده ، والاقتناص : الاصطياد (٥) .

وقد ذكر السيوطي ان ابن فارس ذكره (٦) ، وليس الأمر كذلك وانما ذكر الاقتصاص وقال عنه :« هو أن يكون كلام في سورة مقتصا من كلام في سورة أخرى أو في السورة معها » (٧) . ولعل محقق كتاب « معترك الاقران في إعجاز القرآن » وقع في سهو ، وان أشار الى ذلك في الهامش ولكنه أثبت مصطلح « الأقتناص » وذكر تعريف ابن فارس للاقتصاص ، على الرغم من ان السيوطي ذكره باسم « الاقتصاص » في كتابه « الاتقان في علوم القرآن » (٨) ، وذكره

---

(١) الصاحبي ص ٢٢٩ . (٢) المائدة ٦ . (٣) الكهف ٣٨ .
(٤) الاتقان ج ٢ ص ٦١ . معترك الاقران ج ١ ص ٣١٩ . (٥) اللسان (قنص) .
(٦) معترك ج ١ ص ٣٩١ . (٧) الصاحبي ص ٢٣٩ . (٨) الاتقان ج٢ص٨٨.

الزركشي بهذا الاسم من قبل ونقل تعريف ابن فارس أيضاً (١) .
فالاقتناص هو الاقتصاص عند جميعهم ، ولكن مصطلح « الاقتصاص » أليق بمقام القرآن الكريم ، وقد تقدم الاقتصاص .

الاقحام :

قحم الرجل في الأمر : رمى بنفسه فيه من غير رويّة ، والاقحام : الارسال في عجلة (٢) ويقال : اقحم فلان نفسه بينهم إذا دخل بينهم .

وقد قال السبكي : « وهو يعلم مما سبق » (٣) ، ولم يفسر ذلك ، والذي سبق « الاشارة » التي تعني دلالة اللفظ القليل على المعنى الكثير أي انه من الايجاز ، وبذلك يكون الاقحام هو ادخال شيْ على الكلام مما يزيد عليه ، ولعله يريد شيئاً آخر ، ولكن البلاغيين لم يذكروا ذلك .

الاقسام :

الأقسام جمع قِسْم ولم يذكر هذا المصطلح إلا ابن منقذ الذي قال : « إن محاسن الشعر الأقسام الشريفة للمعاني اللطيفة » (٤) . وهذا تعريف أو قول يحتاج الى ايضاح لان الأمثلة التي ذكرها لا تحدد ذلك تحديداً دقيقاً . ومن باب الأقسام قول النابغة :

نُبئتُ أنّ أبا قابوس أوعدني ... ولا قرارَ على زَأْرٍ من الأسدِ
ما إنْ أتيتُ بشيْ أنت تكرهه ... إذنْ فلا رَفَعَتْ سوطي اليّ يدي

وقول أبي فراس :

لا ضُربتْ لي بالعراق خيمة ... ولا أنثنت أناملي على قلم
إن لم أثرها من ديار فارس ... شُعْثَ النواصي فوقها سود اللمم
حتى تُرى لي بالعراق وقعةٌ ... يُشرب فيها الماء ممزوجاً بدم

وقول علي بن مقلد أبي شجاع سديد الملك :

فان لم تكن عندي كسمعي وناظري ... فلا نظرت عيني ولا سمعت أذْني

---

(١) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٢٩٧ . (٢) اللسان (قحم) .
(٣) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧١ . (٤) البديع في نقد الشعر ص ١٤٠ .

فانلك أحلى في جفوني من الكرى وأطيب طعماً في فؤادي من الأمْنِ

الاكتفاء :

كفى يكفي كفاية إذا قام بالأمر ، وكفى الرجل واكتفى : اضطلع ، وكفاك الشيْ يكفيك واكتفيت به . وكفاه الأمر : اذا قام فيه مقامه (١) .

تحدث ابن رشيق في باب الايجاز وقال : إن الايجاز عند الرماني على ضربين مطابق لفظه لمعناه لا يزيد عليه ولا ينقص عنه مثل : « سل أهل القرية » . ومنه ما فيه حذف للاستغناء عنه في ذلك الموضع كقوله تعالى : « واسأل القريةَ »(٢) وقال : إن الضرب الأول مما ذكره الرماني يسمى المساواة ، والضرب الثاني مما ذكره يسمونه « الاكتفاء » وهو « داخل في باب المجاز وفي الشعر القديم والمحدث منه كثير يحذفون بعض الكلام لدلالة الباقي على الذاهب » (٣) . وقد سمى الرماني هذا النوع الايجاز بالحذف (٤) ، وهو المصطلح الذي شاع في كتب البلاغة حينما قسموا الايجاز الى : ايجاز حذف وايجاز قصر . وعقد الحموي بابا للاكتفاء وقال :» هو أن يأتي الشاعر ببيت من الشعر وقافيته متعلقة بمحذوف فلم يفتقر الى ذكر المحذوف لدلالة باقي لفظ البيت عليه ويكتفى بما هو معلوم في الذهن فيما يقتضي تمام المعنى . وهو نوع ظريف ينقسم الى قسمين : قسم يكون بجميع الكلمة وقسم يكون ببعضها . والاكتفاء بالبعض أصعب مسلكاً لكنه أحلى موقعاً ولم أره في كتب البديع ولا في شعر المتقدمين . فشاهد الاكتفاء بجميع الكلمة كقول ابن مطروح :

لا أنتهي لا انثني لا أرعوي ما دمت في قيد الحياة ولا إذا

فمن المعلوم ان باقي الكلام : « ولا إذا متُ » لما تقدم من قوله « الحياة » ومتى ذكر تمامه في البيت الثاني كان عيبا من عيوب الشعر مع ما يفوته من حلاوة الاكتفاء ولطفه وحسن موقعه في الأذهان » (٥) .

---

(١) اللسان (كفي) .
(٢) يوسف ٨٢ .
(٣) العمدة ج ١ ص ٢٥١ .
(٤) النكت في إعجاز القرآن ص ٧٠ .
(٥) خزانة الأدب ص ١٢٦ .

والاكتفاء ببعض الكلمة عزيز الوقوع جداً ولم يوجد في كتب البديع ومن ذلك قول ابن سناء الملك :

أهوى الغزالة والغزال وانما نَهنَهتُ نفسي عِفةً وتدينّا
ولقد كفَفتُ عِنانَ عيني جاهداً حتى إذا أعييت أطلقت العنــا

أي : العنان (١) .

وذكر السيوطي ما قاله ابن رشيق ، ذلك ان الحذف على انواع أحدها الاكتفاء وهو « ان يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة ويختص غالبا بالارتباط العطفي كقوله تعالى : « سرابيلَ تقيكم الحرَّ » (٢) ، أي : والبرد . وخص الحر بالذكر لان الخطاب للعرب وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم لانه أشد عندهم من البرد . وقيل : لان البرد تقدم ذكر الامتنان بوقايته صريحاً في قوله : « ومن أصوافِها وأوبارِها وأشعارها »(٣

واختص السيوطي في كتابه « شرح عقود الجمان » ما ذكره الحموي في خزانته وذكر بعض أمثلته .

وقال المدني : إن الاكتفاء ضرب من الايجاز وهو نوعان : نوع يكون بكلمة فأكثر ، ونوع يكون ببعض الكلمة . فالأول « هو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة ولا يكون المكتفى عنه إلاّ آخراً لدلالة الأول عليه ، وذلك الارتباط قد يكون بالعطف وهو الغالب »(٤) كقوله تعالى : « سرابيلَ تقيكم الحرَّ »(٥) . وقد يكون بالشرط وجوابه كقوله تعالى : « فان استطعتَ أن تبتغي نَفَقاً في الارض أو سُلّما في السماء » (٦) ، أي : فافعل . وقد يكون بالقسم بدأ به كقوله تعالى : « والنازعات غَرْقا . والناشطاتِ نَشْطا . والسابحاتِ سَبْحا . فالسابقاتِ سَبْقا . فالمدبّراتِ أمْرا » (٧) أي :

---

(١) خزانة ص ١٢٩ . (٢) النحل ٨١ .
(٣) النحل ٨٠ . ينظر الاتقان ج ٢ ص ٦١ ، ومعترك ج ١ ص ٣٢٠ .
(٤) أنوار الربيع ج ٣ ص ٧١ . وينظر المنزع البديع ص ١٨٨ .
(٥) النحل ٨١ . (٦) الأنعام ٣٥ . (٧) النازعات ١ — ٥ .

لتبعثنّ . وقد يكون بطلب الفعل للمتعلق كقوله تعالى: « خلطوا عملاً صالحاً»(١) أي بسيءْ ، « وآخر سيئا » أي بصالح . أو بطلبه للمفعول كقوله تعالى : « إن الذين اتخذوا العِجْلَ » (٢) ، أي : إلها .

وقد يكون بطلب حرف الشرط لجملة الشرط وجوابه كقول الشاعر :

قالت بناتُ العم يا سلمى وإنْ كان فقيراً معدما قالت : وإنْ

أي : وان كان كذلك رضيته أيضا .

وقد يكون بالاسمية والخبرية لـ « إنّ » وأمثالها كقول الشاعر :

ويقلن شيب قـد عـلاك وقد كَبرْتَ فقلت : إنّـه

أي : أنه كذلك .

وعلق المدني على تعريف صفي الدين الحلي وهو قريب من تعريف الحموي بانه « شامل لنوعي الاكتفاء غير انه لا يشمل الاكتفاء في النثر كما هو ظاهر ، والحدّ الذي ذكرناه شامل للنظم والنثر معاً » (٣) .

وأما النوع الثاني من الاكتفاء وهو الذي يكون ببعض الكلمة فهو « حذف بعض حروف القافية من آخرها لدلالة الباقي عليه » ثم قال : « واحترزنا بالقافية عن غيرها كقوله :

فنعم الفتى تعشـو الى ضوء نارِه طريف بن مالٍ ليلة الجوع والحصر

أي : ابن مالك . وبقولنا : « من آخرها » عن مثل قوله :

غرثى الوشاحين صموت الخلخل

اي : الخلخال . فلا يسمى ذلك اكتفاءً عند البديعيين . وقد يسمى في غير هذا العلم بالاقتطاع ولا يختص بالقافية . وسماه ابن جني في كتاب التعاقب بالايحاء وعقد له بابا فقال في باب الايحاء : « هو الاكتفاء عن الكلمة بحرف من أولها ». وسماه ابن فارس في فقه اللغة بالقبض ، وهـو وارد في القرآن والحديث وكلام العرب » (٤) ونقل بعض أمثلة القبض والاقتطاع التي ذكرها ابن فارس والسيوطي ،

---

(١) التوبة ١٠٢ . (٢) الأعراف ١٥٢ .
(٣) أنوار الربيع ج ٣ ص ٧٣ . (٤) اتوارج٣ ص٨٣ ؛ الصاحبي ص ٢٢٨ .

كقول الشاعر :

قواطناً مكة من ورق الحَما

أي : الحمام . وقول الآخر :

ليس حيٌ على المنون بخالِ

أي : بخالد .

ومنه قول القاضي الفاضل :

لعبت جفونك بالقلوب وحبـــها		والخد ميدانوصدغك صولجا

أي : صولجان . ومثل ذلك يكون بلا تورية ، أما الاكتفاء مع التورية فكقول ابن نباتة :

بروحي أمر الناس نأياً وجفوةً
وأحلاهم ثَغْراً وأملحهم شــكلا
يقولون في الاحـــلام يوجد شخصه
فقلت : ومن ذا بعده يجد الأحلا

اي : الأحلام ، ولكنه ورّى عن الجمال أيضا .

الاكثار :

الكثرة : نقيض القلة ، وأكثره جعله كثيراً (١) .

وقد جعله الأدباء من سمات بعض الكلام الذي لا يكون موجزاً فقال جعفر البرمكي : « إذا كان الاكثار أبلغ كان الايجاز تقصيراً ، واذا كان الايجاز كافياً كان الاكثار عيا » (٢) . أي ان البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال ولذلك كان استعمال الاكثار في مكانه من أسباب البلاغة أي انه ليس عيبا في موضعه ولكن إذا كان الايجاز كافيا كان الاكثار عيا . قال الجاحظ وهو يتحدث عن اياس بن معاوية : « فان كان اياس عند نفسه عييا فذاك أجدر بان يهجر الأكثار.

(١) اللسان (كثر) .		(٢) عيون الأخبار ج ٢ ص ١٧٤ .

وبعد فما نعلم أحداً رمى إياساً بالعي وانما عابوه بالاكثار » (١) .

الاكمال :

الكمال : التمام : ، وقيل : التمام الذي تجزأ منه أجزاؤه ، واكملت الشيْ أي أجملته وأتممته ، واكمله هو واستكمله وكمله : أتمه وجمله ، والاكمال : التمام (٢) .

قال العلوي : « وهو إفعال من أكمل الشيْ إذا حصّله على حالة لا زيادة عليها في تمامه. وهو في مصطلح علماء البيان مقول على أن تذكر شيئاً من أفانين الكلام فترى في إفادته المدح كأنه ناقص لكونه موهما بعيب من جهة دلالة مفهومه فتأتي بجملة فتكمله بها تكون رافعة لذلك العيب المتوهم . وهذا مثاله أن تذكر من كان مشهوراً بالشجاعة دون الكرم ومن كان عالماً بالبلاغة دون سداد الرأي ونفاذ العزيمة فترى في ظاهر الحال أنه ناقص بالاضافة الى عدم تلك الصفة المفقودة عنه فتذكر كلاماً يكمل المدح ويرفع التوهم كما قال كعب بن سعد الغنوي في ذلك :

حليم إذا ما الحلم زيّن أهله مع الحلم في عين العدو مهيب

فانه لو اقتصر على قوله : « حليم إذا ما الحلم زين أهله » لأوهم الى السامع أنه غير واف بالمدح ؛ لان كل من لا يعرف منه إلاّ الحلم ربما طمع فيه عدوه فنال منه ما يذم به ، فلما كان ذلك متوهما عند إطلاقه أردفه بما يكون رافعاً للاحتمال مكملاً للفائدة بوصف الحلم ، وهو قوله : « مع الحلم في عين العدو مهيب » ليدفع به ما ذكرناه من التوهم . وكقول السموأل بن عادياء :

وما مات منا سيّدٌ في فراشه ولا طُلَّ منا حيث كان قتيل (٣)

فلو اقتصر على قوله : « وما مات منا سيد في فراشه » لأوهم أنهم صُبُرٌ على الحروب والقتل دون الانتصار من أعدائهم فلا جرم أكمله بقوله : « ولا طُلّ منا حيث

---

(١) البيان ج ١ ص ٩٩ . (٢) اللسان (كمل) .
(٣) طل الرجل – بالبناء للمجهول – أهدر دمه .

كان قتيل » فارتفع ذلك الاحتمال المتوهم وزال » (١) .

وهذا ما سماه البلاغيون التكميل أو الاطناب بالتكميل (٢) ، وقد تقدم .

الالتئام :

يقال : تلاءم القوم والتأموا : اجتمعوا واتفقوا ، ويقال: التأم الفريقان والرجلان إذا تصالحا واجتمعا . والتأم الجرح التئاما : إذا برأ والتحم (٣) .

والالتئام في البلاغة أن تكون كلمات النظم متناسبة ليس فيها ما يثقل على النطق عند اجتماعها ، وهو ما تحدث عنه البلاغيون في باب التنافر عند كلامهم على فصاحة الكلام وخلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات (٤) ، وذكروا له قول القائل :

وقبـــر حرب بمكان قـــفر ... وليس قُرْبَ قـــبر حَرْب قَبْرُ

وقول ابي تمام :

كريم متى أمْدَحْه أمْدَحْه والورى ... مَعي واذا ما لُمته لُمته وَحْدي

وقد أشار المرزوقي الى ذلك وقال وهو يتحدث عن عمودالشعر : « وعيار التحام أجزاء النظم والتئامه على تخير من لذيذ الوزن ، الطبع واللسان فما لم يتعثر الطبع بأبنيته وعقوده ولم يتحبس اللسان في فصوله ووصوله بل استمرا فيه واستسهلاه بلا ملال ولا كلال فذاك يوشك أن يكون القصيدة منه كالبيت ، والبيت كالكلمة تسالماً لأجزائه وتقارناً » (٥) . وهذا ما تحدث الجاحظ عنه من قبل وقال : « ومن

---

(١) الطراز ج ٣ ص ١٠٨ .

(٢) إعجاز القرآن ص ١٤٣ ، الوافي ص ٢٧٤ ، قانون البلاغة ص ٤٤٦ ، تحرير ص٣٥٧ ، بديع القرآن ص ١٤٣ ، المصباح ص ٩٨ ، حسن التوسل ص ٢٨٧ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٥٧ ، الفوائد ص ٨٩ ، خزانة الأدب ص ١٧٠ ، أنوار الربيع ج ٥ ص ١٨٥ ، الايضاح ص ٢٠٢ ، التلخيص ص ٢٢٩ ، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٣١ ، المطول ص ٢٩٥ ، الأطول ج ٢ ص ٤٦ ، معترك ج ١ ص ٣٦٩ ، الاتقان ج ٢ ص ٧٤ ، شرح عقود الجمان ص ٧٤ .

(٣) اللسان (لأم) .

(٤) الايضاح ص ٥ ، التلخيص ص ٢٦ ، شروح التلخيص ج ١ ص ٧٧ ، المطول ص ٢٠ ، الاطول ج ١ ص ٢٣ .

(٥) شرح ديوان الحماسة ج ١ ص ١٠ .

ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر وان كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد انشادها إلا ببعض الاستكراه فمن ذلك قول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر   وليس قرب قبر حرب قبر

ولما رأى من لا علم له أن أحداً لا يستطيع أن ينشدها هذا البيت ثلاث مرات في نسق واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلج وقيل لهم إن ذلك انما اعتراه إذ كان من أشعار الجن ، صدّقوا ذلك . ومن ذلك قول ابن يسير في احمد بن يوسف حين استبطأه :

هل معينٌ على البكا والعويلِ   أم معزّ على المصاب الجليـلِ
ميّتٌ مات وهو في ورَق العيـ   ـش مقيم بـه وظلٍ ظليـلِ
في عِداد الموتى وفي عامر الدنـ   ـيا أبو جعفر أخي وخليلي
لم يمت ميتة الـوفاة ولكـن   مات عن كل صالح وجميـلِ
لا أذيل الآمال بعـدك إنـي   بعدهـا بالآمال حقّ بخيـلِ
كم لها وقفة بباب كريـم   رجعت من نـداه بالتعطيـلِ

ثم قال :

لم يضرها والحمدُ لله شـيٌ   وانثنَتْ نحو عزف نَفْسٍ ذَهولِ

فتفقد النصف الأخير من هذا البيت فانك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض. وأنشدني أبو العاصي قال : أنشدني خلف الأحمر في هذا المعنى :

وبعض قريض القوم أولاد عـلّة   يكدّ لسان الناطق المتحفظِ(١)

وقال أبو العاصي : وأنشدني في ذلك أبو البيداء الرياحي :

وشعر كبعر الكبش فرّق بينه   لسانُ دعيّ في القريض دخيل

أما قول خلف : « وبعض قريض القوم أولاد علّة » فانه يقول : إذا كان الشعر مستكرها وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلاً لبعض ، كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلاّت . واذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب أختها مرضيا موافقاً كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة .

---

(١) أولاد علة ؛ بنو رجل واحد من امهات شتى .

قال : وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً واحداً وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان(١) وذكر ما لا تتباين الفاظه ولا تتنافر أجزاؤه ، ومن ذلك قول أبي حية النميري :

رَمتني وسترُ الله بيني وبينها عَشيّـةَ آرام الكناسِ رميمُ
رميم التي قالت لجارات بيتها ضمنت لكم ألاّ يزال يهيم
ألا رُبَّ يومٍ لو رمتني رميتها ولكنّ عهدي بالنضال قديم

فهذه الأبيات من الشعر المتلائم الجميل .

وذكر الرماني مثل ما ذكر الجاحظ حينما تحدث عن التلاؤم وجاء بأمثلته أيضا وقال ان « المتلائم في الطبقة العليا القرآن كله »(٢). ونقل ابن رشيق كلام الجاحظ في باب النظم (٣) .

الالتجاء :

لجأ الى الشيْ والمكان يلجأ لَجْأً ولجوءً وملجأً ولجيءٍ والتجأ وألجأت أمري الى الله أسندت . والتجأت وتلجأت إذا استندت اليه واعتضدت به او عدلت عنه الى غيره كأنه إشارة الى الخروج والانفراد (٤) .

وقال ابن منقذ : « هو أن تستعمل اللفظة في غير موضعها من المعنى »(٥) ، وربط المعاظلة بالالتجاء في باب واحد ، وقال : ان ذلك مثل قول بعض العرب :

وذات هِدم عارٍ نواشرهـا تُصْمِتُ بالماء تَوْلَباً جَدَعا (٦)

سمّى الطفل تولبا ، والتولب الجحش .

ومنه قول الفرزدق :

فلو كنتَ ضبياً عرفت قرابتي ولكنَّ زنجياً عظيمَ المشـافر

لانه استعار المشافر للانسان وانما هي للجمال لا للرجال .

---

(١) البيان ج ١ ص ٦٥ .
(٢) النكت في إعجاز القرآن ص ٨٨ . (٣) العمدة ج ١ ص ٢٥٧ .
(٤) اللسان (لجأ) . (٥) البديع في نقد الشعر ص ١٥٨ .
(٦) الهدم — بكسر الهاء —الكساء إذا ضوعفت رقاعه . النواشر : عصب الذراع .

وقال ابن شيث القرشي : « هو أن يضطر الكاتب الى أن يأتي بلفظة غير مستعملة في الذي هو بصدده فيقيمها مقام المستعملة . ومثاله : « فما المعشاق عدمت سلوها والمقلات (١) فقدت فلوها إلا دون ما أنا عليه من الوجد به والغرام » . فاستعمل « فلوها » في مكان « ولدها » حتى قابل بها « سلوها» وهو محتمل وربما كان جيدا . وفي الشعر :

لیبکك الشَّرْبُ والمدامةُ والـ ـإخوانُ طُراً وطامعٌ طمعا

وذات هِدْم بادٍ نواشرُها تصمت بالماء تَوْلَباً جدعا (٢)

وهذا ما سماه عبدالقاهر الاستعارة غير المفيدة (٣) وقد تقدمت .

الالتزام :

الالتزام هو الارتباط بالشيء ، يقال : لزم الشيء يلزمه والتزمه وألزمه إياه فالتزمه ، ورجل لُزَمَة : يلزم الشيء فلا يفارقه (٤) .

والالتزام في البلاغة هو « الاعنات » وقد تقدم ، ويسمى التضييق أو التشديد أو لزوم ما لا يلزم ، وهذا الأخير أكثر استعمالاً في كتب البلاغة . وممن سماه « التزاما » ابن مالك والمصري والحموي والسيوطي والمدني (٥) .

الالتفات :

لفت وجهه عن القوم : صرفه ، والتفت التفاتاً ،والتلفت أكثر منه ، وتلفت الى الشيء والتفت اليه صرف وجهه اليه ، ويقال : لفت فلانا عن رأيه أي صرفته عنه ومنه الالتفات (٦) .

والالتفات من الأساليب العريقة في اللغة العربية وقد عرفه الجاهليون كامرئ

---

(١) المقلات ؛ المرأة التي لايعيش لها ولد .

(٢) معالم الكتابة ص ٧٩ .

(٣) ينظر أسرار البلاغة ص ٣٠ .

(٤) اللسان (لزم) .

(٥) المصباح ص ٨١ ، تحرير التحبير ص ٥١٧ ، بديع القرآن ص ٢٢٧ ، خزانة الادب ص ٤٣٤ ، معترك ج ١ ص ٥١ ، شرح عقود الجمان ص ١٥٥ ، أنوار الربيع ج ٦ ص ٩٣ .

(٦) اللسان (لفت) .

القيس الذي قال :

تطاولَ ليلك بالاثْمــد ونام الخليُّ ولم ترْقُــدِ
وبات وباتت لــه ليلةٌ كليلةِ ذي العائر الأرمدِ
وذلك من نبأ جاءني وخُبرته عن أبي الأسودِ

قال الزمخشري : « وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات »(١) ، ثم قال : « وتلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ، ولان الكلام إذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وايقاظاً للاصغاء اليه من إجرائه على أسلوب واحد ، وقد تختص مواقعه بفوائد »(٢) .

وجاء الالتفات في كتاب الله العزيز ، وأول سورة فيه تحمل هذا اللون من التعبير فقد قال سبحانه وتعالى : « الحمدُ لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد واياك نستعين » (٣) . ، فقد التفت من الغيبة الى الخطاب . وجاء في كلام العرب ، وقد انتبه القدماء لمثل هذا الاسلوب وذكره الفراء ولم يسمه(٤) . ، وذكره أبو عبيدة وقال : « والعرب قد تخاطب فتخبر عن الغائب والمعنى للشاهد فترجع الى الشاهد »(٥) .

ولعل الاصمعي أول من سماه التفاتاً ، فقد سأل اسحاق بن ابراهيم الموصلي : أتعرف التفاتات جرير ؟ قال : وما هي ؟ فأنشده :

أتنسى إذ تودعني سـليمى بفرع بشامةٍ سُقي البَشـام

ألا تراه مقبلاً على شعره ثم التفت الى البشام فدعا له (٦) .

وأدخله ابن قتيبة في باب « مخالفة ظاهر اللفظ معناه » وقال : « ومنه أن تخاطب الشاهد بشيءٌ ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب كقوله — عز وجل — :

(١) الكشاف ج ١ ص ١١ . (٢) الكشاف ج ١ ص ١٢ .
(٣) الفاتحة ٢ — ٥ .
(٤) معاني القرآن ج ١ ص ٦٠ ، ١٩٥ ، ٤٦٠ . وينظر جمهرة أشعار العرب ص ١٣ .
(٥) مجاز القرآن ج ٢ ص ١٣٩ ، وينظر ج ١ ص ١١ ، ٢٥٢ ، ٢٧٣ .
(٦) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٧ ، كتاب الصناعتين ص ٣٩٢ ، العمدة ج ٢ ص ٤٦ .

« حتى إذا كنتم في الفُلْك وجَرَيْنَ بهم بريح طيبــة وفَرِحوا بهــا » (١) .
قال الشاعر :

يا دارَ ميّة بالعلياء فالسَّنَدِ أقوتْ وطال عليها سالفُ الأبدِ

وكذلك أيضا تجعل خطاب الغائب للشاهد كقول الهذلي :

يا ويح نفسي كان جدةُ خالد وبياضُ وجهك للتراب الأعفر (٢)

وقال المبرد : « والعرب تترك مخاطبة الغائب الى مخاطبة الشاهد ومخاطبة الشاهد الى مخاطبة الغائب . قال الله — جلّ وعزّ — : « حتى إذا كنتم في الفُلْك وَجَرَيْنَ بهم بريح طيبة »(٣) ، كانت المخاطبة للأمة ثم انصرفت الى النبي — صلى الله عليه وسلم — اخباراً عنهم . وقال عنترة :

شطّت مزارُ العاشقين وأصبحت عَسِراً عليّ طلابُكِ ابنة مَخْرَمِ

فكان يتحدث عنها ثم خاطبها » (٤) .

والالتفات أول محاسن الكلام التي ذكرها ابن المعتز بعد فنون البديع الخمسة وهي : الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها والمذهب الكلامي ، وقال في تعريف الالتفات : « هو انصراف المتكلم عن المخاطبة الى الاخبار ، وعن الاخبار الى المخاطبة وما يشبه ذلك . ومن الالتفات الانصراف من معنى يكون فيه الى معنى آخر » (٥) .

وسماه ابن وهب « الصَّرْف » وقال « وأما الصرف فانهم يصرفون القول مــن المخاطب الى الغائب ومن الواحد الى الجماعة »(٦) . وسماه ابن منقذ « الانصراف » وقال : « هو أن يرجع من الخبر الى الخطاب ومن الخطاب الى الخبر »(٧) . وسماه كذلك ابن شيث القرشي وقال : « هو ان تبتديءُ المخاطبة بهاء الكناية ثم

---

(١) يونس ٢٢ . (٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢٢٣ .
(٣) يونس ٢٢ . (٤) الكامل ج ٢ ص ٧٢٩ .
(٥) البديع ص ٥٨ ، وينظر العمدة ج ٢ ص ٤٦ ، المنصف ٦٢ ، المنزع البديع ص ٤٤٢ .
(٦) البرهان في وجوه البيان ص ١٥٢ .
(٧) البديع في نقد الشعر ص ٢٠٠ .

تنصرف الى المخاطبة بالكاف ، وهذا يُحتمل إذا كان الأمر مما تكنيه مهماً دون غيره »(١) .

وسماه قوم الاعتراض (٢) ، وهو فن آخر ، وقد تقدم في الاطناب بالاعتراض ، والاعتراض ، ولكن الاخرين سموه التفاتاً ، وبدأ هذا الاسلوب يدخل في دراسة البلاغة والنقد ، وقد تحدث عنه قدامة في نعوت المعاني وقال : « هو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى فكأنه يعترضه إما شك أو ظن بأن راداً يردّ عليه قوله أو سائلاً يسأله عن سببه فيعود راجعاً على ما قدمه فاما أن يؤكده أو يذكر سببه أو يحل الشك فيه »(٣) . وهذا هو الاعتراض او الرجوع ، وقد عدّه العسكري النوع الثاني من الالتفات ، أما النوع الأول فهو ما ذكره الاصمعي (٤) . وبذلك يتضح ان الالتفات لم يكن واضحا عند قدامة والعسكري وضوحه عند المتقدمين .

ونقل الباقلاني رواية الأصمعي السابقة وعلق على بيت جرير :

متى كان الخيام بذي طلوح سُقيتِ الغيثَ أيّتها الخيامُ

بقوله : « ومعنى الالتفات انه اعترض في الكلام قوله : « سقيت الغيث » ولو لم يعترض لم يكن ذلك التفاتاً وكان الكلام منتظماً » (٥) ولذلك قال الحاتمي : « وقد سماه قوم الاعتراض » (٦) ، وقال ابن رشيق : « وهو الاعتراض عند قوم ، وسماه الآخرون الاستدراك » (٧) ، وقال الصنعاني : « ويسمى الاعتراض » ولكنه عرفه تعريف الالتفات فقال : « وهو الانصراف عن الاخبار الى المخاطبة ، وعن المخاطبة الى الاخبار » . ثم قال : « وقيل الالتفات هو أن يكون المتكلم آخذاً في معنى فيعدل عنه الى غيره قبل تمام الأول ثم يعود اليه فيتمه فيكون فيما عدل اليه مبالغة وزيادة حسنة » (٨) ، وهذا هو الاعتراض أو الرجوع الذي ذكره السابقون .

---

(١) معالم الكتابة ص ٧٦ . (٢) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٧ ، العمدة ج ٢ ص ٤٥ .
(٣) نقد الشعر ص ١٦٧ ، وينظر حسن التوسل ص ٢٢٤ .
(٤) كتاب الصناعتين ص ٣٩٢ . (٥) إعجاز القرآن ص ١٥٠ .
(٦) حلية المحاضرة ج ١ ص ١٥٧ . (٧) العمدة ج ٢ ص ٤٥ .
(٨) الرسالة المسجدية ص ١٤٦ .

وتحدث عنه التبريزي في فصل مستقل في حين انه أفرد الاستدراك والرجوع بفصل آخر ، وقال عنه : « الالتفات : أن يكون الشاعر في كلام فيعدل عنه الى غيره قبل أن يتم الأول ثم يعود اليه فيتمه فيكون فيما عدل اليه مبالغة في الاول وزيادة في حسنه » (١) . ونقل البغدادي هذا التعريف (٢) .

وبدأ الالتفات يأخذ معنى دقيقاً بعد أن بدأت البلاغة تستقر ، وقد عرفه الرازي بقوله : « انه العدول عن الغيبة الى الخطاب أو على العكس » (٣) . وأدخله السكاكي في علم المعاني وقال : « ان هذا النوع أعني نقل الكلام عن الحكاية الى الغيبة لا يختص المسند اليه ولا هذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها الى الآخر ، ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء علم المعاني . والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام إذا انتقل من اسلوب الى اسلوب أدخل في القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه واملأ باستدرار اصغائه » (٤) ، وهذا ما ذكره الزمخشري من قبل (٥) . وقال السكاكي إنه قد ينتقل بالصيغة من الماضي الى المضارع (٦) ، وذكره مرة ثالثة في البديع (٧) وأحال الى كلامه في الموضعين السابقين ، وهذا يدل على ان الالتفات كان عنده من علم المعاني مرة ، ومن علم البديع تارة أخرى .

وكان كلام ابن الاثير على الالتفات مسهبا ، وهو عنده من الصناعة المعنوية قال : « وحقيقته مأخوذة من التفات الانسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا ، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لانه ينتقل فيه عن صيغة الى صيغة كالانتقال من خطاب حاضر الى غائب أو من خطاب غائب الى حاضر ، أو من فعل ماضٍ الى مستقبل أو من مستقبل الى ماضٍ » (٨) .

---

(١) الوافي ص ٢٧٨ . (٢) قانون البلاغة ص ٤٤٧ .

(٣) نهاية الايجاز ص ١١٢ ، الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٨ .

(٤) مفتاح العلوم ص ٩٥ . (٥) الكشاف ج ١ ص ١٢ .

(٦) مفتاح العلوم ص ١١٨ . (٧) مفتاح العلوم ص ٢٠٠ .

(٨) المثل السائر ج ٢ ص ٤ ، الجامع الكبير ص ٩٨ .

وسماه « شجاعة العربية » ، وهو عنده ثلاثة أقسام :

الاول : الرجوع من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ، وقد ردّ في هذا البحث ما ذهب اليه الزمخشري من ان في الانتقال تطرية لنشاط السامع وايقاظاً للاصغاء اليه وقال : « والذي عندي في ذلك ان الانتقال من الخطاب الى الغيبة أو من الغيبة الى الخطاب لا يكون إلاّ لفائدة اقتضته وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من اسلوب الى اسلوب غير انها لا تحدّ بحد ولا تضبط بضابط ولكن يشار الى مواضع منها ليقاس عليها غيرها » (١) . وكان الزمخشري قد أشار الى مثل ذلك بعبارة موجزة فقال : « وقد تختص مواقعه بفوائد » (٢) ، أي انه رأى ان الانتقال من اسلوب الى اسلوب ليس للتطرية والايقاظ والتنبيه وحدها .

ومن أمثلة الرجوع من الغيبة الى الخطاب قوله تعالى : « الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين (٣) » فقد رجع من الغيبة في أول الكلام الى الخطاب في « إياك نعبد » .

ومن الرجوع من خطاب الغيبة الى خطاب النفس قوله تعالى : « ثم استوى الى السماء وهي دخانٌ فقال لها وللارض : ائتيا طَوْعاً أو كَرْهاً ، قالتا : أتينا طائعين فقضاهُنّ سَبْعَ سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمْرَها وزينّا السماءَ الدنيا بمصابيح وحِفْظاً ذلك تقديرُ العزيز العليم » (٤) ، فانه قال : « وزينا » بعد قوله : « ثم استوى » وقوله : « فقضاهن » و « وأوحى » .

ومن الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الجماعة قوله تعالى : « ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه تُرْجَعُون » (٥) .

ومن الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الواحد قوله تعالى : « حم.والكتابِ المبين.إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنا مُنْذِرين.فيها يُفْرَقُ كلُّ أمرٍ حكيم. أمْراً من عندنا إنّا كنا مُرْسِلين . رَحْمَةً من ربك إنه هو السميعُ العليم»(٦).

---

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٥ .
(٢) الكشاف ج ١ ص ١٢ .
(٣) الفاتحة ٢ — ٥ .
(٤) فصلت ١١ .
(٥) يس ٢٢ .
(٦) الدخان ١ — ٦ .

ومن ذلك قول أبي تمام :

وركبٍ يُساقُونَ الرِكابَ زُجاجة
من السير لم تَقْصِدْ لها كَفُّ قاطِبِ
فقد أكَلوا منها الغواربَ بالسُّرى
وصارتْ لها أشباحُهم كالغواربِ
يُصرِّفُ مَسراها جُذيلُ مَشارِقٍ
إذا آبَهُ همٌّ عُذَيقُ مغارِبِ
يرى بالكَعاب الرَوْد طلعةَ ثائرٍ
وبالعِرْمس الوجناء غُرَّةَ آيبِ
كأنَّ بها ضِغْناً على كل جانبٍ
من الارض أو شوقاً الى كل جانبِ
إذا العيسُ لاقت بي أبا دُلَف فقد
تقطّعَ ما بيني وبين النوائب
هنالك تَلْقى الجودَ من حيث قُطّعتْ
تمائمُه والمجدَ مُرخي الذوائبِ (١)

قال ابن الأثير : « ألا ترى أنه قال في الأول : « يصرّف مسراها » مخاطبة للغائب ثم قال بعد ذلك : « إذا العيس لاقت بي » مخاطبا نفسه . وفي هذا من الفائدة انه لما صار الى مشافهة الممدوح والتصريح باسمه خاطب عند ذلك نفسه مبشراً لها بالبعد عن المكروه والقرب من المحبوب ، ثم جاء بالبيت الذي يليه معدولاً به عن خطاب نفسه الى خطاب غيره وهو أيضاً خطاب لحاضر فقال : « هنالك تلقى الجود » . والفائدة بذلك انه يخبر غيره بما شاهده كأنه يصف له جود الممدوح

(١) الركب ؛ الجماعة الراكبون . القاطب ؛ الذي يمزج الخمر بالماء . الغوارب ؛ جمع غارب وهو الكاهل . السرى ؛ سير الليل . يصرف مسراها ؛ يسيرها . الجذيل ؛ تصغير جذل وهو عود ينصب لتحتك به الجمال الجربى . العذيق ؛ تصغير عذق . الكعاب ؛ البارزة النهدين . الرود ؛ الفتاة الناعمة . العرمس ؛ الناقة الشديدة . الوجناء ؛ القوية .

وما لاقاه منه إشادة بذكره وتنويهاً باسمه وحملاً لغيره على قصده وفي صفته جود الممدوح بتلك الصفة الغريبة البليغة وهي قوله : « حيث قُطّعت تمائمه » ما يقتضي له الرجوع الى خطاب الحاضر ، والمراد بذلك أن محل الممدوح هو مألف الجود ومنشؤه ووطنه . وقديراد به معني آخر ، وهو أن هذا الجود قد أمن عليه الآفات العارضة لغيره من المنّ والمطل والاعتذار وغير ذلك إذ التمائم لا تقطع إلاّ عمن أمنت عليه المخاوف » (١) .

ومن الرجوع من الخطاب الى الغيبة قوله تعالى : « هو الذي يُسيّركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفُلْكِ وجَرَيْنَ بهم بريح طيبةٍ وفَرِحوا بها جاءتها ريحٌ عاصِفٌ وجاءهم الموجُ من كلّ مكان وظنوا أنّهم أحيط بهم دَعَوا الله مُخلِصين له الدينَ لئن أنجيتنا من هذه لنكونَنّ من الشاكرين » (٢) .

والثاني : الرجوع عن الفعل المستقبل الى فعل الأمر وعن الفعل الماضي الى فعل الأمر فالأول كقوله تعالى : « ياهودُ ما جئتنا ببيّنةٍ وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك، وما نحن لك بمؤمنين. إنْ نقولُ إلاّ اعتراك بعضُ آلهتنا بسوء ، قال : إني أشْهِد اللهَ واشْهَدوا أني بريءٌ مما تُشْرِكون » (٣) .

ومن الرجوع عن الفعل الماضي الى فعل الأمر قوله تعالى : « قل أمَرَ ربي بالقِسْطِ وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين » (٤) .

الثالث : الاخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وعن المستقبل بالماضي ، فالأول كقوله تعالى : « واللهُ الذي أرْسَلَ الرياحَ فتثيرُ سَحاباً فسُقناه الى بلد ميّتٍ فأحيينا به الأرضَ بعد موْتها كذلك النشورُ » (٥) .

وعلى هذا ورد قول تأبط شراً :

بأني قد لقيت الغُول تهوي ... بِسَهْبٍ كالصحيفة صَحْصَحانِ

---

(١) المثل السائر ج ٢ ص ١٠ – ١١ .
(٢) يونس ٢٢ .
(٣) هود ٥٣ – ٥٤ .
(٤) الأعراف ٢٩ .
(٥) فاطر ٩ .

فأضربُها بلا دَهَش فخرّتْ صَريعاً لليدينِ وللجرانِ (١)

والضرب الثاني وهو المستقبل كقوله تعالى : « ويومَ يُنفَخُ في الصّورِ فَفَزِعَ مَنْ في السماوات ومَنْ في الأرض » (٢) .

وليس في كتب البلاغة الأخرى أوسع مما ذكر ابن الأثير ، وإن كان القزويني رجع الى السكاكي وأدخل الالتفات في علم المعاني وتبعه شراح تلخيصه كالسبكي والتفتازاني والسيوطي والاسفراييني والمغربي (٣) . أما الذين لم يتبعوا السكاكي فقد بحثوه في باب مستقل وإن لم يخرجوا على الاتجاه العام الذي ساد قبلهم (٤) ، غير أن المصري قال : « وفي الالتفات نوع غير النوعين المتقدمين وهو أن يكون المتكلم آخذاً في معنى فيمر فيه الى أن يفرغ من التعبير عنه على وجه ما فيعرض له أنه متى اقتصر على هذا المقدار كان معناه مدخولاً من وجه غير الوجه الذي بنى معناه عليه فيلتفت الى الكلام فيزيد فيه ما يخلّص معناه من ذلك الدخل كقول شاعر الحماسة :

فانك لم تبعد على متعهد بلى كل من تحت التراب بعيدُ

فان هذا الشاعر بنى معناه على أن المقبور قريب من الحي الذي يريد تعاهده بالزيارة إذ القبور بأفنية البيوت غالبا ، فلما فرغ من العبارة عن معناه الذي قدّره على هذا التقدير عرض له كأن قائلاً يقول له : وأي قرب بين الميت المدفون تحت التراب والحي فالتفت متلافيا هذا الغلط بقوله : « بلى كل من تحت التراب

---

(١) السهب : الأرض المستوية . الصحصحان : الارض الواسعة . الجران : مقدم العنق .

(٢) النمل ٨٧ .

(٣) الايضاح ص٧١، التلخيص ص ٩٤، عروس الافراح ج ١ ص ٤٦٣ ، المطول ص ١٣٠ ، المختصر ج ١ ص ٤٦٣ ، شرح عقود الجمان ص٢٨، الاطول ج ١ ص ١٥٣ ، مواهب الفتاح ج ١ ص ٤٦٣ .

(٤) الأقصى القريب ص ٤٤ ، الطراز ج ٢ ص ١٣١ ، التبيان ص ١٧٣ ، البرهان الكاشف ص ٣١٣ ، تحرير ص ١٢٣ ، بديع القرآن ص ٤٢ ، نضرة الاغريض ص ١٠٥ ، منهاج البلغاء ص ٣١٥ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١١٦ ، جوهر الكنز ص ١١٩ ، الفوائد ص ٩٨ ، البرهان ج ٣ ص ٣١٤ ، خزانة ص ٥٩ ، معترك ج ١ ص ٣٣٧ ، الاتقان ج ٢ ص ٤١ ، ٨٥ حلية اللب ص ٧٤ ، أنوار الربيع ج ١ ص ٣٦٢ .

بعيد » كأنّ هذا الشاعر بنى معناه على أن المقبور الى بُعْد » (١) . وهذا ما سموه الاعتراض والرجوع .

وقال المصري : « والفرق بين الاحتراس والالتفات ان الاعتراض والانفصال يكونان في بيت واحد وفي بيتين وفي آية وفي آيتين ، والالتفات لا يكونان فيه إلاّ في بيت واحد وآية واحدة » (٢) .

الالتقاط :

اللقط أخذ الشيْ من الأرض ، لَقَطه يلقُطه لقطاً والتقطه : أخذه من الارض واللُقْطة : اسم الشيء الذي تجده ملقى فتأخذه (٣) .

والالتقاط والتلفيق من أنواع السرقات وقد جمعهما الحاتمي في باب واحد وقال : « وهي ترقيع الالفاظ وتلفيقها واجتذاب الكلام من أبيات حتى ينظم بيتاً » (٤) . ومن التلفيق قول يزيد بن الطثرية :

إذا ما رآني مقبلاً غضّ طرفه　　كأنّ شعاع الشمس دوني يقابله

فقوله : « إذا ما رآني مقبلاً » من قول جميل :

إذا ما رأوني طالعاً من ثنيّة　　يقولون مَنْ هذا وقد عَرفوني

وقوله : « غضّ طرفه » من قول جرير :

فغضّ الطرف إنّك من نُمير　　فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وقوله : « كأن شعاع الشمس دوني تقابله » من قول عنترة بن عكبرة الطائي :

إذا أبْصَرْتَني أعرضْتَ عني　　كأنّ الشمْسَ من قِبلي تدورُ

ومن الالتقاط والترقيع قول ابن هرمة :

كأنّك لم تَسِرْ بجنوب خلص　　ولم تُلْمِمْ على الطّلَلِ المحيلِ

التقطه ولفقه من بيتين أحدهما قول جرير :

كأنك لم تَسِرْ ببلادِ نُعم　　ولم تنظر بناظره الخياما

---

(١) تحرير التحبير ص ١٢٥ .　　(٢) تحرير ص ١٢٦ .
(٣) اللسان (لقط) .　　(٤) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٩٠ .

فصدر بيت ابن هرمة من صدر البيت ، وعجزه من قول الكميت :

ألم تُلْمم على الطلل المحيـــلِ بفيد وما بكاؤك بالطلولِ

وقال الحاتمي : « وممن كان يرقع ويلفق مع سعة صدره وغزارة بحره أبو نواس فمن ذلك قوله :

أشمّ طُوال الساعدين كأنما يُناط نجادا سيفُه بلـــواءِ

صدر هذا البيت مجتذب من قول المساور بن هند :

أشمّ طوال الساعدين شمردل يكاد يساوي غارب الفحل غاربه

أو من قول زياد بن عبدالله بن قرة حيث يقول :

أشم طوال الساعدين كأنما يُناط الى جذع طوال حمائله

وقوله : « نجادا سيفه بلواء » من قول العنبري » (١)

وذكر ابن رشيق الالتقاط والتلفيق ولم يعرفهما وانما اكتفى ببعض أمثلة الحاتمي. (٢)

وعرّف ابن منقذ الالتقاط بقوله : « وهو ما يتطارحه العلماء والشعراء والكتاب بينهم ، وهو أن يطرح بيت ويولد من كل كلمة منه بيت أو من كلمتين أو ثلاثة أو غير ذلك مثلما ذكر في كتاب الصناعتين التلفيق والالتقاط وهو أن يكون البيت ملفقاً من ابيات قبله » (٣) . وذكر الأمثلة التي ذكرها الحاتمي وابن رشيق.

الالجاء :

الالجاء من ألجأ أي أسند ، وألجأه الى الشيء : اضطره اليه . والالجاء : الاضطرار (٤) .

وقد عرّفه المصري بقوله : « هو أن تكون صحة الكلام المدخول ظاهره موقوفة على الاتيان فيه بما يبادر الخصم الى ردّه بشيء يلجئه الى الاعتراف بصحته. وملخص تعريفه أن يقال : لكل كلام يرد فيه على المعترض عايه جواب مدخول إذا دخله الخصم به التجأ الى تصحيح الجواب » (٥) ، كقوله تعالى : « ولقد

---

(١) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٩١ .

(٢) العمدة ج ٢ ص ٢٨٩ .

(٣) البديع في نقد الشعر ص ٢٠١ .

(٤) اللسان (لجأ) .

(٥) بديع القرآن ص ٢٢٦ .

نعلم أنّهم يقولون إنّما يُعلّمه بشرٌ » (١) ، قال الله تعالى في جواب هذا القول : « لسانُ الذي يُلحدون اليه أعجَميٌّ وهذا لسانٌ عربي مبين » (٢) فان للخصم أن يقول : نحن انما أردنا القصص والأخبار ونحن نعلم أن الاعجمي إذا القى الكلام الى العربي لا يخرجه عن كونه تعلم معانيه من الأعجمي . فظاهر الكلام لا يصلح أن يكون رداً على المشركين فيقال لهم : هب أنّ الاعجمي علمه المعاني فهذه العبارة الهائلة التي قطعت أطماعكم عن الاتيان بمثلها من علمهاإياه ؟ أفان كان هو الذي أتى بها من قبل نفسه كما زعمتم فقد أقررتم أن رجلاً واحداً منكم أتى بهذا المقدار من الكلام الذي هو مائة سورة وأربع عشرة سورة ، وقد عجزتم بأجمعكم ، وكل من تدعونه من دون الله عن الاتيان بأقصر سورة . فان قلتم : إن الاعجمي علمه المعاني والالفاظ فهذا أشد عليكم لانه إقرار بان رجلاً أعجمياً قدر على ما بين من الآيات المتضمنة للأخبار والقصص وقد عجزتم عن ثلاث آيات منهن ، يلجئهم ذلك الى الاقرار بانه من عند الله .

وقال السبكي : « هو ذكر اعتراض وجواب » (٣) ، ولم يذكر له أمثلة . ويبدو ان المصري انفرد بالحديث عن هذا الفن ، لان « الالتجاء والمعاظلة » الذي ذكره ابن منقذ غير ذلك (٤) ، فالالتجاء والمعاظلة — كما تقدم — هو ما سماه عبدالقاهر الاستعارة غير المفيدة ، والالجاء الذي ذكره المصري والسبكي هو « ذكر اعتراض وجواب » .

الجام الخصم بالحجة :

يقال : ألجم الفرس أي وضع له اللجام ، وفي الحديث : « من سئل عما يعلمه فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » ، أي ان الممسك عن الكلام ممثل بمن ألجم نفسه بلجام (٥) .

والجام الخصم بالحجة هو الاحتجاج النظري وقد تقدم ، أو المذهب الكلامي

---

(١) النحل ١٠٣ .
(٢) النحل ١٠٣ .
(٣) عروس الافراح ج٤ص٤٧٠
(٤) البديع فى نقد الشعر ص ١٥٨ .
(٥) اللسان (لجم)

وقد سماه الزركشي « الجام الخصم بالحجة » وقال: « هو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه . والعجب من ابن المعتز في بديعه حيث أنكر وجود هذا النوع في القرآن وهو من أساليبه » (١) .

الألغاز:

ألغز الكلام وألغز فيه : عمّى مراده وأضمره على خلاف ما أظهره ، واللغز : ما ألغز من كلام فشبّه معناه ، واللغز : الكلام الملبّس ، وقد ألغز في كلامه يلغِز إلغازاً إذا ورّى فيه وعرّض ليخفى . واللغز واللغيزي والالغاز : حفرة يحفرها اليربوع في جحره تحت الأرض (٢) .

وكان الخليل بن احمد الفراهيدي قد ذكره فقال : « رأيت أعرابياً يسأل أعرابياً عن البلصوص ما هو ؟ فقال : طائر . قال : فكيف تجمعه ؟ قال : البلنصى . قال الخليل : « فقد ألغز رجاز فقال : « فما البلصوص يتبع البلنصى » كان لغزاً » (٣) . وعقد الجاحظ بابا في اللغز والجواب (٤) ، ولكن ذلك أقرب الى اسلوب الحكيم . وقال الحاتمي : « وانما سمي اللغز لغزاً ؛ لان اللغز والالغاز ما خفي مذهبه وبعد مطلبه مأخوذ من الارض اللغز واللغيزى وهي الخفية »(٥) ، وهذا تعريف لغوي ، ولكن ابن وهب قال عنه : « هو قول استعمل فيه اللفظ المتشابه طلباً للمعاياة والمحاجة . والفائدة في ذلك في العلوم الدنيوية رياضة الفكر في تصحيح المعاني واخراجها من المناقضة والفساد الى معنى الصواب والحق وقدح الفطنة في ذلك واستنجاد الرأي في استخراجها »(٦) . وذلك مثل قول الشاعر :

ربّ ثور رأيت في جحر نمل ... ونهار في ليلة ظلمـــاء

فالثور ههنا القطعة من الأقط وهي اللبن اليابس ، والنهار فرخ الحبارى ، فاذا استخرج هذا صحّ المعنى ، واذا حمل على ظاهر لفظه كان محالا .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٦٨ . (٢) اللسان (لغز) .
(٣) مراتب النحويين ص ٦٣ .
(٤) البيان ج ٢ ص ١٤٧ .
(٥) حلية المحاضرة ج ٢ ص ١٧٨ .
(٦) البرهان في وجوه البيان ص ١٤٧ .

وقال الخفاجي : « إن الموضوع على وجه الالغاز قد قصد قائله إغماض المعنى وإخفاءه وجعل ذلك فناً من الفنون التي يستخرج بها أفهام الناس وتمتحن أذهانهم»(١) وذكر أن شيخه أبا العلاء المعري كان يستحسن هذا الفن ويستعمله في شعره كثيراً ، ومنه قوله :

وجبتُ سرابياً كأن إكامه ... جوارٍ ولكن ما لهن نهودُ
تمجّس حرباءُ الهجير وحوله ... رواهب خيط والنهار يهود

فألغز بقوله : « جوارٍ » عن الجواري من الناس ، وهو يريد كأنهن يجرين في السراب . وبقوله : « نهود » عن نهود الجواري ، وهو يريد بنهود « نهوض » أي كأنهنّ يجرين في السراب ومالهن على الحقيقة نهوض . وأراد بقوله : « تمجّس حرباء » أي صار لاستقباله الشمس كالمجوس التي تعبدها وتسجد لها وجعل الرواهب النعام لسوادها ، ويهود : يرجع ، وهو يلغز بذلك عن اليهود لمّا ذكر المجوس والرواهب .

والالغاز عند ابن الاثير الأغاليط من الكلام أو الأحاجي وقد يسمى المعمّى قال : « وأما اللغز والاحجية فانهما شيءٌ واحد ، وهو كل معنى يستخرج بالحدس والحزر لا بدلالة اللفظ حقيقة ومجازاً ولا يفهم من عرضه لان قول القائل في الضرس :

وصاحب لا أملّ الدهر صحبته ... يشقى لنفعي ويسعى سَعْيَ مُجْتَهِدِ
ما إن رأيت له شخصاً فمذ وقعت ... عيني عليه افترقنا فُرْقَةَ الأبَدِ

لايدلّ على أنه الضرس لامن طريق الحقيقة ولا من طريق المجاز ولا من طريق المفهوم ، وانما شيءٌ يحدس ويحزر » (٢) .

وسماه المصري « الالغاز والتعمية » وقال : إن الالغاز يسمى المحاجاة ، والتعمية أعم أسمائه وهو : « أن يريد المتكلم شيئاً فيعبر عنه بعبارات يدل ظاهرها على غيره وباطنها عليه ، وهو يكون في النثر والشعر » (٣) .

---

(١) سر الفصاحة ص ٢٦٥ .
(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٢٢٤ .
(٣) تحرير التحبير ص ٥٧٩ .

والالغاز عند العلوي الأحجية قال : « وهو ميلك بالشيء عن وجهه ، واشتقاقه من قولهم : « طريق لغز » إذا كان يلتوي ويشكل على سالكه ويقال له المعمّى أيضاً »(١) وذكر البيتين السابقين في الضرس وعلق عليهما بمثل تعليق ابن الاثير . ومن ذلك وصف المتنبي للسفن في قصيدته التي يمدح بها سيف الدولة عند ذكره لصورة الفرات :

وحشاه عادية بغير قوائم عقم البطون حوالك الأبدانِ
تأتي بما سبَت الخيول كانها تحت الحسان مرابض الغزلانِ

وذكر بعضهم ان الالغاز وقع في القرآن الكريم وجعل منه ما جاء في أوائل السور من الحروف المفردة والمركبة ، ومنه قوله تعالى في قصة ابراهيم — عليه السلام — لما سئل عن كسر الأصنام وقيل له : أنت فعلته ؟ فقال : « بل فعَله كبيرُهم هذا » (٢) قابلهم بهذه المعارضة ليقيم عليهم الحجة ويوضح لهم المحجة(٣) ولا يخرج كلام الحموي والسيوطي والمدني (٤) عما ذكره المتقدمون .

الالمام :

ألمّ الماماً أي : اقترب منه ، وقد ألمّ به أي نزل ، والالمام : النزول ، والزيارة غبا (٥) ، والالمام بالشيء معرفته ، وتجيء بمعنى انه لم يتعمق فيه . والالمام من السرقات ، قال ابن رشيق إنه « ضرب من النظر » (٦) ، ومثل له بقول أبي الشيص :

أجِدُ الملامةَ في هواك لذيذةً حُبّاً لذكرك فليَلُمْني اللوّمُ

وقول المتنبي :

أأحبه وأحبُّ فيه ملامةً إنّ الملامةَ فيه من أعدائه

---

(١) الطراز ج ٣ ص ٦٦ .
(٢) البقرة ٦٣ .
(٣) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٢٩٩ .
(٤) خزانة ص ٣٩٣ ، شرح عقود الجمان ص ١٣٧ ، أنوار الربيع ج ٦ ص ٤٠ .
(٥) اللسان (لمم) .
(٦) العمدة ج ٢ ص ٢٨٧ .

وقال عنهما ابن رشيق في باب التغاير : « وهذا عند الجرجاني هو النظر والملاحظة وهو يعدّه في باب السرقات » (١) . وكان القاضي الجرجاني قد علق على البيتين بقوله : « ومن لطيف السرق ما جاء به على وجه القلب وقصد به النقض »(٢) .

وللالمام معنى آخر ، قال ابن شيث القرشي : « الالمام : وهو مصدر قولك : « ألمّ يلم إلمامـا » واللمم الصغيرة والكبيرة من الذنوب ، وهو أن يلم الكاتب في صدر كلامه بكلمة ثم يبني عليها فصلاً ثم يتفق أن يستعمل كلمة أخرى أجنبية فينافر ما بين اللفظين وينافي ما بين المعنيين فيعود الى تلك الكلمة التي استعملها في صدر كلامه يعكسها هجاءً ويعيدها في أول الفصل الثاني . وهو مثل قولك : « أفاض الله عليك نعمه ، وأضاف اليك قسمه » ومنه : « قُرّف فلان بتكذيبه ففرق بينه وبين محبوبه » ويقال : « لاح لفلان سبيل رشده فحال بينه وبين ضده » . ومنه :

جلّ عن مشبهٍ يساويه في الفضـ ـلِ كما لجّ في اقتناء الفخارِ (٣)

وهذا هو الضرب الثاني من المشبه بالتجنيس الذي سمي معكوساً ، وقد ذكر ابن الاثير عكس الحروف (٤) ، وهو شبيه بما ذكره ابن شيث .

الالهاب:

ألهب : أوقد ، وألهب البرق إلهاباً ، وإلهابه تداركه حتى لا يكون بين البرقتين فرجة ، وألهب في الكلام : أمضاه بسرعة ، والأصل فيه : الجري الشديد الذي يثير اللهب وهو الغبار الساطع كالدخان المرتفع من النار (٥) .

وقد ذكر العلوي فنا سماه « الالهاب والتهييج » وقال إنهما : « مقولان على كل كلام دالٍ على الحث على الفعل لمن لا يتصور منه تركه وعلى ترك الفعل لمن لا يتصور منه فعله ولكن يكون صدور الأمر والنهي ممن هـذه حاله على جهة

---

(١) العمدة ج ٢ ص ١٠٣ .
(٢) الوساطة ص ٢٠٦ .
(٣) معالم الكتابة ص ٧٢ .
(٤) المثل السائر ج ١ ص ٢٦٠ – ٢٦٣ .
(٥) اللسان (لهب) .

الالهاب والتهييج له على الفعل أو الكف لا غير » (١) . فالأمر مثاله قوله تعالى : « فاعبد اللهَ مُخْلِصا له الدين» (٢) ، وقوله : « فأقِمْ وَجْهَكَ للدينِ القيّم»(٣) وقوله : « فاستقم كما أُمِرْتَ » (٤) . والمعلوم من حاله — عليه السلام — أنه حاصل على هذه الأمور كلها من عبادة الله تعالى واقامة وجهه للدين والاستقامة على الدعاء اليه لا يفتر عن ذلك ولا يتصور منه خلافها لان خلافها معصوم منه الأنبياء فلا يمكن تصوره من جهتهم بحال ولكن ورودها على هذه الاوامر انما كان على جهة الحث له بهذه الأوامر وأمثالها . وكذلك ورد في المناهي كقوله تعالى : «فلا تكونَنّ من الجاهلين »(٥) ، وقوله : « لئنْ أشركْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتكونَنَّ من الخاسرين» (٦). وحاشاه أن يكون جاهلاً أو أن يفعل أفعال السفهاء والجهال ، وأنّى يخطر بباله الشرك بالله وهو أول من دعا الى عبادته يحثّ عليها ، وهكذا القول فيما كان وارداً في الأوامر والنواهي له — عليه السلام — فانما كان على جهة الالهاب على فعل الاوامر والانكفاف عن المناهي والتهييج لداعيته وحثاً له على ذلك . فالأمر في حقه على تحصيل الفعل والكف عن المناهي فيما كان يعلم وجوبه عليه ويتحقق الانكفاف عنه انما هو على جهة التأكيد والحث بالتهييج والالهاب ، فهذان نوعان من الكلام يردان في الكلام الفصيح والخطب البالغة ، ولولا موقعهما في البلاغة أحسن موقع لما وردا في كتاب الله — تعالى — الذي اعجز الثقلين الاتيان بمثله او بأقصر سورة من سوره .

ولم يرد هذا الفن إلا في كتاب « الطراز » للعلوي ، ولعله يدخل في خروج الأمر والنهي عن غرضيهما الحقيقيين ، والغرض المجازي في كل منهما هو الالهاب والتهييج .

الامتحان :

امتحن القول : نظر فيه ودبره ، وامتحن الله قلوبهم : صفّاها وهذبها (٧) .

---

(١) الطراز ج ٣ ص ١٦٥ . (٢) الزمر ٢ . (٣) الروم ٤٣ .
(٤) هود ١١٢ . (٥) الانعام ٣٥ .
(٦) الزمر ٦٥ . (٧) اللسان (محن) .

وقد أطلق العلوي مصطلح « الامتحان » على ثلاثة أنواع هي : الاقتصاد والتفريط والافراط ، وقال : « إن من المعاني ما يكون متوسطاً فيما أُتي به من أجله فيكون اقتصاداً ، ومنها ما يكون قاصراً عن الغرض فيقال له تفريط ، ومنها ما يكون زائداً عن الحد فيكون افراطاً . فهذا الفصل يسمى الامتحان لما كان فيه الافادة لمعرفة هذه الامور الثلاثة ، فاذا عرفت هذا فاعلم ان هذه الامور الثلاثة أعني الاقتصاد والتفريط والافراط لها مدخل في كل شيء من العلوم والصناعات والاخلاق والطباع » (١) .

وقد تقدم الكلام على الافراط والاقتصاد وسيأتي الحديث عن التفريط .

الامتناع :

المنع : أن تحول بين الرجل والشيء الذي يريده ، ويقال : هو تحجير الشيء؛ منعه يمنعه منعا ومنّعه فامتنع منه وتمنّع (٢) .

وكان قدامة قد تحدث في باب العيوب العامة للمعاني عن ايقاع المستنع وفرّق بينه وبين المتناقض ، قال : « ومن عيوب المعاني ايقاع الممتنع فيها في حال ما يجوز وقوعه ويمكن كونه . والفرق بين الممتنع والمتناقض ان المتناقض لا يكون ولا يمكن تصوّره في الوهم ، والممتنع لا يكون ويجوز أن يتصور في الوهم » (٣) ومما جاء في الشعرِ وقد وضع الممتنع فيه فيما يجوز وقوعه قول أبي نواس :

يا أمينَ الله عِشْ أبداً ‏ ‏ ‏ ‏ دُمْ على الأيام والزّمَنِ

فليس يخلو هذا الشاعر من أن يكون تفاءل لهذا الممدوح بقوله : عش أبداً أو دعا له ، وكلا الأمرين مما لا يجوز مستقبح .

وقال البغدادي : « وأما الامتناع فهو الذي وان كان لا يوجد فيمكن أن يتخيل ، ومنزلته دون منزلة المستحيل في الشناعة ، مثل أن تركب أعضاء حيوان

---

(١) الطراز ج ٢ ص ٢٩٩ .
(٢) اللسان (منع) . ‏ ‏ ‏ (٣) نقد الشعر ص ٢٤٢ .

ما على جثة حيوان آخر فان ذلك جائز في التوهم ولكنه معدوم في الوجود » (١)

الامثال :

المثل : الشيءُ الذي يضرب لشيءٌ مثلاً فيجعل مثله ، والجمع : الأمثال (٢) . ولخص الميداني ما قيل في المثل فقال : « قال المبرد : المثل مأخوذ من المثال وهو قول سائر يشبّه به حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه ، فقولهم « مَثَلَ بين يديه » إذا انتصب ، معناه أشبه الصورة المنتصبة . و « فلان أمثل من فلان » أي : أشبه بما له من الفضل . والمثال : القصاص لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول ،فحقيقة المثل ماجعل كالعلم للتشبيه بحال الأول كقول كعب بن زهير :

كانت مواعيدُ عرقوب لها مثلاً   وما مواعيدُها إلاّ الأباطيلُ

فمواعيد عرقوب علم لكل مالا يصح من المواعيد .

قال ابن السكيت : المثل : لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ ، شبّهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره .

وقال غيرهما : سميت الحكم القائم صدقها في العقول أمثالاً لانتصاب صورها في العقول مشتقة من المثول الذي هو الانتصاب .

وقال ابراهيم النظام : يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : ايجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكناية ؛ فهو نهاية الغاية .

وقال ابن المقفع : إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق ، وآنق للسمع ، وأوسع لشعوب الحديث » .

ثم قال الميداني : « فالمَثَل ما يمثل به الشيءُ أي يشبّه كالنكل من ينكّل به عدوه ، غير ان المِثْل لا يوضع في موضع هذا المَثَل وان كان المثل يوضع موضعه ، فصار المثل اسماً مصرحا لهذا الذي يضرب ثم يردّ الى أصله الذي كان

(١) قانون البلاغة ص ٤١٣ .
(٢) اللسان (مثل) .

له من الصفة » (١) .

وقال ابن وهب : « وأما الأمثال فان الحكماء والعلماء والأدباء لم يزالوا يضربون الأمثال ويبينون للناس تصرّف الأحوال بالنظائر والأشباه والأشكال ، ويرون هذا النوع من القول أنجح مطلبا وأقرب مذهباً » (٢) . وهذا ما ذهبت اليه كتب الأمثال غير ان الجاحظ سمىّ الاستعارة مثلاً ، وقال في تعليقه على بيت الأشهب ابن رميلة :

هُمُ ساعدُ الدهر الذي يتقى به وما خيرُ كفّ لا تنوءُ بساعد

« قوله : « هم ساعد الدهر » انما هو مثل ، وهذا الذي تسميه الرواة البديع » (٣) وهذه تسمية القدماء ، قال المظفر العلوي : « وكان القدماء يسمونها الأمثال فيقولون : « فلان كثير الأمثال » . ولقبها بالاستعارة ألزم ؛ لانه أعم ، ولان الأمثال كلها تجري مجرى الاستعارة » (٤) . وهذا هو الصحيح لتبقى الأمثال وارسال المثل وارسال المثلين مما يحسن التمثل به عند اقتضاء المقام .

والأمثال في القرآن الكريم وكلام العرب كثيرة ، وقد تقدمت منها صور في « إرسال المثل » و « إرسال المثلين » .

الامر :

الأمر نقيض النهي ، يقال أمره يأمره أمْراً وإماراً فائتمر أي قبل أمره (٥) .

والأمر عند البلاغيين هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والالزام ، أو كما قال العلوي : « هو صيغة تستدعي الفعل أو قول يُنبيءُ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء » (٦) .

وللأمر أربع صيغ هي :

١ـ فعل الأمر كقوله تعالى : « وأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ وأطيعوا الرسولَ » (٧)

---

(١) مجمع الامثال ج ١ ص ٥ ـ ٦ .
(٢) البرهان في وجوه البيان ص ١٤٥ .
(٣) البيان ج ٤ ص ٥٥ .
(٤) نضرة الاغريض ص ١٣٣ .
(٥) اللسان (أمر) .
(٦) الطراز ج ٣ ص ٢٨١ .
(٧) النور ٥٦ .

وقول الحطيئة :

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبغيتها　　واقعُدْ فانّك أنت الطاعمُ الكاسي

٢ـ المضارع المقرون بلام الأمر كقوله تعالى: « لِيُنْفِقْ ذو سَعَةٍ من سَعَتِه»(١) وقول أبي تمام :

كذا فليجلّ الخطب وليفدحِ الأمْرُ

فليس لعين لم يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ

٣ـ اسم فعل الأمر كقوله تعالى : « عليكم أنْفُسَكم لا يضرّكم مَنْ ضَلّ إذا اهتديتم » (٢) . ومنه « صه » بمعنى اسكت ، و « مه » بمعنى اكفف ، و« آمين » بمعنى استجب ، و « بَلْهَ » بمعنى دع ، و « رويده » بمعنى أمهله ، و « نزالِ » بمعنى انزل ، و « دراكِ » بمعنى أدرك .

٤ـ المصدر النائب عن فعل الأمر كقوله تعالى : « وبالوالدين إحْساناً »(٣) . وقول قطريّ بن الفجاءة :

فصبراً في مجال الموت صَبْراً　　فما نيلُ الخلود بمستطاعِ

والأمر من أوائل الأساليب التي بحثها النحاة والبلاغيون ، وقد عقد له سيبويه بابا وتحدث عنه ابن قتيبة وثعلب وأشاروا الى معناه الحقيقي والى بعض الأغراض التي يخرج اليها (٤) . ولعل ابن فارس كان من أوائل الذين عقدوا بابا باسم « باب معاني الكلام » وهي عشرة : خبر واستخبار ، وأمر ونهي ، ودعاء وطلب ، وعرض وتحضيض ، وتمنٍ وتعجب (٥) ، وهذا هو الباب الذي سماه البلاغيون باب « الخبر والانشاء » . وقد عرّف الأمر بقوله : « الأمر عند العرب ما إذا لم يفعله المأمور سمي المأمور به عاصيا ويكون بلفظ : افْعَلْ ولْيَفْعَل »(٦).

---

(١) الطلاق ٧ .　　(٢) المائدة ١٠٥ .

(٣) البقرة ٨٣ .

(٤) الكتاب ج ١ ص ١٣٧ ، أدب الكاتب ص ٤ ، قواعد الشعر ص ٢٥ .

(٥) الصاحبي ص ١٧٩ .

(٦) الصاحبي ص ١٨٤ .

وتحدث عن المعاني التي يحتملها لفظ الأمر .

ودخل أسلوب الأمر في علم المعاني حينما قسم السكاكي البلاغة الى أقسامها الثلاثة : المعاني والبيان والبديع . والأمر عنده هو الباب الثالث من أبواب الطلب ، وقال : « والأمر في لغة العرب عبارة عن استعمالها اعني استعمال نحو « ليترل » و « انزل » و « نزالِ » و « صه » على سبيل الاستعلاء »(١).وتحدث عن الاغراض المجازية للأمر ، وتبعه في ذلك البلاغيون ولا سيما القزويني وشرّاح التلخيص (٢)

والمعاني المجازية التي يخرج اليها الأمر كثيرة منها :

الامر للاباحة :

الأمر للاباحة من الأغراض الاولى التي فطن لها النحاة ، فسيبويه يقول : « تقول « جالس عَمْراً أو خالداً أو بشراً » كأنك قلت : جالس أحد هؤلاء ولم ترد انسانا بعينه » (٣) .

وذكره ابن قتيبة وقال : « وعلى لفظ الأمر وهو اباحة »(٤) قوله تعالى : « فكاتبوهم إنْ علمتم فيهم خيراً » (٥) ، وقوله : « فاذا قُضِيَتِ الصلاةُ فانتشروا في الأرْض » (٦) .

ونصّ المبرد على معنى الاباحة فقال : « وقد يكون لها موضع آخر معناه الاباحة وذلك قولك : « جالس الحسن او ابن سيرين » و « ائت المسجد أو السوق» أي قد أذنت لك في مجالسة هذا الضرب من الناس وفي اتيان هذا الضرب من المواضع »(٧) . وظل مثال « جالس الحسن او ابن سيرين » يدور في كتب البلاغة عند الكلام على خروج الأمرللاباحة .

---

(١) مفتاح العلوم ص ١٥٢ .

(٢) الايضاح ص ١٤٣ ، التلخيص ص ١٦٨ ، الأقصى القريب ص ٨٧ ، الطراز ج ٣ ص ٢٨١ ، شروح التلخيص ج ٢ ص ٣٠٨ ، المطول ص ٢٣٩ ، الاطول ج ١ ص ٢٤٦ ، معترك ج ١ ص ٤٤١ ، الاتقان ج ٢ ص ٨١ ، شرح عقود الجمان ص ٥٥ ، حلية اللب ص ٩٥ .

(٣) الكتاب ج ٣ ص ١٨٤ .

(٤) تأويل مشكل القرآن ص ٢١٦ .

(٥) النور ٣٣ .

(٦) الجمعة ١٠ .

(٧) المقتضب ج ١ ص ١١ .

ومن الأمر للاباحة قوله تعالى : « وكُلوا واشْربوا حتى يتبينَ لكم الخيطُ الابيضُ من الخيط الأسْودِ من الفجر » (١) . وقول كثير :

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومةً لدينا ولا مقليّةً إنْ تَقَلّتِ

قال القزويني : « ووجه حسنه اظهار الرضى بوقوع الداخل تحت لفظ الأمر حتى كأنه مطلوب » (٢) .

الأمر للاحتقار :

ومنه قوله تعالى : « ألقوا ما أنتم مُلْقُون » (٣) ، قال السبكي : « ولولا أنّ الالقاء سحر لكنت أقول أنه أمر اباحة » (٤) .

الأمر للارشاد :

ومنه قوله تعالى: « وأشْهِدُوا إذا تبايعتم » (٥) . وقد ذكره السبكي والسيوطي(٦)

الأمر للاعتبار :

ذكره السبكي والسيوطي (٧) ، وهو كقوله تعالى : « انظروا الى ثَمَرِه إذا أثمر » (٨) .

الأمر للاكرام :

ومنه قوله تعالى : « ادْخُلوها بسلامٍ » (٩) ، قال السبكي : « وهو أيضاً من الاباحة » (١٠) .

---

(١) البقرة ١٨٧ .

(٢) الايضاح ص ١٤٤ ، وينظر الطراز ج ٣ ص ٢٨٢ ، عروس الافراح ج ٢ ص ٣١٢ . معترك ج ١ ص ٤٤١ .

(٣) يونس ٨٠ .

(٤) عروس الافراح ج ٢ ص ٣٢١ ، وينظر الايضاح ص ١٤٥ ، معترك ج ١ ص ٤٤٢ .

(٥) البقرة ٢٨٢ . (٦) عروس الافراح ج ٢ ص ٣٢١ ، معترك ج ١ ص ٤٤٢ .

(٧) عروس ج ٢ ص ٣٢١ ، معترك ج ١ ص ٤٤٣ .

(٨) الأنعام ٩٩ . (٩) الحجر ٤٦ ، ق ٣٤ .

(١٠) عروس ج ٢ ص ٣٢١ ، معترك ج ١ ص ٤٤٢ .

الأمر للالتماس :

وهو الطلب من المساوي (١) ، قال القزويني : « والالتماس إذا استعملت فيه على سبيل التلطف » (٢) كقولك لمن يساويك في الرتبة « افعل » بلا استعلاء .

الأمر للامتنان :

ومنه قوله تعالى : « كُلوا من ثَمره إذا أثمر » (٣) ، قال السبكي : « والظاهر انه قسم من الاباحة لكن معه امتنان » (٤) .

الأمر للانذار :

ومنه قوله تعالى : « قُل تَمتّعوا » (٥) ، ومنهم من عدّه من التهديد ، ومنهم من جعله قسما آخر ، وأهل اللغة قالوا « التهديد التخويف ، والانذار الابلاغ ، فهما متقابلان » (٦) .

الامر للانعام :

أي : تذكير النعمة (٧) كقوله تعالى : « كُلوا مما رزقكم اللهُ » (٨)

الأمر للاهانة :

ذكره القزويني والعلوي والسبكي والسيوطي (٩) ، وهو كقوله تعالى : « ذُق إنّكَ أنت العزيزُ الكريم » (١٠). وقوله : « قل : كُونوا حجارةً أو حديداً »(١١)

الأمر للتأديب :

ذكره ابن قتيبة وقال : « أن يأتي على لفظ الأمر وهو تأديب»(١٢) كقوله تعالى :

---

(١) عروس الافراح ج ٢ ص ٣٢٠ . (٢) الايضاح ص ١٤٥ .
(٣) الأنعام ١٤١ . (٤) عروس ج ٢ ص ٣٢١ ، معترك ج ١ ص ٤٤٢ .
(٥) ابراهيم ٣٠ . (٦) عروس ج ٢ ص ٣٢١ ، معترك ج ١ ص ٤٤٢ .
(٧) عروس ج ٢ ص ٣٢١ ، معترك ج ١ ص ٤٤٢ .
(٨) الأنعام ١٤٢ .
(٩) الايضاح ص ١٤٤ ، الطراز ج ٣ ص ٢٨٣ ، عروس ج ٢ ص ٣١٧ ، معترك ج ١ ص ٤٤٢ .
(١٠) الدخان ٤٩ . (١١) الاسراء ٥٠ .
(١٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢١٦ .

« وأشهدوا ذوي عَدْل منكم » (١) . وقوله : « واهجروهُنَّ في المضاجع واضْرِبُوهن » (٢) .

الأمر للتحريم :

قال السبكي : « فان جماعة ذهبوا الى ان الامر مشترك بين معانٍ أحدها التحريم كما نقله الاصوليون . فاذا كنا نذكر الاستعمالات لغير الأمر مجازاً فذكر هذا أولى لانه استعمال حقيقي عند القائل به ولا بدع في استعماله عند غيره في التحريم مجازاً بعلاقة المضادة . ويمكن أن يمثل له بقوله تعالى : « قل تَمتّعوا فانّ مصيرَكم الى النار » (٣) ، لكنه يبعده « فان مصيركم الى النار » فانه لا يناسب التحريم ، وكذلك « تمتع بكفرِك قليلاً إنّك من أصحاب النار »(٤).

الأمر للتخيير :

ذكره المبرد وقال : « وكذلك وقوعها للتخيير ، تقول : « اضرب اما عبدالله واما خالداً » فالآمر لم يشك ولكنه خيّر المأمور كما كان ذلك في« أو » (٥) .

ومنه قول بشار :

فَعِشْ واحداً أو صِلْ أخاك فانه
مقارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً ومجانِبُه

الأمر للتسخير :

أي للتذليل ، كقوله تعالى : « كُونوا قِردة » (٦) وعبّر به عن نقلهم من حالة الى حالة إذلالاً لهم ، فهو أخص من الاهانة (٧) .

---

(١) الطلاق ٢ . (٢) النساء ٣٤ .
(٣) ابراهيم ٣٠ .
(٤) الزمر ٨ . ينظر عروس الافراح ج ٢ ص ٣٢٢ .
(٥) المقتضب ج ١ ص ١١ . (٦) البقرة ٦٥ .
(٧) الايضاح ص ١٤٤ ، الطراز ج ٣ ص ٢٨٢ ، عروس ج ٢ ص ٣١٧ ، معترك ج ١ ص ٤٤٢ .

الأمر للتسليم :

ذكره ابن فارس (١) ، وهو كقوله تعالى : « فاقْضِ ما أنت قاضٍ »(٢) .

الأمر للتسوية :

ذكره القزويني والعلوي والسبكي والسيوطي (٣) ، ومنه قوله تعالى : « فاصْبِروا أو لا تَصْبِروا » (٤) . وقول المتنبي :

عِشْ عزيزاً أو مُتْ وأنت كريمٌ ... بين طعنِ القَنا وخَفْقِ البنودِ

الأمر للتعجب :

ذكره السكاكي في استعمال الانشاء بمعنى الخبر قال : « والأمر في باب التعجب من نحو « اكرم بزيد » على قول من يقول انه بمعنى الخبر » (٥) ، وذكره ابن فارس والسبكي والسيوطي (٦) ، ومنه قول كعب بن زهير :

أحْسِنْ بها خلةً لو أنّها صَدَقَتْ ... موعودَها أولو انّ النُصْحَ مقبولُ

الأمر للتعجيز :

ذكره ابن فارس والسبكي والسيوطي (٧) ، ومنه قوله تعالى : « فاتوا بسورة من مثله » (٨) إذ ليس المراد طلب ذلك منهم بل اظهار عجزهم . ومنه قول الشاعر :

خلِّ الطريقَ لمن يبني المنار به ... وابرزْ ببرزة حيثُ اضطرك القَدَرُ

وقول الشاعر :

أروني بخيلاً طال عمراً ببخله ... وهاتوا كريماً مات من كَثْرةِ البَذْلِ

الأمر للتفويض :

ومنه قوله تعالى : « فاقْضِ ما أنت قاضٍ » (٩) . قال السبكي : « زاده الامام

---

(١) الصاحبي ص ١٨٥ . (٢) طه ٢٠ .

(٣) الايضاح ص ١٤٤ ، الطراز ج ٣ ص ٢٨٣ ، عروس الافراح ج ٢ ص ٣١٨ ، معترك ج ١ ص ٤٤٢ . (٤) الطور ١٦ .

(٥) مفتاح العلوم ص ١٥٥ . (٦) الصاحبي ص ١٨٦ ، عروس الافراح ج ٢ ص ٣٢١ ، معترك ج ١ ص ٤٤٣ .

(٧) الصاحبي ص ١٨٦ ، عروس ج ٢ ص ٣١٤ ، معترك ج ١ ص ٤٤٢ .

(٨) البقرة ص ١٨٥ . (٩) طه ٢٠ .

ايضاً » (١) . وقد جاءت الآية لخروج الأمر الى التسليم كما ذكر ابن فارس (٢).

الأمر للتكذيب :

ذكره السبكي والسيوطي (٣) ، ومنه قوله تعالى: « قل فاتوا بالتوراة فاتْلوها »(٤) وقوله : « قل هلمّ شهداءكم الذين يَشْهدون أنّ اللهَ حرّم هذا » (٥) .

الأمر للتكوين :

وهو أعم من التسخير (٦) ، وقال السبكي: « وهو قريب من التسخير إلا ان هذا أعم »(٧). ومنه قوله تعالى : « كُنْ فيكونُ » (٨) ، وهذا لا يكون إلا من الله سبحانه (٩) .

الأمر للتلهيف :

ذكره الصاحبي وقال: «ويكون أمراً والمعنى تلهيف وتحسير » (١٠) كقول القائل: « مت بغيضك ومت بداثاك » ومنه قوله تعالى: « قُل مُوتوا بغيضكم»(١١) وقول جرير :

موتوا من الغيظ غماً في جزيرتكم لن تقطعوا بَطْنَ وادٍ دُونَه مُضَرُ

الأمر للتمني :

ذكره ابن فارس وقال: « ويكون أمراً وهو تمنٍ ، تقول لشخص تراه : « كن فلانا » (١٢). ومنه قول امريُ القيس :

ألا أيّها الليلُ الطويلُ ألا انجلي بصبحٍ وما الاصباحُ منك بأمثلِ

---

(١) عروس ج ١ ص ٣٢١ . (٢) الصاحبي ص ١٨٥ .
(٣) عروس ج ٢ ص ٣٢١ ، معترك ج ١ ص ٤٤٣ .
(٤) آل عمران ٩٣ . (٥) الأنعام ١٥٠ .
(٦) معترك ج ١ ص ٤٤٢ . (٧) عروس الافراح ج ٢ ص ٣٢١ .
(٨) الأنعام ٧٣ .
(٩) الصاحبي ص ١٨٥ ، معترك ج ١ ص ٤٤٢ .
(١٠) الصاحبي ص ١٨٦ . (١١) آل عمران ١١٩ .
(١٢) الصاحبي ص ١٨٦ ، وينظر الايضاح ص ١٤٤ ، عروس الافراح ج ٢ ص ٣١٩ .

الأمر للتهديد :

ذكره ابن قتيبة وقال : « ومنه أن يأتي الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد »(١) كقوله تعالى : « اعملوا ما شئتم » (٢) . ومنه قول الشاعر :

إذا لم تخشَ عاقبةَ الليالي ولم تستحي فافعَلْ ما تشــاءُ(٣)

الأمر للخبر :

ذكره ابن فارس(٤) ، ومنه قوله تعالى : «فَلْيضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً»(٥) أي : انهم سيضحكون قليلاً ويبكون كثيراً . وقال السبكي : « الخبر نحو : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت» إذ الواقع ان من لم يستح يفعل ما يشاء . وقيل : المعنى : إذا وجدت الشيءُ مما لا يستحيا منه فافعله فيكون اباحة » (٦) .

الأمر للدعاء :

ذكره الفراء (٧) ، ومنه قوله تعالى على لسان موسى : « ربّنا اطْمِس على أموالهم » (٨) وذكره ابن قتيبة في قوله تعالى : « ربنا باعِدْ بين أسفارنا »(٩) وقال إنه « على طريق الدعاء والمسألة»(١٠) . وسماه ابن فارس « والمعنى مسألة»(١١) وقال المبرد : « الدعاء يجري مجرى الأمر والنهي . . . وذلك كقولك في الطلب « اللهم اغفر لي » . وقال القزويني : « اذا استعملت في طلب الفعل على سبيل التضرع » (١٢) ، كقوله تعالى : « رَبِّ اغفِرْ لي ولوالديّ » (١٣) .

الأمر للعجب :

ذكره السيوطي (١٤) ، ومنـــه قوله تعــالى : « انظر كيف ضَربوا لك

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٢١٦ . (٢) فصلت ٤٠ .

(٣) ينظر الايضاح ص ١٤٤ ، الطراز ج ٣ ص ٢٨٣ ، عروس ج ٢ ص ٣١٤ ، معترك ج ١ ص ٤٤٢

(٤) الصاحبي ص ١٨٦ .

(٥) التوبة ٨٢ . (٦) عروس الافراح ج ٢ ص ٣٢١ .

(٧) معاني القرآن ج ١ ص ٤٧٧ . (٨) يونس ٨٨ .

(٩) سبأ ١٩ . (١٠) تأويل مشكل القرآن ص ٣١ .

(١١) الصاحبي ص ١٨٤ . (١٢) الايضاح ص ١٤٥ ، عروس ج ٢ ص ٣٢٠ .

(١٣) نوح ٢٨ . (١٤) معترك الاقران ج ١ ص ٤٤٢ .

الأمثال» (١) .

الأمر للفرض :

ذكره ابن قتيبة وقال: « وعلى لفظ الأمر وهو فرض » (٢) كقوله تعالى « واتّقوا الله (٣) » . وهذا هو المعنى الحقيقي للأمر .

الأمر للندب :

ذكره ابن فارس والسبكي والسيوطي (٤) ، ومنه قوله تعالى: « واذا قُرِئَ القرآن فاستَمِعوا له وأنصِتوا »(٥) ، وقوله: « فانتشِروا في الأرض » (٦)

الأمر للمشورة :

ذكره السبكي والسيوطي(٧) ، ومنه قوله تعالى : « فانظُرْ ماذا ترى » (٨)

الأمر للواجب :

ذكره ابن فارس وقال : « وتكون أمراً وهو واجب » (٩) كقوله تعالى : « وأقيموا الصلاة » (١٠) . وهذا هو الأمر الحقيقي .

الأمر للوعيد :

ذكره أبو عبيدة وقال عن قوله تعالى: « فذَرْهُم يخوضوا ويلعبوا » (١١) « مجاز الوعيد » (١٢) . وذكره المبرد وقال عن قوله تعالى : « ذَرْهُم يأكلوا ويتمتّعوا »(١٣) : « قيل مخرجه من الله — عز وجل — على الوعيد » (١٤) .وقال ابن

---

(١) الاسراء ٤٨ .
(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢١٧ .
(٣) البقرة ٢٨٢ .
(٤) الصاحبي ص ١٨٥ ، عروس ج ٢ ص ٣٢١ ، معترك ج ١ ص ٤٤١ .
(٥) الاعراف ٢٠٤ .
(٦) الجمعة ٨٢ .
(٧) عروس ج ٢ ص ٣٢١ ، معترك ج ١ ص ٤٤٣ .
(٨) الصافات ١٠٢ .
(٩) الصاحبي ص ١٨٦ .
(١٠) البقرة ٤٣ .
(١١) المعارج ٤٢ .
(١٢) مجاز القرآن ج ٢ ص ٢٧٠ .
(١٣) الحجر ٣ .
(١٤) المقتضب ج ٢ ص ٨٦ .

فارس : « ويكون أمراً والمعنى وعيد » (١) كقوله تعالى : « فتمتّعوا فسوف تَعلمون » (٢) وقوله: « اعْملوا ما شئتم » (٣) . ومنه قول عبيد بن الابرص :

حتى سقيناهم بكأس مرّةٍ فيها المثمّل ناقعاً فليشربوا

ومن الوعيد قول الشاعر :

اروِوا عليّ وأرضوا بي رحالكم واستسمعوا يا بني ميثاء إنشادي
ما ظنكم ببني ميثاء إن رقدوا ليلاً وشدّ عليهم حيّةُ الوادي

وقد جاء في الحديث الشريف : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » أي : ان الله — جلّ ثناؤه — مجازيك .

الانتحال :

انتحل فلان شعر فلان أو قول فلان : إذا ادّعاه إنه قائله، وتنحّاه : ادعاه وهو لغيره . ونَحَلَ القول يَنْحَلُهُ نحْلاً : نسبه اليه . ونحلته القول أنحله نحلاً إذا أضفت اليه قولاً قاله غيره وادعيته عليه . ويقال: نُحل الشاعر قصيدة إذا نسبت اليه وهي من قيل غيره . وانتحل فلان كذا وكذا معناه قد ألزمه نفسه وجعله كالمِلْك له (٤) .

والانتحال من السرقات عند البلاغيين ، وهو أن يأخذ الشاعر أبياتاً لشاعر آخر وينتحلها لنفسه كقول جرير :

إن الذين غَدَوا بلبك غادروا وَشَلاً بعينك لا يزال مَعينا
غيّضنَ من عبراتهن وقلن: لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فان الرواة مجمعون على ان البيتين للمعاوط السعدي انتحلها جرير .

وانتحل جرير قول طفيل الغنوي :

ولما التقى الحيانِ أُلقيت العصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

ولذلك قال الفرزدق :

(١) الصاحبي ص ١٨٥ .
(٢) النحل ٥٥ .
(٣) فصلت ٤٠ .
(٤) اللسان (نحل) .

إن تذكروا كرمي بلؤم أبيكم وأوابدي تتنحَّلوا الأشعارا (١)

الانتقال :

النقل : تحويل الشيءْ من موضع الى موضع ، يقال : نقله ينقله نقلاً فانتقل . والتنقّل : التحوّل (٢) .

وكان المصري قد استخرج فنا جديداً سماه « الحيدة والانتقال » وقال عنه : « هو أن يجيب المسؤول بجواب لا يصلح أن يكون جوابا عما سئل عنه أو ينتقل المستدل الى استدلال غير الذي كان آخذاً فيه ، وانما يكون هذا بلاغة إذا أتى به المستدل بعد معارضة بما يدلّ على أن المعترض لم يفهم استدلاله فينتقل عنه الى استدلال يقطع به الخصم عند فهمه . وقد جاء في الكتاب العزيز من ذلك قوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام في قوله للجبّار (٣) : « ربي الذي يُحيِي ويُميت »(٤) فقال الجبار : « أنا أحيي وأميت » . ثم دعا بانسان فقتله ودعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه فلما علم الخليل أنه لم يفهم معنى الاماتة والاحياء اللذين أرادهما انتقل الى استدلال آخر فقال : « إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأْتِ بها من المغرب » فأتاه باستدلال لا يجد لاسمه اسماً مشتركاً معه فتعلق بظاهره على طريق المغالطة أو لانه لم يفهم إلاّ ذلك الوجه الذي تعلّق به فلا ، جرَم أن الجبار انقطع وأخبر الله ـ سبحانه ـ عنه بذلك حيث قال تعالى : « فَبُهِتَ الذي كفر » . وفيه نوع يحيد المسؤول عن خصوص الجواب الى عمومه لتفيد تلك الحيدة زيادة بيان لا تحصل بخصوص الجواب كقول عائشة — رضي الله عنها — وقد سألتها امرأة : أتدخل المرأة الحمام ؟ فقالت : «كل امرأة وضعت ثيابها في غير بيتها فقد عصت » ، أو كما قالت . فانظر الى حيدتها عن الخصوص الى العموم لتفيد زيادة في البيان وتستوعب جميع أحكام الباب .. وأما ما يأتي بسبب صحة المعارضة على طريق المغالطة فما لا يحسن ذكر مثاله (٥) .

---

(١) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٣٠ ، العمدة ج ٢ ص ٢٨٣ ، الرسالة المسجدية ص ٥٣

(٢) اللسان (نقل) . (٣) الجبار ؛ هو النمروذ بن فالج .

(٤) البقرة ٢٥٨ . (٥) تحرير التحبير ص ٥٦٥ ، بديع القرآن ص ٢٨٠ .

وسماه ابن الاثير الحلبي والسيوطي « الانتقال » ، وقال الأول : « هو أن يسأل المتكلم في بحث أو غيره فيجيب بجواب لا يصلح أن يكون جواب ذلك السؤال وانما يحمله على ذلك إما لانحجته لم تنهض بالاستدلال عليه واما مغالطة عن أداء الجواب عما سئل عنه »(١). ونقل مثال المصري . وقال السيوطي : « هو أن ينتقل المستدل الى استدلال غير الذي كان آخذاً فيه لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول » (٢) . ونقل مثال المصري أيضاً .

الانتكاث :

النكث : نقض ما تعقده وتصلحه من بيعة وغيرها ، يقال : نكثه ينكثه نكثاً فانتكث وتناكث القوم عهودهم : نقضوها (٣) .

سماه ابن منقذ « الانتكاث والتراجع » وقال : « هو أن ينقض الشاعر قوله بقول آخر ، أو ينقص مما زاد فيه » (٤) . كما عابوا على امرئ القيس قوله :

فلو أنّ ما أسعى لأدنى معيشة　　كفاني ولم أطلبْ قليل من المالِ
ولكنما أسعى لمجد مؤثل　　وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

وقوله :

فتملأ بيتنا أقطاً وسمنا　　وحسبك من غِنًى شِبَعٌ وريُّ

لانه وصف نفسه في موضع بسمو الهمة الى الأمور العظيمة، وفي موضع آخر بالقناعة والشبع والري .

وكان قدامة قد تحدث عن هذه الأبيات في باب مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين، ورأى أن امرأ القيس لم يناقض نفسه ، قال : « انه لو تصفح أولاً قول امرئ القيس حق تصفحه لم يوجد ناقض معنى بآخر ، بل المعنيان في الشعرين متفقان إلاّ انه زاد في أحدهما زيادة لا تنقض ما في الآخر ،

---

(١) جوهر الكنز ص ٢٠٥ .
(٢) معترك الأقران ج ١ ص ٤٦٢ .
(٣) اللسان (نكث) .
(٤) البديع في نقد الشعر ص ١٨٢ .

وليس أحد ممنوعا من الاتساع في المعاني التي لا تتناقض، وذلك انه قال في أحد المعنيين : « فلو أنني أسعى لأدنى معيشة كفاني القليل من المال » وهذا موافق لقوله : « وحسبك من غنى شبع وريّ» لكن في المعنى الأول زيادة ليست بناقضة لشيْ وهو قوله : « لكنني لست أسعى لما يكفيني واكن لمجد أؤثله » . فالمعنيان اللذان ينبثان عن اكتفاء الانسان باليسير في الشعرين متوافقان، والزيادة في الشعر الأول التي دلّ بها على بعد همته ليست تنقض واحداً منهما ولا تنسخه » (١) .

الانتهاء :

النُهية والنهاية : غاية كل شيْ وآخره ، والنهاية : كالغاية حيث ينتهي اليه الشيْ وهو النهاء . يقال : بلغ نهايته ، وانتهى الشيْ وتناهى ونهّى : بلغ نهايته.(٢)

قال ابن رشيق : « واما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الاسماع وسبيله أن يكون محكماً لا تمكن الزيادة عليه ولا يأتي بعده أحسن منه ، واذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه . وقد أربى أبو الطيب على كل شاعر في جودة فصول هذا الباب الثلاثة (٣) إلا انه ربما عقّد أوائل الاشعار ثقة بنفسه واغرابا على الناس » (٤) . كقوله في أول قصيدة :

وفاؤكما كالربـع أشجاه طاسمه   بان تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

وقال ابن رشيق بعد ذلك : « ومن العرب من يختم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة ، وفيها راغبة مشتهية ويبقى الكلام مبتوراً كأنه لم يتعمد جعله خاتمة ، كل ذلك رغبة في أخذ العفو واسقاط الكلفة . ألا ترى معلقة امرئ القيس كيف ختمها بقوله يصف السيل من شدة المطر :

كأن السباع فيه غرقى غُديّةً   بأرجائه القصوى أنا بيش عُنْصُلِ (٥)

فلم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من أصحاب المعلقات وهي أفضلها .

---

(١) نقد الشعر ص ٢٠ .
(٢) اللسان (نهي) .
(٣) أي ؛ الابتداء والتخلص والانتهاء
(٤) العمدة ج ١ ص ٢٣٩ .
(٥) العنصل ؛ بصل بري يعمل منه خل شديد الحموضة . الانابيش ؛ العروق .

وقد كره الحذّاق من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء ؛ لانه من عمل أهل الضعف إلاّ للملوك فانهم يشتهون ذلك ما لم يكن من جنس قول أبي الطيب يذكر الخيل لسيف الدولة :

فلا هجمتَ بها إلاّ على ظَفَرٍ ... ولا وصلتَ بها إلاّ الى أمَلِ

فان هذا شبيه ما ذكر عن بغيض : كان يصابح الأمير فيقول : لا صبّح الله الأمير بعافية ، ويسكت ثم يقول : إلاّ ومسّاه باكثر منها ، ويماسيه فيقول : لا مسّى الله الأمير بنعمة ويسكت سكتة ثم يقول : إلاّ وصبّحه بأتم منها ، أو نحو هذا ، فلا يدعو له حتى يدعو عليه ، ومثل هذا قبيح لا سيما عن مثل أبي الطيب » (١) .

وسماه القزويني كما سماه ابن رشيق وقال : « ينبغي للمتكلم أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه حتى تكون أعذب لفظاً وأحسن سبكا وأصح معنى ، الاول الابتداء . . . والثاني التخلص . . . والثالث الانتهاء لانه آخر ما يعيه السمع ويرتسم في النفس » (٢) .

ومن الانتهاءات المرضية قول أبي نواس :

فبقيت للعلم الذي تهدي لـــه ... وتقاعَسَتْ عن يومك الأيـــامُ

وقول أبي تمام في خاتمة قصيدة فتح عمورية :

إن كان بين صروف الدهر من رَحِمٍ
موصولةٍ أو ذمام غير مقتضبِ
فبين أيامك اللاتي نصرت بها
وبين أيام بدْرٍ أقربُ النّسَبِ
أبقتْ بني الأصفر المراض كاسمهم
صُفْرَ الوجوه وجلّت أوْجُهَ العَرَبِ

(١) العمدة ج ١ ص ٢٤٠ – ٢٤١ .
(٢) الايضاح ص ٤٣٤ ، التلخيص ص ٤٣٤ .

وسار شراح التلخيص على سبيل القزويني في الانتهاء (١) .

ونقل الجاحظ عن شبيب بن شيبة قوله : « والناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه وأنا موكل بتفضيل جودة القطع وبمدح صاحبه (٢) » .

وسماه الحلبي « براعة المقطع » وقال : « هو أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه المترسل أو الخطيب أو الشاعر مستعذبا حسنا لتبقى لذته في الاسماع »(٣) .

وذكر النويري هذا المصطلح وهذا التعريف (٤) .

وسماه المصري حسن الخاتمة وذكر انه من مستخرجاته ، وقال : « يجب على الشاعر والناثر أن يختما كلامهما بأحسن خاتمة فانها آخر ما يبقى في الاسماع ولانها ربما حفظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال فيجب أن يجتهد في رشاقتها ونضجها وحلاوتها وجزالتها » (٥) . ونقل ابن مالك هذا الكلام وبعض أمثلة المصري (٦) .

وليس الأمر كما قال المصري وانما سبق الى هذا الفن الذي سمي « جودة القطع » أو « براعة المقطع » أو «الانتهاء » ، وقد أشار الحموي الى ذلك بقوله : « هذا النوع ذكره ابن أبي الاصبع انه من مستخرجاته وهو موجود في كتب غيره بغير هذا الاسم فان التيفاشي سماه « حسن المقطع » وسماه ابن أبي الاصبع حسن الخاتمة » (٧) .

فالانتهاء معروف وأول أشارة اليه كانت كلام شبيب بن شيبة الذي سماه « جودة القطع » وكان القاضي الجرجاني قد تحدث عن حسن الخاتمة وقال : « والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدها الخاتمة فانها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور وتستميلهم الى الاصغاء » (٨) وسماه

(١) شروح التلخيص ج ٤ ص ٥٤٣ ، المطول ص ٤٨١ ، الاطول ج ٢ ص ٢٥٩ .
(٢) البيان ج ١ ص ١١٢ .
(٣) حسن التوسل ص ٢٥٥ .
(٤) نهاية الارب ج ٧ ص ١٣٥ .
(٥) تحرير التحبير ص ٦١٦ ، بديع القرآن ص ٣٤٣ .
(٦) المصباح ص ١٢٦ .
(٧) خزانة الادب ص ٤٦٠ .
(٨) الوساطة ص ٤٨ .

المدني « حسن الختام » وقال : « وهذا رابع المواضع التي نص أئمة البلاغة على التأنق فيها ؛ لانه آخر ما يقرع السمع ويرتسم في النفس ، وربما حفظ لقرب العهد به ، فان كان مختاراً حسنا تلقاه السمع واستلذه حتى جبر ما وقع فيما سبق من التقصير كالطعام اللذيذ الذي يتناول بعد الأطعمة التفهة ، وان كان بخلاف ذلك كان على العكس حتى ربما أنسى المحاسن الموردة فيما سبق . وجميع خواتيم السور كفواتحها واردة على أحسن وجوه البلاغة واكملها لانها بين أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل ومواعظ ووعد ووعيد الى غير ذلك مما يناسب الاختتام»(١)

ومن حسن الختام الذي ذكره المدني قول أبي نواس :

وإني جدير إذ بلغتك بالمنى ... وأنت بما أمّلْتُ منك جـديرُ
فان تولني منك الجميل فأهلُه ... وإلاّ فاني عاذِرٌ وشكورُ

وقول المتنبي :

سما بك همّي فوق الهموم ... فلست أعدّ يساراً يسـارا
ومن كنت بحراً لـه يا عليّ ... لم يقبل الـدرّ إلاّ كبـارا

وقول ابن هاني المغربي :

لا زلت تسحب أذيال الندى كرماً ... في نعمة غير مزجاة من النعم
ما نَمْنَمَ الروضُ أوحاكت وشائعه ... أيدي السحاب الغوادي الغزّ بالديمِ

فالانتهاء ، وجودة القطع وبراعة المقطع وحسن الخاتمة وحسن الختام كلها فن واحد الهدف منه أن يحرك النفس عند ختام القصيدة أو الكلمة ليبقى أثرها عالقاً بالنفوس .

الانسجام :

سجمت العين الدمع والسحابة الماء تسجِمه وتسجُمه سجْماً وسجوماً وسجمانا : وهو قطران الدمع وسيلانه قليلاً كان أو كثيرا . وانسجم الماء والدمع فهو منسجمٌ إذا انسجم أي انصب ، والانسجام هو الانصباب (٢) .

قال ابن منقذ : « الانسجام أن يأتي كلام المتكلم شعراً من غير أن يقصد اليه

(١) أنوار الربيع ج ٦ ص ٣٢٤ .

(٢) اللسان (سجم) .

وهو يدل على فور الطبع والغريزة » (١) .

وقال المصري : « هو أن يأتي الكلام متحدراً كتحدر الماء المنسجم سهولة سبك وعذوبة ألفاظ حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون وقع في النفوس وتأثير في القلوب ما ليس لغيره مع خلوه من البديع وبعده عن التصنيع . وأكثر ما يقع الانسجام غير مقصود كمثل الكلام المتزن الذي تأتي به الفصاحة في ضمن النثر عفواً كمثل أشطار وأنصاف وأبيات وقعت في أثناء الكتاب العزيز » (٢)

والانسجام على ضربين : ضرب يأتي مع البديع الذي لم يقصد كقوله تعالى : « انما أشكو بَثّي وحُزْني الى الله وأعلمُ من الله مالا تعلمون » (٣) . فقد وقع فيه تعطف في قوله : « الى الله » و « وأعلم من الله » الى جانب ما فيه من سلامة وانسجام .

وضرب لا بديع فيه كقوله تعالى : « خُذِ العَفْوَ وامُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عن الجاهلين » (٤) . وأكثر آي القرآن الكريم من شواهد هذا الباب (٥) .
ويختلف كلام المصري عن كلام سابقه ، فالأول يريد به مجيءُ الجملة الموزونة أو الشطر أو البيت في الكلام، وهو ما ذكره المصري في آخر تعريفه ، أما أول كلامه فيريد به الانسجام بمعناه العام وهو أن يتحدر الكلام تحدر الماء المنسجم سهولة سبك وعذوبة لفظ . والى ذلك ذهب ابن الجوزية والحموي والسيوطي والمدني (٦) .

ومن الانسجام الذي وقع في الاشعار المقصودة قول أبي تمام :

إنْ شئت ألاّ ترى صبراً لمصطبرٍ
فانظر على أيّ حال أصبح الطّلَلُ

---

(١) البديع في نقد الشعر ص ١٣١ .
(٢) تحرير التحبير ص ٤٢٩ .
(٣) يوسف ٨٦ .
(٤) الأعراف ١٩٩ .
(٥) بديع القرآن ص ١٦٦ .
(٦) الفوائد ص ٢١٩ ، خزانة الأدب ص ١٨٩ ، معترك ج ١ ص ٣٨٦ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٧ ، شرح عقود الجمان ص ١٥٣ ، أنوار الربيع ج ٤ ص ٥ .

وقوله :

نقّلْ فؤادَكَ حيثُ شِئْتَ من الهوى
ما الحبُّ إلاّ للحبيبِ الأوّلِ

وقول البحتري :

فيا لائمي في عبرة قد سَفَحْتُها　　لبينٍ وأخرى قبلها لتجنبِ
تحاول مني شيمةً غير شيمتي　　وتطلب مني مذهبا غير مذهبي

وقد يحصل الانسجام مع البديع الذي أتت به القريحة عفواً من غير استدعاء ولا كلفة كبيت أبي تمام الاول : « إن شئت .. . » قال المصري : « فأنت ترى انسجام هذا الكلام مع كون البيت قد وقــع فيه المبالغة والتعليق والإشارة فانه علق عدم صبر المصطبرين برؤية الطلل على تلك الحالة ، وأشار بقوله : « على أي حال أصبح الطلل » الى أحوال كثيرة لو عبّر عنها بلفظها لاحتاجت الى ألفاظ كثيرة . وعلق أحد الأمرين بالآخر إذ جاء بلفظ الشرط والمشروط » (١) .

ومن الانسجام قول ابن القيسراني :

بالسفح من نعمــان لــي　　قمــر منازلــه القلــوبُ
حملت تحيتــه الشمــا　　لُ فردّها عني الجنــوبُ
فَرْدُ الصفات غــريبهــا　　والحسنُ في الدنيــا غريبُ
لم أنْسَ ليلةَ قال لــي　　لما رأى جسدي يــذوبُ
بالله قل لي من أعلّــ　　ك يا فتى قلت : الطبيبُ

وقول ابن بسام المعروف بالبسامي :

لله أيــام الشباب ولهــوه　　لو أنّ أيام الشباب تُبــاعُ
فدع الصِّبا يا قلب واسْلُ عن الهوى　　ما فيك بعد مشيبك استمتاعُ

وقول الآخر :

بيضٌ حرائرُ ما هممن بريبــة　　كظباء مكة صيدُهُنّ حَرامُ
يحسبن من لين الكلام فواسِقاً　　ويصدّهن عن الخنا الاسلامُ

---

(١) تحرير التحبير ص ٤٣١ .

الانشاء :

أنشأ الله الخلق : أبتدأ خلقهم ، والانشاء هو الابتداء أو الخلق ، أو الابتداع (١). وليس بين هذه المعاني وما ذهب اليه البلاغيون صلة ، لان الانشاء عندهم : كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته لانه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه . وهذا ما ذكره القدماء فقال الشريف الجرجاني : « الانشاء قد يقال على الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه »(٢) .

واعتمدوا على هذا المعنى حينما فصلوا بين الخبر والانشاء فقال القزويني : « ووجه الحصر ان الكلام اما خبر او انشاء ؛ لانه اما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه ، أو لا يكون لها خارج . الأول : الخبر ، والثاني : الانشاء »(٣). والانشاء قسمان :

الاول : الانشاء الطلبي ، وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب وهو خمسة أنواع : الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والتمني ، والنداء . وهذه هي الموضوعات التي تحدث عنها البلاغيون في مبحث الانشاء لانها تتفاوت في التعبير وتخرج عن الأغراض الحقيقية وتؤدي معاني جديدة للأديب فيها تصرف كبير .

الثاني : الانشاء غير الطلبي ، وهو ما لا يستدعي مطلوباً وله أساليب متعددة :

١ـ صيغ المدح والذم ، ومنها « نعم » و « بئس » كقوله تعالى : « إنْ تُبدوا الصَّدَقاتِ فَنِعمّا هي وإن تُخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خيرٌ لكم ويكفّرُ عنكم من سيئاتِكم والله بما تعملون خبير » (٤) .وقوله : « ولدارُ الآخرةِ خيرٌ ولنعمَ دارُ المتقين » (٥). وقوله : « يدعو لمَنْ ضَرُّه أقْرَبُ من نَفْعِه لبئسَ المولى ولبئس العَشير » (٦) . وقول زهير بن أبي سلمى في مدح هرم بن سنان :

---

(١) اللسان (نشأ) . (٢) التعريفات ص ٣٢ .

(٣) الايضاح ص ١٣ التلخيص ص ١٥١ ، الطراز ج ١ ص ٦١ ، شروح التلخيص ج ٢ ص ٢٣٤ ، المطول ص ٢٢٤ ، الاطول ج ١ ص ٢٣١ ، الاتقان ج ٢ ص ٧٥ ، شرح عقود الجمان ص ٩ ، ٤٨ .

(٤) البقرة ٢٧١ . (٥) النحل ٣٠ . (٦) الحج ١٣ .

نعمَ امرءٌ هَرِمٌ لم تَعْرَ نائبةٌ	إلاّ وكان لمرتاعٍ لها وَزَرا

ومنها : « حبذا » و « لا حبذا » كقول جرير :

يا حبذا جبلُ الريان من جبلٍ	وحبذا ساكنُ الريّان من كــانا

وحبذا نفحاتٌ من يمانية	تأتيك من قِبَلِ الريان أحياناً

ومثل : « لاحبذا صديق السوء » .

ومنها : الافعال المحولة الى « فَعُل » كقوله تعالى : « كَبُرَتْ كلمةً تخرُجُ من أفْواههم » (١) .

٢ــ التعجب وله صيغتان قياسيتان هما : « ما أفْعَلَه » كقوله تعالى : « قُتِلَ الانسان ما أكْفَره » (٢) . وقول الشاعر .

بنفسي تلك الارض ما أطيَبَ الربى	وما أحْسَنَ المصطافَ والمتربعا

و « أفْعِل به » كقوله تعالى : « أسْمِعْ بهم وأبْصِر يوم يأتوننا » (٣)

٣ــ القسم ويكون بالواو والتاء والباء كقوله تعالى : « والضحى والليل إذا سجا » (٤) . وقوله : « تالله لقد آثرك علينا » (٥) . ومثل : « أقسم بالله إني بريءٌ » أو « بالله اني بريءٌ » .

ومن صيغ القسم التي تأتي كثيراً « لَعَمْرُ » كقوله تعالى : « لَعَمْرُك إنّهم لفي سَكْرتهم يَعْمَهُونَ » (٦) . وقول الشاعر :

لعمرك ما أدري وإني لأوجلُ	على أيّنا تأتي المنيةُ أوّلُ

٤ــ الرجاء : وهو طلب حصول أمر محبوب قريب الوقوع . والحرف الموضوع له « لعل » كقوله تعالى : « فلعلّك تاركٌ بَعْضَ ما يُوحَى اليك وضائقٌ به صَدْرُك أنْ يقولوا لولا أُنْزِلَ عليه كَنْزٌ أو جاءَ معه مَلَكٌ إنّما أنت نذيرٌ ، واللهُ على كلّ شيءٍ وكيل » (٧) .

ومنه قول ذي الرمة :

لعلّ انحدارَ الدمع يُعْقِبُ راحةً	من الوجْد أو يشْفي نجيَّ البلابلِ

---

(١) الكهف ٥ . (٢) عبس ١٧ . (٣) مريم ٣٨ .
(٤) الضحى ١ — ٢ . (٥) يوسف ٩١ .
(٦) الحجر ٧٢ . (٧) هود ١٢ .

والافعال التي تستعمل في هذا الاسلوب « عسى » كقوله تعالى : « فعَسى اللهُ أنْ يأتيَ بالفتح أو أمْرٍ مِنْ عنده » (١) .

ومنه قول الشاعر :

عسى الكرب الذي أمسيتُ فيه   يكون وراءه فَرَجٌ قَريبُ

و « حرى » ، مثل : « حرى محمد أن يقوم » .

و « اخلولق » ، مثل : « اخلولقت السماء أن تمطر » .

وتسمى هذه الثلاثة « أفعال الرجاء » .

٥ـ صيغ العقود : مثل « بعت » و « اشتريت » و « وهبت » و « قبلت » .

وهذه أساليب خبر لا يراد بها الاخبار لانها لا تحتمل الصدق والكذب ولذلك لم توضع في مباحث الخبر .

ولا يهتم البلاغيون بهذه الأساليب الانشائية لقلة الأغراض المتعلقة بها ؛ ولان معظمها أخبار نقلت عن معانيها الأصلية . أما الانشاء الذي يعنون به فهو الطلبي لما فيه من تفنن في القول .

الانصراف :

الصرف : رد الشيْ عن وجهه ، صَرَفه يصرفه صَرْفاً فانصرف . ومعنى قوله تعالى : « ثم انصرفوا » (٢) أي : رجعوا عن المكان الذي استمعوا فيه ، وقيل : انصرفوا عن العمل بشيْ مما سمعوا (٣) .

والانصراف هو « ان يرجع من الخبر الى الخطاب ومن الخطاب الى الخبر » ، وهذه تسمية ابن منقذ(٤) ،وابن شيث القرشي(٥) ،وسماه ابن وهب « الصرف »(٦) وسماه غيرهم « الالتفات » وهو الذي يتردد في كتب البلاغة وقد تقدم .

الإنفاد :

نَفِد ــ بالدال ــ الشيْ نَفَداً ونفاداً : فني وذهب . وأنفد القوم اذا نفد

---

(١) المائدة ٥٢ .
(٢) التوبة ١٢٧ .
(٣) اللسان (صرف) .
(٤) البديع في نقد الشعر ص ٢٠٠ .
(٥) معالم الكتابة ص ٧٦ .
(٦) البرهان ص ١٥٢ .

زادهم أو نفدت أموالهم . والمنافد : الذي يحاجّ صاحبه حتى يقطع حجته وتنفد ، ونافدت الخصم منافدة إذا حاججته حتى تقطع حجته ، وخصم منافد : يستفرغ جهده في الخصومة (١) .

وأخذ المظفر العلوي هذا المعنى اللغوي وقال « الانفاد – بالدال غير المعجمة هو من قولهم : خصم منافِد إذا خاصم حتى تنفد حجته . وتقول : نافدت الرجل مثل « حاكمته » . وفي الحديث : « إن نافدتهم نافدوك » . وهو أن يقول الشاعر بيتاً تاما ويقول الآخر بيتا » (٢) . وربط بين الانفاد والاجازة فقال : « واما الانفاد والاجازة فروي ان كعب بن زهير لما تحرّك بالشعر كان أبوه زهير ينهاه عنه مخافة ألاّ يكون استحكم شعره فيروى عنه ما يُعاب عليه . وكان يضربه على ذلك فغلبه وطال ذلك عليه فأخذه وسجنه وقال : « والذي أحاف به لا تتكلم ببيت شعر ولا يبلغني تُريغ لشعر إلاّ ضربت ضرباً ينكرك عن ذلك . فمكث محبوساً أياما ثم أخبر انه تكلم به فضربه ضربا مبرحا ثم أطلقه وسرّحه في بهمة وهو غُليّم صغير فانطلق فرعاها ثم راح بها وهو يرتجز :

كأنما أحدو ببهمي عِيرا   من القرى مُوقَرَةً شعيرا

فخرج زهير اليه وهو غضبان فدعا بناقة فركبها وتناوله فاردفه خلفه ، ثم حرك ناقته وهو يريد أن يتعنت كعباً ويعلم ما عنده ويطلع على شعره ، فقال حين فصل من الحي :

واني لتغدو بي على الهمّ جسرةٌ   تخبُّ بوصّالٍ صروم وتُعْنِقُ (٣)

ثم ضربه وقال : أجز يا لكع ، فقال :

كبنيانةِ القاريّ موضع رحلها   وآثار نسعيها من الدف أبلقُ (٤)

فقال زهير :

---

(١) اللسان (نفد) .   (٢) نضرة الاغريض ص ١٩٤ .

(٣) صروم ؛ قوي . الجسرة ؛ الناقة العظيمة .

(٤) النسع ؛ المفصل بين الكف والساعد .

على لاحبٍ مثل المجرّة خلته إذا ما علا نَشْزاً من الأرض مُهْرَق(١)

ثم قال : أجزيا لكع ، فقال :

منيرٌ هداه ليله كنهاره جميع إذا يعلو الحُزونةَ أفرقُ (٢)

فقال زهير :

تظلّ بوعساء الكثيب كأنّها خِباءٌ على صقبي بُوانٍ مُروّقُ (٣)

ثم قال : أجزيا لكع ، فقال :

تراخى به حُبّ الضّحاء وقد رأى سماوة قشراء الوظيفين عَوْهقُ(٤)

فقال زهير :

تحنّ الى مثل الحبابير جُثّمٌ لدى منهج من قيضها المتفلقِ (٥)

ثم قال : أجزيا لكع ، فقال :

تحطّم عنها قيضُها عن خراطم وعن حدقٍ كالنّبْخِ لم يتفلّقِ (٦)

فأخذ زهير بيد كعب وقال له : « قد أذنت لك في الشعر » (٧) .

الانفصال :

فصلت الشيءَ فانفصل أي : قطعته فانقطع (٨) .

والانفصال من مبتدعات المصري ، وقد عرّفه بقوله : « هو أن يقول المتكلم كلاماً يتوجه عليه فيه دخل إذا اقتصر عليه فيأتي بعده بما ينفصل به عن ذلك اما ظاهراً أو باطناً يظهره التأويل » (٩) كقوله تعالى : « وما من دابةٍ في الأرض

(١) النشز : الارتفاع من الارض . لاحب : طريق واضح . مهرق : صحيفة .

(٢) الحزونة : غلاضة الارض .

(٣) الوعساء : الرملة تغيب فيها أخفاف الابل. صقبي : عمودي . بوان : عمود من أعمدة البيت في مؤخرته .

(٤) قشراء الوظيفين : يعني الساقين . عوهق طويلة العنق .

(٥) الحبابير : الحبارى . القيض : قشر البيض . المنهج : البالي .

(٦) النبخ : الجدري ، البثور .

(٧) نضرة الاغريض ص ٢٠٠ — ٢٠٣ .

(٨) اللسان (فصل) .

(٩) تحرير التحبير ص ٦٠٩ ، بديع القرآن ص ٣٢٦ .

ولا طائرٍ يطيرُ بجناحيه إلاّ أُممٌ أمثالُكم » (١) . فان على ظاهر هذه الآية حصل من جهة ان الطائر يطير بجناحيه فيكون الاخبار بذلك عريا عن الفائدة ، والانفصال عن ذلك هو انه سبحانه لما قال : « وما من دابة في الارض » أوجبت البلاغة أن يردف ذلك بقوله : « ولا طائر » في السماء أو في الجو « يطير بجناحيه» فاراد الايجاز فوجب أن يحذف إحدى الجملتين إما في « السماء » أو « يطير » . وما فيها من الضمير ، ولا سبيل الى حذف الفعل لانه الذي يتعلق به الجار والمجرور الذي يمرّ بجناحيه وذكره مطلوب في الآية ؛ لان ذكر الجناح يفصل صاحبه من الهمج الذي يظهر وهو يخال انه يطير كالنمل والجعلان وغير ذلك ، لان هذا الصنف قد ذكر في صنف ما دبّ ودرج في الأرض . والآية قصد بها صحة التقسيم لانه ــ سبحانه ــ لما استوعب كل ما يدبّ على الأرض في صدرها أراد الإتيان بما يعمّ الذي يطير في الجو ، ولا يطير في الجو إلاّ طائر ، ولا يسمى طائراً إلاّ إذا طار بجناحين ، ولا تسمى آلة الطيران جناحا إلاّ اذا كانت ذات قصب وريش وأباهر وخوافي وقوادم ، فقوله ــ سبحانه ــ : « ولا طائر » بعد ذكر الدواب موضّح لما أراد من صحة التقسيم ، ولفظة « طائر » رشّحت لفظة « يطير » لمجيئها بعدها ولفظة « يطير » رشحت الاتيان بلفظة « الجناحين » فحصل من مجموع ذلك الانفصال عن الدّخل المتوجه الى ظاهر الآية .

ومنه قول أبي فراس :

في حرام الناس إن كُنْـــ ... تَ من الناس تُعَــــدُّ
ولقد نبّيت إبليـــ ... س إذا راك يَصُــــدُّ
ليس من تقوى ولكــن ... ثِقلٌ فيـك وبَــردٌ

فان أبا فراس لو اقتصر على البيت الثاني لكان الهجاء فيه غير مخلص ، وكان يتوجه دخل بسبب احتمال البيت للمدح والاتيان به في معرض الهجــو فانفصل عن هذا الدخل بالبيت الثالث .

---

(١) الأنعام ٣٨ .

وفرّق المصري بينه وبين الاحتراس بقوله : « والفرق بينه وبين الاحتراس ، عموم الاحتراس وخصوص هذا الباب لان البيت المدخول من هذا الباب يكون الدخل المتوجه عليه من جهة كونه صالحاً لضدين من الفنون وهو في سياق أبيات مقصودة في فن واحد منهما ، والاحتراس يكون بيته مدخولاً من هذا الوجه وغيره » (١) . وقال أيضاً : « إنّ الاحتراس هو ما فطن له الشاعر أو الناثر وقت العمل فاحترس منه ، والانفصال ما لم يفطن له حتى يدخل عليه فيأتي بجملة من الكلام أو بيت من الشعر ينفصل عنه ذلك الدخل »(٢) . وفرق بينه وبين المواربة فقال : « ان المواربة تكون في كلمة من الكلام أو في كلام منفصل عنه ، والانفصال لا يكون إلاّ ببيت مستقل أو جملة منفردة عن سياق الكلام متعلقة به داخلة فيه »(٣)

وأدخله السبكي في باب الاحتراس وقال : « وقد فسّر بما هو في معنى الاحتراس المتقدم في الايجاز والاطناب » (٤) .

وتكلم عليه الحلبي والنويري مثل ما تحدث عنه المصري وذكرا أبيات أبي فراس (٥) .

الانقطاع :

القطع : إبانة بعض أجزاء الجرم من بعض فصلا ، والقطع مصدر قطعت الحبل قطعاً فانقطع (٦) .

والانقطاع من مواضع الفصل في الكلام ، وقد ذكر البلاغيون نوعين هما :

الاول : الانقطاع للاختلاف خبراً وانشاءً لفظاً ومعنى كقول الشاعر :

---

(١) تحرير التحبير ص ٦١٠ .
(٢) تحرير التحبير ص ٢٤٦ .
(٣) تحرير ص ٢٤٦ .
(٤) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧١ .
(٥) حسن التوسل ص ٣١٥ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٧٧ .
(٦) اللسان (قطع) .

وقال رائدهم : ارسوا نزاولها فكلّ حتفِ امرئٍ يجري بمقدارِ

أو معنى ولفظاً مثل : « مات فلان — رحمه الله » .

وعدّ السكاكي قول اليزيدي :

ملّكته حبْلي ولكنّه ألقــاه من زُهْدٍ على غاربي

وقال : إني في الهوى كاذبٌ انتقم اللهُ من الكاذب

من هذا الضرب وحمله عبدالقاهر على الاستئناف بتقدير « قلت » (١) .

وهذا ما سماه القزويني « كمال الانقطاع » (٢) وتبعه في ذلك شراح تلخيصه(٣)

الثاني : الانقطاع لغير الاختلاف أي الاختلاف خبراً وانشاءً ، ومنه قوله تعالى : « إنّ الذين كفروا سواء عليهم أ أنذرتهم أم لم تنذرْهم » (٤) ، فـ « إنّ الذين كفروا » مقطوع عما قباه لكون ما قبله حديثاً عن القرآن وكون « ان الذين كفروا» حديثاً عن الكفار وعن تصميمهم في كفرهم .

الاهتدام :

الهدّم نقيض البناء ، هدمه يهدِمه هَدْماً وهدّمه فانهدم . وقال ابن الأعرابي الهدم قلع المدَرَ يعني البيوت وهو فعل مجاوز والفعل اللازم منه الانهدام (٥) .

وقال الحاتمي : « الاهتدام وهو افتعال من الهدم فكأنه هدم البيت من الشعر تشبيها له بهدم البيت من البناء ؛ لان البيت من الشعر يسمى بيتاً لانه يشتمل على الحروف كما يشتمل البيت على ما فيه » (٦) . وكان كثير عزّة يهتدم كثيراً من شعر جميل ويتبع آثاره في النسيب . ويروى انّ الفرزدق لقي كثيراً فقال : « ما أشعرك يا كثير في قولك :

أريدُ لأنسَى ذِكرَها فكأنما تمثّلُ لي ليلي بكلّ سبيلِ

يعرّض بانه اهتدمه من قول جميل :

(١) مفتاح العلوم ص ١٣٠ ، دلائل الاعجاز ص ١٨٣ .

(٢) الايضاح ص ١٥٠ ، التلخيص ص ١٧٩ .

(٣) شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٥ ، المطول ٢٥١ ، الاطول ج ٢ ص ٧ .

(٤) البقرة ٦ . (٥) اللسان (هدم) .

(٦) حلية المحاضرة ج ٢ ص ٦٤ .

أريدُ لأنسى ذِكرَها فكأنما   تمثّل لي ليلى على كل مَرْقَبِ

ويقال ان كثيراً أنشد عبدالله بن أبي عبيدة قصيدته التي يقول فيها :

قامت تودّعنا والعينُ ساجيةٌ   كأنّ إنسانَها في لجة غَرِقُ
ثم استدار على أرجاء مقاتها   مبادراً خلسات الطرف يستبقُ
كأنه حين مار المأقيان بـه   دُرٌّ تسلّلَ من أسلاكه نَسَقُ

فاهتدم فيها قول جميل :

قامت تودعنا والعين ساجمةٌ   إنسانها بغضيض الدمع مكتحلُ
ثم استدار على حوراء ساجـية   حتى تبادر منها دمعها الهَمِلُ
كأنه حين مار المأقيـان بـه   درٌّ تقطّع منه السلك منفصلُ

وقال الصنعاني : ان الاهتدام « أخذ قسمي اللفظ مع المعنى أو أكثر أقسامه »(١) كما فعل امرؤ القيس ببيت أبي دواد وهو :

وقد اغتدي والطير في وكنـاتها   بمنجرد ضافي العسيب عتيق

فقال امرؤ القيس :

وقد اغتدي والطير في وكناتها   بمنجرد قيد الأوابد هيكـل

وعلق بعد ذكر بعض الأمثلة : « ان المهتدم إن لم يقرّ بانه اهتدم وأخذ واستعار أو ادّعى انه ماثل أو عارض فان منزلته تسقط وفضيحته تظهر ولا يسمى ذلك معارضة بل صريح السرق والتغيير والتبديل ، واقراره أيضاً شاهد بنقصه لكنه بمنزلة المذنب المعترف لا المصرّ » (٢) .

فالاهتدام ــ كما يبدو ــ أخذ قسم والتصرف في القسم الآخر تصرفاً يسيراً ، ويظهر ذلك واضحاً ــ أيضاً مما علق به ابن رشيق على قول النجاشي :

وكنت كذي رجلين رجلٍ صحيحةٍ   ورجل رمت فيها يَدُ الحَدَثانِ

قال : « فأخذ كثير القسم الاول واهتدم باقي البيت فجاء بالمعنى في غير اللفظ

(١) الرسالة العسجدية ص ٥٣ .
(٢) الرسالة العسجدية ص ٥٤ .

فقال : « ورجل رمى فيها الزمان فشلّت » (١) .

الاواخر والمقاطع :

قال ابن منقذ : « وينبغي أن يتحرز الشاعر فيها مما يتأول عليه ويؤول أمره اليه » (٢) كما روي أن أبا تمام أنشد :

« على مثلها من أربع وملاعب » فقال بعض الحاضرين : « لعنة الله والعن اللاعنين » مع ان عجزه : « ازيلت مصونات الدموع السواكب » .

وقال ابن منقذ بعد ذلك : « وكذلك ينبغي أن تكون أواخر القصائد حلوة المقاطع توقف النفس بانه آخر القصيدة لئلا يكون كالنثر . . . ولذلك ينبغي أن يكون مقطع البيت حلواً وأحسنه ما كان على حرفين مثل : « منها بها » « حطه السيل من عل » « وايلة معا » و « تفريق الأحبة في غد » وكقوله :

أتتني تؤنبني في البكا فأهلاً بها وبتأنيبها
والعين عذر إذا ما بكت وقد عاينت وجه محبوبها

ومنه أن يكون في آخر البيت حرف لا يحتاج الى اعراب : واو أو ياء ، أو ياء إضافة ، أو ياء جماعة كقوله : « صحا القلب من سلمى وقد كاد لا يصحو » . أو تكون الفاصلة لائقة بما تقدمها كقوله :

هُمُ البحورُ عطاءً حين تسألهم وفي اللقاء إذا تلقاهُمُ بُهُمُ

الاوصاف :

وصف الشيء له وعليه وصفاً وصفة : حلاّه . وقال الليث : الوصف وصفك الشيء بحليته ونعته ، وتواصفوا الشيء من الوصف (٣) .

وكان قدامة قد تحدث عن نعت الوصف وقال : « الوصف انما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات ، ولما كان أكثر وصف الشعراء انما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره باكثر

(١) العمدة ج ٢ ص ٢٨٧ .
(٢) البديع في نقد الشعر ص ٢٨٦ .
(٣) اللسان (وصف) .

المعاني التي الموصوف مركب منها ثم بأظهرها فيه وأولاها حتى يحكيه بشعره ويمثله للحس بنعته » (١) .

وتكلم ابن رشيق على الوصف وقال : « الشعر إلاّ أقله راجع الى باب الوصف ولا سبيل الى حصره واستقصائه ، وهو مناسب للتشبيه مشتمل عليه وليس به ؛ لانه كثيراً ما يأتي في اضعافه . والفرق بين الوصف والتشبيه ان هذا إخبار عن حقيقة الشيء وان ذلك مجاز وتمثيل . وأحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عيانا للسامع » (٢) .

وعقد ابن الاثير الحلبي بابا سماه « باب الأوصاف والنعوت » وقال : « وحدّ الوصف انه ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات والفرق بين الوصف والتشبيه ان الوصف اخبار عن حقيقة الشيء وان التشبيه مجاز وتمثيل . وأحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يمثل للسامع حضور المنعوت وتنزيل النعوت التي نعت بها على الأجزاء الموصوفة » (٣) ولكن كثيراً من الأوصاف لا تكون بديعة من غير مجاز ولذلك ترتبط هذه الصور بالتشبيه أو التمثيل ، ومعظم الأمثلة التي ذكرها ابن الأثير الحلبي تعتمد على ذلك ؛ ومن هنا كان هذا الباب أقرب الى باب التشبيه .

ومن الامثلة التي ذكرها قول البحتري :

وأغرّ في الزمن البهيم محجلٍ ... قد رحت منه على أغر محجلِ
كالهيكل المبنيّ إلاّ انه ... في الحسن جاء كصورةٍ في هيكلِ
تتوهم الجوزاءُ في أرساغه ... والبدر غرّة وجهه المتهللِ
صافي الاديم كأنما عنيت به ... لصفاء نُقبته مداوس صيقل(٤)

(١) نقد الشعر ص ١٣٤ .
(٢) العمدة ج ٢ ص ٢٩٤ .
(٣) جوهر الكنز ص ٧١ .
(٤) الجوزاء : برج في السماء . النقبة : اللون . المداوس : جمع مدوس وهو المصقل تصقل به السيوف . الصيقل : الذي يصقل السيوف .

ومنه قول المتنبي :

وخيل تغتذي ريح الموامي ويكفيها من الماء السّرابُ
رميتهم ببحر من حديد له في البرّ خافهم عبابُ
فمسّاهم وبُسطهم حريرٌ وصبّحهم وبُسْطهم ترابُ
ومَن في كفه منهم قناة كمن في كفه منهم خضابُ(١)

الايجاب والسلب :

وجب الشيء يجب وجوباً أي : لزم وأوجبه هو وأوجبه الله واستوجبه أي : استحقه . ووجب البيع يجب جِبَةً وأوجبت البيع فوجب ، وقد أوجب لك البيع وأوجبه هو ايجابا اي : لزم وألزمه (٢) .

وسلبه الشيء يسلبه سلبا أخذه منه ، والسلب نقيض الايجاب وهو القبول والالزام(٣)

وكان قدامة قد تحدث عن هذا الموضوع وقال : « ومما جاء في الشعر من التناقض على طريق الايجاب والسلب قول عبدالرحمن بن عبدالله القس :

أرى هجرها والقتل مثلين فاقصروا ملامكم فالقتل أعفى وأيْسَرُ

فأوجب هذا الشاعر الهجر والقتل انهما مثلان ثم سلبهما ذلك بقوله : « إن القتل أعفى وأيسر » فكأنه قال : إن القتل مثل الهجر وليس هو مثله . وأرى أن هذا الشاعر أراد أن يقول : بل القتل أعفى وأيسر ، ولو قال : « بل » لكان الشعر مستقيماً لان مقام لفظة « بل » مقام ما ينفي الماضي ويثبت المستأنف . لكنه لما لم يقلها وأتى بجمع الاثبات ونفيه استحال شعره . وليس إذا علمنا أن شاعراً أراد لفظة تقيم شعره فجعل مكانها لفظة تحيله وتفسده وجب أن يحتسب له ما توهّم أنه أراده ويترك ما قد صرّح به ، ولو كانت الأمور كلها تجري على هذا لم يكن خطأً » (٤) .

(١) الموامي جمع موماة وهي الفلاة التي لا ماء فيها .
(٢) اللسان (وجب) .
(٣) اللسان (سلب) .
(٤) نقد الشعر ص ٢٣٩ ، الموشح ص ٣٥٣ .

الايجاز :

وَجُزَ الكلامُ وجازةً ووجزاً وأوجز : قلّ في بلاغة ، وأوجزه اختصره . ويقال: أوجز فلان ايجازاً في كل أمر ، وأمر وجيز وكلام وجيز أي : خفيف مقتصر. (١)

فالايجاز أن يكون اللفظ أقل من المعنى مع الوفاء به وإلاّ كان إخلالاً يفسد الكلام. أو هو « قلة عدد اللفظ مع كثرة المعاني » (٢) . وقد سأل معاوية صحار بن عياش العبدي : « ما تعدّون البلاغة فيكم ؟ » . قال : الايجاز . قال له معاوية : وما الايجاز ؟ قال صحار : أن تجيب فلا تبطىء وتقول فلا تخطىء(٣) .

وأسلوب الايجاز من أهم خصائص اللغة العربية ، فقد كان العرب لا يميلون الى الاطالة والاسهاب وكانوا يعدون الايجاز هو البلاغة ، فأكثم بن صيفي رأى ان البلاغة هي الايجاز ، وكان جعفر بن يحيى يقول لكتّابه : « ان قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا » (٤) . وفعلوا مثل ذلك في القصائد وقد قيل لبعضهم : ما لك لا تزيد على أربعة واثنين ؟ قال : هي بالقلوب أوقع ، والى الحفظ أسرع ، وبالالسن أعلق ، وللمعاني أجمع ، وصاحبها أبلغ وأوجز (٥) . وقال أبو عبيدة : « العرب تختصر الكلام ليخففوه لعلم المستمع بتمامه فكأنه في تمام القول » (٦) . وقال الجاحظ : « وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره »(٧) ولكنه قال : « والايجاز ليس يعني قلة عدد الحروف واللفظ ، وقد يكون الباب من الكلام مَنْ أتى عليه فيما يسع بطن طومار (٨) فقد أوجز ، وكذلك الاطالة . وانما ينبغي له أن يحذف بقدر مالا يكون سبباً لاغلاقه ولا يردد وهو يكتفي في الافهام بشطره ، فما فضل عن المقدار فهو الخطل (٩) » . وعدّ ابن المقفع الايجاز هو البلاغة (١٠) .

---

(١) اللسان (وجز) . (٢) البيان ج ٢ ص ٢٨ .
(٣) البيان ج ١ ص ٩٦ ، الحيوان ج ١ ص ٩١ .
(٤) البيان ج ١ ص ٨٦ ، كتاب الصناعتين ص ١٧٣ .
(٥) كتاب الصناعتين ص ١٧٤ . (٦) مجاز القرآن ج ١ ص ١١١ .
(٧) البيان ج ١ ص ٨٣ . (٨) الطومار : الصحيفة .
(٩) الحيوان ج ١ ص ٩١ . (١٠) البيان ج ١ ص ١١٦ .

وكان لهذه الصفة التي اولع بها العرب ان اهتم البلاغيون والنقاد باسلوب الايجاز ووضعوا له حدوداً وأقساما وبينوا مواضعه(١)، لانه ليس بمحمود في كل موضع، ولا بمختار في كل كتاب، بل لكل مقام مقال، والى ذلك أشار ابن قتيبة بقوله: «لو كان الايجاز محموداً في كل الأحوال لجرّده الله تعالى في القرآن، ولم يفعل الله ذلك، ولكنه أطال تارة للتوكيد وحذف تارة للايجاز وكرر تارة للافهام»(٢).

وقال ابن جني إن الاطالة والايجاز هما في كل كلام مستقل بنفسه ولو بلغ الايجاز غايته لم يكن له بدّ من أن يعطيك تمامه وفائدته مع أنه لا بدّ فيه من تركيب الجملة فان نقصت عن ذلك لم يكن هناك استحسان ولا استعذاب، وقال إن العرب الى «الايجاز أميل وعن الاكثار أبعد» وضرب مثلاً بالقرآن الكريم وما فيه من الحذف الذي يجعل الكلام موجزاً (٣). ومعنى ذلك ان الايجاز ضروري كغيره إذا أراد المتكلم أن يكون مطابقاً لمقتضى الحال ولذلك قال العسكري: «ان الايجاز والاطناب يحتاج اليهما في جميع الكلام وكل نوع منه ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة الى الايجاز في موضعه كالحاجة الى الاطناب في مكانه، فمن أزال التدبير في ذلك عن وجهته واستعمل الاطناب في موضع الايجاز

---

(١) ايضاح ذلك في؛ الكتاب ج ١ ص ٢١١، مجاز القرآن ج ١ ص ١١١، البيان ج ١ ص ٨٣، ٩٠، ٩١، ٩٦، ٩٧، ١٠٧، ١١٥، ١١٦، ١٥٥، ج ٢ ص ١٧، ٢٨، ٦٨، الحيوان ج ١ ص ٤٤، ٩١، ٩٤، ج ٣ ص ٧٢، ٨٦، ج ٦ ص ٧، عيون الاخبار ج ٢ ص ١٧٢، النكت في إعجاز القرآن ص ٧٠، الخصائص ج ١ ص ٢٨، ٢٩، ٨٣، ٨٦، كتاب الصناعتين ص ١٧٣، ١٧٥، إعجاز القرآن ص ٣٩٦، زهر الآداب ج ١ ص ١١٤، العمدة ج ١ ص ٢٢١، ٢٥٠، سر الفصاحة ص ٢٤٥، الرسالة العسجدية ص ٨٨، نهاية الايجاز ص ١٤٥، مفتاح العلوم ص ١٣٣، الأقصى القريب ص ٦٠، نهاية الارب ج ٧ ص ٤، المثل السائر ج ٢ ص ٧١، ٧٤، ١٢٩، الجامع الكبير ص ١٢٢، التبيان ص ١١٠، البرهان الكاشف ص ٢٣٢، تحرير التحبير ص ٤٥٩، بديع القرآن ص ١٧٩، جوهر الكنز ص ٢٦٨، الايضاح ص ١٨٢، التلخيص ص ٢٠٩، شروح التلخيص ج ٣ ص ١٦٠، الطراز ج ٢ ص ٣١٦، منهاج البلغاء ص ١٧٤، الفوائد ص ٦٨، المطول ص ٢٨٧، الاطول ج ٢ ص ٣٢. البرهان ج ٣ ص ٢٢٠، خزانة الادب ص ٣٦٤، معترك ج ١ ص ٢٩٥ الاتقان ج ٢ ص ٥٣، شرح عقود الجمان ص ٦٧، ٧٠، حلية اللب ص ٩٩، أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٢٩.

(٢) أدب الكاتب ص ١٥.

(٣) الخصائص ج ١ ص ٣٠، ٨٣، ٨٦.

واستعمل الايجاز في موضع الاطناب أخطأ » (١) .

وتحدث ابن رشيق عنه وذكر تعريف الرماني وهو : « الايجاز هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف »(٢) . وسماه ابن سنان « الاشارة » وقال عنه : « هو أن يكون المعنى زائداً على اللفظ ، أي أنه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه الاشارة واللمحة » (٣) . والمختار عنده في الفصاحة والدال على البلاغة هو أن يكون المعنى مساوياً للفظ أو زائداً عليه ، أي أن يكون اللفظ القليل يدل على المعنى الكثير دلالة واضحة ظاهرة لا أن تكون الالفاظ لفرط ايجازها قد ألبست المعنى وأغمضته حتى يحتاج في استنباطه الى طرف من التأمل ودقيق الفكر .

وعرّفه الكلاعي تعريفاً بديعاً فقال إنه « ماثوب لفظه كثوب المؤمن » (٤) ، وقال الرازي : « انه العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف من غير إخلال » (٥) . وقال السكاكي إن الايجاز والاطناب من الامور النسبية كالأبوة والبنوة ، وهي التي يتوقف تعقلها على تعقل غيرها ، فان الكلام الموجز انما يدرك من حيث وصفه بالايجاز بالقياس الى كلام آخر اكثر منه وكذلك المطنب انما يدرك من حيث وصفه بالاطناب الى كلام آخر يكون أقل منه ، أي انه جعل متعارف الأوساط مقياساً له ، وقال : « فالايجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط ، والاطناب هو أداؤه بأكثر من عباراتهم سواء كانت القلة والكثرة راجعة الى الجمل أو الى غير الجمل » (٦) .

وتحدث عنه ابن الأثير وعقد له فصلاً في « المثل السائر » وفصلاً في « الجامع الكبير » وقال في تعريفه : « هو حذف زيادات الألفاظ »(٧) ثم قال : « حدّ الايجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه ، والتطويل هو

---

(١) كتاب الصناعتين ص ١٩٠ .
(٢) العمدة ج ١ ص ٢٥٠ ، النكت في إعجاز القرآن ص ٧٠ .
(٣) سر الفصاحة ص ٢٤٣ .
(٤) إحكام صنعة الكلام ص ٨٩ .
(٥) نهاية الايجاز ص ١٤٥ .
(٦) مفتاح العلوم ص ١٣٣ .
(٧) المثل السائر ج ٢ ص ٧١ ، الجامع الكبير ص ١٢٢ .

ضد ذلك ، وهو أن يدل على المعنى بلفظ يكفيك بعضه في الدلالة عليه » (١) وسماه ابن الزملكاني الاشارة كما سماه ابن سنان وقال : « هو اثبات المعاني المتكثرة باللفظ القليل » (٢) . وقال العلوي : « هو في مصطلح أهل هذه الصناعة عبارة عن تأدية المقصود من الكلام بأقل من عبارة متعارف عليها» (٣). وقال السجلماسي : « هو قول مركب من اجزاء فيه مشتملة بمجموعها على مضمون تدل عليه من غير مزيد » (٤) .

وهذه التعريفات كلها لا تخرج عن القول بان الايجاز هو التعبير عن المعنى بألفاظ قليلة تدل عليه دلالة واضحة .

والايجاز عدة أنواع تحدث عنها المتقدمون ، ولكنهم أجمعوا على تقسيمه الى ايجاز قصر وايجاز حذف .

إيجاز : التقدير :

ايجاز التقدير هو ماساوى لفظه معناه وقد عدّه ابن الاثير (٥) القسم الأول من الايجاز الذي لايحذف منه شيء . وسماه ابن مالك « ايجاز التضييق » وذكر السيوطي هذه التسمية (٦) . ومن ذلك قوله تعالى : « قُتِلَ الانسانُ ما أكفَرَه . من أيّ شيءٍ خلقه . من نُطْفَةٍ خَلَقَه فَقَدَّره . ثم السبيلَ يَسَّرَه . ثم أماته فأقبره . ثم إذا شاء أنشَرَه . كَلاّ لمّا يَقْضِ ماأمَرَه » (٧) . فقوله : « قتل الانسان » دعاء عليه وقوله : « ماأكفره » تعجب من إفراطه في كفران نعمة الله عليه . ولا نرى اسلوبا أغلظ من هذا الدعاء والتعجب ولا أخشن حساً ولا أدل على سخط مع تقارب طرفيه

---

(١) المثل ج ٢ ص ٧٤ .

(٢) التبيان ص ١١٠ ، البرهان الكاشف ص ٢٣٢ ، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٨ .

(٣) الطراز ج ٣ ص ٣١٦ . (٤) المنزع البديع ص ١٨١ .

(٥) المثل ج ٢ ص ٧٨ ، ١١٤ ، الجامع ص ١٤٢ ، وينظر الطراز ج ٢ ص ١٢٠ .

(٦) المصباح ص ٣٦ ، شرح عقود الجمان ص ٦٩ .

(٧) عبس ١٧ — ٢٣ .

ولا أجمع للائمة على قصر متنه ثم انه أخذ في صفة حاله من ابتداء حدوثه الى منتهى زمانه فقال : « من أي شيء خلقه » ثم بيّن الشيء الذي خلق منه بقوله: « من نطفة خلقه فقدره » أي هيأه لما يصلح له « ثم السبيل يسّره » أي سهّل سبيله وهو مخرجه من بطن أمه أو السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر والأول أولى لانه تال لخلقته وتقديره . ثم بعد ذلك يكون تيسير سبيله لما يختاره من طريقي الخير والشر « ثم أماته فأقبره » أي جعله ذا قبر يوارى فيه « ثم اذا شاء أنشره » أي : أحياه « كلاّ » ردع للانسان عما هو عليه « لما يقض ماأمره » أي لم يقض مع تطاول زمانه ماأمره الله به ، يعني ان انسانا لم يخل من تقصير قط ، ألا ترى الى هذا الكلام الذي لو أردت أن تحذف منه كلمة واحدة لما قدرت على ذلك لانك تذهب بجزء من معناه ، والايجاز « هو أن لايمكنك ان تسقط شيئا من ألفاظه » (١) .

ومنه قوله — عليه الصلاة والسلام — : « الحلال بين والحرام بيّن وبينهما أمور متشابهات » . وهذا الحديث من أجمع الأحاديث للمعاني الكثيرة وذلك إنه يشتمل على جلّ الأحكام الشرعية فان الحلال والحرام اما أن يكون الحكم فيهما بيناً لاخلاف فيه بين العلماء، وأما أن يكون خافيا تتجاذبه وجوه التأويلات ، فكل منهم يذهب فيه مذهبا .

ومنه قول النابغة الذبياني :

وانك كالليل الذي هو مُدْركي وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسعُ

وتخصيصه الليل دون النهار مما يسأل عنه .

ومما يجري هذا المجرى قول جرير :

تمنّى رجالٌ من تميم مَنيّتي وماذاد عن أحسابهم ذائدٌ مثلي

فلو شاء قومي كان حلميَ فيهم وكان على جهالِ أعدائهم جهلي

ومن هذا الضرب قول أبي نواس :

---

(١) المثل السائر ج ٢ ص ١١٥ .

وَدارِ نَدامى عَطَّلوها وأدلجوا ... بها أثَرٌ منهم جديدٌ ودارِسُ
مَساحِبُ من جرّ الزِقاق على الثرى ... وأضغاثُ رَيحان جنيٌّ ويابسُ
حَبَسْتُ بها صحبي فَجددْتُ عهدهم ... واني على أمثال تلك لحابسُ
فللراحِ ما زُرَّتْ عليه جيوبُها ... وللماء مادارتْ عليه القلانِسُ

الايجاز الجامع :

هو القسم الثالث من أقسام الايجاز الخالي من الحذف وهو ماذكره ابن مالك وقال : « أن يكون المعنى عندك خليقاً بمزيد البسط فتتركه الى بسط أخصر منه لتوخي نكتة » (١) . وذكره الطيبي في « التبيان » ونقله عنه السيوطي وقال : « هو ان يحتوي اللفظ على معانٍ متعددة » (٢) كقوله تعالى : « إنّ الله يأمُرُ بالعَدْلِ والاحسان » (٣) فان العدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط المومي به الى جميع الواجبات في الاعتقاد والاخلاق والعبودية ، والاحسانِ هو الاخلاص في واجبات العبودية .

إيجاز الحذف :

سماه أبو عبيدة « مجاز المختصر » (٤) ، وسماه الجاحظ « الايجاز المحذوف » وسماه « الكلام المحذوف » (٥) . وهو مايكون بحذف كلمة أو جملة أو اكثر مع قرينة تعيّن المحذوف ، أو هو كما قال ابن الاثير : « ما يحذف منه المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف ولايكون إلاّ فيما زاد معناه على لفظه » (٦) . وقال : « اما الايجاز بالحذف فانه عجيب الأمر أشبه بالسحر ، وذاك انك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الافادة أزيد للافادة وتجدك أنطق ماتكون إذا لم تنطق ، وأتم

---

(١) المصباح ص ٣٨ .
(٢) شرح عقود الجمان ص ٦٩ . (٣) النحل ٩٠ .
(٤) مجاز القرآن ج ٢ ص ٢ ، ٩٨ .
(٥) الحيوان ج ٣ ص ٧٥ ، البيان ج ٢ ص ٢٧٨ .
(٦) المثل السائر ج ٢ ص ٧٨ .

ماتكون مبيناً إذا لم تبيّن . وهذه جملة تنكرها حتى تخبرها وتدفعها حتى تنظر . والأصل في المحذوفات جميعاً على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام مايدل على المحذوف فان لم يكن هناك دليل على المحذوف فانه لغو من الحديث لايجوز بوجه ولاسبب . ومن شرط المحذوف في حكم البلاغة انه متى أظهر صار الكلام الى شيءٌ غث لايناسب ماكان عليه أولاً من الطلاوة والحسن » (١) .

وأدلة الحذف كثيرة منها :

١ـ أن يدل العقل على الحذف والمقصود الأظهر على تعيين المحذوف كقوله تعالى : « حُرِّمَتْ عليكم الميتةُ والدمُ ولحمُ الخِنزير » (٢) . فالعقل يدل على الحذف والمقصود الأظهر يرشد الى أن التقدير : حرّم عليكم تناول الميتة والدم ولحم الخنزير ؛ لان الغرض الأظهر منها تناولها .

٢ـ أن يدل العقل على الحذف والتعيين كقوله تعالى : « وجاءَ ربُّكَ » (٣) أي : أمر ربك أو عذابه أو بأسه .

٣ـ أن يدل الفعل على الحذف والعادة على التعيين كقوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز : « فَذلِكُنَّ الذي لمتنني فيه »(٤) . دل العقل على الحذف فيه ؛ لان الانسان انما يلام على كسبه فيحتمل أن يكون التقدير « في حبه» ، لقوله : « قد شغفها حبا »(٥) ، وان يكون «في مراودته لقوله : « تُراوِدُ فتاها عن نفسه »(٦) وأن يكون «في شأنه وأمره » فيشملهما. والعادة دلت على تعيين المراودة لان الحب المفرط لا يلام الانسان عليه في العادة لقهره صاحبه وغلبته إياه ، وانما يلام على المراودة الداخلة تحت كسبه التي يقدر أن يدفعها عن نفسه .

٤ـ أن تدل العادة على الحذف والتعيين كقوله تعالى : « لو نَعْلم قتالاً

---

(١) المثل ج ٢ ص ٨١ .
(٢) المائدة ٣ .
(٣) الفجر ٢٢ .
(٤) يوسف ٣٢ .
(٥) يوسف ٣٠ .
(٦) يوسف ٣٠ .

لاتّبعناكم »(١) من انهم كانوا أخبر الناس بالحرب فكيف يقولون بانهم لا لا يعرفونها ؟ فلا بدّ من حذف ، وتقديره : « مكان قتل » أي انكم تقاتلون في موضع لا يصلح للقتال ويخشى عليكم منه ، ويدل عليه أنهم أشاروا على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن لا يخرج من المدينة وان الحزم البقاء فيها .

٥— الشروع في الفعل كقول المؤمن : « بسم الله الرحمن الرحيم » عند الشروع في القراءة أو أي عمل ، فانه يفيد ان المراد : « بسم الله أقرأ » والمحذوف بقدر ما جعلت التسمية مبدأ له .

٦— اقتران الكلام بالفعل فانه يفيد تقديره كقولنا لمن أعرس : « بالرِفاء والبنين» فانه يفيد : بالرِفاء والبنين أعرست (٢) .

والمحذوف نوعان :

الاول : حذف جزء جملة ، وهو حذف المفردات ، ويكون على صور مختلفة .

١— حذف الفاعل : كقول العرب : « أرسلت » وهم يريدون : « جاء المطر » ولا يذكرون السماء . ومنه قوله تعالى: «كلاّ إذا بلَغَت التراقي وقيلَ مَنْ رَاق » (٣) ، والضمير في « بلغت » للنفس ولم يَجْرِ لها ذكر .

ومنه قول حاتم :

أماويَّ ما يُغني الثـراءُ عن الفتى
إذا حَشْرَجَتْ يوما وضاق بها الصَّدْرُ

يريد : النفس ، ولم يجر لها ذكر .

٢— حذف الفعل وجوابه : وهو نوعان :

أحدهما : يظهر بدلالة المفعول عليه كقوله تعالى : « فقال لهم رسولُ الله : ناقةَ الله وسُقياها » (٤) أي : احذروا .

---

(١) آل عمران ١٦٧ .
(٢) الايضاح ص ١٩٣ ، شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٠٣ .
(٣) القيامة ٢٦ — ٢٧ . (٤) الشمس ١٣ .

وقول المتنبي

ولولا أنَّ أكثر ما تمنّى　　　معاودةٌ لقلت ولا مناكا

أي : ولا صاحبت مناكا .

وثانيهما : لا يظهر فيه قسم الفعل ؛ لانه لا يكون هناك منصوب يدل عليه ، وانما يظهر بالنظر الى ملاءمة الكلام كقوله تعالى : « وعُرضوا على ربك صَفّا لقد جئتمونا كما خلقناكم أوّلَ مرة » (١) . فقوله : « لقد جئتمونا » يحتاج الى اضمار فعل ، أي: فقيل لهم : لقد جئتمونا ، أو فقلنا لهم .

ومن هذا الضرب ايقاع الفعل على شيئين وهو لأحدهما كقوله تعالى : « فأجْمعُوا أمْرَكُمْ وشُرَكاءكم» (٢) وهو لـ « أمركم » وحده ، وانما المراد : أجمِعوا أمركم وادعوا شركاءكم .

ومن حذف الفعل باب يسمى « باب إقامة المصدر مقام الفعل » ويؤتى به لضرب من المبالغة والتوكيد كقوله تعالى: « فاذا لَقِيتُم الذين كفَرَوا فَضَرْبَ الرِّقاب»(٣) أي : فاضربوا الرقاب ضربا ،حذف الفعل وأقيم المصدر مقامه وفي ذلك اختصار وتوكيد .

وأما حذف جواب الفعل فانه لا يكون في الأمر المحتوم كقوله تعالى: « فَذَرْهُم يَخُوضُوا ويَلْعَبوا » (٤) لانهما جواب أمر « فذرهم » وحذف الجواب في هذا لا يدخل في باب الايجاز .

٣ـ حذف المفعول به كقوله تعالى : « وإنّه هو أضْحك وأبكى . وإنّه هو أمات وأحيا » (٥) . فبعد كل فعل مفعول به محذوف. ويكون ذلك لأغراض منها أن يكون غرض المتكلم بيان حال الفعل والفاعل فقط أو أن يكون غرض المتكلم ذكره ولكنه يحذفه ليوهم انه لم يقصده كقول البحتري :

شجوُ حسّاده وغيظ عــداه　　　أن يرى مبصرٌ ويَسْمَعَ واعٍ

أي : أن يرى مبصر محاسنه ويسمع واعٍ أخباره .

---

(١) الكهف ٤٨ .　　(٢) يونس ٧١ .　　(٣) محمد ٤ .
(٤) الزخرف ٨٣ ، المعارج ٤٢ .　　(٥) النجم ٤٣ – ٤٤ .

او أن يحذف لانه معلوم ويأتي هذا بعد فعل المشيئة كقوله تعالى : « ولو شاءَ اللهُ لذَهَبَ بسمعهم وأبصارِهم » (١) أي : لو شاءَ الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها .

ومنه قول البحتري :

لو شئت لم تفسد سَماحةَ حاتم ... كَرَماً ولم تَهْدِمْ مآثرَ خالدِ

أي : لو شئت أن لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها ، فحذف ذلك من الأول استغناءً بدلالته عليه في الثاني (٢) .

٤ــ حذف المضاف أوالمضاف اليه واقامة كل واحد منهما مقام الآخر ، فمن حذف المضاف قوله تعالى: « واسْأل القرية » (٣) أي : أهلها . ومن حذف المضاف اليه قوله : « للهِ الأمْرُ من قَبْلُ ومن بَعْدُ »(٤) ، أي : من قبل ذلك ومن بعد ذلك .

٥ــ حذف الموصوف أوالصفة وإقامة كل واحد منهما مقام الآخر . فمن حذف الموصوف قوله تعالى: « وآتينا ثمودَ الناقةَ مبصرةً »(٥) أي : آية مبصرة ، ولم يرد الناقة فانها لا معنى لها لو وصفها بالبصر .

ومن حذف الصفة قوله : « وكان وراءَهم مَلِكٌ يأخذُ كُلَّ سفينةٍ غَصْبا»(٦) أي : كل سفينة صحيحة أو صالحة .

٦ــ حذف الشرط أوجوابه ، ومثال حذف الشرط قوله تعالى: « يا عبادي الذين آمنوا إنَّ أرضي واسعة فاياي فاعْبُدون» (٧) ، فالفاء في قوله : « فاعبدون » جواب شرط محذوف والمعنى: ان أرضي واسعة فان لم تخلصوا لي العبادة في أرض فاخلصوها في غيرها .

---

(١) البقرة ٢٠ .
(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٩٧ ، بديع القرآن ص ١٨٥ ، الطراز ج ٢ ص ١٠٤ .
(٣) يوسف ٨٢ . (٤) الروم ٤ .
(٥) الاسراء ٥٩ . (٦) الكهف ٧٩ .
(٧) العنكبوت ٥٦ .

ومنه قول الشاعر :

قالوا خراسانُ أقصى ما يُرادُ بنــا

ثم القفولُ ، فقد جئنا خرُاسانا

كأنه قال : إن صحّ ما قلتم انخراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا ان نخلص .

ومن حذف جواب الشرط قوله تعالى : « قل أرأيتم إنْ كان عند الله وكفرتم به وشَهِدَ شاهدٌ من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين » (١) . فان جواب الشرط هنا محذوف تقديره : ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ؟ ويدل على المحذوف قوله تعالى : « إنّ الله لا يَهْدي القومَ الظالمين » .

٧ـ حذف القسم أوجوابه ، ومثال حذف القسم : « لأفعلنّ »أي : واللهلأفعلنّ . ومثال حذف جوابه قوله تعالى : « والفجر . وليالٍ عَشْر . والشَفْعِ والوَتْر . والليلِ إذا يَسْرِ . هل في ذلك قَسَمٌ لذي حِجْر . ألم تَرَ كيف فَعَلَ رَبُّك بعاد . إرَمَ ذَاتِ العِماد . التيلم يُخْلَقْ مِثْلُها في البلاد » (٢) . أي : ليعذبن أو نحوه .

٨ـ حذف « لو » أوجوابها ، ومثال حذف « لو » قوله تعالى: « ما اتّخذ اللهُ من وَلَدٍ وما كان معه من إلهٍ إذَنْ لذَهَبَ كلُّ إله بما خَلَقَ ولعلا بعضُهم على بعض » (٣) . وتقديره : لو كان معه آلهة لذهب كل إله بما خاق .

ومنه قول قريط بن أنيف :

لو كنت من مازن لم تستبحْ إبلي

بنو اللقيطة من ذُهْل بن شيبانــا

---

(١) الاحقاف ١٠ .
(٢) الفجر ١ – ٨ .
(٣) المؤمنون ٩١ .

إذَنْ لقام بنصري مَعْشَرٌ خشنٌ

عند الحفيظة إنْ ذو لوثة لانـا

والتقدير : إذن لو كنت منهم لقام بنصري معشر خشن .

ومثال حذف جواب « لو » قوله تعالى : « ولو ترى إذْ فَزِعُوا فلا فَوْتَ وأخِذوا من مكان قريب » (١) . وتقدير جواب « لو » : لرأيت أمراً عظيماً .

ومنه قول أبي تمام :

لو يعلم الكُفْرُ كم من أعصر كمنت

له العواقبُ بين السحر والقضبِ

التقدير : لو يعلم الكفر لأخذ أهبة الحذار .

٩ـ حذف جواب « لولا » كقوله تعالى : « إنَّ الذين يُحبّون أنْ تَشيعَ الفاحشةُ في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليم في الدّنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ولولا فَضْلُ الله عليكم ورحمتُه وأنَّ الله رؤوفٌ رحيم » (٢) . أي : ولولا فضل الله عليكم ورحمته لعجّل لكم العذاب .

١٠ـ حذف جواب « لما » كقوله تعالى : « فلما أسْلما وتلّه للجبين . وناديناه أنْ يا ابراهيمُ . قد صَدَّقْتَ الرؤيا إنّا كذلك نجزي المحسنين » (٣) . أي : فلما أسلما وتلّه للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا كانما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف .

١١ـ حذف جواب « اما » كقوله تعالى : « فأما الذين اسودّتْ وجوهُهم أكفرتم بعد إيمانكم ؟ » (٤) أي : فيقال لهم : أكفرتم بعد ايمانكم .

١٢ـ حذف جواب « إذا » كقوله تعالى : « وإذا قيل لهم اتّقُوا ما بين ايديكم وما خَلْفكم لعلكم تُرحمون . وما تأتيهم من آيةٍ من آياتِ ربهم إلاّ كانوا عنها

(١) سبأ ٥١ .
(٢) النور ١٩ – ٢٠ .
(٣) الصافات ١٠٣ – ١٠٥ .
(٤) آل عمران ١٠٦ .

مُعْرِضين »(١) . أي وإذا قيل لهم اتقوا اعرضوا واصروا على تكذيبهم .

١٣ــ حذف المبتدأ أوالخبر ، ولا يكون حذف المبتدأ إلاّ مفردا ، والأحسن حذف الخبر لان منه ما يأتي جملة . ومن المواضع التي يحسن فيها حذف المبتدأ على طريق الايجاز قولهم : « الهلال والله » أي : هذا الهلال .

ومن المواضع التي يصحّ فيهاحذف الخبر قولنا : « لولا محمد لكان كذا » ومن المواضع التي يحتمل ان يكون المحذوف فيها اما المبتدأ وإما الخبر قوله تعالى : « فَصَبْرٌ جميلٌ » (٢) فيحتمل ان يكون المبتدأ محذوفاً وتقديره : فأمري صبر جميل ، ويحتمل أن يكون من باب حذف الخبر وتقديره : فصبر جميل أجمل.

١٤ــ حذف « لا » من الكلام وهي مرادة كقوله تعالى : « تالله تَفْتَأ تذكرُ يُوسُفَ » (٣) . أي : لا تفتأ .

ومنه قول امرئ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديكِ وأوصالي

أي : لاأبرح .

١٥ــ حذف « الواو » من الكلام واثباتها ، وأحسن حذوفها في المعطوف والمعطوف عليه كقوله تعالى: « يا أيّها الذين آمنوا لا تتخذوا بِطانةً من دُونكم لا يألُونكم خبَالاً ودّوا ما عنتم قد بَدَتِ البغضاءُ من أفواهِهم وما تُخفي صدورُهم أكبر »(٤) . أي : لا يألونكم خبالاً وودوا.

١٦ــ حذف بعض اللفظ وهوسماعي لا يجوز القياس عليه (٥) ، ومنه قول علقمة بن عبدة :

كأنّ إبريقَهم ظبيٌ على شَرَفٍ مفدّمٌ بسبا الكتان ملثوم (٦)

فقوله : « بسبا الكتان » يريد : بسبائب الكتان .

---

(١) يس ٤٥ – ٤٦ . (٢) يوسف ١٨ ، ٨٣ .
(٣) يوسف ٨٥ . (٤) آل عمران ١١٨ .
(٥) المثل السائر ج ٢ ص ١١٣ ، الطراز ج ٢ ص ١١٢ .
(٦) الفدام : خرقة تجعل في فم الابريق . سبائب جمع سبيبة وهي الشقة .

وهذا وأمثاله مما يقبح ولا يحسن وان كانت العرب قد استعملته .

والنوع الثاني من الايجاز حذف الجمل ، وهو قسمان :

أحدهما : حذف الجمل المفيدة التي تستقل بنفسها كلاما ، وهذا أحسن المحذوفات وأدلها على الاختصار .

ثانيهما : حذف الجمل غير المفيدة .

وجملة هذين النوعين أربعة أضرب :

الأول : حذف السؤال المقدر ، ويسمى الاستئناف وهو على وجهين :

١- إعادة الاسماء والصفات كقوله تعالى : « ألم ذلِكَ الكتابُ لا ريبَ فيه هُدًى للمتقين . الذين يُؤمنون بالغيب ويُقيمون الصلاةَ ومما رَزَقْناهم يُنفقون . والذين يؤمنون بما أُنزِلَ اليك وما أُنزل من قبلك وبالآخرة هم يُوقنون . اولئك على هُدًى من ربهم وأولئك هم المفلحــون » (١). والاستئناف واقــع في هذا الكلام على « اولئك » لانه لما قال : « الم . ذلك الكتاب » الى قوله : « وبالآخرة هــم يوقنون » اتجه لسائل أن يقول : ما بال المستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فأجيب بأن اولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلاً وبالفلاح آجلا .

٢- الاستئناف بغير إعادة الاسماء والصفات كقوله تعالى : « مالي لا أعْبُدُ الذي فَطرني واليه تُرجَعون. أأتخذُ من دونه آلهةً إنْ يُرِدْنِ الرحمن بضُرٍّ لا تغني عني شفاعتُهم شيئاً ولا يُنْقِذون . إني إذن لفي ضلال مبين . إني آمَنْتُ بربكم فاسمعون . قيل ادخُلِ الجنّةَ ، قال : يا ليتَ قومي يَعْلمون بما غَفر لي ربي وجعلني من المُكْرَمين » (٢) . فمخرج هذا القول مخرج الاستئناف ؛ لان ذلك من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه وكأنّ قائلاً قال : كيف حال هذا الرجل عند لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه والتسخي لوجهه بروحه ؟

---

(١) البقرة ١ — ٥ .

(٢) يس ٢٢ — ٢٧ .

فقيل : قيل ادخل الجنة ولم يقل : قيل له ، لانصباب الغرض الى المقول لا الى المقول له مع كونه معلوما . وكذلك قوله : « يا ليت قومي يعلمون » مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد .

الثاني : الاكتفاء بالسبب عن المسبب ، وبالمسبب عن السبب، فاما الاكتفاء بالسبب عن المسبب فكقوله تعالى : « وما كنتَ بجانب الغربيّ إذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين . ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العُمُر »(١) . فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة ودلّ به على المسبب وهو الوحي الى الرسول — صلى الله عليه وسلم — . وعليه قول المتنبي :

أتى الزمانَ بنوه في شبيبته فسَرَّهم وأتيناه على الهَرَمِ

أي : فساءنا .

وأما حذف الجملة غير المفيدة من هذا الضرب فكقوله تعالى حكاية عن مريم — عليها السلام — : « قالت أنّى يكون لي غلامٌ ولم يَمْسَسْني بَشَرٌ ولم أَكُ بغيا . قال كذلك قال ربُّك هو عليّ هيّن ولنجعله آيةً للناس ورحمةً منا وكان أمْراً مَقْضياً » (٢) . فقوله : « لنجعله آية للناس » تعليل معلّله محذوف اي : وانما فعلنا ذلك لنجعله آية للناس ، فذكر السبب الذي صدر الفعل من أجله وهو جعله آية للناس ودلّ به على المسبب الذي هو الفعل .

واما الاكتفاء بالمسبب عن السبب فكقوله تعالى : « فاذا قرأت القرآنَ فاستَعِذْ بالله من الشيطان الرجيم » (٣) . أي : إذا أردت قراءة القرآن فاكتفِ بالمسبب الذي هو القراءة عن السبب الذي هو الارادة . والدليل على ذلك ان الاستعاذة قبل القراءة والذي دلت عليه انها بعد القراءة .

الثالث : الاضمار على شريطة التفسير ، وهو أن يحذف من صدر الكلام

---

(١) القصص ٤٤ — ٤٥ .
(٢) مريم ٢٠ — ٢١ .
(٣) النحل ٩٨ .

ما يؤتى به في آخره فيكون الآخر دليلاً على الأول . وهو ثلاثة أوجه (١) :

١- أن يأتي على طريق الاستفهام فتذكر الجملة الاولى دون الثانية كقوله تعالى : « أفمن شرح اللهُ صدْرَه للاسلام فهو على نور من ربه فويلٌ للقاسية قلوبُهم من ذِكْرِ الله ، أولئك في ضلال مبين » (٢) . تقدير الآية : أفمن شرح الله صدره للاسلام كمن أقسى قلبه ؟ ويدل على المحذوف قوله : « فويل للقاسية قلوبهم » .

٢- أن يرد على حد النفي والاثبات كقوله تعالى : « لا يَسْتوي منكم مَنْ أنفقَ من قَبْلِ الفَتْح وقاتَلَ ، اولئك أعظمُ درجةً من الذين أنفقوا من بَعْدُ وقاتلوا »(٣) تقديره : لا يستوي منكم من أنفق قبل الفتح وقاتل ومن أنفق بعده وقاتل . ويدل على المحذوف قوله : « اولئك أعظم درجةً من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا » .

٣- أن يرد على غير هذين الوجهين فلا يكون استفهاماً ولا نفياً واثباتاً كقوله تعالى: «والذين يُؤْتُون ما آتَوا وقلوبُهم وَجِلةٌ أنّهم الى ربهم راجعون »(٤) : فالمعنى في الآية : والذين يعطون ما أعطوا من الصدقات وسائر القرب الخالصة لوجه الله — تعالى — وقلوبهم وجلة ،أي: خائفة من أن ترد عليهم صدقاتهم . فحذف قوله : « ويخافون ان ترد عليهم هذه النفقات » ودلّ عليه بقوله : « وقلوبهم وجلة » . فظاهر الآية انهم وجلون من الصدقة وليس وجلهم لأجل الصدقة وانما وجلهم لأجل خوف الرد المتصل بالصدقة .

ومنه قول أبي تمام :

يتجنب الآثام ثم يخافها فكأنما حَسَنَاتُه آثامُ

والتقدير : انه يتجنب الآثام فاذا تجنبها فقد أتى بحسنة ثم يخاف أن لا تكون تلك الحسنة مقبولة فكأنما حسناته آثام فلم يخف الحسنة لكونها حسنة وانما خاف

---

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٨٦ ، الجامع الكبير ص ١٢٥ ، الطراز ج ٢ ص ٩٧ .
(٢) الزمر ٢٢ . (٣) الحديد ١٠ . (٤) المؤمنون ٦٠ .

ما يتصل بها من الرد فكأنها مخوفة كما تخاف الآثام .

ومنه قول أبي نواس :

سُنَّة العشاق واحـدةٌ   فاذا أَحبَبْتَ فاستَكِنِ

فحذف الاستكانة من الأول وذكرها في المصراع الثاني ، لان التقدير : سُنَّة العاشقين واحدة وهي أن يستكينوا ويتضرعوا ، فاذا أحببت فاستكن .

الرابع : ما ليس بسبب ولا مسبب ولا اضمار على شريطة التفسير ولا استئناف . فمن حذف الجمل المفيدة قوله تعالى : « قال : تزرعون سَبْعَ سنينَ دَأَباً فما حَصَدْتم فَذَرُوه في سُنْبُله إلاَّ قليلاً مما تأكلون . ثم يأتي من بعْدِ ذلك سَبْعٌ شِداد يأكُلْنَ ما قدَّمتم لهنّ إلا قليلا مما تُحْصِنون . ثم يأتي من بَعْدِ ذلك عامٌ فيه يُغاثُ الناسُ وفيه يَعْصِرون . قال المَلك ائتوني به » (١) . فانه حذف من هذا الكلام جملة مفيدة تقديرها : فرجع الرسول اليهم فأخبرهم بمقالة يوسف فعجبوا لها أو فصدّقوه عليها ، وقال الملك : « ائتوني به » .

ومن حذف الجمل غير المفيدة قوله تعالى : « يا زكريا إنّا نُبَشّرُك بغلام اسْمُه يحيى لم نجعل له من قبل سَمِيّا . قال ربِّ أنّى يكون لي غلامٌ وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكِبَرِ عتيا . قال كذلك قال ربُك هو عليّ هين وقد خلقتك من قبل ولم تَكُ شيّا . قال : رب اجعلْ لي آية ، قال : آيتك ألاّ تكلمَ الناسَ ثلاثَ ليالٍ سويا . فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أنْ سَبّحوا بُكرةً وعَشيا . يا يحيى خُذِ الكتاب بقوة وآتيناه الحُكْمَ صبيا » (٢) . هذا الكلام قد حذف منه جملة دل عليها صدره وهو البشرى بالغلام ، وتقديرها : ولما جاء الغلام ونشأ وترعرع قلنا له : يا يحيى خذ الكتاب بقوة . فالجملة المحذوفة ليس من الجمل المفيدة .

ومن ذلك قول المتنبي :

لا أبغض العيسَ لكنني وقيت بها   قلبي من الهمّ أو جسمي من السَقَمِ

---

(١) يوسف ٤٧ – ٥٠ .

(٢) مريم ٧ – ١٢ .

وفي هذا البيت حذف والتقدير : لا أبغض العيس لانضائي إياها في الأسفار ولكني وقيت بها او كذا ، فالثاني دليل على حذف الأول .

ومما يتصل بهذا الضرب حذف ما يجيءُ بعد « أفعل » مثل : « الله أكبر » أي : أكبر من كل كبير . وعليه ورد قول البحتري :

الله أعطاك المحبةَ في الورى   وحباك بالفضل الذي لا ينكرُ
ولأنت أملأ في العيون لديهـم   وأجلّ قدراً في الصدور وأكبرُ

أي : أنت أملأ في العيون من غيرك (١) .

ايجاز القصر :

هو تقليل الالفاظ وتكثير المعاني ، وكان الجاحظ قد أشار اليه وهو « الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه » (٢) . وأشار الى كتابه الذي جمع فيه آيا من القرآن ليعرف بها فصل ما بين الايجاز والحذف ، وبين الزوائد والفصول والاستعارات . قال : « فاذا قرأتها رأيت فضلها في الايجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالالفاظ القليلة على الذي كتبته لك في باب الايجاز وترك الفضول ، فمنها قوله حين وصف خمر أهل الجنة : « لا يُصَدَّعُون عنها ولا يُنْزِفُونَ » (٣) ، وهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع عيوب خمر أهل الدنيا . وقوله — عز وجل — حين ذكر فاكهة أهل الجنة فقال : « لا مَقْطوعةٍ ولا مَمْنوعةٍ » (٤) جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني »(٥) وقال فيما بقي من رسالته في البلاغة والايجاز : « درجت الارض من العرب والعجم على ايثار الايجاز وحمد الاختصار وذم الاكثار والتطويل والتكرار وكل ما فضل عن المقدار » (٦) .

(١) معاني القرآن ج ١ ص ٦١ ، مجاز القرآن ج ٢ ص ٢ ، ٩٨ ، الحيوان ج ٣ ص ٧٥ ، البيان ج ٢ ص ٢٧٨ ، كتاب الصناعتين ص ١٨١ ، المثل السائر ج ٢ ص ٧١ ، الجامع الكبير ص ١٢٢ ، الايضاح ص ١٨٥ ، نهاية الارب ج ٧ ص ٤ ، الطراز ج ٢ ص ٨٨ ، شروح التلخيص ج ٣ ص ١٨٣ ، معترك ج ١ ص ٢٩٥ ، الاتقان ج ٢ ص ٥٤ ، ٥٧ ، المطول ص ٢٨٧ ، الاطول ج ٢ ص ٣٧ .

(٢) البيان ج ٢ ص ١٦ .
(٣) الواقعة ١٩ .
(٤) الواقعة ٣٣ .
(٥) الحيوان ج ٣ ص ٨٦ .
(٦) رسالة في البلاغة والايجاز ص ٢٣ وتنظر رسائل الجاحظ ج ٤ ص ١٥١ .

ورأى ابن الأثير ان التنبه لهذا النوع من الايجاز عسر ، لانه يحتاج الى فضل تأمل (١) ، ومن ذلك قوله تعالى : « ولكم في القصاص حياة » (٢) . وتظهر روعة هذه الآية الكريمة حينما تقارن بقول العرب : « القتل أنفى للقتل » ، ويتضح ذلك في وجوه :

الاول : ان عدة حروف « في القِصاص حياةٌ » عشرة في التلفظ ، وعدد حروفه أربعة عشر .

الثاني : ما فيه من التصريح بالمطلوب الذي هو الحياة بالنص عليها فيكون أزجر عن القتل بغير حق لكونه أدعى الى الاقتصاص .

الثالث : ما يفيده تنكير « حياة » من التعظيم أو النوعية .

الرابع : اطراده بخلاف قولهم ، فان القتل الذي ينفي القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره .

الخامس : سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام بخلاف قولهم .

السادس : استغناؤه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم فان تقديره : القتل أنفى من تركه .

السابع : إن القصاص ضد الحياة فالجمع بينهما طباق .

الثامن : جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة بادخال « في » عليه (٣) .

ومن الايجاز بالقصر قوله تعالى : « ما اتّخذ الله من وَلَدٍ وما كان معه من إلهٍ إذَنْ لذهَبَ كلُّ إله بما خلَقَ ولعلا بعضُهم على بعض » (٤) .

ومنه قول الشريف الرضي :

مالوا الى شُعَبِ الرحال وأسندوا أيدي الطّعان الى قلوب تَخفّقُ

فانه لما أراد أن يصفهم بالشجاعة في أثناء وصفهم بالغرام عبّر عن ذلك بقوله : « أيدي الطعان » .

---

(١) المثل السائر ج ٢ ص ٧٨ . (٢) البقرة ١٨٩ .

(٣) كتاب الصناعتين ص ١٧٥ ، نهاية الايجاز ص ١٤٥ ، المثل السائر ج ٢ ص ١٢٥ ، بديع القرآن ص ١٩٢ ، الايضاح ص ١٨٢ . (٤) المؤمنون ٩١ .

وهذا معنى الايجاز بالقصر عند البلاغيين غير ان ابن الأثير (١) عدّه فرعاً من الايجاز الذي لا يحذف منه شيء لانه قسم الايجاز الى قسمين :

١- الايجاز بالحذف ، وهو ما يحذف منه المفرد والجملة .

٢- مالا يحذف منه شيء وهو ضربان :

الأول : ما ساوى لفظه معناه ويسمى التقدير .

الثاني : ما زاد معناه على لفظه ويسمى الايجاز بالقصر .

وقسم الايجاز بالقصر الى نوعين :

الأول : ما دلّ لفظه على محتملات متعددة ويمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها ، ومنه قوله تعالى : « ولقد أَوْحينا الى موسى أَنْ أَسْرِ بعبادي فاضربْ لهم طريقاً في البحر يَبَسا لاتخاف دَرَكاً ولا تَخشى . فأَتْبَعَهُمْ فرعونُ بجنوده فَغَشيَهُمْ من اليم ما غَشيَهم وأَضَلَّ فرعونُ قومه وما هَدَى » (٢) فقوله : « فغشيهم من اليمّ ما غشيهم » من جوامع الكلم التي يستدل على قلتها بالمعاني الكثيرة أي : غشيهم من الأمور الهائلة والخطوب الفادحة ما لا يعلم كنهه إلاّ الله ولا يحيط به غيره . ومنه قوله تعالى : « خُذِ العفو وامُرْ بالعرف وأعرِضْ عن الجاهلين » (٣) فجمع في الآية جميع مكارم الاخلاق ؛ لان في الأمر بالمعروف صلة الرحم ومنع اللسان عن الغيبة وعن الكذب وغض الطرف عن المحرمات وغير ذلك ، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وغيرهما .

ومن ذلك قول السموأل :

وإن هو لم يحمل على النفس ضَيْمَها
فليس الى حُسْنِ الثناء سَبيلُ

فان هذا البيت قد اشتمل على مكارم الأخلاق جميعها من سماحة وشجاعة وعفة وتواضع وحلم وصبر وغير ذلك ، فان هذه الأخلاق كلها من ضيم النفس ؛

---

(١) المثل ج ٢ ص ١١٤ ، وينظر الطراز ج ٢ ص ١١٩ .

(٢) طه ٧٧ - ٧٩ .

(٣) الاعراف ١٩٩ .

لانها تجد بحملها ضيماً أي مشقة وعناءاً .

الثاني : ما دلّ لفظه على محتملات متعددة ولا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها بل يستحيل ذلك، وهو أعلى طبقات الايجاز . ومنه قوله تعالى: « ولكم في القِصاصِ حياةٌ » (١) الذي فاق كل كلام وفَضُلَ غيره من كلام العرب(٢).

الايداع :

استودعه مالاً وأودعه إياه : دفعه اليه ليكون عنده وديعة ، وأودعه قبل منه الوديعة ، وقد جاء به الكسائي في باب الأضداد (٣) . وقال المدني : «الايداع في اللغة مصدر أودعته مالاً إذا دفعته اليه ليكون عنده وديعة ، وأودعته أيضاً إذا أخذته منه وديعة فيكون من الأضداد لكنه بمعنى الأول أشهر ، والثاني بالمعنى الاصطلاحي أنسب » (٤) .

وقال المصري : « هو أن يعمد الشاعر أو المتكلم الى نصف بيت لغيره يودعه شعره سواء أكان صدراً أو عجزاً ، وأما الناثر فان أتى في نثره بنصف بيت لغيره سمي ايداعاً ، وان كان لنفسه سمي تفصيلا»(٥).وقال إن من لا يعرف الاصطلاح يسميه تضميناً ، وفرق بينهما وبين الاستعانة بقوله : « إن التضمين يقع في النظم والنثر ويكون من المحاسن ومن العيوب ولكنه لا يكون من العيوب إلا اذا وقع في النظم بالنظم ، والايداع والاستعانة وإن وقعا معاً في النظم والنثر فلا يكونان إلاّ بالنظم دون النثر » (٦) .

وقال الحلبي : « وأكثر الناس يجعلونه من باب التضمين وهو منه إلاّ انه

(١) البقرة ١٧٩ .
(٢) كتاب الصناعتين ص ١٧٥ ، الرسالة العسجدية ص ٨٨ ، ٩٤ ، الجامع الكبير ص ١٤٣ ، نهاية الارب ج ٧ ص ٥ ، الايضاح ص ١٨٢ ، شروح التلخيص ج ٣ ص ١٨٣ ، المطول ص ٢٨٦ ، الاطول ج ٢ ص ٣٥ ، معترك ج ١ ص ٢٩٥ ، الاتقان ج ٢ ص ٥٤ ، شرح عقود الجمان ص ٦٩ .
(٣) اللسان (ودع) .
(٤) أنوار الربيع ج ٦ ص ٧٣ .
(٥) تحرير التحبير ص ٣٨٠ .
(٦) تحرير ص ١٤٢ .

مخصوص بالنثر وبان يكون المودع نصف بيت اما صدراً واما عجزاً » (١). وذكر النويري هذا التعريف أيضاً (٢) .

وقال الحموي : « الايداع الذي نحن بصدده هو أن يودع الناظم شعره بيتاً من شعر غيره أو نصف بيت أو ربع بيت بعد أن يوطىء له توطئة تناسبه بروابط متلائمة بحيث يظن السامع ان البيت باجمعه له . وأحسن الإيداع ما صرف عن معنى غرض الناظم الأول ويجوز عكس البيت المضمن بان يجعل عجزه صدراً أو صدره عجزاً وقد تحذف صدور قصيدة بكمالها وينظم لها المودع صدوراً لغرض اختاره وبالعكس » (٣) .

وقال السيوطي : « والمصراع فما دونه يسمى رفواً وايداعا ؛ لانه رفا بشعر الغير وأودعه إياه » (٤) .

وقال المدني : « هو ان يودع الشاعر شعره بيتاً فأكثر أو مصراعا فما دونه من شعر غيره بعد أن يوطىء له في شعره توطئة تناسبه وتلائمه ويسمى التضمين والرفو أيضاً » (٥) . ثم قال : « والايداع عند البديعيين من المحاسن » .

ومثال الايداع في النثر قول علي — رضي الله عنه — في جواب كتابه لمعاوية : « ثم زعمت أني لكل الخلفاء حسدت ، وعلى كلهم بغيت ، فان يكون ذلك كذلك فليست الجناية عليك فيكون العذر اليك : « وتلك شكاة ظاهر عنك عارها » . وهذا عجز بيت تمثل به ايضاً عبدالله بن الزبير وقد قال أهل الشام له : « يا ابن ذات النطاقين » على سبيل المعيرة لها بذلك ، نظر الى أنها كانت خادمة لا مخدومة على طريقة الجاهلية في مدح النساء وذمهم فأنشد :

وعيّرها الواشون أني أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ومن شواهد الايداع الشعرية قول أبي نواس :

تغنّى وما دارت له الكأسُ ثالثا تعزّى بصبر بعد فاطمة القلبُ

---

(١) حسن التوسل ص ٢٩٥ .
(٢) نهاية الارب ج ٧ ص ١٦٤ .
(٣) خزانة الأدب ص ٣٧٧ .
(٤) شرح عقود الجمان ص ١٧٠ .
(٥) أنوار الربيع ج ٦ ص ٧٣ .

وقد يجتمع الايداع والتضمين في شعر واحد كقول علي بن الجهم في « فضل » الشاعرة و « بَنان » المغنّي :

كلّما غنّى بنانُ اسمعي أو خبرينا
أنشدت فضلٌ ألا حييت عنا يا مدينـــا
عارضت معنى بمعنى والندامى غافلينا

فوقع التضمين في البيت الاول والايداع في البيت الثاني .

وقال المصري : « وكنت نظرت الى بيت لابي الطيب وهو :

تذكرت ما بين العُذيب وبارق مجرّ عوالينا ومجرى السوابقِ (١)

فأودعت كل قِسيم منه بيتاً من قصيدة مطلعها :

أعِرْ مقلتي إن كنت غير مرافقي دموعا لتبكي فَقْدَ حيٌ مفارقِ
فقد نضبت يوم الوداع مدامعي وشابَتْ لتشتيت الفراق مفارقي

والبيتان منها :

إذا الوهم أبدى لي لمَاها وثَغرَها تذكرْتُ ما بين العُذيب وبارقِ
ويذكرني من قدّها ومدامعي مجرّ عوالينا ومجرى السوابق

وإن أخذ نصف بيت لغيره فابتدأ به وثنى عليه تتمة البيت لا غير فذلك تمليط ، وان بنى عليه كل ما يخطر له من أبيات لتمام غرضه فذلك توطيد » (٢) . ويبدو من الأمثلة المتقدمة ان الايداع هو التضمين وان المصري لم يكن دقيقاً حينما أنكر على البلاغيين خلطهم بين الايداع والتضمين ، وقد أشار المدني الى مثل ذلك فقال : « وانكار كون التضمين بمعنى الايداع بعد أن اصطلح على ذلك كثير من أرباب هذا الفن ، بل هو أشهر من الايداع في هذا المعنى — لا وجه له » (٣) . وذكر تنبيهات منها : ان أحسن التضمين ما صرف عن معنى غرض الشاعر الأول وما زاد على الأصل بنكتة كالتورية ونحو ذلك ، ومثاله قول المصري

(١) العذيب وبارق : موضعان بظاهر الكوفة . العوالي : الرماح . السوابق : الخيل .
(٢) تحرير التحبير ص ٣٨٢ .
(٣) أنوار الربيع ج ٦ ص ٧٤ .

المتقدم في بيت المتنبي .

وانه يجوز في التضمين أن يجعل صدر البيت عجزاً وبالعكس كقول الحريري :

على أني سأنشد عند بيعي أضاعوني وأي فتى أضاعوا

المصراع الثاني صدر بيت للعرجي وعجزه : « ليوم كريهة وسداد ثغر » . وانه لا يضره التغيير اليسير لما قصد تضمينه ليدخل في معنى الكلام كقول بعضهم في يهودي به داء الثعلب :

أقول لمعشر غلطوا وغضوا من الشيخ الرشيد وأنكروه

هو ابن جلا وطلاّع الثنايا متى يضع العمامة تعرفوه

والبيت لسحيم بن وثيلة وهو :

انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

فغيّره الى طريق الغيبة ليدخل في المقصود .

الايضاح :

وضح الشيءُ يضحُ وضوحاً وَضَحةً وضِحَةً واتضح أي : بان وهو واضح ووضّاح . وأوضح وتَوضّح : ظهر (١) .

والايضاح من مبتدعات المصري وقد قال في تعريفه : « هو أن يذكر المتكلم كلاماً في ظاهره لبس ثم يوضحه في بقية كلامه » (٢) . وفرّق بينه وبين التفسير بقوله : « ان التفسير تفصيل الاجمال ، والايضاح رفع الاشكال » (٣)

ومن الايضاح قوله تعالى : « كلما رُزِقوا منها من ثمرةٍ رِزْقاً قالوا هذا الذي رُزِقْنا من قَبْلُ وأُتُوا به مُتَشابِهاً » (٤) . فان هذه الآية لو اقتصر على قوله : « من قبل » دون بقية الآية لأشكل على المخاطب ، فلا يدري هل أراد سبحانه بما حكاه أهل الجنة اشارتهم الى صنف الثمرة أو مقدار ما يؤتون منها بحيث تكون مقادير الثمار متساوية ، فأوضح سبحانه هذا الاشكال بقوله : « وأُتُوا به متشابها » أي : يشبه بعضه بعضا في الكمية وان تغايرت أصنافه .

---

(١) اللسان (وضح) . (٢) تحرير التحبير ص ٥٥٩ ، بديع القرآن ص ٢٥٩ .

(٣) تحرير التحبير ص ٥٦٠ . (٤) البقرة ٢٥ .

ومنه قول الشاعر :

يذكرُنيك الخيرُ والشرُّ كلُّه وقيلُ الخنا والعِلْمُ والحلْمُ والجَهْلُ

فان هذا الشاعر لو اقتصر على هذا البيت لأشكل مراده على السامع لجمعه بين ألفاظ المدح والهجاء ، فلما قال بعده :

فألقاك عن مكروهها مُتَنَزِها وألقاك في محبوبها ولك الفَضْلُ

أوضح المعنى المراد ورفع اللبس وأوضح الشك .

وقد يكون الايضاح في الوصف الذي لا يتعلق به مدح ولا هجاء وذلك أن يخبر المتكلم بخبر واحد عن شيء واحد يقع التعجب منه ويشكل الأمر فيه ثم يوضح ذلك الاشكال بان يخبر عنه بما يفهم منه كشف اللبس عن الجزء الأول ، كقول ابن حيوس الدمشقي :

ومقرطق يغني النديم بوجهه عن كأسِه الملأى وعن إبريقه(١)

فِعلُ المدام ولونُها ومذاقُها في مقلتيه ووجنتيه وريقه

فانه لو اقتصر على البيت الأول لأشكل الأمر على السامع من جهة الوجه وان كان حسنا لا يغنى به النديم عن الخمر ، فأوضح اللبس في البيت الثاني .

ونقل عن المصري هذا الفن البلاغيون كابن مالك والحلبي والنويري والعلوي والحموي والسيوطي والمدني ، وذكروا بعض امثلته (٢) .

الايضاح بعد الابهام :

هو أحد أنواع الاطناب ، وقد تقدم .

الايغال :

وغل في الشيء وغولاً دخل فيه وتوارى ، ووغل : ذهب وأبعد وكذلك أوغل في البلاد ونحوها ، وتوغّل في الأرض ذهب فأبعد فيها (٣) .

---

(١) المقرطق : لابس القرطق ، وهو قباء .

(٢) المصباح ص ٩٣ ، حسن التوسل ص ٣٠٤ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٦٩ ، الطراز ج ٣ ص ١٠١ . خزانة الأدب ص ٤١٣ ، شرح عقود الجمان ١٤٠ ، أنوار الربيع ج٦ص٣١ .

(٣) اللسان (وغل) .

والايغال أحد أقسام الاطناب وقد تقدم ، وهو « ختم الكلام نثراً كان أو نظماً بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها » (١) .

ايقاع الممتنع :

وقع على الشيء ومنه يقع وقعاً ووقوعا : سقط ، ووقع الشيء من يدي كذلك وأوقعه غيره ، ويقال ـ : وقع الشيء موقعه . ووقع بالأمر : أحدثه وأنزله ، ووقع القول والحكم اذا وجب (٢) .

والمنع أن تحول بين الرجل وبين الشيء الذي يريده وهو خلاف الاعطاء ، ويقال : هو تحجير الشيء ، منعه يمنعه منعاً ومنّعه فامتنع منه وتمنّع (٣) .

وايقاع الممتنع من عيوب المعاني عند قدامة ، وقد قال عنه : « ايقاع الممتنع فيها في حال ما يجوز وقوعه ويمكن كونه . والفرق بين الممتنع والمتناقض ان المتناقض لا يكون ولا يمكن تصوره في الوهم ، والممتنع لا يكون ويجوز أن يتصور في الوهم » (٤) .

ومما جاء في الشعر وقد وضع الممتنع فيه فيما يجوز وقوعه قول أبي نواس :

يا أمينَ الله عِش أبَداً دُمْ على الأيام والزمنِ

فليس يخلو هذا الشاعر من أن يكون تفاءل لهذا الممدوح بقوله : « عش أبداً » أو دعا له ، وكلا الأمرين مما لا يجوز مستقبح .

الايماء :

أوميت لغة في أومأت ، وأومى يُومي وومى يمي مثل أوحى ووحى . والايماء الاشارة بالأعضاء كالرأس واليد والعين والحاجب (٥) .

والايماء من المسائل التي تحدث عنها المتقدمون فقال المبرد : « من كلام العرب

(١) أنوار الربيع ج ٥ ص ٣٣٣ ، وينظر المنزع البديع ص ٣٢١ والمنصف ٧٠ .
(٢) اللسان (وقع) .
(٣) اللسان (منع) .
(٤) نقد الشعر ص ٢٤٢ .
(٥) اللسان (ومي) .

الاختصار المفهم والاطناب المفخم . وقد يقع الايماء الى الشيء فيغني عند ذوي الألباب عن كشفه كما قيل لمحـــة دالة » (١) . وقال ابن جني معلقاً على قول الشاعر :

أخذنا باطراف الأحاديث بيننا — وسالت بأعناق المطي الأباطح

« إن في قوله : « أطراف الأحاديث» وحياً خفياً ورمزاً حلواً ، ألا ترى انه يريد باطرافها ما يتعاطاه المحبون ويتفاوضه ذوو الصبابة المتيمون من التعريض والتلويح والايماء دون التصريح ، وذلك أحلى وأدمث وأغزل وأنسب من أن يكون مشافهة وكشفا ومصارحة وجهرا » (٢). وذكر المدني ان الايماء عند ابن جني هو الاكتفاء قال : « وسماه ابن جني في كتاب التعاقب بالايماء وعقد له بابا فقال : « باب الايماء وهو الاكتفاء عن الكلمة بحرف من أولها » (٣)

وعدّه ابن رشيق من أنواع الاشارة ومثّل له بقوله تعالى : « فَغَشِيَهُمْ من اليم ما غَشِيَهُمْ » (٤) فأومأ اليه وترك التفسير معه . وبقول كثير :

تجافيت عني حين لالي حيلة — وخلّفت ما خلفت بين الجوانح

فقوله : « وخلفت ما خلفت » ايماء مليح (٥) .

والكناية تتنوع عند السكاكي الى تعريض وتلويح ورمز وايماء واشارة (٦) ، قال : « وإن كانت الكناية لامع نوع الخفاء كقول أبي تمام :

أَبَيْنَ فما يَزُرْنَ سوى كريمٍ — وَحَسْبُكَ أن يَزُرْنَ أبا سعيد

فانه في إفادة أن أبا سعيد كريم غير خاف كان اطلاق اسم الايماء والاشارة عليها مناسبا »(٧) . ونقل ذلك القزويني وشراح التلخيص (٨) . وأدخله السجلماسي في أنواع الاشارة (٩) .

---

(١) الكامل ج ١ ص ٢٧ .
(٢) الخصائص ج ١ ص ٢٢٠ .
(٣) أنوار الربيع ج ٣ ص ٨٣ .
(٤) طه ٧٨ .
(٥) العمدة ج ١ ص ٣٠٣ .
(٦) مفتاح العلوم ص ١٩٦ .
(٧) مفتاح العلوم ص ١٩٤ .
(٨) الايضاح ص ٣٢٧ ، التلخيص ص ٣٤٣ ، شروح التلخيص ج ٤ ص ٢٧٠ ، المطول ص ٤١٣ ، الاطول ج ٢ ص ١٧٦ ، شرح عقود الجمان ص ١٠٣ .
(٩) المنزع البديع ص ٢٦٨ .

الايهام :

الوهم من خطرات القلب ، وتوهّم الشيء تخيله وتمثله كان في الوجود أو لم يكن . ويقال : توهمت في كذا وكذا وأوهمت الشيء : إذا أغفلته . ووهمت في الشيء أهِم وهماً إذا ذهب وهمك اليه وأنت تريد غيره وتوهمت أي ظننت ، وأوهمت غيري إيهاما والتوهيم مثله (١) .

وكان الوطواط قد تحدث عنه وقال : « الايهام في اللغة بمعنى التخييل ولذلك يسمون هذه الصنعة بالتخييل أيضاً . وتكون بان يذكر الكاتب أو الشاعر في نثره أو نظمه ألفاظاً يكون لها معنيان أحدهما قريب والآخر غريب فاذا سمعها السامع انصرف خاطره الى المعنى القريب بينما يكون المراد منها هو المعنى الغريب »(٢) .
ومثال ذلك قول أبي العلاء :

إذا صَدَقَ الجدُّ افترى العَمُّ للفتى ... مكارم لا تَكرى وإن كَذَبَ الخالُ

فكل من سمع الالفاظ الثلاثة « جد » و « عم » و « خال » انصرف ذهنه الى الاقارب في حين ان المقصود بها أشياء أخرى ، فالجد هو الحظ ، والعم هو الجماعة ، والخال هو مخيلة السحاب وهي ما يرى فيها من علامة المطر (٣) .
وقال الرازي : « هو أن يكون للفظ معنيان أحدهما قريب والآخر غريب فالسامع يسبق فهمه الى القريب مع ان المراد هو ذلك البعيد ، وهذا انما يحسن إذا كان الغرض تصوير ذلك المعنى البعيد بالمعنى الظاهر . واكثر المتشابهات من هذا الجنس»(٤) ومنه قوله تعالى : « والأرضُ جميعاً قَبْضَتُه يَوْمَ القيامة والسماواتُ مطوياتٌ بيمينه »(٥) . وذكر السكاكي هذه الآية شاهداً أيضاً وقال عن الايهام : « هو أن يكون للفظ استعمالان قريب وبعيد فيذكر لايهام القريب في الحال الى أن

---

(١) اللسان (وهم) .
(٢) حدائق السحر ص ١٣٥ .
(٣) شروح سقط الزند ج ٣ ص ١٢٦٢ .
(٤) نهاية الايجاز ص ١١٣ ، وينظر الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٢٢ .
(٥) الزمر ٦٧ .

يظهر ان المراد به البعيد » (١) كقول الشاعر :

حملناهم طرأً على الدهم بعدما خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

أراد بالحمل على الدهم : تقييد العدى فأوهم إركابهم الدهم . ومنه قوله تعالى : « الرحمنُ على العرش استوى » (٢) .

وذكر الحلبي والنويري ان الايهام « يقال له التورية والتخييل ، وهو أن تذكر ألفاظاً » لها معانٍ قريبة وبعيدة فاذا سمعها الانسان سبق إلى فهمه القريب ، ومراد المتكلم البعيد » (٣) . ومثاله قول عمر بن أبي ربيعة :

أيُّها المنكحُ الثريا سُهيلاً عَمْرَكَ الله كَيف يلتقيانِ
هي شامية إذا ما استقلتْ وسُهيلٌ اذا استقلَّ يماني

فذكر الثريا وسهيلاً ليوهم انه يريد النجمين ويقول : كيف يجتمعان ، والثريا من منازل القمر الشامية ، وسهيل من النجوم اليمانية. ومراده الثريا التي كان يتغزل بها لما زُوجت بسهيل . وقالا عن قوله تعالى : « والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه » (٤) انه من التخييل وهو « تصوير حقيقة الشيء للتعظيم » (٥) .

وعقد الزركشي بابا للتورية وقال : « وتسمى الايهام والتخييل والمغالطة والتوجيه » (٦) وعرّفها بمثل تعريف الايهام ، وفرّق بينها وبين الاستخدام ، وذلك انها استعمال المعنيين في اللفظ واهمال الآخر ، والاستخدام استعمالهما معاً بقرينتين ، أي ان المشترك إن استعمل في مفهومين معاً فهو الاستخدام وان أريد أحدهما مع لمح الآخر باطناً فهو التورية .

وذهب الحموي الى ذلك وقال : « والتورية أولى في التسمية لقربها من مطابقة

(١) مفتاح العلوم ص ٢٠١ .
(٢) طه ٥ .
(٣) حسن التوسل ص ٢٤٩ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٣١ .
(٤) الزمر ٦٧ .
(٥) حسن التوسل ص ٢٥٠ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٣٢ .
(٦) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٤٥ .

المسمى لانها مصدر ورّيت الخبر تورية إذا سترته وأظهرت غيره كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر » (١) .

وسمى السيوطي هذا الفن ايهاما وأشار الى انه يدعى التورية أيضاً (٢) ، وفضل المدني اسم التورية فقال : « التورية أقرب اسم سمي به هذا النوع لمطابقته المسمى لانه مصدر ورّيت الحديث : إذا أخفيته وأظهرت غيره . قال أبو عبيدة : لا أراه إلاّ مأخوذاً من وراء الانسان ، فاذا قال : « وريته » فكأنه جعله وراءه بحيث لا يظهر . ويسمى الايهام والتوجيه والتخييل» (٣) . ولكن الأفضل ان يقال عن الآيات القرآنية انها تخييل لانها ليست تورية ولا ايهاما بالمعنى المتأخر ، وقد ألمح الزمخشري الى مثل ذلك فقال عن قوله تعالى : « وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يُشْركون» (٤) « لما كان العظيم من الأشياء إذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل : « وما قدروا الله حق قدره » وقرىء بالتشديد على معنى : وما عظموه كنه تعظيمه ، ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال : « والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه » . والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير ، من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة أو جهة مجاز ، وكذلك حكم ما يُروى ان جبريل جاء الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : يا أبا القاسم إن الله يمسك السماوات والارض يوم القيامة على أصبع والأرضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع وسائر الخلق على اصبع ، ثم يهزهنّ فيقول أنا الملك . فضحك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وتعجب لانه لم يفهم منه إلاّ ما يفهمه علماء البيان من غير تصوّر امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ، ولكن فهمه وقع أول شيء

(١) خزانة الأدب ص ٢٣٩ .
(٢) معترك ج ١ ص ٣٧٤ ، الاتقان ج ٢ ص ٨٣ ، شرح عقود الجمان ص ١١٢ .
(٣) أنوار الربيع ج ٥ ص ٥ .
(٤) الزمر ٦٧ .

وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة ، وان الافعال العظام التي تتحير فيها الأفهام والأذهان ولا تكتنهها الأوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه إلاّ اجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل . ولا ترى بابا في علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الانبياء، فان أكثره وعليته تخييلات »(١) .

ايهام التضاد :

سماه الحموي « ايهام المطابقة »(٢) وسماه المدني « ايهام الطباق (٣) » ، وألحقه القزويني بالطباق وهو ما يمكن التقابل فيه بين الظاهر من مفهوم اللفظين وان يكن بين حقيقة المراد منهما تقابل ما (٤) . كقول دعبل :

لا تعجبي يا سَلْمُ من رَجُلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسه فبكى

وقول أبي تمام :

ما إنْ ترى الاحساب بيضاً وضّحاً إلاّ بحيث ترى المنايا سُودا

ايهام التناسب :

ألحقه القزويني بمراعاة النظير وقال : « ومما يلحق بالتناسب نحو قوله تعالى: « الشَمْسُ والقَمرُ بحُسْبان . والنّجمُ والشّجَرُ يَسْجُدان »(٥)ويسمى ايهام التناسب (٦) » ، لانه لما ذكر لفظ الشمس والقمر ذكر النجم والمراد به النبات ، فذكر النجم بعد ذكر الشمس والقمر يوهم التناسب لان النجم أكثر ما يطلق على نجم السماء المناسب للشمس والقمر بكونه في السماء .

(١) الكشاف ج ٤ ص ١١٠ . (٢) خزانة الأدب ص ٧٠ .
(٣) أنوار الربيع ج ٢ ص ٣٨ .
(٤) الايضاح ص ٣٤٠ ، التلخيص ص ٣٥٢ ، شروح التلخيص ج ٤ ص ٢٩٥ ، المطول ص ٤٢١ ، الأطول ج ٢ ص ١٨٦ .
(٥) الرحمن ٥ .
(٦) الايضاح ص ٣٤٥ ، التلخيص ص ٣٥٥ ، شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٠٥ ، المطول ص ٤٢١ ، الأطول ج ٢ ص ١٨٩ .

ايهام التوكيد :

قال المدني ان « ايهام التوكيد استخرجه الشيخ عمر بن الوردي وسماه بهذا الاسم ، وهو عبارة عن أن يعيد المتكلم في كلامه كلمة فأكثر مراداً بها غير المعنى الأول حتى يتوهم السامع من أول وهلة ان الغرض التأكيد وليس كذلك ولذلك سمي « ايهام التوكيد » . ولم أقف عليه في شيء من كتب هذا الفن وانما أشار اليه الشيخ صلاح الدين الصفدي في شرح لامية العجم استطراداً وقال : انه في غاية الحسن ، يظن السامع من أول وهلة انه من باب التكرار وتحصيل الحاصل الى أن يعيره ذهنه ويتأمل معنى الشاعر في ذلك فيرقص طربا » (١) ومثاله قوله تعالى : « لمَسْجِدٌ أُسِّسَ على التقوى من أوّل يوم ٍ أحقُّ أنْ تقومَ فيه ، فيه رجالٌ يُحبون أنْ يَتَطهّروا واللهُ يُحِبُّ المطّهِّرين » (٢) . فقوله : « فيه ، فيه » هو ايهام التوكيد فان السامع يظن من أول وهلة ان الثانية تأكيد للأولى ، وليس كذلك .

ومن ذلك قول الشاعر :

ألا حلّ بي عَجَبٌ عاجِبٌ   تقاصر وَصْفيَ عن كنهه
رأيت الهلال على وجه من   رأيت الهلال على وجهه

وأنشد الوردي لنفسه من هذا النوع :

تَعَشّقْتُ أحوى لي اليه وسائلُ   واصلاحُ أحوالي لديه لديه
أمرُّ به مستعطفا ومُسَلّما   فيثقل تسليمي عليه عليه
فلا كان واشٍ كدّر الصفو بيننا   وبغّض تحبيبي اليه اليه

وقال المدني : « ولم ينظم أحد من أصحاب البديعيات هذا النوع وقد تفردت أنا بنظمه في بديعيتي وهو قولي في آخر البيت : « ولم أزل مغريا وجدي بهم بهم » ، فان قولي « بهم بهم » يوهم التوكيد وليس توكيداً بل « بهم » الأولى . متعلقة بـ

(١) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٥٩ .   (٢) التوبة ١٠٨ .

« وجدي » والثانية بقولي : « مغريا » (١) .

وبيت المدني هو :

حققت ايهام توكيدي لحبهم ولم أزل مغرياً وجدي بهم بهم ـ

ايهام الطباق :

هو إيهام التضاد (٢) ، وقد تقدم .

ايهام المطابقة :

هو إيهام التضاد وايهام الطباق (٣) ، وقد تقدما .

---

(١) أنوار الربيع ج ٦ ص ١٦١ .

(٢) أنوار الربيع ج ٢ ص ٣٨ .

(٣) خزانة الأدب ص ٧٠ ، أنوار الربيع ج ٢ ص ٣٨ .

البـاء

البدل :

بدل الشيء غيره ، والبـديلُ البَدَل ويقال بِدْل ، وبِدْلُ الشيء وبَدَله وبديله : الخلف منه . وتبدّل الشيء وتبدل به واستبدله واستبدل به : أتخذ منهُ بدلاً ، وأبدل الشيء وبدّله : تخذهُ بدلاً (١) .

وقد أطلق الجاحظ البدلَ على التشبيه والاستعارة ، وقال عند كلامه على قوله تعالى : « فاذا هي حيّةٌ تسعى » (٢) : « ومن جعل للحيات مشيا من الشعراء أكثر من أن نقفَ عليهم » ولو كانوا لا يسمون انسيابها وانسياحها مشياً وسعياً لكان ذلك مما يجوز على التشبيه والبدل وان قام الشيء مقام الشيء أو مقام صاحبه فمن عادة العرب ان تشبه به في حالات كثيرة . وقال الله تعالى : « هذا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدّين » (٣) والعذاب لايكون نُزُلاً ولكنهُ أجراه مجرى كلامهم » (٤) .

ولكن هذا المصطلح لم يستعمل في الكتب المتأخرة للتشبيه والاستعارة ، وكأنه استقر في الدراسات النحوية وقالوا : إنه « التابع المقصود بالحكم بلا واسطة » وهو عندهم أربعة أقسام :

الأول : بدل كل من كل كقوله تعالى : « اهْدِنا الصراطَ المستقيمَ ه صراطَ الذين أنعمت عليهم » (٥) .

---

(١) اللسان (بدل) .

(٢) طه ٢٠ .

(٣) الواقعة ٥٦ .

(٤) الحيوان ج ٤ ص ٢٧٣ .

(٥) الفاتحة ٦ — ٧ .

الثاني : بدل بعض من كل مثل : « أكلت الرغيفَ ثُلُثَهُ » .

الثالث : بدل الاشتمال مثل : « أعجبني زيدٌ علمُهُ » .

الرابع : البدل المباين ، وهو بدل الغلط أو النسيان مثل « خذ نبلاً مدى » (١) واستخدم السكاكي مصطلح « البدل » في كلامه على الفصل والوصل ، وعدّهُ من مواضع الفصل ، ففي البيت :

أقول له ارحل ، لا تقيمنّ عندنا
وإلاّ فكُنْ في السرِّ والجهر مُسْلما

فصل الشاعر « لاتقيمن » عن « ارحل » لقصد البدل ؛ لان المقصود من كلامه هـذا اظهار كمال الكراهة لاقامته بسبب خلاف سره العلن .. وقوله ؛ « لا تقيمن عندنا » أوفى بتأدية هذا المقصود من قوله : « ارحل » لدلالة ذاك عليه بالتضمن مع التجرد عن التأكيد ، ودلالة هذا عليه بالمطابقة مع التأكيد . ومثله قوله تعالى : « بل قالوا مِثْلَ ماقالَ الأوّلونَ . قالوا أئذا مِتْنا وكُنّا تُراباً وعظاماً أإنّا لمبعوثون ؟ » (٢) .

فصل قالوا : « أإذا متنا » عن « قالوا مثل ماقال الاولون » لقصد البدل (٣) .

البديع :

بدع الشيء يبدعهُ بدعاً وابتدعه : أنشأهُ وبدأهُ ، وابتدعت الشيء : اخترعته لا على مثال . والبديع : المبدع ، والبديع من أسماء الله تعالى لابداعه

---

(١) شرح الأشموني ص ٤٣٥ .

(٢) المؤمنون ٨١ – ٨٢ .

(٣) مفتاح العلوم ص ١٢٨ ، الايضاح ص ١٥٣ ، التلخيص ص ١٨٤ ، شروح التلخيص ج ٣ ص ٤٣ ، المطول ص ٢٥٥ ، الأطول ج ٢ ص ١٠ ..

الاشياء وإحداثه اياها وهو البديع الأول قبل كل شيء . والبديع : الجديد (١) .

وقد ذكر الجاحظ ان مصطلح البديع اطلقهُ الرواة على المستطرف الجديد من الفنون الشعرية وعلى بعض الصور البيانية التي يأتي بها الشعراء في أشعارهم فتزيدها حسناً وجمالاً . قال معلقاً على بيت الأشهب بن رميلة :

هُمُ ساعِدُ الدهر الذي يُتّقى به ... وماخيرُ كفٍ لاتنوءُ بساعدِ

« قوله : « هم ساعد الدهر » انما هو مثل ، وهذا الذي تسميه الرواة البديع »(٢)

لكن أبا الفرج الاصفهاني ذكر ان الشاعر العباسي مسلم بن الوليد كان أول من أطلق هذا المصطلح ، قال : « وهو فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع ، وهو لقّب هذا الجنس البديع واللطيف وتبعه فيه جماعة ، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي فانه جعل شعره كله مذهباً واحداً فيه (٣) ».

ودفع الجاحظ غلوهُ في حب العرب والرد على الشعوبية إلى ان يقول : « والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على كل لسان » (٤) .

وكان المولّدون من شعراء العصر العباسي قد أكثروا في أشعارهم من الصور البيانية التي سميت البديع ، قال الجاحظ : « ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن : كلثوم بن عمرو العتابي وكنيتهُ أبو عمرو ، وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين كنحو منصور النمري ومسلم بن الوليد الانصاري وأشباههما . وكان العتابي يحتذي حذو

---

(١) اللسان (بدع) .
(٢) البيان ج ٤ ص ٥٥ .
(٣) الأغاني ج ١٩ ص ٣١ .
(٤) البيان ج ١ ص ٥١ .

بشار في البديع ، ولم يكن من المولّدين أصوب بديعاً من بشار وابن هرمة»(١).

وقال « والراعي كثير البديع في شعره ، وبشار حسن البديع ، والعتابي يذهب شعرهُ في البديع » (٢) .

وشاع هذا اللون في الأدب ولج المولدون . في اصطناعه وتباهوا بالسبق اليه مما حدا بالخليفة والشاعر العباسي ابن المعتز الى أن يؤلف « كتاب البديع » ليعلم أن بشاراً ومسلماً وأبا نواس ومن تقيلهم (٣) وسلك سبيلهم لم يسبقوا الى هذا الفن ، ولكن كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه ، وليعرف ان المحدثين لم يسبقوا المتقدمين الى شيء من أبواب البديع . قال : « ثم ان حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شُغِفَ به حتى غلب عليه وتفرع فيه وأكثر منه فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض وتلك عقبى الافراط وثمرة الأسراف ، وانما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع ، وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى نادراً ويزداد حظوة بين الكلام المرسل » (٤) .

وكان الجاحظ من أوائل الذين اعتنوا بالبديع وصوره ، وقد أطلقهُ على فنون البلاغة المختلفة ، وتعليقهُ على بيت الأشهب بن رميلة يوضح اتجاههُ حيث سَمّي الاستعارة بديعاً . ونظر ابن المعتز الى البديع هذه النظرة ، وكانت فنونه عندهُ خمسة هي : الاستعارة والتجنيس ، والمطابقة ، ورد أعجاز الكلام على ماتقدمها ، والمذهب الكلامي ، وذكر ثلاثة عشر فناً سماها « محاسن الكلام والشعر » وهي : الالتفات ، والاعتراض ، والرجوع ، وحسن الخروج ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل العارف ، والهزل الذي يُراد به الجد ، وحسن التضمين ، والتعريض والكناية ، والافراط في الصفة ، وحسن التشبيه ، وإعنات الشاعر نفسه في القوافي ، وحسن الابتداءات .

(١) البيان ج ١ ص ٥١ .
(٢) البيان ج ٤ ص ٥٦ .
(٣) تقيلهم : حاكاهم .
(٤) البديع ص ١ .

وعاصره قدامة بن جعفر وجمع من البديع أنواعاً كثيرة بعضها مما ذكره ابن المعتز وبعضها جديد كالتقسيم والترصيع والمقابلات والتفسير والمساواة والاشارة ولم يسمها بديعاً وانما هي من محاسن الكلام ونعوته .

وعقد أبو هلال العسكري الباب التاسع من « كتاب الصناعتين » لشرح البديع ، وهو عنده مختلف الصور البيانية كالاستعارة والمجاز والمطابقة والتجنيس. وصور البديع خمس وثلاثون ، وقد قال عنها : « فهذه أنواع البديع التي ادعّى من لا رويّة ولا دراية عنده ان المحدثين ابتكروها وان القدماء لم يعرفوها وذلك لمّا أراد أن يفخم أمر المحدثين ؛ لان هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف وبرىء من العيوب كان في غاية الحسن ونهاية الجودة »(١).

وزاد سبعة فنون هي : التشطير ، والمجاورة ، والتطريز ، والمضاعفة ، والاستشهاد ، والتلطف ، والمشتق .

ولم يهتم القاضي الجرجاني بألوان البديع ولم يذكر منها إلاّ فنوناً قليلة ، وقد أشار الى أن المحدثين سموا الاستعارة والمطابق والجناس وغيرها بديعاً (٢) .

وكانت نظرة الباقلاني الى البديع شاملة وقد ذكر كثيراً من فنونه في كتابه «إعجاز القرآن» ولكنه قال انه لا سبيل الى معرفة الاعجاز من البديع الذي ادّعوه في الشعر ووصفوه ، وذلك ان هذا الفن ليس فيه مما يخرق العادة ويخرج عن العرف بل يمكن استدراكهُ بالتعلم والتدرب (٣) .

واهتم ابن رشيق بالبديع وفرّق بينه وبين المخترع ، فالمخترع من الشعر هو « مالم يسبق اليه قائله ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره أو مايقرب منه » (٤) . والبديع هو الجديد ، وأصله في الحبال وذلك أن يفتل الحبل جديداً ليس من قوى حبل نقضت ثم فتلت فتلاً آخر . قال : « والبديع ضروب

---

(١) كتاب الصناعتين ص ٢٦٧ .
(٢) الوساطة ص ٣٤ .
(٣) إعجاز القرآن ص ١٦٨ .
(٤) العمدة ج ١ ص ٢٦٢ وينظر المنصف ص٤٨ .

كثيرة وأنواع مختلفة ، وأنا أذكر منها ماوسعته القدرة وساعدت فيه الفكرة »(١)

وأدخل في البديع المجاز والاستعارة والتمثيل والمثل السائر والتشبيه والاشارة

ولا يختلف عبدالقاهر عن سابقيه ، والبديع عنده فنون البلاغة المختلفة ، قال : « وأما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع » (٢) ، وقال : « وهكذا تراهم يعدونها في أقسام البديع حيث يذكر التجنيس والتطبيق والتوشيح وردّ العجز على الصدر وغير ذلك » (٣) .

وسمّى ابن منقذ أحد كتبه « البديع في نقد الشعر » وجمع فيه خمسة وتسعين فناً بلاغياً ، وسار المصري على خطاه في كتابيه « بديع القرآن » و « تحرير التحبير » وذكر أكثر من مائة فن بلاغي وابتدع فنوناً جديدة .

إن البديع في القرون الستة الاولى للهجرة كان يدل على فنون البلاغة المختلفة ، ولكن السكاكي حينما قسم البلاغة الى علومها المعروفة أفرد بعض الموضوعات وسماها وجوهاً يصار اليها لتحسين الكلام وقسمها الى لفظية ومعنوية ، ومن الأولى المطابقة والمقابلة والمشاكلة ومراعاة النظير ، ومن الثانية التجنيس ورد العجز على الصدر والقلب والسجع .

وكان بدر الدين بن مالك أول من أطلق مصطلح « البديع » على هذه الوجوه والمحسنات ، وقد قال عن البديع انه « معرفة توابع الفصاحة » (٤) وقسمها الى ثلاثة أنواع .

الأول : الراجع الى الفصاحة اللفظية وهو أربعة وعشرون فناً منها : الترديد والتعطيف ورد العجز على الصدر والتشطير والترصيع .

الثاني : الراجع الى الفصاحة ويختص بافهام المعنى وتبيينه وهو تسعة عشر

(١) العمدة ج ١ ص ٢٦٥ .
(٢) أسرار البلاغة ص ٢٠ .
(٣) أسرار البلاغة ص ٣٦٩ .
(٤) المصباح ص ٧٥ .

فناً منها : حسن البيان والايضاح والمذهب الكلامي والتبيين والتتميم والتقسيم .

الثالث : الراجع الى الفصاحة المختصة بتحسين الكلام وتزيينه ومنها : اللف والنشر ، والتفريق والجمع والتورية وحسن الابتداء وحسن الخاتمة .

وفصل القزويني البديع فصلا تاما عن البلاغة التي جعلها محصورة في المعاني والبيان ، والبديع عنده ضربان : ضرب يرجع الى المعنى كالمطابقة ومراعاة النظير والارصاد ، وضرب يرجع الى اللفظ كالجناس ورد العجز على الصدر والسجع .

ولم يخرج شراح التلخيص عما رسمه القزويني وإن أضاف بعضهم كالسبكي فنونا أخرى .

فالبديع بمعناه الأخير هو « علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة » (١) ، أي انه تابع لعلمي المعاني والبيان .

البديعيات :

شهد القرن السابع للهجرة لونا جديداً من التأليف في البلاغة هو « البديعيات » وهي قصائد في مدح الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن البسيط وروي الميم في اكثر الاحيان ، وتتضمن فنونا بلاغية يورّى عنها أو لا يورّى .

والبديعيات كثيرة ، ولعل أقدمها بديعية علي بن عثمان الاربلي في مديح بعض معاصريه . وقد ذكر ابن شاكر الكتبي (٢) ستة وثلاثين بيتا منها اشتملت على فنون بلاغية مختلفة . ويبدو ان هذه البديعية أول ما عرف في الأدب العربي من البديعيات ، وهي ليست في مدح النبي الكريم وليست

(١) الايضاح ص ٣٣٤ ، التلخيص ص ٣٤٧ ، شروح التلخيص ج ٤ ص ٢٨٢ ، المطول ص ٤١٦ ، الأطول ج ٢ ص ١٨٠ .

(٢) فوات الوفيات ج ٢ ص ١١٨ .

من البسيط أو على روي الميم ، وانما هي في مديح بعضهم ومن الخفيف وروي اللام . وقد بدأها صاحبها بذكر الجناس التام والمطرف فقال :

بعض هذا الدلال والادلال   حال بالهجر والتجنب جالي

وبالجناس المصحف والمركب فقال :

جُرْتَ إذْ حزْتَ رَبْعَ قلبي وإذْ

لالي صبراً أكثرت من إذلالي

ومن البديعيات بديعية صفي الدين الحلي وهي في مائة وخمسة وأربعين بيتاً ومطلعها :

إن جئت سَلْعاً فسل عن جيرة العلمِ

واقرا السلامَ على عُرْب بذي سلمِ

وبديعية ابن جابر الاندلسي وهي في مائة وسبعة وعشرين بيتاً استهلها بقوله :

بطيبة انزل ويمم سيدَ الأمم

وانثرْ له المدح وانشر أطيب الكلم

وسماها « الحلة السيرا في مدح خير الورى »(١) وشرحها الرعيني الغرناطي بكتاب « طراز الحلة وشفاء الغلة » .

ونظم عز الدين الموصلي بديعية في مائة واربعين بيتاً التزم فيها تسمية الفن البديعي مورّيا بكلمة عنه في البيت الذي يتضمنها ، ومطلعها :

براعة تستهل الدمع في العلم   عبارة عن نداء المفرد العلم

وكان الموصلي أول من فعل ذلك ليتميز على الحلي الذي لم يلتزم بتسمية النوع .

وتوالى نظم البديعيات وظهر شعراء عنوا بها كوجيه الدين عبدالرحمن

---

(١) السيراء : المخططة ، أو يخالطها حرير .

ابن محمد اليمني وشرف الدين عيسى بن حجاج بن عيسى بن شداد السعدي القاهري وزين الدين شعبان بن محمد القرشي الآثاري (١) الذي نظم ثلاث بديعيات : الصغرى وهي في مائة وتسعة وستين بيتاً ومطلعها :

إن جئت بدراً فطب وانزل بذي سلم
سلّم على من سبا بدراً على علم

والوسطى وهي في ثلثمائة وثمانية أبيات ومطلعها :

دع عنك سلعا وسل عن ساكن الحرم
وخلّ سلمى وسل ما فيه من كرمِ

والكبرى وهي في اربعمائة وسبعة أبيات ومطلعها :

حسن البداعة حمدالله في الكلم ومدح احمد خير العرب والعجم

وكان يعاصر الآثاري أديب ناقد له أكبر الأثر في البديعيات وهو ابن حجة الحموي الذي وجد عصره يزخر بالبديعيات ، وكان قد اعجب ببديعتي الحلي والموصلي فنظم بديعية في مائة واثنين واربعين بيتاً وورّى عن كل فن بكلمة ، ومطلعها :

لي في ابتدا مدحكم ياعربَ ذي سلم
براعةٌ تستهلُّ الدمعَ في العلمِ

وشرحها بكتابه البلاغي « خزانة الأدب وغاية الارب » الذي يعد أهم كتب البلاغة في القرن الثامن للهجرة .

ولجلال الدين السيوطي بديعية سماها « نظم البديع في مدح خير شفيع » وهي في مائة واربعين بيتاً ومطلعها :

من العقيق ومن تذكار ذي سلم
براعةٌ تستهلّ الدمع في العلمِ

وشرحها شرحاً موجزاً وأشار الى أنه عارض بها بديعية الحموي في التورية باسم النوع البديعي .

---

(١) تنظر البديعيات في بديعيات الآثاري ص ١٧ ، ٥١ ، ١٠١ .

ونظمت عائشة الباعونية بديعية في مائة وثلاثين بيتاً سمتها « الفتح المبين في مدح الأمين » ومطلعها :

في حسن مطلع أقماري بذي سلمِ
أصبحتُ في زمرة العشاق كالعلمِ

ونظمتها على منوال بديعية الحموي من غير تسمية النوع البديعي وشرحتها شرحين .

ونظم عبدالغني النابلسي بديعيتين ولم يلتزم في احداهما تسمية النوع والتزمه في الثانية . ومطلع الاولى :

يامنزل الركب بين البان فالعلم   من سفح كاظمةٍ حييت بالديمِ

وشرحها بكتابه « نفحات الازهار على نسمات الاسحار في مدح النبي المختار » . ومطلع الثانية :

ياحسن مطلع من أهوى بذي سلم   براعة الشوق في استهلالها ألمي

وهناك بديعيات أخرى ومعظمها في مدح الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم ومن البسيط وعلى رويّ الميم . ونظم المسيحيون بديعيات في المسيح – عليه السلام – ومنهم الخوري نيقولاوس بن نعمةالله الصائغ الذي يقول في مطلع بديعيته :

بديع حسن امتداحي رسل ربهم   براعة في افتتاحي حمد ربهم

والخوري أرسانيوس الفاخوري الذي التزم في احدى بديعياته التورية عن اسم النوع البديعي ومطلعها :

براعة المدح في نجم ضياه سمي   تهدي بمطلعها مَنْ عن سناه عمي

ومطلع الثانية :

فحيِّ حيَّ الجليل الجامع العظمِ   وبيتِ لحم وآلاً قد سمت بهم

ولم يلتزم في الثالثة البسيط ولا الميم المكسورة وانما اتخذ من الكامل والميم المضمومة سبيلاً ، ومطلعها :

إني لأحكام القضاء مسلّم   ولسان حالي بالهوى متكلم

وهذه البديعيات الكثيرة تدل على اهتمام كبير بفنون البديع في العهود المتأخرة وان كان فيها اسراف في الصنعة وتفنن في ايجاد أنواع بديعية جديدة . ولم يستمر الشعراء في نظم هذا اللون من البديع فقد انصرفوا عنه وكادت البديعيات تختفي منذُ مطلع القرن العشرين .

البراءة :

بريء من الأمر يبرأ ويبرؤ بَراءةً وبَراءً ، وبرئَ : إذا تخلص وبرىء أذا تنزه وتباعد (١) .

وقد أدخل السبكي البراءةَ في البديع وقال : « ومحلها الهجاء ، وهو كما قال أبو عمرو بن العلاء وقد سئل عن أحسن الهجاء فقال : « هو الذي أذا أنشدتهُ العذراء في خدرها لايقبح عليها » (٢) .

البراعة :

بَرَعَ يبرُع بروعاً وبراعةً وبَرُع فهو بارع : تمّ في كل فضيلة وجمال وفاق أصحابه في العلم وغيره ، والبارع : الذي فاق أصحابه في السؤدد (٣) .
قال الباقلاني : « وأما البراعة فهي فيما يذكر أهل اللغة الحذق بطريقة الكلام وتجويده . وقد يوصف بذلك كل متقدم في قول أو صناعة »(٤) .
وقال : « فأما وصف الكلام بالبراعة فمعناه انه حذقت طريقته وأجيد نظمهُ ، وقد يوصف بذلك كل مجيد قول أو صناعة فيجوز أن يوصف القرآن بالبراعة على هذا المعنى ، والمراد انه نظم – يخرج عن امكان الناطقين لا على معنى انه تجويد كلام هو على معنى كلام العرب » (٥) .

ويبدو ان هذا المصطلح أهمل ولم يدخل في الدراسات البلاغية ولذلك قال السبكي : « مما يوصف به الكلام والكلمة أيضاً البراعة وأهملها الجمهور

(١) اللسان (برأ) .
(٢) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧٠ .
(٣) اللسان (برع) .
(٤) إعجاز القرآن ص ١٩٤ .
(٥) نكت الانتصار لنقل القرآن ص ٢٦٠ .

وقد ذكرها القاضي أبو بكر في الانتصار مع الفصاحة والبلاغة وحدّها بما يقرب من حد البلاغة » (١) . وقال السيوطي : « البراعة مثل البلاغة فيقال متكلم بارع وكلام بارع ولا يقال كلمة بارعة . وقد حدّها القاضي أبو بكر في الانتصار بما يقرب من حدّ البلاغة وأهملها الجمهور وذكرها هنا من زوائدي » (٢) . وقد نظمها السيوطي في ارجوزته « عقود الجمان » فقال :

يوصف بالفصاحة المركب ومفرد ومنشىء مرتب
وغير ثان صفه بالبلاغــة ومثلهُ في ذلك البراعة

فالبراعة هي البلاغة وهذا ماذهب اليه عبدالقاهر حينما جمع بين البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة ولم يفصل بينها جميعاً وكل ماشاكل ذلك « مما يعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أن يعلموهم مافي نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم »(٣).

براعة الاستهلال :

البراعة هي التفوق ، والاستهلال الافتتاح والابتداء ، فاستهل : رأى الهلال ، واستهل المولود صاح في أول زمان الولادة واستهلت السماء جادت بالهلّل وهو أول المطر . قال المدني : « وكل من هذه المعاني مناسب للنقل منه الى المعنى الاصطلاحي وإن خصه بعضهم بالنقل من المعنى الثاني .
وانما سمي هذا النوع الاستهلال لان المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به » (٤) .

وكان الجاحظ قد نقل عن ابن المقفع قوله : « ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما ان خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت

(١) عروس الافراح ج ١ ص ٧٥ .
(٢) شرح عقود الجمان ص ٣ .
(٣) دلائل الاعجاز ص ٣٥ .
(٤) أنوار الربيع ج ١ ص ٥٦ .

قافيته » (١) وقال الجاحظ : « كأنه يقول فرّق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة التواهب حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه ، فانه لا خير في كلام لايدل على معناك ولا يشير الى مغزاك ، والى العمود الذي اليه قصدت ، والغرض الذي اليه نزعت » .

وكانت هذه اشارة الى الاهتمام بمثل ذلك في النثر والشعر ، ولذلك قال ابن جني : « إذا كان المرسل حاذقاً أشار في تحميده الى ماجاء بالرسالة من أجله » (٢) . وعقد الكلاعي فصلا سماه « الاشارة في الصدور الى الغرض المذكور » (٣) .

وذكر ابن المعتز فناً في محاسن الكلام سماه « حسن الابتداء ات » (٤) وقال الحموي عن هذه التسمية : « وفي هذه التسمية تنبيه على تحسين المطالع وان أخلّ الناظم بهذه الشروط لم يأت بشيء من حسن الابتداء » (٥) .

وقد فرّع المتأخرون من هذه التسمية « براعة الاستهلال » وهي كما قال التبريزي : « ان يبتدىء بما يدل على غرضه » (٦) ، كقول الخنساء في أخيها :

وما بلغت كفُّ امرىء متناولاً
من المجد إلاّ والذي نِلْتَ أطْوَلُ
وما بلغ المهدون للناس مِدْحَةً
وان أطنبوا إلاّ الذي فيك أفْضَلُ

ودخل الأخطل على معاوية فقال : إني مدحتك فاسمع . فقال : ان كنت شبهتني بالحية والصقر فلاحاجة لي فيه ، وان كنت قلت كما قالت الخنساء

(١) البيان ج ١ ص ١١٦ .
(٢) إحكام صنعة الكلام ص ٦٦ .
(٣) إحكام صنعة الكلام ص ٦٦ ومابعدها .
(٤) البديع ص ٧٥ .
(٥) خزانة الأدب ص ٣ .
(٦) الوافي ص ٢٨٤ .

في أخيها ، وأنشد البيتين فهات . فأنشده الأخطل :

إذا مت ماتَ الجود وانقطع الندى ولم يَبْقَ إلاّ من قليل مصرَّدُ

فقال له معاوية : « مازدت على أن نعيت اليّ نفسي » .

وقال البغدادي : « واما براعة الاستهلال فهي من ضروب الصنعة التي يقدمها أمراء الكلام ونقاد الشعر وجهابذة الألفاظ ، فينبغي للشاعر إذا ابتدأ قصيدة مدحاً أو ذماً أو فخراً أو وصفاً أو غير ذلك من أفانين الشعر ابتدأها بما يدل على غرضه فيها ، كذلك الخطيب إذا ارتجل خطبة ، والبليغ إذا افتتح رسالة فمن سبله أن يكون ابتداء كلامه دالاً على انتهائه وأوله ملخصاً بآخره »(١) ، وذكر أمثلة التبريزي .

ويتضح مما قاله المتقدمون أنّ براعة الاستهلال هي « ابتداء المتكلم بمعنى ما يريد تكميله وان وقع في اثناء القصيدة » (٢) ولذلك فرّق المصري بين أمثلتها وأمثلة حسن الابتداءات فقال بعد أن ذكر أمثلة للأخير : « فهذه أمثلة ابتداءات القصائد ، وأما أمثلة براعة الاستهلال فمنها قول محمد بن الخياط :

لمست بكفي كفّه أبتغي الغنى ولم أدْرِ أنّ الجودَ من كفه يُعدي

فلا أنا منه ماأفاد ذوو الغنى أفدت وأعداني فأنفدت ما عندي

ولقد أحسن البحتري اتباعه في هذا المعنى حيث قال :

أعْدَتْ يداه يدي وشرّد جوده بخلي فأفقرني كما أغناني

ووثقت بالخلق الجميل معجّلا منه فأعطيت الذي أعطاني

واذا نظرت الى فواتح السور الفرقانية جملها ومفرداتها رأيت من البلاغة والتفنن في الفصاحة مالا تقدر العبارة على حصر معناه ، ومن أراد الوقوف على ذلك فليقف على كتابي المنعوت بالخواطر السوانح في كشف أسرار الفواتح »(٣).

وقال الحلبي والنويري ماقاله المصري عن حسن الابتداءات أي انها

(١) قانون البلاغة ص ٤٥٠ .
(٢) تحرير التحبير ص ١٦٨ .
(٣) تحرير ص ١٧٢ .

« تسمية ابن المعتز وأراد بها ابتداءات القصائد . وقد فرّع المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال ، وهو أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه ببيّنة أو قرينة تدل على مراده في القصيدة أو الرسالة أو معظم مراده ، والكاتب أشدّ ضرورة الى ذلك من غيره ليبني كلامه على نسق واحد دل عليه من أول وهلة علم بها مقصده » (١) .

وقال ابن الاثير الحلبي عن براعة الاستهلال : « ويسمى حسن الابتداءات وهو من نعوت الألفاظ ، وهو أن يكون مطلع الكلام دالاً على المقصود في حسن الابتداء » (٢) . وهذا خلاف ماذكره السابقون من ان براعة الاستهلال مما فرعه المتأخرون عن حسن الابتداءات .

وقال ابن قيم الجوزية : « هو أن يذكر الانسان في أول خطبته أو قصيدته أو رسالته كلاما دالاً على الغرض الذي يقصده ليكون ابتداء كلامه دالاً على انتهائه » (٣) .

ثم قال : « هذا النوع قد قدمناه في فصل حسن المطلع لكن الزنجاني — رحمهُ الله — أفرد له باباً فأفردناه على حكم ماأفرده ، وكان في حسن المطلع زيادات يحتاج اليها فذكرناها ههنا ، وهذه الزيادة التي اقتضت افراده » (٤) .

وعدّه القزويني من حسن الابتداء وقال : « وأحسن الابتداءات ماناسب المقصود ، ويسمى براعة الاستهلال » (٥) . كقول أبي تمام يهنيء المعتصم بالله بفتح عمورية وكان أهل التنجيم زعموا انها لاتفتح في ذلك الوقت :

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ ... في حدّهِ الحدّ بين الجدِ واللّعبِ
بيضُ الصفائحِ لا سودُ الصحائفِ في ... متونهنّ جلاءُ الشك والريبِ

---

(١) حسن التوسل ص ٢٥٠ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٣٣ .
(٢) جوهر الكنز ص ٢١٨ .
(٣) الفوائد ص ١٣٩ .
(٤) الفوائد ص ١٤٠ .
(٥) الايضاح ص ٤٣١ ، التلخيص ص ٤٣١ .

وتبع القزويني في ذلك شراح تلخيصه (١) .

وقال السيوطي : « ومن الابتداء الحسن نوع أخص منه يسمى براعة الاستهلال ، وهو أن يشتمل أول الكلام على مايناسب الحال المتكلم فيه ويشير الى ماسبق الكلام لأجله . والعلم الأسنى في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن الكريم فأنها مشتملة على جميع مقاصده » (٢) .

وسماه الحموي براعة الاستهلال وقال وهو يتحدث عن حسن الابتداء « وقد فرّع المتأخرون منه براعة الاستهلال في النظم والنثر وفيها زيادة على حسن الابتداء فانهم شرطوا في براعة الاستهلال أن يكون مطلع القصيدة دالاً على مابنيت عليه مشعراً بغرض الناظم من غير تصريح بل باشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق السليم ويستدل بها على مقصده من عتب أو عذر أو تنصل أو تهنئة أو مدح أو هجو وكذلك في النثر . فاذا جمع الناظم بين حسن الابتداء وبراعة الاستهلال كان من فرسان هذا الميدان وان لم يحصل له براعة الاستهلال فليجتهد في سلوك مايقوله في حسن الابتداء . وما سمي هذا النوع براعة الاستهلال إلاّ لان المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به . ورفع الصوت في اللغة هو الاستهلال ، يقال : استهل المولود صارخاً إذا رفع صوته عند الولاده وأهل الحجيج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية ، وسمي الهلال هلالاً لان الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته » (٣) .

ومما وقع من براعات الاستهلال التي تشعر بغرض الناظم وقصده في قصيده براعةُ قصيدة الفقيه نجم الدين عمارة اليمني حيث قال :

إذا لم يسالمك الزمان فحارب وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب

فاشارات العتب والشكوى لا تخفى على أهل الذوق في هذه البراعة ، ويفهم منها ان بقية القصيدة تعرب عن ذلك .

---

(١) شروح التلخيص ج ٤ ص ٥٣٣ ، المطول ص ٤٧٩ ، الأطول ج ٢ ص ٢٥٧ .
(٢) معترك الاقران ج ١ ص ٧٥ ، الاتقان ج ٢ ص ١٠٦ .
(٣) خزانة الأدب ص ٨ .

ومن ألطف البراعات وأحشمها براعة مهيار الديلمي فانه بلغه انه وشي به الى ممدوحه فتنصل من ذلك بألطف عذر وأبرزه في معرض التغزل والنسيب فقال :

أما وهواها حلفةً وتنصُّلا   لقد نقل الواشي اليك فامحلا

وما أحلى ما قال بعده :

سعى جُهْدَه لكن تجاوز حدّه   وكَثّر فارتابتْ ولو شاء قلّلا

ولم يخرج المدني على ما قاله المتقدمون ولا سيما الحموي ، قال : «واعلم ان المتأخرين فرعوا على حسن الابتداء براعة الاستهلال ، وهو أن يكون أول الكلام دالاً على ما يناسب حال المتكلم متضمنا لما سبق الكلام لأجله من غير تصريح بل بألطف اشارة يدركها الذوق السليم »(١) . ثم قال : « اذا علمت ذلك فاعلم ان براعة الاستهلال في مطلع القصيدة هو كونه دالاً على ما بنيت عايه من مدح أو هجاء أو تهنئة أو عتب أو غير ذلك . فاذا جمع المطلع بين حسن الابتداء وبراعة الاستهلال كان هو الغاية التي لايدركها إلاّ مصلي هذه الحلبة والحالب من أشطر البلاغة أوفر حلبه »(٢) .

براعة التخلص :

هو التخلص وحسن التخلص ، ويراد به حسن الانتقال من غرض الى آخر في القصيدة ، ولم يكن القدماء يعنون بالتخلص وانما هو من حسنات المحدثين أو كما قال ابن طبا طبا : « ما أبدعه المحدثون من الشعراء دون من تقدمهم ، لان مذهب الاوائل في ذلك واحد وهو قولهم عند وصف الفيافي وقطعها بسير النوق وحكاية ما عانوه في أسفارهم : انا تجشمنا ذلك الى فلان يعنون الممدوح كقول الأعشى :

الى هوذة الوهاب أزجي مطيتي   ارجّي عطاءً صالحا من نوالكا (٣)

---

(١) أنوار الربيع ج ١ ص ٥٣ .
(٢) أنوار الربيع ج ١ ص ٥٦ .
(٣) عيار الشعر ص ١١١ .

وكانوا يقولون عند الانتقال « دع ذا » و « عدّ عن ذا » ، قال الباقلاني : « ألا ترى ان كثيراً من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل من معنى الى غيره والخروج من باب الى سواه ، حتى ان أهل الصنعة قد اتفقوا على تقصير البحتري مع جودة نظمه وحسن وصفه في الخروج من النسيب الى المديح وأطبقوا على أنه لا يحسنه ولا يأتي فيه بشيء وانما اتفق له في مواضع محدودة خروج يرتضى وتنقل يستحسن » (١) . وقال الحاتمي : « من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامهُ أن يكون ممتزجاً بما بعده من مدح أو ذم أو غيرهما ، غير منفصل منه . فان القصيدة مثلها مثل خلق الانسان في اتصال بعض أجزائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر أو باينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه وتعفّي معالم جماله . ووجدت حذاق الشعراء وأرباب الصناعة من المحدثين محترسين من مثل هذه الحال احتراساً يجنبهم شوائب النقصان ويقف على محجة الاحسان حتى يقع الاتصال ويؤمن الانفصال . وتأتي القصيدة في تناسب صدورها واعجازها وانتظام نسيبها بمديحها كالرسالة البليغة والخطبة الموجزة لاينفصل جزء منها عن جزء كقول مسلم بن الوليد وهو من بارع التخلص :

أجدّك هل تدرين أنْ ربَّ ليلة ... كأنّ دجاها من قرونك ينشرُ
نصبت لها حتى تجلّت بغرّة ... كغرّة يحيى حين يُذكر جعفرُ

وقول بكر بن النطاح :

ودويّةٍ خُلِقَتْ للسراب ... فأمواجُه بينها تزخر
كأنّ حنيفةَ تحميهم ... فأليتهم خشن أزورُ

وهذا مذهب اختص به المحدثون لتوقد خواطرهم ولطف أفكارهم واعتمادهم البديعَ وأفانينه في اشعارهم ، فكأنه مذهب سهّلوا حزنه ونهجوا رسمه . وأما الفحول الاوائل ومن تلاهم من المخضرمين والاسلاميين فمذهب المتعالم فيه : « عد عن كذا الى كذا » وقصارى كل رجل منهم وصفه ناقته بالعتق

(١) إعجاز القرآن ص ٥٦ .

والكرم والنجابة والنجاء وانه امتطاها وادّرع عليها جلباب ليل وتجاوز بها جوف تنوفة الى الممدوح . وهذه الطريق المهيع والمحجة اللهجم، وربما اتفق لأحدهم معنى لطيف تخلص به الى غرضه ولم يتعمده إلاّ ان طبعه السليم ساقه اليه وصراطه المستقيم أضاء له مناره وأوقد له باليفاع ناره في الشعر » (١) .

ومنهم من يسمي هذا الفن خروجاً وتوسلاً (٢) قال ابن رشيق : « وأولى الشعر بأن يسمى تخلصاً ماتخلص فيه الشاعر من معنى الى معنى ثم عاد الى الأول وأخذ في غيره ثم رجع الى ماكان فيه » (٣) كقول النابغة الذبياني آخر قصيدة اعتذر بها الى النعمان بن المنذر :

وكفكفت مني عبرة فرددتها ... الى النحر منها مستهل ودامع
على حين عاتبت المشيب على الصبا ... وقلت : ألما أصح والشيب وازع ؟

ثم تخلص الى الاعتذار فقال :

ولكن هماً دون ذلك شاغل ... مكان الشغاف تبتغيه الأصابع
وعيدُ أبي قابوس في غير كنهه ... أتاني ودوني راكس فالضواجع

ثم وصف حاله عندما سمع من ذلك فقال :

فبت كأني ساورتني ضئيلة ... من الرقش في أنيابها السم ناقع
يُسهَّدُ في ليل التمام سليمها ... لحلي النساء في يديه قعاقع
تناذرها الراقون من سوء سمها ... تطلقه طوراً وطوراً تراجع

فوصف الحية والسليم الذي شبّه به نفسه ما شاء ، ثم تخلص الى الاعتذار الذي كان فيه فقال :

أتاني – أبيت اللعن – أنك لمتني ... وتلك التي تَسْتَكُّ منها المسامع

وسماه ابن منقذ «التخليص والخروج» وقال: « ويستَحب أن يكون الخروج والتشبيب في بيت واحد وهو شيء ابتدعه المحدثون دون المتقدمين » (٤) . وسماه ابن الزملكاني « التخليص »(٥) ، وسماه التنوخي « المخلص»(٦) .

---

(١) حلية المحاضرة ج ١ ص ٢١٥ .
(٢) العمدة ج ١ ص ٢٣٦ .
(٣) العمدة ج ١ ص ٢٣٧ .
(٤) البديع في نقد الشعر ص ٢٨٨ .
(٥) التبيان ص ١٨٤ .
(٦) الأقصى القريب ص ٨٣ .

وقال ابن الاثير : « فأما التخلص فهو أن يأخذ المؤلف في معنى من المعاني فبينا هو فيه إذ أخذ معنى آخر وجعل الأول سببا اليه فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض من غير أن يقطع المؤلف كلامه ويستأنف كلاما آخر ، بل يكون جميع كلامه كأنما افرغ افراغا ، وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه وطول باعه واتساع قدرته » (١) .

وقال ابن الاثير الحلبي عن التخلص : « هو امتزاج ما يقدم الشاعر على المدح من نسيب أو غزل أو فخر أو وصف أو غير ذلك بأول بيت من قصيدة أو بأول كلام من النثر ثم يخرج منه الى المدح »(٢) . ونقل ابن الجوزية كلام ابن الاثير وقال « الانتقال من فن الى فن ويسمى التخلص»(٣) وفرق بينه وبين « الاقتضاب » فقال :« فالفرق بينه وبين الاقتضاب ان التخلص لا يكون إلاّ لعلاقة بينه وبين ما تخلص منه ، وأما الاقتضاب فليس شرطه أن يكون بينه وبين ما قبله علاقة بل يكون كلاما مستأنفا منقطعا عن الأول » .

ووضعه القزويني وشراح تلخيصه ملحقاً بالبلاغة وقال : «التخلص ونعني به الانتقال مما شبب الكلام به من تشبيب أو غيره الى المقصود كيف يكون ؟ فاذا كان حسنا متلائم الطرفين حرّك من نشاط السامع وأعان على اصغائه الى ما بعده ، وإن كان بخلاف ذلك كان الأمر بالعكس » (٤) .

وسماه ثعلب « حسن الخروج » (٥) ، وتبعه في ذلك تلميذه ابن المعتز فقال وهو يتحدث عن محاسن الكلام : « ومنها حسن الخروج من معنى الى معنى » (٦) .وسماه التبريزي « براعة التخلص » (٧) ، وقال البغدادي:

---

(١) الجامع الكبير ص ١٨١ . (٢) جوهر الكنز ص ١٥٧ .
(٣) الفوائد ص ١٤٠ .
(٤) الايضاح ص ٤٣٢ ،التلخيص ص ٤٣٢ ، شروح التلخيص ج ٤ ص ٥٣٥ ، المطول ص ٤٧٩ ، الأطول ج ٢ ص ٢٥٧ .
(٥) قواعد الشعر ص ٥٠ . (٦) البديع ص ٦٠ . (٧) الوافي ص ٢٨٥ .

« وأما براعة التخلص فان من حكم التشبيب ان يكون ممتزجا بما بعده من مدح أو هجاء وغيرهما وغير منفصل منه، فان القصيدة مثلها كمثل الانسان في اتصال بعض أعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر بطل الجسم . وحذاق الشعر لا يفصلون بينهما بل يصلون الأول بالآخر حتى تراه كالرسالة والخطبة لا ينقطع جزء من جزء » (١) .

وقال المصري : « براعة التخلص هو امتزاج آخر ما يقدمه الشاعر على المدح من نسيب أو فخر أو وصف أو أدب أو زهد أو مجون أو غير ذلك بأول بيت من المدح . وقد يقع ذلك في بيتين متجاورين وقد يقع في بيت واحد . وهذه وان لم تكن طريقة المتقدمين في غالب أشعارهم فان المتأخرين قد لهجوا بها وأكثروا منها ، وهي لعمري من المحاسن » (٢) .

وقال الحلبي والنويري :« براعة التخليص ، هو أن يكون التشبيب أو النسيب ممزوجا بما بعده من مدح وغيره غير منفصل عنه »(٣) . وذكرا قول مسلم بن الوليد :

أجدك هل تدرين ان رب ليلة　　كأنّ دجاها من قرونك تنشر
نصبت لها حتى تجلت بغرة　　كغرّة يحيى حين يذكر جعفر

وقول المتنبي :

نودعهم والبين فينا كأنه　　قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق

وهذا الاستشهاد كأنه يشير الى ما ذكره المصري من أن هذا الفن يقع في بيتين متجاورين أو يقع في بيت واحد .

ولا يخص براعة التخلص أو التخلص أو حسن التخلص أو حسن الخروج (٤) النظم وانما يشمل النثر أيضا ، قال المصري : « وهي في الكتاب العزيز معرفة الوصل من الفصل ، وقد ذهب بعض المتكلمين الى

---

(١) قانون البلاغة ص ٤٥٢ .　　(٢) تحرير التحبير ص ٤٣٣ .
(٣) حسن التوسل ص ٢٥٤ ، نهاية الارب ج ٧ ص ١٣٥ .
(٤) الطراز ج ٢ ص ٣٣٠ ، أنوار الربيع ج ٣ ص ٢٤٠ .

أنها أحد وجوه الاعجاز . وهو دقيق يكاد يخفى في غير الشعر إلاّ على الحذاق من ذوي النقد ، وهو مبثوث في الكتاب العزيز » (١) . ومن براعة التخلص في الكتاب العزيز قوله تعالى : « نحن نَقُصُّ عليك أحْسَنَ القَصَصِ »(٢) ، فانه — سبحانه وتعالى — أشار بقوله : « أحسن القصص » الى قصة يوسف — عليه السلام — فوطّأ بهذه الجملة الى ذكر القصة مشيراً اليها بهذه النكتة من باب الوحي والرمز ، وانما كانت أحسن القصص بكون كل قضية منها كانت عاقبتها الى خير ، فان اولها رميه في الجُب فكانت عاقبتهُ السلامة ، وبيع ليكون عبداً فاتُخذ ولدا ، ومراودة امرأة العزيز له فعصمهُ الله ، ودخولهِ السجن وخروجه ملكاً وظفر أخوته به أولاً وظفر بهم آخرا ، وتطلعهِ الى أخيهِ بنيامين واجتماعهِ به وعمى أبيه وردّ بصره وفراقه له ولأخيه واجتماعه بهما ، وسجود أبويه وأخوته له تحقيقاً لرؤياهُ من قبل (٣) .

ومنهُ قوله تعالى : « واتْلُ عليهم نَبأ ابراهيمَ إذ قال لأبيهِ وقومِهِ ماتَعْبُدُون * قالوا نعبد أصناماً فَنظَلّ لها عاكفين * قال هل يسمعونكم إذ تَدْعون أو ينفعونكم أو يَضُرّون * قالوا بل وجدنا آباءَنا كذلك يفعلون * قال أفرأيتم ماكنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون . فانهم عَدُوٌّ لي إلاّ ربَّ العالمين . الذي خلقني فهو يهديني . والذي يُطعمني ويسقيني . واذا مَرِضْتُ فهو يَشْفيني . والذي يُميتني ثم يُحييني » (٤) . ثم قال : « رَبّ هَبْ لي حُكْماً وألحِقْني بالصالحين » (٥) ثم أردفه بقوله : « وأُزْلِفَتِ الجنّةُ للمتقين . وبُرِزَتِ الجحيمُ للغاوين » (٦) . ثم قال : « فَكُبْكِبوا فيها هم والغاوون . وجنودُ إبليسَ أجمعون » (٧) الى قولهِ : « فلو أنّ لنا كَرّةً

(١) بديع القرآن ص ١٦٨ ، تحرير التحبير ص ٤٣٣ .
(٢) يوسف ٣ .
(٣) تحرير التحبير ص ٤٣٨ ، بديع القرآن ص ١٦٩ .
(٤) الشعراء ٦٩ — ٨١ .
(٥) الشعراء ٨٣ .
(٦) الشعراء ٩٠ — ٩١ .
(٧) الشعراء ٩٤ — ٩٥ .

فنكونَ من المؤمنين » (١) . قال ابن الأثير : « هذا كلام يسكر العقول ويسحر الالباب » (٢) وكان هذا الاستشهاد وشرحه رداً على من ذهب الى ان كتاب الله خالٍ من التخلص كأبي العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي ، وقد قال ابن الاثير عن قوله : « وهذا القول فاسد » (٣) . وذكر السيوطي مثل ذلك وردّ قول الغانمي أيضاً (٤) .

فبراعة التخلص من الفنون التي تشمل الشعر كما تشمل النثر ، وهو من محاسن الكلام ، وأحد دعائم الارتباط بين أجزاء القصيدة او الخطبة والرسالة أو غير ذلك من الفنون .

براعة الطلب :

قال الحلبي والنويري : « هو أن تكون ألفاظ الطلب مقترنة بتعظيم الممدوح » (٥) كقول أمية بن أبي الصلت :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني … حياؤك إنَّ شيمتكَ الحياءُ
إذا أثنى عليك المرءُ يوماً … كفاه من تعرضهِ الثناءُ

وكقول المتنبي :

وفي النفس حاجاتٌ وفيكَ فطانةٌ … سكوتي بيان عندها وخطابُ

وسماه ابن الجوزية « براعة الطلب وحسن التوسل » وقال : « وهو أن تكون ألفاظ الطلب مهذبة مقترنة بتعظيم الممدوح » (٦) .

وقال الحموي : « وهذا النوع من مستخرجات الشيخ عز الدين الزنجاني في كتاب المعيار ، وهو ان يلوح الطالب بالطلب بألفاظ عذبة مهذبة منقحة مقترنة بتعظيم الممدوح خالية من الالحاف والتصريح بل يشعر بما في النفس

---

(١) الشعراء ١٠٢ .
(٢) المثل السائر ج ٢ ص ٢٦٦ ، وينظر الطراز ج ٢ ص ٣٣٢ .
(٣) المثل السائر ج ٢ ص ٢٦٥ .
(٤) معترك ج ١ ص ٦٠ .
(٥) حسن التوسل ص ٢٥٥ . نهاية الارب ج ٧ ص ١٣٥ .
(٦) الفوائد ص ٢٣٣ .

دون كشفه » (١) . وفرّق بينه وبين الادماج فقال : « إن الادماج ان يقدر معنى من المعاني ثم يدمج غرضه ضمنه ويوهم انه لم يقصده ، وهذا مقصور على الطلب فقط » (٢) .

وذكر السيوطي مثل ذلك ونظمهُ بقولهِ :

وزاد في التبيان حسن الطلب   بعد وسيلة أتى بالطلبِ

وقال : « هذا البيت من زيادتي » (٣) ثم ذكر ماذكره السابقون من تعريف وأمثلة .

وذكر المدني (٤) ذلك أيضاً ، وقال ان منه قوله تعالى حكاية عن ابراهيم — عليه السلام — : « أفرأيتم ماكنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون . فانهم عَدُوّ لي إلاّ ربَّ العالمين . الذي خلقني فهو يَهْديني . والذي هو يُطعمني ويَسقيني . واذا مَرِضْتُ فهو يَشفيني . والذي يُميتني ثم يُحييني . والذي أطمعُ أنْ يغفرَ لي خطيئتي يوم الدين » (٥) .

براعة القطع :

سماه شبيب بن شيبة « جودة القطع » (٦) ، وسماه الحلبي « براعة القطع »(٧) وسماه النويري « براعة المقطع »(٨) وهو « الانتهاء » وقد تقدم .

براعة المطلع :

وهو الابتداء أو حسن الابتداء ، قال المدني : « قال أهل البيان من البلاغة حسن الابتداء ويسمى « براعة المطلع » وهو أن يتأنق المتكلم أول كلامه ويأتي بأعذب الألفاظ وأجزلها وأرقها وأسلسها وأحسنها نظماً وسبكاً وأصحها مبنى وأوضحها معنى وأخلاها من الحشو والركة والتعقيد والتقديم والتأخير المُلْبِس

---

(١) خزانة الأدب ص ٤٥٩ .
(٢) خزانة ص ٤٥٩ .
(٣) شرح عقود الجمان ص ١٧٤ .
(٤) أنوار الربيع ج ٦ ص ٣١٩ .
(٥) الشعراء ٧٥ — ٨٢ .
(٦) البيان ج ١ ص ١١٢ .
(٧) حسن التوسل ص ٢٥٥ .
(٨) نهاية الارب ج ٧ ص ١٣٥ .

والذي لا يناسب » (١) .

براعة المقطع :

هو جودة القطع وبراعة القطع والانتهاء وقد تقدم ، وسماه بهذه التسمية النويري والتفتازاني والاسفراييني (٢) ، وسماه التيفاشي « حسن المقطع » (٣) .

البسط :

البسط نقيض القبض ، بَسَطه يبسطُه بَسْطاً فانبسط ، وبَسَطَ الشيء : نشره (٤) .

والبسط في البلاغة نقيض الايجاز ، وهو غير الاطناب ، وقد عدّه المصري من مبتدعاته وقال عنه : « هو أن يأتي المتكلم الى المعنى الواحد الذي يمكنه الدلالة عليه باللفظ القليل فيدل عليه باللفظ الكثير ، ليضمن اللفظ معاني أُخر يزيد بها الكلام حسنا ، لولا بسط ذلك بكثرة الالفاظ لم تحصل تلك الزيادة » (٥) ومن ذلك قول امرىء القيس :

نظرتْ اليكِ بعين جازئة   حوراء حانية على طفلِ (٦)

فان حاصله تشبيه عين هذه الموصوفة بعين الظبية فبسط الكلام ليزيده البسط معنى لولاه لم يوجد فيه فان لنظر الظبية الى خشفها عاطفة عليه بحنو واشفاق من الحسن ما ليس لمطلق نظرها ، أو لمنظرها في غير هذه الحالة .

ومنه قول البحتري :

أخجلتني بندى يديك فسوّدَتْ   مابيننا تلك اليدُ البيضاءُ
صلة غدت في الناس وهي قطيعةٌ   عجباً وبرٌ راح وهو جفاءُ

فان حاصل البيتين انك قطعتني عنك خجلاً من كثرة عطائك فبسط هذا الكلام

---

(١) أنوار الربيع ج ١ ص ٣٤ .
(٢) نهاية الارب ج ٧ ص ١٣٥ ، المطول ص ٤٨٢ ، الاطول ج ٢ ص ٢٦٠ .
(٣) خزانة الأدب ص ٤٦٠ ، وينظر المطول ص ٤٨٢ ، الاطول ج ٢ ص ٢٦٠ .
(٤) اللسان (بسط) .
(٥) تحرير التحبير ص ٥٤٤ ، بديع القرآن ص ٢٥١ .
(٦) جازئة : مغنية لطفلها عن الطعام والشراب .

لتحصل زيادات من البديع لولا البسط ماحصلت كالطباق في البيت الأول بذكر السواد والبياض ، والمقابلة في البيت الثاني بذكر الصلة والقطيعة والغدو والرواح والبر والجفاء .

وفرق المصري بينه وبين الاستقصاء بقوله : « إن الاستقصاء هو حصر كل مايتفرع من المعنى ويتولد عنه ، ويكون من سببه ولوازمه بحيث لايترك فيه موضعاً قد أخاقه بجدة الأخذ له فسيتدركه ليستحقه بذكره . والبسط نقل المعنى من الايجاز الى الاطناب بسبب بسط العبارة عنه وان لم يستقص كل ما يكون من لوازمه » (١) .

وقال السبكي : « وفسروه بما هو في معنى الاطناب » (٢) ولم يمثّل له .

وقال الحموي : « والبسط بخلاف الايجاز لكونه عبارة عن بسط الكلام لكن شروطه زيادة الفائدة » (٣) .

وقال المدني : «البسط هو الاطناب وهو خلاف الايجاز ، ومنهم من خصّه بالاطناب بتكثير الجمل فقسم الاطناب الى قسمين : بسط وزيادة ، فالأول الاطناب بالجمل والثاني الاطناب بغيرها . والبديعيون لايعرفون ذلك » (٤) .

البلاغة :

البلاغة الانتهاء والوصول ، يقال : بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا : وصل وانتهى ، وتبلغ بالشيء وصل الى مراده ، والبلاغ : مايتبلغ به ويتوصل الى الشيء المطلوب . والبلاغة : الفصاحة ، ورجل بليغ : حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كنه مافي قلبه . وقد بلغ بلاغة : صار بليغاً (٥) .

ولعل أول ماتردد من معنى البلاغة في سؤال معاوية بن أبي سفيان لصحار ابن عياش ، فقد قال له : « ماهذه البلاغة التي فيكم ؟ » قال : « شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا » . وقال له معاوية : « ماتعدّون البلاغة فيكم ؟ »

---

(١) تحرير ص ٥٤٩ .
(٢) عروس الافراح ج ٤ ص ٤٧١ .
(٣) خزانة الأدب ص ٤٢٠ .
(٤) أنوار الربيع ج ٦ ص ٢٢ .
(٥) اللسان (بلغ) .

قال : « الايجاز . قال له معاوية : وما الايجاز ؟ قال : « أن تجيب فلا تبطيء وتقول فلا تخطيء » (١) .

وفي كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ تعريفات كثيرة للبلاغة عند العرب وغيرهم (٢) وفسرها عمرو بن عبيد في أول الأمر تفسيراً دينياً ثم قال : « فكأنك تريد تخير اللفظ في حسن الافهام : وقال : « انك اذا أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين وتخفيف المؤونة على المستمعين وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين بالالفاظ المستحسنة في الآذان، المقبولة عند الاذهان رغبة في سرعة استجابتهم ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستحققت على الله جزيل الثواب » (٣) .

وقال الاصمعي عن البليغ انه « من طبق المفصل وأغناك عن المفسر »(٤) .

وقال العتابي إن « كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ ، فان أردت اللسان الذي يروق الألسنة ويفوق كل خطيب فاظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق » (٥) .

واكتفى الجاحظ بذكر قول بعضهم وهو من أحسن ما اجتباه ودوّنه : « لايكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه فلا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك » (٦) .

وقال المبرد : « إن حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى واختيار الكلام وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقارنة أختها ومعاضدة شكلها وان يقرب بها البعيد ويحذف منها الفضول » (٧) .

وقال العسكري : « البلاغة من قولهم : بلغت الغاية إذا انتهيت اليها وبلغتها غيري ومبلغ الشيء منتهاه . والمبالغة في الشيء الانتهاء الى غايته فسميت البلاغة بلاغة لانها تنهي المعنى الى قلب السامع فيفهمه وسميت البلغة بلغة

---

(١) البيان ج ١ ص ٩٦ . (٢) البيان ج ١ ص ٨٨ .

(٣) البيان ج ١ ص ١١٤ ، عيون الاخبار ج ٢ ص ١٧٠ .

(٤) البيان ج ١ ص ١٠٦ . (٥) البيان ج ١ ص ١١٣ .

(٦) البيان ج ١ ص ١١٥ . (٧) البلاغة ص ٥٩ .

لانك تتبلغ بها فتنتهي بك الى مافوقها وهي البلاغ أيضاً » (١) . وأبدى رأيه في تعريفها وحدّها بقوله : « البلاغة كل ما تبلغ به قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك ، مع صورة مقبولة ومعرض حسن » (٢) . والبلاغة عنده من صفة الكلام لا من صفة المتكلم ولذلك لايجوز ان يسمى الله — سبحانه — بليغاً إذ لايصح أن يوصف بصفة موضوعها الكلام .

ولم يعرّف الخفاجي البلاغة تعريفاً دقيقاً واكتفى بالاشارة الى اضطراب القوم في حدّها ، وفرق بينها وبين الفصاحة فقال : « والفرق بين الفصاحة والبلاغة ان الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لاتكون إلاّ وصفاً للالفاظ مع المعاني . لايقال في كلمة واحدة لاتدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة وإن قيل فيها فصيحة ، وكل كلام بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بليغاً » (٣) .

ولم يعرفها عبدالقاهر ، والفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان عنده بمعنى واحد لانه يعبر بها عن « فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد ، وراموا أن يعلموهم مافي نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم » (٤) .

ولم تأخذ البلاغة دلالتها المعروفة عند الرازي وهي عنده . « بلوغ الرجل بعبارته كنه مافي قلبه مع الاحتراز المخل والاطالة المملة » (٥) .

وقال ابن الاثير ان الكلام يسمى بليغاً لانه بلغ الأوصاف اللفظية والمعنوية ، والبلاغة شاملة للالفاظ والمعاني وهي أخص من الفصاحة كالانسان من الحيوان فكل انسان حيوان وليس كل حيوان أنساناً ، وكذلك يقال : «كل كلام بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بليغاً » وفرّق بينها وبين الفصاحة من وجه آخر غير

---

(١) كتاب الصناعتين ص ٦ .
(٢) كتاب الصناعتين ص ١٠ .
(٣) سر الفصاحة ص ٦٠ .
(٤) دلائل الاعجاز ص ٣٥ .
(٥) نهاية الايجاز ص ٩ .

الخاص والعام ، وهي انها لا تكون إلاّ في اللفظ والمعنى بشرط التركيب ، فان اللفظة المفردة لاتنعت بالبلاغة وتنعت بالفصاحة إذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن وأما وصف البلاغة فلا يوجد فيها لخلوها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاماً » (١) .

وحينما قسم السكاكي البلاغة ووضع معالمها في كتابه « مفتاح العلوم » عرّفها تعريفاً دقيقاً فقال : « هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وايراد التشبيه والمجاز والكناية على وجهها » (٢) .

وبهذا التعريف أدخل مباحث علم المعاني وعلم البيان وأخرج مباحث البديع لانه وجوه يُؤتى بها لتحسين الكلام وهي ليست من مرجعي البلاغة .

وللبلاغة طرفان : أعلى وأسفل متباينان تبايناً لايتراءى لأحد ناراهما ، وبينهما مراتب متفاوتة تكاد تفوت الحصر ، فمن الأسفل تبتدىء البلاغة وهو القدر الذي إذا نقص منه شيء التحق ذلك الكلام بأصوات الحيوانات ثم تأخذ في التزايد متصاعدة الى أن تبلغ حد الاعجاز ، وهو الطرف الأعلى وما يقرب منه .

وكان القزويني آخر من وقف عند البلاغة من المتأخرين وميزّ بين بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم فقال عن الأولى : « وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته » (٣) ومقتضى الحال مختلف ومقامات الكلام متفاوتة فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الاطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف ، ومقام القَصْر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الإيجاز يباين مقام الاطناب والمساواة ، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي ، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام ، وتطبيق الكلام على مقتضى

---

(١) المثل السائر ج ١ ص ٦٩ .
(٢) مفتاح العلوم ص ١٩٦ .
(٣) الايضاح ص ٩ ، التلخيص ص ٣٣ .

الحال هو الذي يسميه عبدالقاهر النظم . وقال عن الثانية : « واما بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ » (١) .

وقال إن كل بليغ – كلاماً كان أم متكلماً – فصيح ، وليس كل فصيح بليغاً ، وان البلاغة في الكلام مرجعها الى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، والى تمييز الكلام الفصيح من غيره .

وقسم البلاغة الى ثلاثة أقسام فكان مايحترز به عن الخطأ علم المعاني ، وما يحترز به عن التعقيد المعنوي علم البيان ، وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته علم البديع . فالبلاغة عنده ثلاثة أقسام : علم المعاني ، وعلم البيان ، وعلم البديع .

ولم يخرج المتأخرون (٢) عن هذا التعريف والتقسيم واصبح مصطلح البلاغة يضم هذه العلوم الثلاثة .

البليغ :

قال الحصري : « هو من يحوك الكلام على حسب المعاني ويخيط الألفاظ على قدود المعاني » (٣) . وهذا ماأصبح تعريفاً للبلاغة حينما قالوا : « البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال ».

ولا يكون البليغ متصفاً بالبلاغة إلا اذا كان صاحب ذوق رفيع وثقافة واسعة وذا حفظ عظيم لتنطبع الصور في ذهنه ويحذو حذوها في أول الأمر ثم ينطلق بعيداً عنها .

البيان :

البيان ما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها . وبان الشيء : اتضح فهو بيّن ، واستبان الشيء : ظهر . والبيان الفصاحة واللسن ، كلام بيّن : فصيح . والبيان الافصاح مع ذكاء ، والبيّن من الرجال : الفصيح والسمح اللسان . وفلان

(١) الايضاح ص ١١ .
(٢) شروح التلخيص ج ١ ص ١٢٢ ، المطول ص ٢٥ ، الأطول ج ١ ص ٣٠ .
(٣) زهر الآداب ج ١ ص ١٢١ .

أبين من فلان أي افصح منه وأوضح كلاما ، والبيان : إظهار المقصود بأبلغ لفظ وهو من حسن الفهم وذكاء القلب مع اللسن ، وأصله الكشف والظهور (١) .

وفي القرآن الكريم اشارات كثيرة الى البيان منها قوله تعالى : « هذا بيانٌ للناس وهُدًى وموعظةٌ للمتقين » (٢) ، وقوله : « الرحمن علّم القرآن . خلق الانسان . علّمه البيان » (٣) . وفي الحديث الشريف قوله — عليه السلام : « إن من البيان لسحرا » (٤) .

وظلت كلمة « البيان » تحمل هذه المعاني العامة حتى اذا ما دخلت في الدراسات البلاغية أصبح لها مدلول غير الوضوح . وأول ما تصادفنا هذه الكلمة بمعناها القريب من الاصطلاح عند الجاحظ حيث سمّى احد كتبه « البيان والتبيين » وجمع فيه كثيراً من الأقوال وتحدث عن البيان ، ولعل تعريف جعفر بن يحيى الذي ذكره الجاحظ كان من أقدم ما دوّن قال : « قال ثمامة : قلت لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ قال : أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك وتخرجه عن الشركة ولا تستعين عليه بالفكرة . والذي لابدّ منه أن يكون سليما من التكلف بعيداً من الصنعة ، بريئا من التعقيد ، غنيا من التأويل . وهذا هو تأويل قول الاصمعي :« البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسر » (٥) .

والبيان عند الجاحظ واسع المعنى وهو الكشف والايضاح والفهم والافهام ، قال : « البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع الى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل ، لان مدار الأمر والغاية

(١) اللسان (بين) .
(٢) آل عمران ١٣٨ .
(٣) الرحمن ١ — ٤ .
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ج ١ ص ١٧٤ .
(٥) البيان ج ١ ص ١٠٦ ، عيون الاخبار ج ٢ ص ١٧٣ ، العمدة ج ١ ص ٢٤٩ .

التي اليها يجري القائل والسامع انما هو الفهم والافهام فبأي شيء بلغت الافهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع » (١) . والدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة : اللفظ ، والاشارة ، والعقد ، والخط والنِّصْبة .

وتابعه ابن وهب وقال إنّ الدلالات أربعة أوجه : بيان الأشياء بذواتها ، وبيان الاعتقاد ، وبيان العبارة ، وبيان الكتاب .

والبيان عند الرماني الاحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره من الادراك (٢) ، وأقسامه أربعة : كلام ، وحال ، واشارة ، وعلامة . وهذا قريب مما ذهب اليه الجاحظ وابن وهب .

ونقل ابن رشيق كلام الرماني ثم قال : « البيان : الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عُقلة ، وانما قيل ذلك لانه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل ولا يستحق اسم البيان » (٣) . والغريب انه لا يطلق البيان على البلاغة وانما هو عنده فن من فنونها كالمجاز والاستعارة والتشبيه والاشارة والتجنيس ، ولعل هذا الفهم هو الذي ضيّق نطاق بحثه وحصره في الفصل الذي عقده وذكر فيه بعض الأقوال البليغة .

ولم يحدّد ابن سنان البيان ولم يشر اليه ، وسمّى البلاغة فصاحةً بمعناها الواسع وعدّ عبدالقاهر الفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان شيئاً واحداً وهو التعبير عن فضل القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم (٤)

وأخذ البيان عند ابن الاثير معنى واسعا ، وهو لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه للاحكام وأدلة الاحكام . ولكن هذه النظرة الواسعة بدأت تضيق حينما ألف السكاكي كتابه « مفتاح العلوم » وقسم البلاغة الى

---

(١) البيان ج ١ ص ٧٦ .
(٢) النكت في إعجاز القرآن ص ٩٨ ، وينظر المنزع البديع ص ٤١٤ .
(٣) العمدة ج ١ ص ٢٥٤ . (٤) دلائل الاعجاز ص ٣٥ .

المعاني والبيان وما يلحق بهما من محسنات معنوية ولفظية . وقد قال في تعريف البيان : « اما علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه » (١) . وأدخل الدلالات في تقسيم موضوعاته التي انحصرت في التشبيه والمجاز بانواعه والكناية .

ولما جاء القزويني وجد الطريق معبداً ووجد فنون البيان قد انحصرت واستقرت فسار على هدى السكاكي وعرّف البيان بقوله : « هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه » (٢) . وقسمه كتقسيم السكاكي ، لان اللفظ المراد به لازم ما وضع له إن قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع له فهو مجاز وإلاّ فهو كناية . ثم المجاز منه الاستعارة وهي ما تبتنى على التشبيه فيتعين التعرض له ، فانحصر المقصود في التشبيه والمجاز والكناية . وقدّم التشبيه على المجاز لابتناء الاستعارة عليه ، وقدّم المجاز على الكناية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل . ولعل هذا سرّ ادخال الكناية في البيان لانها تحتاج الى قرينة تدل على المعنى المراد منها كما ان المجاز يحتاج الى هذه القرينة غير ان قرينة المجاز تمنع من ارادة المعنى الأصلي وقرينتها لاتمنع من إرادة المعنى الحقيقي .

وأخذ البيان عند السكاكي والقزويني طابعاً علميا ، وأصبح يدل على التشبيه والمجاز والكناية بعد أن كان يشمل فنون البلاغة كلها عند المتقدمين .

ولم يخرج المتأخرون (٣) على هذا التحديد الذي انتهى اليه السكاكي وأقره القزويني ، ولا يزال علم البيان يشمل الموضوعات الثلاثة : التشبيه والمجاز بانواعه كالمجاز العقلي والمجاز المرسل والاستعارة ، ثم الكناية والتعريض .

---

(١) مفتاح العلوم ص ٧٧ .

(٢) الايضاح ص ٢١٢ ، التلخيص ص ٢٣٥ .

(٣) شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٥٦ ، المطول ص ٣٠٠ ، الاطول ج ٢ ص ٥٠ .

موضوعات الجزء الاول

البـــاء

* * *